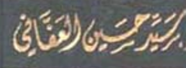
أعلى النعيم

الشوق إلى الله ورؤية وجهه الكريم

جمع وترتيب
الدكتور سيد بن حسين العفاني

دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع









جمع وترتيب

الدكتور

السيد بن حسين العفاني

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

الناشر بالمملكة العربية السعودية

دار ماجد عسيري ـــ جدة

☎ ٠٠٩٦٦٦٥٤٣٤٦١٥١





ومن عَجَبٍ أنّي أَحِنُّ إليهمُ وَأسأل شوقًا عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهم في سوادها ويشكو النّوى قلبي وهم بين أضلعي

إلى

الحبيب الغالي .. من أحبّه في الله كل الحب...
ذي الأخلاق العالية النبيلة الكريمة التي هي أطيب من المسك وأرقّ من نسيم الفجر

الشيخ [illegible]

إلى

الحبيب الكبير .. أجمل من رتل القرآن في مسجد العزيز في تراويح رمضان فأبكى العيون والقلوب...
إلى رجل من أهل الله وخاصته ـ أهل القرآن ـ نحسبه كذلك.

الشيخ طارق إبراهيم

الذي أحبه ملء شغاف القلب

المؤلف



الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع

١٨٤٩٤ / ٢٠٠٥

الناشر

بالمملكة العربية السعودية

دار ماجد عسيري ــ **جدة**

☎ ٠٠٩٦٦٦٥٤٣٤٦١٥١

مقدمة

أهل النعيم

الشوق إلى الله ورؤية وجهه الكريم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

❁ أمّا بعد: ـ

إن في القلب شعثًا لا يَلُمّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.

وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته. وفيه قلقٌ لا يسكنه إلَّا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيرانُ حسراتٍ لا يطفئها إلا الرضا بأمره

ونهيه، وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه. وفيه فاقةٌ لا يسدها إلا محبته والشوق إليه ودوام ذكره والإخلاص له، ولو أُعْطِي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدًا. وفيه مرض لا يشفيه إلا لقاء مولاه في يوم المزيد.

ومن لم يقر بذلك، وخلى قلبه من محبة اللَّه والشوق إليه فليبك على موت قلبه.

وكلما صَحَّ القلب من مرضه ترحَّل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحُلُّ فيها، حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، جاء إلى هذه الدار غريبًا يأخذ منها حاجته، ويعود إلى وطنه.

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ... مَنَازِلُكَ الأُولَى وفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلَكِنَّنَا سَبْيُ العَدوّ فهلْ تَرَى ... نَعُودُ إلى أَوْطَانِنَا وَنَسْلَمُ؟

ولا يزال هذا القلب يضرب على صاحبه حتى يتعلَّقَ باللَّه وينيب ويخبت إليه، تعلُّق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به فذكره قوته وغذاؤه، ومحبته، والشوق إليه حياته ونعيمه ولذته وسروره، والالتفات إلى غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه، فهو دائمًا يضرب على صاحبه حتى يسكن ويطمئن إلى إلهه ومعبوده، فحينئذ يباشر روح الحياة، ويذوق طعمها، ويصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الذي له خُلِق الخلق، ولأجله خُلِقت الجنة والنار، وله أرُسلت الرسل ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلا نفس وجوده لكفى به جزاءً، وكفى بفوته حسرة وعقوبة.

قال بعض العارفين: «مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها؛ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة اللَّه والأنس به والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره وطاعته».

وقال آخر: «إنه ليمرُّ بي أوقاتٌ أقول فيها إنْ كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيِّبٍ».

وقال آخر: «واللَّه ما طابت الدنيا! إلا بمحبته والشوق إليه وطاعته، ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته.

وقال أبو الحسين الورَّاق: «حياة القلب في ذكر الحي الذي لا يموت، والعيش الهني: الحياة مع اللَّه ـ تعالى ـ لا غير».

وبالجملة فما أطيب حياة هذا القلب الذي همُّهُ كله في الله، وحبُّه كله له، وشوقه إليه، وقصده له، وبدنه له، وأعمَاله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على محابِّه ومراضيه.

فلله هاتيك القلوب وما انطوت عليه من الضمائر، وماذا أودعته من الكنوز والذخائر، ولله طيب أسرارها يوم تُبلى السرائر.

سَيَبْدُو لها طِيْبٌ ونورٌ وَبَهْجَةٌ   وَحُسْنُ ثَنَاءٍ يَومَ تُبْلَى السَّرائِرُ

تالله، لقد رُفِع لها عَلم عظيم فشمَّرت إليه، واستبان لها صراط مستقيم فاستقامت عليه، ودعاها ما دون مطلوبها الأعلى فلم تستجب إليه، واختارت اللَّه على ما سواه وآثرت ما لديه.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكنه نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة تقرُّ عيونهم، ويتم نعيمهم، فلا يعطيهم في الآخرة شيئًا أحبَّ إليهم ولا أقرَّ لعيونهم، ولا أنعم لقلوبهم من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة، ولم يعطهم في الدنيا شيئًا خيرًا لهم ولا أحب إليهم ولا أقرّ لعيونهم من الإيمان به، ومحبته والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، والتنعُّم بذكره.

وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأمرين في الدعاء الذي رواه النسائي والإمام

أحمد، وابن حبان في صحيحه وغيرهم من حديث عمّار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو به: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيرًا لي، وتَوَفَّنِي إذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي. اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ والرِّضَا[1]، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ في الفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ[2]، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المُوتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوقَ إلى لِقَائِكَ، في غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**»[3].

فجمع في هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا، وهو الشوق إلى لقائه سبحانه، وأطيب شيء في الآخرة، وهو النظر إلى وجهه ـ سبحانه ـ. ولما كان كمال ذلك وتمامه موقوفًا على عدم ما يضرّ في الدنيا ويفتن في الدين قال: «فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»[4].

هذا الكتاب:

وجمعي هذا يتناول الحديث عن هذين النعيمينْ: الشوق إلى الله وهذا أعلى نعيم الدنيا ورؤية وجه الله الكريم وهذا أعلى نعيم الجنان قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه، وأتينا بالأدلة من القرآن والسنة، وإجماع أهل السنة على ذلك، وعرضنا مذاهب الفرق الضالة المنحرفة في هذا الباب والردَّ عليهم، وذكرنا أشعار الشوق

---

(١) في صحيح الجامع: «وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب».

(٢) في صحيح الجامع: «وأسألك الرضا بالقضاء»

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، والنسائي (٣/ ٥٥)، وابن حبان في «المورد» (٥٠٩)، والحاكم (١/ ٥٢٤) من طريقين عن عمار بن ياسر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٣٠١).

(٤) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» لابن قيم الجوزية ص (٤٠ ـ ٤١) ـ مؤسسة الرسالة.

وأضفنا إلى ذلك كلامه لأهل الجنة حتى يتم نعيمهم، وسردنا جملة من الأحاديث الضعيفة في هذا الباب.

اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنّان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام..

اللهم صل على عبدك ونبيك محمد ﷺ .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول أو عمل.. نسألك الفردوس الأعلى.. نسألك حبَّك وحبَّ من يحبك، وحبَّ عمل يقرِّبنا إلى حبك .. نسألك شهادة في سبيلك، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة ولا فتنة مُضِلّة..

اللهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الفقير إلى رحمة ربه وسائله محبته

والنظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه

السيد بن حسين العفاني

الخميس ١٩ ربيع الأول ١٤٢٦هـ

٢٨ أبريل ٢٠٠٥ م





الفصل الأول

نعيمٌ دائم

ونعيمٌ عارية

فاخْتَر لنفسك



نعيمٌ دائم، ونعيمٌ عَارِية

أنت القتيل بكُلّ ما أحببتهُ فاختر ما شئت

نعم... بونٌ شاسعٌ بين نعيمَيْن:

* نعيم عارية مرتحل.. ليس من داخلك.. وإنما هو مضاف إليك.. بائن عنك.. وهو نعيم الدنيا الزائلة من لباسٍ وأَثَاثٍ وقُصُورٍ ورياشٍ، ومنكحٍ ومأكلٍ.. وما أحطَّهُ من نعيم.

ونعيم مقيم معك .. ينبعث من داخلك.. وهو نعيم الشوق إلى الله، أو لذَّة النظر إليه في الآخرة..

أما نعيم الشوق ولهيبه الذي تتساقط الشموس أمامه، ويزري بالبحر في تلاطمه وهيجان إرادات القلب للمحبوب، وكل نَفَس من أنفاسه يجعل من الأرض سماء هو فيها كواكب، ويكون هزيم البرق شررًا لسنابك جواد المشتاق، ولا يفهم أحد من الأغيار سر آهاته، ولا يحيط أحدٌ بمدى معارجه ومدارجه وخطواته..

وأما النظر إلى وجه اللَّه الكريم فهو مثلما قال ابن عباس في نعيم أهل الجنة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٧]، «الأمر في هذا أجلُّ وأعظم من أن يُعرف تفسيره» لا تحيط نَفْس ملك مقرب ولا نبي مُرسل فضلًا عمن عداهم بنعيم القوم

فَهَذَا نَعِيمُ القَوْمِ إنْ كُنْتَ تَبْتَغِي وَتعقَّل عَنْ مَولَاكَ آداب ذَوِي القَدْرِ

وما ظنك بنعيم من قرَّت عينه باللَّه فقرّتْ به كل عين، وأنس به كل مستوحش، وطاب به كل خبيث، وفرح به كل حزين، وأمن به كل خائف، وشهد به كل غائب، وذكَّرت رؤيتُه باللَّه، واشتاق إلى اللَّه فاشتاقت إليه جميع الأشياء، عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصلٌ بذكر ربه، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه

بقلبه، أحرقت قلبه أنوارُ هيبته، وصفا شِربُه من كأس وُدِّه إن تكلم فبالله، وإنْ نطق فعن الله، وإنْ تَحَرَّك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله.

● **نعيم جليل.. عظيم خطير ليس له نظير:**

هذا العبد في نعيمه المقيم نعيم الشوق إلى الله

أنّى[١] يُلْحَقُ صَبٌّ[٢] قَلِقٌ مَشْغُوفُ[٣] القلبِ مُتَيَّمُهُ[٤]

هذا المحب المشتاق «لا يزال الله يرقِّيه طبقًا بعد طبق، ومنزلًا بعد منزل، إلى أن يُوصِّله إليه ويُمَكِّن له بين يديه.. والسعيد كل السعيد، والمُوَفَّق كل الموفَّق: من لم يلتفت عن ربه تبارك وتعالى يمينًا ولا شمالا، ولا اتخذ سواه ربًّا ولا وكيلًا، ولا حبيبًا ولا مدبِّرًا ولا حكمًا ولا ناصرًا ولا رازقًا فإن استمر على حاله واقفًا بباب مولاه لا يلتفت عنه يمينًا ولا شمالاً، ولا يجيب غير من يدعوه إليه، رُجِيَ له أن يستغرق قلبه في أنوار مشاهدة الجلال بعد ظهور أنوار الوجود الحق، فيبقى قلبه سابحًا في بحر من أنوار آثار الجلال، فتنبع الأنوار من باطنه، حتى يجد الملكوت الأعلى كأنه في باطنه وقلبه، ويجد قلبه عاليًا على ذلك كله، صاعدًا إلى مَنْ ليس فوقه شيء، ثم يرقيه الله ـ سبحانه ـ فيُشهِدُه أنوار الإكرام بعد ما شهد أنوار الجلال، فيستغرق في نور من أنوار أشعة الجمال، وفي هذا المشهد يذوق المحبة الخاصة المُلهبة للأرواح والقلوب، فيبقى القلب مأسورًا في يد حبيبه ووليه ممتَحنًا بحبه.

فيا له من قلب ممتحنٍ مغمورٍ، مستغرق بما ظهر له من أشعة أنوار الجمال الأَحَدِي، والناس مفتونون ممتحنون، بما يفنى من المال والصور والرياسة، مُعَذَّبون بذلك قبل حصوله، وحال حصوله، وبعد حصوله، وأعلاهم مرتبة من يكون مفتونًا بالحور العين، أو عامِلًا على تمتعه في الجنة بالأكل والشرب واللباس

(١) أَنَّى: كيف.

(٢) صَبٌّ: مشتاق. والصبابة: رقة الشوق.

(٣) مشغوف: شغفه الحب أي بلغ شغافة وهو غشاء القلب.

(٤) تيّمه: عبّده.

والنكاح، وهذا المحب قد ترقَّى في درجات المحبة على أهل المقامات، ينظرون إليه في الجنة كما ينظرون إلى الكوكب الدريِّ الغابر في الأفق لعلوّ درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيَّته معهُ فإن المرء مع من أحب ، ولكل عمل جزاء، وجزاء المحبة: المحبة والوصول والاصطناع والقرب، فهذا هو الذي يصلح، وكفى بذلك شوقًا وفخرًا في عاجل الدنيا، فما ظنك بمقاماتهم العالية عند مليكٍ مقتدر».

إن اللَّه ـ سبحانه ـ أبى أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه، إنما يُودع ذخائره في قلب يرى النعيم عذابًا دونه، والعذاب نعيمًا معه، فلا يرى الحياة إلا به ومعه، فهذا له جنتان: جنّة في الدنيا معجَّلة، وجنة يوم القيامة.

ولله ما أحلاه! عكوف القلب على اللَّه عز وجل وحده كعكوف البدن في المسجد لا يفارقه عنده بضائع نفيسة.. دموع ودماء، أنفاس وحركات، كلمات ونظرات، لا يبذلها فيما لا قدْر له..

لا يبكي لفقد ما لا يبقى، ولا يتنفَّس أسفًا على ما يفنى، ولا يبذل مهجة لصورة عمّا قليل تُمحى؟

وحبيب قلبه وشوقه كل شوقه لمن له نُعوت الجمال والجلال والكمال.

فطوباه، وطوباه، وطوباه.

• ونعيم عارية زائل.. من دنيا لا تُساوي عند اللَّه جناح بعوضة..

فما يساوي هذا النعيم؟

ما الدنيا ونعيمها إلا مأكول، أو مشروب، أو ملبوس، أو مشموم، أو منكوح، أما المأكول فأفضله العسل وهو صنع حشرة، وأما الملبوس فأفضله الحرير هو صنع دودة، وأما المشموم فأفضله المسك وهو دم حيوان، وأما المنكوح فهن النساء وهنَّ مبالٍ في مبال.. تتزين بأجملها يراد به أقبحها...

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَو كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِندَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»(١).. وتعال معي إلى هذا النعيم العارية:ـ

● **نعيم المال والجاه والرئاسة:** ـ

أما الجاه والرئاسة فهو أشدّ تقلّبًا من القدر عند غليانها، فإن تغيّر كان صاحبه أذلَّ الخلق.. ولو رأى صاحب المال أن في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل لأفاق من سكرته، فأفٍّ لشرف يسبقك به قارون!! قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦] فكفر وتاه وتجبّر بهذا النعيم فماذا كانت العاقبة؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١].

أين قارون؟ أما هلكت في الزمان جديسه وطَسْمُه؟!(٢) ولقد ذهب من كان وكان اسمه، فلا عينُه ترى ولا رسْمُه، ولا جوهره يُحسُّ ولا جسمه، تبدّد.. ـ والله ـ بالممات نظمه، ولحق بالرفات عظمه!!

* وأفٍّ لشرفٍ يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلًا مُفلسًا!!

* أما ترى إلى فرعون وقوله: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١]؟! ولسان الحقيقة يقول: يا هذا، حمارك ينهق من كفِّ شعير، ما تساوي مصر من جناح البعوضة وقد مرَّ بك حديث رسول الله ﷺ في قدر الدنيا عند الله.

* والمال أخسُّ القُنيات، والمال خادم لغيره من القُنْيات، وإن كان كثيرٌ من الناس لجهلهم يجعلون جاههم وأبدانهم ونفوسهم خدمًا للمال وعبيدًا له، وهم

(١) رواه الترمذي، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم ٩٤٣.

(٢) جديس وطسْم: اسما قبيلتيْن انقرضوا قديما.

الذين ذمّهم النبي ﷺ في قوله: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرهَم».

من ظن أن سعادته لا تتجاوز المال؛ فهو لئيم صغير النفس، يُؤْتَى المال فتسيطر نفسه به، حتى ما يُطيق نفسه!! يروح يشعر أن المال هو القيمة العُليا في الحياة، القيمة التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار؛ أقدار الناس، وأقدار المعاني، وأقدار الحقائق!! وأنه وقد ملك المال فقد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب!! كما يروح يحسب أن هذا المال إلهٌ قادر على كل شيء، لا يعجز عن فعل شيء، ومن ثَمَّ ينطلق في هَوَس بهذا المال يعدّه ويستلذّ تعداده، وتنطلق في كيانه نفخة فاجرة تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم، فمَا أَهْبَطَهُ وَأَلأَمَهُ؟!

وقبيح بالذي يريد السعادة والنعيم أن يتهافت على المال، ويجعل نفسه أقلَّ رَفيق له وأخسَّهُ.

* في كل زمان ومكان تستهوي زينة المال والجاه بعض القلوب، وتُبهِرُ الذين يريدون الحياة الدنيا، ولا يتطلَّعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها، فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟

ولا بأي الوسائل نال ما نال مِن عَرض الحياة؟ من مالٍ أو منصب أو جاه، ومن ثَمَّ تتهافت نفوسهم وتتهاوى كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى، ويسيلُ لعابهم طمعًا فيما في أيدي المحظوظين من متاع، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدّوه، ولا إلى الطريق الدَّنيس الذي خاضوه، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها!!

ولله درُّ شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال للسلطان: مُلْكُك ومُلْك مَلِك المغل، لا يساوي عندي فِلسًا.

والواقع خير شاهد:

وهذه قصة «كرستينا أوناسيس مثال لشقاء أصحاب الأموال.. كرستينا الفتاة اليونانية ابنة المليونير المشهور «أوناسيس» ذلك الذي كان يملك المليارات، والجزر والأساطيل، لقد ورثت من أبيها ما يزيد على خمسة آلاف مليون دولار.

فتاة تملك أسطولًا بحريًّا ضخمًا، تملك جزرًا كاملةً، تملك شركات طيران، وخلاصة القول أن هذه الفتاة كانت قد تزوجت في حياة أبيها برجل أمريكيٍّ، وعاش معها شهورًا ثم طلّقها أو طلّقته.

وبعد وفاة أبيها تزوّجت برجل آخر يوناني، وعاش معها شهورًا، ثم طلَّقها أو طلّقته، ثم انتظرت طويلًا تبحث عن السعادة؟ أتعلمون من تزوَّجت؟

للمرة الثالثة (أغنى امرأة في العالم على الإطلاق) أتعلمون مَنَ تزوجت؟ لقد تزوَّجَت شُيوعيًّا رُوسِيًّا، يا للعجب، قمة الرأسمالية تلتقي مع قمة الشيوعية، وعندما سألها الناس والصحفيون ـ بشكل خاص ـ: أنت تمثلين الرأسمالية فكيف تتزوّجينَ بشيوعي؟ عندها قالت: أبحث عن السعادة.

وبعد الزواج ذهبت معه إلى روسيا، وبما أن النظام هناك لا يسمح بامتلاك أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمة، فقد جلست تخدم في بيتها ـ بل في غرفتها ـ فجاءها الصحفيون ـ وهم يتابعونها في كل مكان ـ فسألوها كيف يكون هذا؟ قالت: أبحث عن السعادة. وعاشت معه سنة ثم طلّقهَا، بل طلَّقَتْهُ. ثم بعد ذلك أقيمت حفلة في فرنسا وسألها الصحفيون: هل أنت أغنى امرأة؟ قالت: نعم، أنا أغنى امرأة، ولكني أشقى امرأة.

وآخر فصل من فصول المسرحية الحقيقية تزوجت برجل فرنسي ـ أحد رجال الصناعة ـ وبعد فترة يسيرة أنجبت بنتًا، ثم طلّقها بل طلّقته.

ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة وهَمٍّ، وبعد شهور وجدوها ميتة في شاليه في الأرجنتين لا يعلمون هل ماتت طبيعية أم أنها قُتِلت؟ حتى إن الطبيب الأرجنتيني قد أمر بتشريح جثتها، ثم دفنت في جزيرة أبيها.

وصدق الله ـ تعالى ـ إذ يقول: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[١] [التوبة: ٥٥].

---

(١) «طريق السعادة»: للشيخ أحمد فريد ـ ص: (٥٧ ـ ٥٨، ٥٩).

● **لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:ـ**

وعلى الطريق الآخر انظر إلى نعيم المحبين المشتاقين الزاهدين:ـ

قال إبراهيم بن بشار ـ رحمه اللَّه ـ: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولي وأبو عبداللَّه السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يُقال له: نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كُسَيْرات يابسات، فألقاهم بين أيدينا فأكلنا، وحمدنا اللَّه فقمتُ أسعى أتناول ماءً لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيْه، فمال بكَفَّيْه في الماء فملأهما، ثم قال: بسم اللَّه وشرب. فقال: الحمد لله، ثم أنه خرج من النهر فمدّ رجليه وقال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب.

فقلت له: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم، فتبسَّم ثم قال: من أين لك هذا الكلام[١].

● **ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه:ـ**

* لم يغن النعيم عن شاه إيران.. فقد طُرِد من بلاده وتشرَّد، ولم يجد بلدًا يأويه، ومات شريدًا طريدًا في مصر، بعد أن أنهَكه الهمّ وفتك به المرض.

* ونصَّب بوكاسا الأول نفسه رئيسًا مدى الحياة ثم إمبراطورًا لإفريقيا الوسطى، وكانت مراسم تتويجه إمبراطورًا شبيهة بمراسم تتويج الإمبراطور نابليون.... واستقدم الإمبراطور بوكاسا الرسام الألماني (هانز لينوس) بطائرة خاصة نفّاسة مرتين في شهر واحد لرسم الخطوط الأولى للوحة في قاعة العرش...!!...... وحين طار بوكاسا من بلاده في مهمة رسمية إلى الخارج طار عنه عرشه، واستلم الذين كانوا عماد حكمه الحكم بعده، وبقي عرشه وتاجه

---

(١) حلية الأولياء: (٧/ ٣٧٠)، وصفة الصفوة: (٤/ ١٥٣).

وصولجانه هناك بعيدًا عنه، وأصبح بوكاسا العظيم حكاية تُروى»[1].

* ونابليون أشهر في الدنيا من الدنيا ماذا قال في «سانت هيلينا»؟ قال: لم أعرف ستة أيام سعيدة في حياتي.

* وهل أغنت القصور عن ثمود قال ـ تعالى ـ: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ءَامِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ (١٤٩)﴾ [الشعراء: ١٤٦ ـ ١٤٩]، فماذا كانت العاقبة؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٧٨)﴾ [الأعراف: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ (٨١)﴾ [القصص: ٨١].

* * *

● نعيم وتلذذ بالنساء:

والعشق الشهوي عبودية على عبودية، وذلّة على ذلّة، والبهيمة أحسن حالًا ممَّن ابتلى به؛ لأنها إذ أسقطت الأذى عن نفسها بالسِّفاد، سكنت فصارت إلى الراحة، وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها، ومن أثار شهوته فهو كمن يثير بهائم عارية وسباع ضارية.

قيل لبعض الحكماء: ما العشق؟ قال: جنون لا يُؤْجَرْ صاحبُهُ عليه.

وسُئل آخر عنه فقال: نفس فارغة لا همَّة لها.

وقال غيره: «هو سوء اختيار صادف نفسًا فارغة»[2].

* أيّ ذُلّ وشقاء ورقّ أنكى من ذُلّ رجل يقول لمعشوقته:

أَتَانِي مِنْك سبُّكِ لِي فَسُبِّي ... أَلَيْسَ جَرَى بِفِيكِ اسْمِي فَحَسْبِي

---

(١) انظر: «جولة في رياض العلماء».

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني ص: (٣١٦ ـ ٣١٧) دار الوفاء.

● وانظر إلى العشق كيف يجعل من رجل أشقى الآخرين:

فعن عبدالله أن النبي ﷺ قال لعلي: «يَا عَلِيُّ، مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعلم، قال: «أَشْقَى الأَوَّلِينَ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَأَشْقَى الآخِرِينَ الذي يَطْعَنُكَ يَا عَلِيُّ، وَأَشَارَ إِلَى حِينَ يُطعَنُ»(١).

فما قتل عبدالرحمن بن ملجم عليَّ بن أبي طالب إلا بسبب عشقه لقطام، وهي امرأة من تيم الرباب، كانت ترى رأي الخوارج، فلما أبصر بها عبدالرحمن عشقها فخطبها، فقالت: لا أتزوّجك إلّا على ثلاثة آلاف وقتلِ علي بن أبي طالب. فتزوّجها على ذلك، وقتل عليًّا رضي الله عنه.

* ولقد جرت على العُشّاق مِحَنٌ لا تُطاق، كان مجنون ليلى لا يعرف ليلًا ولا نهارًا، وكان إذا رأى الجبل قال: ليلى، وإذا رأى البحر قال: ليلى، وغلب عليه الوسواس، فهرب إلى الوحش من الناس:

لَو فَكَّرَ العَاشِقُ فِي مُنْتَهَى ... حُسْنِ الذِّي يُسْبِيهِ لَمْ يُسْبِهِ

والمجنون هو القائل:

أصَلِي فَأبكِي فِي الصَّلاةِ لِذِكْرِهَا ... لِيَ الوَيْلُ مِمَا يَكْتُبُ المَلَكَانِ

وهو القائل:-

إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا ... بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ المُصَلَّى وَرَائِيَا

وهو القائل: -

عَجِبْتُ لِعُرْوَةَ العُذْرِيّ أَمْسَى ... أَحَادِيثًا لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمِ
وَعُرْوَةَ مَاتَ يَوْمًا مُسْتَرِيحًا ... وَهَأَنَذَا أَمُوتُ بِكُلِّ يَوْمِ

* والعباس بن الأحنف القائل: -

---

(١)صحيح: أخرجه ابن سعد في الطبقات، وله شاهد عند الطبراني في المعجم الكبير والحاكم، وأحمد والبزار، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٠٨٨).

سَـيِّـدَتِـي سَـيِّـدَتِـي إِنَّـهُ لَـيْسَ لِمَا بِالـعَاشِـقِينَ اكْـتِتَامْ
سَيِّـدَتِـي سَـيِّـدَتِـي إِنَـنِـي أَعْجَزُ عَنْ حَمْلِ البَلَايَا العِظَامْ
سَيِّدَتِي سَيِّدَتِي فَاسْمَعِي دَعْوَةَ مَيْتٍ عَاشِقٍ مُسْتَهَامْ

فقال لهُ أبو نواس: لقد خضعتَ لهذه المرأة خضوعًا ظننتُ معه أنك تموت قبل تمام هذه القصيدة.

فإذا تعلق بحبّ القينات والممثلات والراقصات أَسَرْنه وإن كان من عِلْية القوم:-

أَلَا يَا عَاشِقَ القَيْنَاتِ جَهْلًا أَرَدْتَ بِأَنْ تَكُونَ أَبَا البُغُولِ

وفي مثل هؤلاء الساقطات يصدق قول القائل: -

فيا مَنْ لَيْسَ يُقْنِعُها مُحِبٌّ ولا ألفَا مُحِبٍّ كُلَّ عَامِ
أظنُّك مِنْ بَقِيَّةِ قَومِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ
أَتَيْتُ فُؤَادَهَا أَشكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيهِ مِنَ الزِّحَامِ

وقول القائل:

الخَانُ يَعْجَزُ عَنْ قَوْمٍ إِذَا كَثُرُوا لَكِنَّ قَلْبَكِ مِثْلُ الخَانِ أَضْعَافُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ خَمْسُونَ يَعْشَقُهُم فِي كَلِّ شَهْرٍ لَهُ أَلفٌ وآلافُ[(١)]

* وفي الغرب حيث أجمل الجميلات من النساء ما هو الحال؟ «إن إحصائيات الانتحار في الدول الإسكندنافية في الآونة الأخيرة، أذهلت المفكرين الاجتماعيين، فالمعروف أن هذا الدول من أرقى بلاد العالم من حيث الرخاء الاقتصادي والاجتماعي، ويشتهر أهلها ظاهريًا بدماثة الخلق والوداعة، إلا أن بعض المفكرين يعزون هذه الظاهرة إلى الحرية الجنسية الكبيرة جدًّا في تلك

---

(١) الموشى للوشاء: ص ١٧٠ - دار صادر

البلاد»[١].

كل صريع في الهوى رفيق عُروة، كم تدفِنُ كثيرًا من الأعِزّة، وما يرجع كثيِّر عن حب عَزّة

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ ولَسْتَ بِوَاجِدٍ طَبِيبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونُ

ليس أضرَّ على العبد من التعلق بغير اللَّه من الصور الجميلة من النساء، ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فإذا تعلَّق بِغير الله، وَكَلَه اللَّه إلى ما تعلَّق به، وخذله من جهة ما تعلَّق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله، بتعلقه بغيره، والتفاته إلى سواه، فلا على نصيبه من اللَّه حَصَل، ولا إلى ما أمَّله ممَّن تعلَّق به وصل، بل يجعل الله عذابه به، وكلّ نقيصة تلحقه من جهته .....، أمَّا مَا يُقال في كل زمان ومكان لمُحبّ ليلى: مجنون ليلى، فأعظم الناس خُذلانًا مَن تعلق بغير الله، فإنّ ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه، أعظم مما حصل له ممَّن تَعَلَّق به، وهو مُعَرّضٌ للزوال والفوات. ومثل المتعلقِّ بغير اللَّه كمثل المُسْتَظِلِّ من الحرّ والبرد ببيت العنكبوت، أوهن البيوت.

مَا فِي هَوادِجِكُم مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ إنْ مِتُّ شَوْقًا ولَا فيها لَهَا ثَمَنُ
سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلي وَحْشَةً لكُم ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وارْعَوى الوَسَنُ

فهل يكون النعيم عشق النساء الذي يمنع القرار، ويسلب المنام، ويُوَلِّهُ العقل، ويُنْحِل الأشباح النحول، فيُنْحِل الأرواح بالذبول، فالدمع هاطل، والرأي عاطل، والحسرات تتتابع، والأنفاس تمتد، والوسواس يشتد، والعيون طوال الليل ساهرة، والقلوب قد نسيت الآخرة.

ولو فكّر الإنسان في عيوب المحبوب، وأنه أنذل من أن تُبذل في مثله القلوب.

يا مُطْلَقَ الطَّرْفِ المُعَذَّبِ فِي الأُلَى جُرِّدْن عن حُسْنٍ وعَنْ إحْسَانِ
لا تَسْبِيَنَّكَ صُورَةٌ مِنْ تحتها الدَّاءُ الدَّوِيُّ تَبُوءُ بِالخُسْرَانِ

(١) مجلة المجتمع الكويتية: (٢٨٥/ ٤٨).

قَبُحَتَ خَلائِقُها وقُبِّح فِعْلُها شَيْطَانَةٌ في صُورةِ الإنْسَانِ
تنقَادُ لِلأَنْذَالِ والأَرْذَالِ هُمْ أكفاؤُها مِنْ دُون ذِي الإِحْسَانِ
مَا ثَمَّ من دِينٍ ولا عَقْل ولا خُلُق ولَا خَوْفٍ من الرَّحْمَنِ
وَجَمَالُهَا زُورٌ ومصنوعٌ فإِنْ تَركَتْهُ لَم تَطْمحُ لَهَا العَينَانِ
فَجَمَالُهَا قِشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ ما شِئْتَ مِن عَيْبٍ ومِنْ نُقصانِ
نَقْدٌ رَدِيءٌ فَوقَهُ مِن فِضَّةٍ شَيءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الأَثْمَانِ
فالناقدُون يَرْدن ماذا تَحْتَهُ والنَّاسُ أكثَرُهم مَنَ العُمْيانِ
فانظُرْ مَصَارِعَ مَن يَلِيكَ وَمَن خَلَا مِنْ قَبْلُ مِن شَيبٍ وَمِنْ شَبُّانِ
وارْغَب بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ العَالِي البَاقِي بِذَا الأدنَى الَّذِي هُوَ فَانِ
إنْ كَانَ قَدْ أعْيَاكَ خُودٌ مِثْلُ مَا تَبْغي وَلَمْ تَظْفَرْ إلى ذَا الآنِ
فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحمَنِ خُودًا ثُمَّ قَدِّم مَهْرَهَا مَا دُمتَ ذا إمْكَانِ
ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيكَ أيْسَرُ إنْ يَكُنْ لكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْم وَالإِيمَانِ
فاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الجَنَّاتِ ثُمَّ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا العِرفَانِ
حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلائِقًا وَمَحَاسِنًا مِن أَجْمَلِ النِّسْوَانِ
حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ في الحُسْنِ الَّذي قَدْ أُلبِسَتْ فالطَّرْف كالحَيَرانِ
وَيَقُولُ لمّا أنْ يُشاهِدَ حُسْنَهَا سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْنَ وَالإِحْسَانِ [١]

❁ فإنْ شاقتك صفات الحور العين وأخذت بقلبك محاسنهن

فَاسْمُ بِعَينَيْكَ إلى نِسْوَةٍ مُهُورُهُنَّ العَمَلُ الصَّالِحُ
وَحَدِّثِ النَّفْسَ بِالشَّوْقِ عَلَى مَنْ عِشْقُهُنّ المَتْجَرُ الرَّابِحُ
واعْمَلْ عَلَى الوَصْلِ فَقَدْ أُمْكِنتْ أسْبَابُه وَوَقْتُهَا رَائِحُ

---

(١) نونية ابن قيم الجوزية.

● تَعلّق النعيم بالأَكْل:ـ

الرجل كُلُّ الرَّجل مَن كان خارجًا من سلطانِ بطنه فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يُكثرُ إذا وَجد، ولا يرضى بالهمم الحيوانية، ولا يكون عَبْدٌ عَارية بطنه وفرْجه أتكون كمنْ قال الحطيئة فيه:

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لبُغْيتِهَا ... وَاقْعُدْ فَإنَّك أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

نصيب الأكول متاعٌ وأكلٌ كما تأكل الأنعام ..أكْلٌ حيواني شِرِهٌ، ومتاعٌ حيواني غليظ.. حيوانية تتحقّق في المتاع والأكْل، تحسب الحياة كلها مائدة طعام وفرصة متاع.

فَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وَفَرجَك نَالَا مُنْتَهَى الذَّم أَجْمَعَا(١)

عبد بطنه يُقال له: قولوا لأهله يبنوا له معلفا... ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③﴾ [الحجر: ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

قال رسول اللَّه ﷺ: «المُؤمِنُ يأكُلُ فِي مِعىً وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأكُلُ فِي سَبْعَةِ أمْعَاءٍ»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «المُؤمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعيٍ وَاحِدٍ، والكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»(٣).

أما المشتاق إلى الجنة فإنه يتناول الأكل تناول مضطَر عالم بقذارة مآله، ويتحقّق أن نسبة الإنسان إلى الثمار والفواكه، نِسْبَة الجُعْل إلى الرَّوْث، فلو نطق الشجر لقال لك: أنت تأكل فُضالتي كما يأكل الجُعْل فضَالتك، والخنزير إذا استطاب لُفاظة الإنسان فما هو إلا كاسْتِطابتنا لُفَاظة الشجر، فألْقِ يا إنسانُ عن

---

(١) ديوان حاتم الطائي ـ ص: (٦٨) ـ دار صادر بيروت.

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عمر، وأحمد ومسلم عن جابر، وأحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة، ومسلم وابن ماجه عن أبي موسى.

(٣) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي.

مناكبك الدِّثار، وجَلِّ البصيرةَ واستعمل الاعتبار تجدْ صدْق ما قُلت.

● **نعيم اللباس والثياب: ـ**

إياك أخي أن تكون مِمّن قال فيهم الرسول ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ...»(١).

* يا هذا، أفضل الملبوس الحرير، وهو صُنع دودة، فبم تفتخر؟!

هل نسى الذي نعيمه في ثيابه والمَظْهَر، هل نسى الرجيع في أمعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفيه، والبزاق في فيه، والوَسَخ في أذنيه، والدم في عروقه، والصديد تحت بشرته، والصنان تحت إبطه؟! ولينظر إلى أصله، حتى يفيق مِن سَكْرته.

● **نعيم الراحة:ـ**

أتطمعُ في لحاق السادات؟! وأنت مع حب الراحة والوسادات؟! وأَنَّى تكون مثلهم، وأَنَّى وهيهات.

وكيفَ يُنالُ المجْدُ والجِسمُ وادِعٌ ... وكَيفَ يُحازُ الحمْدُ والحَمْدُ وَافِرُ

* أُفٍّ لك، أما تأنف من بوْل الشيطان في أُذنيْك؟! كيف ترضى بأن يكون الشيطان حاديك: «عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ»، «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ فِي أُذُنَيْه» إنَّهُ واللَّه بولٌ ثقيل.

رِيَاحُ الأَسْحَارِ لَا يَشُمُّهَا مَزْكُومُ غَفْلَةً.

يا كثير الراحة والنوم ... يا بعيدًا عن القوم .. تنبّه، أما تسمع الحادي ينادي في الدياجي «عند الصباح يحمد القوم السُّرى».

* كيف تستلذ النوم والراحة ورسولك ﷺ يقول لك: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سِلْعَةَ اللَّه غالية، ألا إن سلعة اللَّه الجنة»(٢).

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، وعبد بن حميد، والعقيلي في الضعفاء، وأبو نعيم والقضاعي، والحاكم عن أُبيّ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٠٩٨).

● أصحاب هذا النعيم العارية:-

أصحاب النعيم العارية.. من سفل نعيمهم وَتَدنّي «صحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة؛ لا ينظرون في معرفة مُوجدهم وحقِّه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار؛ التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية.

قد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة، وغرّتهم الأمانيّ الباطلة والخدع الكاذبة، فخدعهم طول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، فهم في لذّات الدنيا، وشهوات النفوس كيف حُصِّلت حَصّلوها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابًا من اللَّه ولا رضوانا ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧]، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(١)

فإذا نزل بهم الموت اشتد قلقُّهم لخراب ذاتهم وذهاب لذّاتهم، لا لما سبق من جناياتهم وسلف من تفريطهم، حيث لم يُقدّموا لحياتهم.

* «فإذا رأيت النفوس المبطلة الفارغة من الشوق إلى اللَّه وطلب الدار الآخرة قد تشبّثت بهذا العالم السفلي، فكِلْها إليه، فإنه اللائق بها لفساد تركيبها، ولا تنفس عليه ذلك؛ فإنه سريع الانحلال عنها، ويبقى تشبُّثها به مع انقطاعه عنها عذابًا عليها بحسب ذلك التعلُّق، فتبقى شهوتها وإرادتها فيها وقد حيل بينها وبين ما تشتهي، على وجهٍ يئست معه مع حصول شهوتها ولذّتها، فلو تصَوَّر العاقل ما مع ذلك من الألم والحسرة؛ لبادر إلى قطع هذا التعلّق، كما يُبادر إلى حسم مواد الفساد، ومع هذا فإنه ينال نصيبه من ذلك، وقلبه وهمُّهُ متعلِّق بالمطلب الأعلى»(٢).

---

(١) «حادي الأرواح» لابن قيم الجوزية ص: (٥).

(٢) «الفوائد» لابن قيم الجوزية ص: (١٧٩).

● أخي: -

إن الطبعِ الرديَّ لا يليق به الخير.. هذه الخنفساء إذا دُفنت في الورد لم تتحرَّك، فإذا أُعيدت إلى الرَّوَث رتعت، وما يكفي الحيّة أن تشرب اللبن، حتى تمجَّ سمّها فيه؛ وكل إلى طبعه عائدٍ.

● أخي:

قد قيّد الطْردُ قدميك، وغلَّ الإبعادُ يديك، أفما لك عين تبكي عليك

وَفِي نَظَرِ الصَّادِي إِلَى المَاءِ حَسْرَةٌ   إِذَا كَانَ مَـمْنُوعًا سَبِيلَ المَوَارِدِ

● أخي:

إِذَا القُلُوبُ خَلَت مِنْ حُبِّ خالقها   فَهْيَ الصُّخُورُ الَّتِي تَحْتَلُّ أَبْدَانَا

إِذَا خَلَا المَرْءُ مِنْ شَوقٍ وَمَعْرِفَةٍ   ظَلَمْتَ نَفْسَكَ لَوْ تَدْعُوهُ إِنْسَانًا

* * *



الفصل الثاني

الشوقُ إلى الله أعلى نعيم الدنيا



أعلى نعيم الدنيا

الشوق إلى اللَّه والدار الآخرة

الشوق: سفر القلب إلى المحبوب في كل حال.

الشوق: نسيم يهب على القلوب يُطيِّب لها السير إلى بلاد المحبوب، إلى اللَّه وإلى الدار الآخرة، وأي طيران أبهى من قلوبٍ تطير إلى سيدها وربها وحبيبها.. إلى الودود.

* وقالوا: الشوق هو اهتياج القلوب، إلى لقاء المحبوب.

وقيل: هو احتراق الأحشاء، ومنها يتهيج ويتولد، ويُلهب القلوب، ويُقطِّع الأكباد.

وقال ابن خفيف: الشوق ارتياح القلوب بالوجد، ومحبّة اللقاء بالقرب.

• إنكار بعض المتكلمين للشوق:-

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد ذهب بعض المتكلّمين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه، وجهله بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات، ومنهم أحمد بن غالب، يُعرف بغلام الخليل أنكر على الجُنيد وعلى أبي الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق[1] حتى أنكر بعضهم مقام الرضا، وقال: ليس إلا الصَّبر فأمَّا الرِّضَا فغير متصوَّر!! وهذا كله كلام ناقص قاصر، لم يطّلع من مقامات الدين إلا على القشور فظنَّ أنه لا وجود إلا للقشر، فإن المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر ووراءه اللب المطلوب، فمن لم يصل من الجوز إلّا إلى قشره يظنُّ أن الجوز خشب كله، ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذورٌ، ولكن عذره غير مقبولٍ»[2].

---

(١) لا يطلق على حب العبد لربه أنه عاشق.. فالعشق هو المجاوزة في محبة المحبوب.

(٢) الإحياء: (٤/ ٢٩٦ - ٢٩٧).

* ويقول أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله ـ تعالى ـ[1] فلا بد وأن ينكر حقيقة الشَّوقَ؛ إذ لا يُتصوَّر الشوق إلَّا إلى محبوب»[2].

● وعدّه قوم بأنه من مقامات العوام!!:ـ

قال ابن القيم: (قال أبو العباس: «وأما الشوق فهو هبوب القلب إلى غائب، وإعواز الصبر عن فقده، وارتياح السرِّ إلى طلبه، وهو من مقامات العوام، وأما الخواص فهو عندهم مخلَّة عظيمة، لأن الشوق إنما يكون إلى غائب، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة، والطريق عندهم أن يكون العبد غائبًا والحق ظاهرًا.

ولهذا المعنى لم ينطق بالشوق كتاب ولا سنة صحيحة، إلا أن الشوق مُخبر عن بُعد، ومشير إلى غائب، وهو يطلع إلى إدراك ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقيل:

وَلَا مَعْنَى لِشَكْوَى الشَّوقِ يَومًا إِلَى مَنْ لَا يَزُولُ عَنِ العَيَانِ[3].

* وقال الهروي صاحب «منازل السائرين»: «الشوق: هبوب القلب إلى غائب. وفي مذهب هذه الطائفة: علَّة الشوق عظيمة؛ فإن الشوق إنما يكون إلى الغائب.

ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة. ولهذه العلّة لم ينطق القرآن باسمه»[4].

ثم قال ابن القيم شارحًا هذا الكلام: «أما العلَّةُ التي ذكرها في الشوق، فقد تقدَّم أن من الناس من جعل «الشوق» في حال اللقاء أكمل منه في حال المغيب،

---

(١) وهم طوائف من المتكلمين وأهل التأويل والجهمية الذين قالوا إن الله لم يكلم موسى تكليمًا ولم يتخذ إبراهيم خليلًا.

(٢) الإحياء: (٤/ ٢٨١).

(٣) «طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية ص: (٣٢٧).

(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٥).

فعلى قول هؤلاء: لا علَّة فيه.

وأما من جعله سفر القلب إلى المحبوب في حال غيبته عنه، فعلى قوله يجيء كلام المصنِّف. ووجهه مفهوم.

وقوله: «فإن مذهب هذه الطائفة» ـ الذي هو الفناء ـ يريد: أن الفناء إنما قام على المشاهدة. فإن بدايته ـ كما قرَّره هو ـ المحبة التي هي نهاية مقامات المريدين. والفناء إنما يكون مع المشاهدة. ومع المشاهدة لا عمل للشوق»[1].

وسيرد بعد قليل رد الإمام ابن قيم الجوزية على هذا الكلام وبيان بطلانه.

• إثبات وجود الشوق إلى اللَّه وهو مرتبة شريفة عالية عظيمة:ـ

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ :ـ

ونحن نثبت وجود الشوق إلى اللَّه ـ تعالى ـ، وكون العارف مضطرًّا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار.

أما الاعتبار: فيكفي في إثباته ما سبق في إثبات الحب، فكل محبوب يشتاق إليه في غيبته لا محالة، فأما الحاصل الحاضر: فلا يشتاق إليه، فإن الشوق طلب وتشوف إلى أمر والموجود لا يطلب.

ولكن بيانه أنَّ الشوق لا يتصوَّر إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، فأما مالا يدرك أصلًا فلا يشتاق إليه، فإنَّ من لم ير شخصًا ولم يسمع وصفه لا يتصوّر أن يشتاق إليه، وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه، وكمال الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداومًا للنظر إليه لا يتصوَّر أن يكون له شوق، ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، وهو من وجهين لا ينكشف إلا بمثال من المشاهدات.

فنقول مثلًا: من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية، فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصوّر أن

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٥٥).

يشتاق إليه، ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية، فمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله، فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته، وتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه.

والثاني: أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلًا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته، وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية، ولكنه يعلم أن له عضوًا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط.

والوجهان جميعًا متصوران في حق اللَّه ـ تعالى ـ، بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين، فإن ما اتضح، بل يكون مشوبًا بشوائب التخيلات، فإنّ الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات، وهي مُكَدِّرَات للمعارف ومُنَغِّصَاتٌ، وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا، فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة، وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين.

فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحًا ما.

الثاني: أن الأمور الإلهية لا نهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة.

والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله ـ تعالى ـ، ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر، فلا يزال متشوقًا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلًا، لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة.

والشوق الأول: ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة، ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين فقال: قلت ذات يوم؛ يا رب إن أعطيت أحدًا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل

لقائك فأعطني ذلك فقد أضرّ بي القلق، قال: فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه وقال: يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول، فقال: قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك. فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة.

وأما الشوق الثاني: فيشبه ألَّا يكون له نهاية في الدنيا ولا في الآخرة، إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال اللَّه ـ تعالى ـ وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله ـ تعالى ـ وهو محال لأن ذلك لا نهاية له.

ولا يزال العبد عالمًا بأنه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه، لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة، إلَّا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال، فهو يجد لذلك شوقًا لذيذًا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية إلى غير نهاية، فلا يزال النعيم واللذة متزايدًا أبد الآباد، وتكون لذة ما يتجدَّد من لطائف النعيم شاغلة عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل: وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلًا، فإن كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفًا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرًّا على الدوام.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] محتمل لهذا المعنى.

وهو أن ينعم عليه بإتمام النور مهما تزوّد من الدنيا أصل النور، ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والإشراق، فيكون هو المراد بتمامه.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣] يدُلُّ على أنّ الأنوار لا بدَّ وأن يتزود أصلها في الدنيا، ثم يزداد في الآخرة إشراقًا، فأمَّا أن يتجدَّد نور، فلا، والحكم في هذا برجم الظنون مخطر،

ولم ينكشف لنا فيه بعد ما يوثق به، فنسأل اللَّه ـ تعالى ـ أن يزيدنا علمًا ورشدًا ويرينا الحق حقًا. فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه»[١].

• إِذَا جَاءَ نَهْرُ اللَّهِ بَطُلَ نَهْرُ مَعقِل .. فاقْصِدِ البَحْرَ وخَلِّ القَنَوَاتِ

نعم إذا جاء نهر اللَّه، بطُل نهر معقل .. إذا أتى الشوق على لسان رسول اللَّه ﷺ بطل كل رأي مخالف لقوله.. ويكفي سؤال النبي ربه هذه الدرجة.

قال العلاّمة ابن رجب الحنبلي:

«الشوق إلى لقاء اله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة محبة اللَّه ﷻ، وقد كان النبي ﷺ يسأل اللَّه هذه الدرجة.

خرّج الإمام أحمد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم من حديث عمار بن ياسر أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء.

«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْق، أَحْيِنِي مِا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيرًا لي، وتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيرًا لِي. اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، وَأسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ والرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ في الفَقْرِ[٢] وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المُوتِّ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوقَ إلى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيْمَانِ، واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[٣]، [٤].

---

(١) الإحياء: (٤/ ٢٨١ - ٢٨٢).

(٢) وفي نسخة: في الفقر والغنى.

(٣) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٤)، وابن حبان (٩٥٥، ٩٥٦)، والحاكم (١/ ٥٢٤)، وصححه الألباني .. وقد مرّ تخريجه.

(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٣، ٥٤).

۞ الردّ على من أنكر الشوق وبيان عظم مرتبته ورفعتها:-

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه مسالة نزاع بين المحبين، وهي أن الشوق هل يزول باللقاء أم لا؟ ولا يختلفون أن المحبة لا تزول باللقاء.

فمنهم من قال: يزول باللقاء؛ لأن الشوق هو سفر القلب إلى محبوبه، فإذا قدم عليه، ووصل إليه، صار مكان الشوق قرّة عينه به، وهذه القوة تجامع المحبة ولا تنافيها.

قال هؤلاء: وإذا كان الغالب على القلب مشاهدة المحبوب؛ لم يطرقه الشوق.

وقيل لبعضهم: هل تشتاق إليه؟ فقال: لا، إنما الشوق إلى غائب، وهو حاضر.

* وقالت طائفة: بل يزيد الشوق بالقرب والوصول، ولا يزول، لأنه كان قبل الوصول على الخبر والعلم، وبعده: صار على العيان والشهود، ولهذا قيل: -

وأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّوقُ يَومًا إِذَا دَنَتِ الخِيَامُ مِنَ الخِيَامِ

قال الجنيد: سمعت السّرى يقول: الشوق أجلّ مقام للعارف إذا تحقّق فيه. وإذا تحقّق في الشوق لها عن كل شيءٍ يشغله عمن يشتاق إليه، وعلى هذا: فأهل الجنة دائمًا في شوق إلى الله، مع قربهم منه ورؤيتهم له.

قالوا: ومن الدليل على أن الشوق يكون حال اللقاء أعظم: أنّا نرى المحب يبكي عند لقاء محبوبه، وذلك البكاء إنما هو من شدة شوقه إليه، ووجده به؛ ولذلك يجد عند لقائه نوعًا من الشوق، لم يجده في حال غيبته عنه.

* النزاع في هذه المسألة:أن الشوق يراد به: حركة القلب، واهتياجه للقاء المحبوب فهذا يزول باللقاء ولكن يعقبه شوق آخر أعظم منه تثيره حلاوة الوصل ومشاهدة جمال المحبوب.

فهذا يزيد باللقاء والقرب ولا يزول. والعبارة عن هذا وجوده، والإشارة إليه

حصوله.

وبعضهم سمى النوع الأول: شوقًا. والثاني: اشتياقًا.

قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدّقاق يُفرِّقُ بين الشوق والاشتياق، ويقول:

الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق لا يزول باللقاء.

قال: وفي معناه أنشدوا:

مَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ عِنْدَ رُؤيَتِهِ حَتَّى يَعُودُ إِلَيهِ الطَّرفُ مُشْتَاقًا

وقيل: إن أهل الشوق إلى لقاء اللَّه يَتَحَسَّون حلاوة القرب عند وروده ـ لما قد كشف لهم من روح الوصول ـ أحلى من الشُّهد، فهم في سكراته في أعظم لذة وحلاوة. وقيل: من اشتاق إلى اللَّه، اشتاق إليه كل شيء.

كما قال بعضهم: أنا أدخل في الشوق والأشياء تشتاق إلي»[1].

* قال ابن القيم في رده على الهروي:-

قال الهروي: «وفي مذهب هذه الطائفة: علة الشوق عظيمة؛ فإن الشوق إنما يكون إلى الغائب.

ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة. ولهذه العلة لم ينطق القرآن باسمه.

قال ابن القيم مُعَقِّبًا: «هذا باطلٌ من وجوه: -

أحدها: أن المشاهد لا تزيل الشوق، بل تزيده، كما تقدَّم.

الثاني: أنه لا مشاهدة أكمل من مشاهدة أهل الجنة، وهم إلى يوم المزيد ـ وهو يوم الجمعة ـ أشوق شيء، كما في الحديث. وكذلك هم أشوق شيء إلى رؤية ربهم، وسماع كلامه ـ تعالى ـ، وهم في الجنة. فإن هذا إنما يحصل لهم في حال دون حال.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٣، ٥٤).

كما في حديث ابن عمر المسند وغيره «إِنَّ أَعْلَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَينِ».

ومعلوم قطعًا: أن شوق هذا إلى الرؤية قبل حصولها أعظم شوق يُقدر، وحصول المشاهدة لأهل الجنة أتم منها لأهل الدنيا.

الثالث: ـ أنه لا سبيل في الدنيا إلى مشاهدة تُزيل الشوق ألبتّة، ومن ادَّعى هذا فقد كذب وافترى؛ فإنه لم يحصل هذا لموسى بن عمران كليم الرحمن ﷻ فضلًا عمّن دونه فما هذه المشاهدة التي مبني مذهب هذه الطائفة عليها؛ بحيث لا يكون معها شوق؟

أهي كمال المشاهدة عيانًا وجهرة؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

أم نوعٌ من مشاهدة القلب لمعروفه، مع اقترانها بالحجب الكثيرة التي لا يحصيها إلّا الله؟ فهل تمنع هذه المشاهدة الشوق إلى كمالها وتمامها؟

وهل الأمر إلا بالعكس في العقل والفطرة والحقيقة؛ لأن من شاهد محبوبه من بعض الوجوه، كان شوقه إلى كمال مشاهدته أشد وأعظم.

وتكون تلك المشاهدة الجزئية سببًا لاشتياقه إلى كمال مشاهدته أشدُّ وأَعْظَم.

وتكون تلك المشاهدة الجزئية سببا لاشتياقه إلى كمالها وتمامها، فأين العِلّة في الشوق؟ وأين المشاهدة المانعة من الشوق؟

وهذا بحمد اللَّه ظاهر، ومن نازع فيه كان مكابرًا واللَّه أعلم»[(١)].

□ لا يصح لأحد في الدنيا مقام «المشاهدة»، إنما غاية ما يصل إليه العبد: الشواهد:ـ

إنْ ظنّ بعض الصوفية أنه في دار الدنيا يصل إلى الجلْوة وهي: استجلاء القلب لصفات المحبوب ومحاسنه، وانكشافها له، ولا يعرّج دونها على انتظار:

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٥ ـ ٥٦).

يعني لا يعرّج المشاهد لما يشاهده على انتظار أمر آخر وراءها...والمراد أنه حصل له مشهد تام، لا يبقى له بعده ما ينتظره.

قال ابن القيم: «وهذا عندي وَهْمٌ بَيِّنٌ؛ فإنه لا غاية لجمال المحبوب، وكمال صفاته، بحيث يصل المشاهد لها إلى حالة لا ينتظر معها شيئًا آخر.

هذا. وسنبيِّنُ ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ أنه لا يصح لأحد في الدنيا مقام المشاهدة أبدًا.

وأنّ هذا من أوهام القوم وترّهاتهم. وإنما غاية ما يصل إليه العبد: «الشواهد».

ولا سبيل لأحدٍ قط في الدنيا إلى مشاهدة الحق سبحانه. وإنما وصوله إلى شواهد الحق ومن زعم غير هذا فلغلبة الوهم عليه، وحسن ظنه بترَّهات القوم وخيالاتهم.

ولله در الشبلي حين سُئِل عن المشاهدة؟ فقال: من أين لنا مشاهدة الحق؟ لنا شاهد الحق. هذا، وهو صاحب الشطحات المعروفة، وهذا من أحسن كلامه وأبينه.

وأراد بشاهد الحق: ما يغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية: من ذكره ومحبته، وإجلاله وتعظيمه وتوقيره، بحيث يكون ذلك حاضرًا فيها، مشهودًا لها، غير غائب عنها. ومن أثار إلى غير ذلك، فمغرور مخدوع، وغايته أن يكون في خفارة صدقه، وضعف تميزه وعلمه.

ولا ريب أن القلوب تشاهد أنوارًا بحسب استعدادها، تقوى تارةً، وتضعف أخرى.

ولكن تلك أنوار الأعمال والإيمان والمعارف، وصفاء البواطن والأسرار، لا أنها أنوار الذات المقدسة، فإن الجبل لم يثبت لليسير من ذلك النور حتى تدكدك، وخَرَّ الكليم صَعِقا، مع عدم تجلَيه له، فما الظن بغيره؟

فإياك ثم إياك وترَّهات القوم وخيالاتهم وأوهامهم، فإنها عند العارفين أعظم من حجاب النفس وأحكامها.

فإن المحبوب بنفسه معترف بأنه في ذلك الحجاب وصاحب هذه الخيالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلَّت له أنوارها. ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمن فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك من حجاب أولئك.

ولا يقرُّ لَنا بهذا إلا عارف قد أشرق في باطنه نور السنة المحمدية. فرأى ما الناس فيه، وما أعزَّ ذلك في الدنيا، وما أغربه بين الخلق! واللَّه المستعان.

فالصادقون في أنوار معارفهم وعباداتهم وأحوالهم ليس إلا.

وأنوار ذات الرب ـ تبارك وتعالى ـ وراء ذلك كله.

وهذا الموضع من مقاطع الطريق، ولله كم زلّت فيه أقدام، وضلَّت فيه أفهام! وحارت فيه أوهام! ونجا منه صادق البصيرة، تام المعرفة، علمه متصل بمشكاة النبوة. وباللَّه التوفيق»[١].

«قد خرَّ موسى صَعِقا لما تجلَّى ربُّهُ للجبل، وتدكدك وساخ في الجبل من تجليه ـ سبحانه ـ هذا ولا يتوهم متوهم أن الحاصل في الدنيا للبشر كذلك، ولا قريب منه أبدًا، وإنما هي المعارف، واستيلاء مقام الإحسان على القلب فقط.

وإياك وتُرَّهات القوم، وخيالاتهم ورعوناتهم، وإن سَمْوك محجوبًا، فقل: اللهم زدني من هذا الحجاب الذي ما وراءه إلا الخيالات والترّهات والشطحات.

فكلم الرحمن وحده مع هذا لم تتجلَّ الذات له، وأراه ربه ـ تعالى ـ أنه لا يثبت لتجلِّي ذاته، لما أشهده من حال الجبل، وخرّ الكليم صَعِقًا مغشيًّا عليه لما رأى من حال الجبل عند تجلِّي ربه له.

ولم يكن تجليًا مطلقا. قال الضحَّاك: أظهر اللَّه من نور الحجب مثل منْخَر ثور.

وقال عبداللَّه بن سلام رضي الله عنه وكعب الأحبار: ما تجلّى من عظمة اللَّه الجبل إلا مثل سَمِّ الخياط حتى صار دَكًّا.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٦٦ ـ ٦٧).

وقال السدي: ما تجلّى إلا قدر الخنصر.

وفي مستدرك الحاكم من حديث ثابت البناني - عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية، وقال: هكذا - ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر - فساخ الجبل» وإسناده صحيح على شرط مسلم.

ولما حدَّث به حميد عن ثابت استعظمه بعض أصحابه، وقال: تحدث بهذا؟ فضرب يده في صدره، وقال: يحّدث به ثابت عن أنس عن رسول اللَّه ﷺ وتنكره أنت، ولا أحدِّث به. فإذا شهد لك المخدوعون بأنك محجوب عن ترَّهاتهم وخيالاتهم، فتلك الشهادة لك بالاستقامة، فلا تستوحش منها»[1].

ومن ادَّعى من الاتحادية رؤيته لربه قُبيل الموت فهذا من الخيالات الباطلة التي هي أماني النفس، وخدع الشيطان، وكأن قائلهم إنما عنى نفسه، وذوى مذهبه بقوله:-

رَضُوا بالأَمَانِي وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِم   وخَاضُوا بِحَارَ الحُبِّ دَعْوَى فما ابْتَلُّوا

فَهُم في السُّرَى لم يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِم   وَمَا ظَعَنُوا فِي السَّيرِ عَنْهُ وقَدْ كَلُّو

* رد ابن القيم ونقضه لكلام ابن العريف:-

نقض ابن القيم سفسطات المتصوّفين التي يستمدونها من الذوق لا من الشرع متتبِّعًا أقوالهم في كتاب «محاسن المجالس» لأبي العباس حمد بن محمد الصنهاجي الأندلسي المتوفى سنة ٥٣٦ وهو المشهور بابن العريف.

قال ابن القيم: «فأما قوله: «إن الشوق عند الخواص علّة عظيمة؛ لأن الشوق إنما يكون إلى غائب ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة» فيُقال: المشاهدة نوعان:

مشاهدة العرفان ومشاهدة العيان، «وبينهما من التفاوت ما بين اليقين والعيان. ولا ريب أن مشاهدة العرفان متفاوتة بحسب تفاوت الناس بالمعرفة

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٥١٩ - ٥٢٠).

ورسوخهم فيها.

وليس للمعرفة نهاية تنتهي إليها بحيث إذا وصل إليها العارف سكن قلبه عن الطلب، بل كلما وصل منها إلى مَعْلَم ومنزلة اشتد شوقه إلى ما وراءه، وكلما ازداد معرفة ازداد شوقًا، فشوق العارف أعظم الشوق، فلا يزال في مزيد من الشوق ما دام في مزيد من المعرفة. فكيف يكون الشوق عنده علّة عظيمة؟ هذا من المحال البيّن، بل من عرف اللَّه اشتاق إليه، وإذا كانت المعرفة لا نهاية لها، فشوق العارف لا نهاية له. وهذا مع الشوق الناشيء عن طلب اللقاء والرؤية والمعرفة العيانية، فإذا كان القلب حاضرًا عند ربه وهو غير غائب عنه لم يُوجب له هذا أن لا يكون مشتاقًا إلى لقائه ورؤيته، بل هذا يكون أتمّ لشوقه وأعظم، فظهر أن قوله: «وإن الشوق علّة عظيمة في طريق الخواص» كلامٌ باطل على كل تقدير، وأن الشوق بالحقيقة إنما هو شوق الخواص العارفين بالله، والعبد إذا كان له مع اللَّه حال أو مقام وكُشِف له عما هو أفضل منه وأجلّ اشتقاق إليه بالضرورة، ولم يكن شوقه علّة له ونقصًا في حاله، بل زيادة وكمالا، ويكون ترك الشوق هو العِلّة.

وقد تقدم أن لا غاية للمعرفة تنتهي إليها فيبطل الشوق بنهايتها، بل لا يزال العارف في مزيد من معرفته وشوقه واللَّه المستعان»[١]

* كلام طيب لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويتبيَّن أنَّ التوحيد الذي في الجنَّة أكمل من التوحيد الذي في الدنيا، وهو جزاء له، وكذلك المعرفة والمحبة والشوق أيضًا، فقد جاء في بعض أحاديث يوم المزيد: «أنهم ليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى يوم الجمعة»[٢].

---

(١) «طريق الهجرتين» ص: (٣٣١ - ٣٣٢).

(٢) أخرجه البزار (٣٥١٩ - كشف) ولفظه: «....فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة؛ ليزدادوا فيه كرامة، وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه - تبارك وتعالى - ولذلك دعى يوم المزيد!

=

وشبيه بهذا الغلط[١] الذي أشرنا إليه قول من قال: «إن العارفين لا يشتاقون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا؛ لأنهم يشهدونه بقلوبهم حاضرًا، وتباشر قلوبهم أنواره، ويتجلّى لها فيستأنسون به ويطمئنون إليه.

وهذا وإنْ كان نُقل عن بعض السلف المتقدِّمين فهو أيضًا غلط، ولعله صدر من قائله في حال استغراقه في مشاهدة ما شاهده، فَظن أنه ليس وراء ذلك مطلب، وهذا كما قال بعضهم: «إنه تمرُّ بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي عيش طيب.

ومعلوم أن أهل الجنة في أضعاف أضعاف ما هو فيه من النعيم واللذة، ولكنه لما استعظم ما حصل له من النعيم ظن أنه ليس وراءه شيء.

وعند التحقيق يتبين أن ما حصل في الدنيا للقلوب من تجلي أنوار الإيمان يدلُّ على عظمة ما يحصل في الجنة، وليس بينهما نسبة فيتزايد بذلك الشوق إلى ما وراءه، ولهذا كان النبي ﷺ يسأل ربه الشوق إلى لقائه، مع أنه أكمل الخلق مشاهدة ومعرفة، وكان يقول في الوصال: «إني لست كهيئتكم، إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني»[٢].

= قال الهيثمي في المجمع: (١٠/ ٤٢١ - ٤٢٢): «رواه البزار، والطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبدالواحد بن ثابت بن ثوبان، وقد وثقّه غير واحد وضعّفه غيرهم.
وإسناد البزّار فيه خلاف.

(١) هو تفصيل العبادات على نعيم الجنات. انظر «استنشاق نسيم الأنس» من «مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (٣/ ٣٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٥، ١٩٦٦) ومسلم (١١٠٣) عن أبي هريرة، والبخاري (١٩٦١)، ومسلم (١١٠٤) عن أنس، والبخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٠٢) عن ابن عمر، والبخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥) عن عائشة، والبخاري (١٩٦٣) عن أبي سعيد الخدري.

ويشير إلى ما يتجلّى لقلبه من آثار القُرْب والأُنْس ممَّا يقوِّيه ويغذِّيه ويغنيه عن الطعام والشراب.

كما قال القائل:

لَهَا أَحَادِيثَ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا ... عَنِ الطَّعَامِ وتُلْهِيهَا عَنِ الزَّادِ

ولم يزل أئمة العارفين يثبتون الشوق ويخبرون به عن أنفسهم»[١].

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ «إن غاية الحاصل للقلوب في الدنيا هو تجلِّي أنوار الإيمان في القلب، حتى يصير الغيب كأنه شهادة، ومن قال: إن الأرواح والقلوب تكافح ذات الرب ـ سبحانه ـ في الدنيا عيانًا، فهو غالطٌ»[٢].

* عِظم مقام «الشوق»:

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «وأمَّا الرغبة في اللَّه وإرادة وجهه، والشوق إلى لقائه فهي رأس مال العبد ومِلَاكُ أمره وقُوام حياته الطَّيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه وقرَّة عينه، ولذلك خُلِق، وبه أُمِرَ، وبذلك أُرْسِلَتِ الرُّسُل، وأُنْزلت الكتب، ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلَّا بأن تكون رغبته إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ وحده، فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده كما قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨]

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾[٣] [التوبة: ٥٩].

---

(١) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب ـ استنشاق نسيم الأنس (٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٢) المصدر السابق: (٣/ ٣٥٦).

(٣) روضة المحبين ص: (٤٠٨).

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾

هذا تعزية للمشتاقين وتسلية لهم؛ أي أنا أعلم أنّ من كان يرجو لقائي فهو مشتاق إليّ فقد أجّلت له أجلًا يكون عن قريب. فإنه آت لا محالة وكل آت قريب.

❁ وفيه لطيفة أخرى. وهي تعليل المشتاقين برجاء اللقاء.

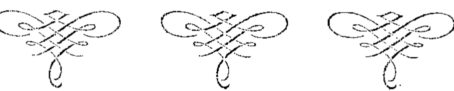
لولا التعلل بالرجاء لقُطِّعت نفس المحب صبابة وتشوّقًا

ولقد يكاد يذوب منه قلبه مما يُقاسي حسرةً وتحرّقًا

حتى إذ رَوْحُ الرجاء أصابه سكن الحريقُ إذا تعلل باللقا

كانت عجوز مُغيبة فقدم غائبها من السفر، ففرح به أهله وأقاربه، وقعدت هي تبكي. فقيل لها: ما يُبكيك؟ فقالت: ذكَّرني قدومُ هذا الفتى يوم القدوم على الله عَزَّ وَجَلَّ:

يا مَن شكا شوقه من طول فُرْقتهِ اصبر لعلّك تلقى مَنْ تُحِبُّ غدا



درجات الشوق

قال الهروي: «**وهي على ثلاث درجات**»:-

الدرجة الأولى: شوق العابد إلى الجنة؛ ليأمن الخائف، ويفرح الحزين، ويظفر الآمل».

قال ابن القيم: «**يعني: شوق العابد إلى الجنة فيه هذه الحِكم الثلاث:**

أحدها: حصول الأمن الباعث على الأمل، فإن الخوف المجرَّد عن الأمن من كل وجه، لا ينبعث صاحبه لعمل ألبتة، إن لم يقارنه أمل، فإن تجرَّد عنه؛ قُطِع وصار قنوطًا.

الثاني: فرح الحزين: فإن الحزن المجرَّد أيضًا إن لم يقترن به الفرح؛ قتل صاحبه. فلولا روح الفرح لتعطلَّت قوى الحزين، وقعد حزنه به، ولكن إذا قعد به الحزن؛ قام به روح الفرح.

الثالث: روح الظفر. فإن الآمل إنْ لم يصحبه روح الظفر مات أمله والله أعلم»(١) .

الدرجة الأولى

• الشوق إلى الله لا ينافي الشوق إلى الجنة: ـ

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية: «**الشوقُ إلى الله لا يُنافي الشوق إلى الجنة، فإن أطيب ما في الجنة قربه ـ تعالى ـ، ورؤيته، وسماع كلامه ورضاه.**

نعم الشوق إلى مجرد الأكل والشرب، والحور العين في الجنة ناقص جدًّا، بالنسبة إلى شوق المحبين إلى الله ـ تعالى ـ، بل لا نسبة له إليه ألبتة»(٢) .

---

(١) مدارج السالكين: (٣/ ٥٦ - ٥٧).

(٢) مدارج السالكين: (٣/ ٥٧).

● خطأ كبير في مُسَمَّى الجنة:ـ

«**الجنة ليست اسمًا لمجرد الأشجار والفواكه، والطعام والشراب، والحور العين، والأنهار والقصور، وأكثر الناس يغلطون في مسمَّى الجنَّة، فإن «الجنَّة»** اسمٌ لدار النعيم المطلق الكامل، ومن أعظم نعيم الجنة: التمتع بالنظر إلى وجه اللَّه الكريم، وسماع كلامه، وقرة العين بالقرب منه وبرضوانه. فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللّذة أبدًا، فأيسر يسير من رضوانه أكبر من الجنان وما فيها من ذلك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وأُتي به مُنكّرًا في سياق الإثبات، أيْ أيُ شيءٍ كان من رضاه عن عبده فهو أكبر من الجنة.

قَلِيلٌ مِنْكَ يُقْنِعُنِي وَلَكِنْ   قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ

* وفي الحديث الصحيح ـ حديث الرؤية ـ: «**فَوَاللَّه مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ**» وفي حديث آخر: «**أَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا تَجَلَّى لَهُم، وَرَأَوا وَجْهَهُ عِيَانًا: نَسُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيم، وَذُهِلُوا عَنْهُ أَوْ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ**»، ولا ريب أن الأمر هكذا، وهو أجل مما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، ولا سيما عند فوز المحبين هناك بمعيّة المحبة، فإن المرء مع من أحب. ولا تخصيص في هذا الحكم، بل هو ثابت شاهدًا وغائبًا.

فأي نعيم، وأي لذّة، وأيّ قرة عين، وأيّ فوز يُداني نعيم تلك المعية، ولذتها، وقرة العين بها.

وهل فوق نعيم قرّة العين بمعية المحبوب، الذي لا شيء أجلَّ منه، ولا أكمل ولا أجمل قرة عين ألبتة؟

وهذا ـ واللَّه ـ هو العلم الذي شمَّر إليه المحبون، واللواء الذي أمَّه العارفون، وهو روح مسمَّى الجنة وحياتها. وبه طابت الجنة. وعليه قامت»[1].

---

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٨٠).

● لا سَكَّنَ اللهُ قلبًا عَنّ ذِكْرِكُمْ:

نعم...

لَا سَكَّنَ اللَّهُ قَلْبًا عَنّ ذِكْرِكُمُ فَلَمْ يطِرْ بِجنَاح الشَّوقِ خفَّافَا

كم كان شوق السلف من صحابة رسول اللَّه ﷺ والتابعين وتابعي التابعين عظيمًا إلى الجنة.

خُذْنِي إِلَى بَيْتِي ... أَرِحْ خَدِّي عَلَى عَتَبَاتِهِ وأَبُوسُ مَقْبَضَ بَابِه

خُذْنِي إِلَى وَطَنٍ أَمُوتُ مُشَرَّدًا

إنْ لَمْ أُكَحِّلْ نَاظِرَيَّ بِتُرَابِهِ

نعم...

نحنُ اعتصَرنا غيم كلِّ خرائط الدنيا وأشعار الحنين إلى الوطنْ

لا ماؤها يروى، ولا أشعارها تكوى ولا تنسى عَدَنْ

❁ عُمَير بن الحمام أول شهيد من الأنصار في الإسلام - أول شهيد قُتل في بدر وشوقه إلى الجنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَمَوَاتُ والأَرْضُ**» فقال عمير: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نَعَم**». قال: بخٍ بخٍ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما يُحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ: بَخٍ بَخٍ؟**» قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه إلّا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكُلْ تمراتي هذه، فإنها لحياةٌ طويلة.

قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِل»[1].

وروى ابن إسحاق بسنده إلى رسول اللَّه ﷺ: «**قال رسول اللَّه ﷺ:**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١)، وأحمد (٣/ ١٣٦، ١٣٧).

وبخٍ بخٍ: كلمة تُطلق لتعظيم الأمر وتفخيمه.

«والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُم اليَوْمَ رَجُلٌ فيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ» فقال عمير بن الحمام أحد بني سلمة ـ وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء فقذف التمر من يده، وأخذ سيفه، فقاتل حتى قُتِل وهو يقول:

رَكْضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادِ   إِلَّا التُّقَى وَعَمَلَ المَعَادِ
والصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الجِهَادِ

فكان أوَّل قتيل في سبيل اللَّه في الحرب»[١].

إنها الجنة .. دار الطيِّبين، وقد بُشِّر بها عُمَير، فَلِمَ البقاء في الدنيا، ولَوْ لحظات، إنه الشوق الصادق إلى الغرف العليا من الجنة، نعم، هذه ساعة النزال والحرب والطعَان.. وقد زُيِّنت الحور الحسان، وبَدَتْ فراديس الجنان، وآن للمشتاق القرار في جوار الرحمن، فسابق القوم ابن الحمام أول شهيد ببدر، بل أول شهيد في الحرب في الإسلام.

- **النقيب العقبي والسيد البدري.. ظليل الملائكة.. أول شهيد يوم أحد.. مَنْ كَلَّمه اللَّه كِفَاحًا دون حِجَاب عبداللَّه بن حرام** رضي الله عنه.

لِلّه دره من شهيد صَدَق اللَّه فصدقه.. وأعطاه ما لم يُعْط أحدًا، وكلمه كفاحًا.

قال رسول اللَّه ﷺ: **«جَزَى اللَّهُ الأَنْصَارَ عَنّا خَيْرًا، وَلَاسِيمَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ عَمْرو ابْنُ حَرَامٍ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةٍ»**[٢].

عن جابر بن عبداللَّه رضي الله عنه قال: **«لما حضر أُحُد دعاني أبي من الليل فقال: ما**

---

(١) الإصابة لابن حجر: (٣/ ٣١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤/ ٦٠، ٦١)، والنسائي مختصرًا في «فضائل الصحابة» (١٧٦)، وكذا ابن حبان، والحاكم، وابن السني، وأبو نعيم عن يعلى (٢/ ٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٩١).

أراني إلّا مقتولًا في أوَّل مَنْ يُقتل من أصحاب النبي ﷺ........ فأصبحنا فكان أول قتيل»[١].

تراءى له مصرعه قبل أن يخرج المسلمون للغزو، وغمره إحساس صادق بأنه لن يعود، فكادَ قلبه يطير من الفرح!!

لقد كان إيمان عبدالله متألقًا وثيقًا، وكان شغفه بالشهادة منتهى أطماحه وأمانيه، ولقد أنبأ رسول اللَّه ﷺ فيما بعد نبأً عظيمًا يصوِّر شغف بطلنا العظيم بالشهادة: «**يَا جَابِرُ! أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟! مَا كَلَّم اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَاب، وكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا**»[٢]، فقال: يا عبدي، تَمَنَّ عليّ أُعْطِك، قال: يا رب تُحيينِ، فأُقْتَل فيك ثَانِيَةً، فقال الرب ـ تبارك وتعالى ـ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُم إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُون». قال: يا رب فأبلغ مَنَ ورائي»[٣].

* عامر بن فُهيرة.. وشوقه الذي ترجمه بقوله: «فُزْت والله»:ـ

لما طعن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة فأنفذه، قال عامر: فُزْت والله! قال: وذُهب بعامر عُلُوًّا في السماء حتى ما أراه، وكان يقال: إن الملائكة وارت جثمانه، وسأل جبار ابن سُلْمَى: ما قوله فُزْت والله، قالوا: بالجنة قال: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر بن فهيرة فحسن إسلامه.

قالت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: رُفِع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم تُوجد جثته، يرون أن الملائكة وارته[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣٥١).

(٢) كفاحًا: دون حجاب.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٠١٣)، وابن ماجه في «المقدمة» (١٩٠)، (٢٠٠)، وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم (٣/ ٢٠٤) ووافقه الذهبي، وكذا أخرجه ابن أبي عاصم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٠٥).

(٤) «الثبات عند الممات» ص (١٠٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٣١).

● **شوق أنس بن النضر: «الجنة ورب النَّضْر إني أَجِد ريحها من دُون أُحُد»:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

«**لما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال أنس: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدَّم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس[1]: فوجدنا به بضعًا وثمانين: ضربةً بالسيف أو طعنةً برمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتِل وقد مَثّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه** ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية[2].

يا ابن النضر: اشتقتم إلى الجنة وطهرت منكم الأنوف فشممتم عبير الجنة وأنتم في دار الدنيا، ونحن زُكِمت أنوفنا بجيف الدنيا، وعطر الكاسيات العاريات فلم يبق للجنة موضع فيها.

● **سعد بن خيثمة الأنصاري رضي الله عنه: «لو كان غير الجنة آثرتُك به»:**

أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر، لما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثِرْني بالخروج وأقم مع نسائك، فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما، فخرج سعد، فخرج فقُتِل ببدر.

● **المشتاق إلى الجنان حرام بن ملحان رضي الله عنه «فُزْتُ وربِّ الكعبة»**

ـ قال أنس بن مالك رضي الله عنه:

«**لما طُعِن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه**

---

(١) أنس بن مالك راوي الحديث.

(٢) أخرجه البخاري.

على وجهه ورأسه، ثم قال: فُزْت ورب الكعبة»[١].

﴿ عمار بن ياسر ﷺ: «أَزفت الجنان، وزُوِّجت الحور العين»

عن أبي البختري قال: قال عمّار يوم صِفِّين: ائتوني بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إِنَّ آخِرَ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَنٍ»**[٢]، ثم تقدم فقُتِل، وفي رواية: **«ثم قال: صدق اللَّه ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه»**[٣].

وعن سعد بن إبراهيم الزهري عن أبيه عمَّن حدَّثه: سمع عمّارًا بصفين يقول: **«أزفت الجنان، وزُوِّجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمدًا ﷺ»**[٤].

هو المشتاق دومًا إلى الجنة.. وانظر إليه في يوم اليمامة .. قال ابن عمر - رضي اللَّه عنهما -: **«رأيت عمارًا يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمِن الجنَّة تَفرُّون؟ أنا عمَّار بن ياسر هلموا إليَّ، وأنا أنظر إلى أُذنه قد قُطِعَت، فَهي تذبذب، وهو يقاتل أشد القتال»**[٥].

يالصدقه في طلب الجنة حتى تشتاق إليه.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إِنَّ الجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ: عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ»**[٦].

طال شوق الجنة إلى أبي اليقظان، وآن له أن يُلبِّي نداء الشوق الذي يهتف به من رحاب الجنان مثلما اشتاق إليها أشد الشوق وأعْظَمه.

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢٥).
(٣) الثبات عند الممات ص (١٠٨).
(٤) سير أعلام النبلاء: (١/ ٤٢٥).
(٥) طبقات ابن سعد: (٣/ ١/ ١٨١).
(٦) حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٨٧)، (٣٧٩١)، وأحمد (١/ ٨٨، ١٤٢/، ١٤٨)، والحاكم عن عائشة، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع.

• جعفر ذو الجناحينْ المشتاق إلى الجنة: «حَبَّذا الجنة واقترابها».

قال رجل من بني مُرَّة بن عوف: «**لكأني أنظر إلي جعفر يوم «مؤتة» حين اقتحم على فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُتِل**»[1].

قال جعفر بعد عقر جواده:-

حَـبَّـذَا الجَنَّـةُ واقْـتِـرَابُـهَـا طَـيِّـبَـةٌ وَبَـاردٌ شَـرَابُـهَـا
والـرُّومُ رومٌ قَـدْ دَنَـا عَـذَابُـهـا عَـلَـيَّ إن لاقَـيْـتُـهـا ضِـرَابـهـا

• بلال رضي الله عنه وشوقه إلى الجنة:-

قال سعيد بن عبدالعزيز: «**لما احُتضِر بلال قال: غدًا نلقى الأحبّة، محمَّدًا وحِزْبه، قال: تقول امرأته: يا ويْلاه، فقال: وافرحاه**»[2].

مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تُقطع بالقَلوب، والدُّلْجة تطوي الأرض، وقيام الليل وسفره يقرب المشتاق من منازله في الآخرة، وأبواب المليك لا تُقرَعُ بالأظافير وإنما بوجيب القلوب وذلِّها لعلَّام الغيوب.

يَـا بَـعِـيـدَ الـدَّارِ عَـنْ وَطَـنِـهِ مُـفْـرَدًا يَـبْـكِـي عَـلَـى فَـنَـنِهِ

كان بعض السلف يحيي الليل فتكاسل عن ذلك فأتاه آتٍ في منامه فقال له: قد كنت يا فلان تدأب في الخطبة فما الذي قصَّر بك عن ذلك؟ قال: وما ذلك؟ قال: كنت تقوم من الليل، أومَا علمت أن المتهجد إذا قام إلى التهجُّد قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطيبته؟![3].

يَا خَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالِبًا لِـوِصَـالِـهِـنَّ بِـجـنَّـةِ الحَيَـوانِ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبْتَ جَعَلْتَ السَّعْيَ مِنكَ لَهَا عَلَى الأَجْفَانِ

---

(١) رجاله ثقات، وإسناده قوي.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٩).
(٣) «اختيار الأوْلى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» لابن رجب.

أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا   بَذَلْتَ مَا تَحْوِى مِنَ الأَثْمَانِ

* شوق عطاء السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ:-

قال عطاء السلمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شَوِّقنا، قال: يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهي أهل الجنة بحسنها، لولا أن اللَّه - تعالى - كتب على أهل الجنة ألَّا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمدًا من قول مالك.

* عابد يموتُ شوقًا إلى الحوُر العين:-

عن يزيد الرقاشي قال: بلغني أن نورًا سطع في الجنة لم يبق موضع في الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه، فقيل: ما هذا؟ قال: حوراء ضحكت في وجه زوجها، قال صالح المرّي: فشهق رجل من ناحية المسجد فلم يزل يشهق حتى مات.

وَلَقَد رُوِّينَا أَنْ بَرْقًا سَاطِعًا   يَبْدُو فَيُسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجِنَانِ
فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرٍ ضَاحِكٍ   فِي الجَنَّةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ

إن كان بك شوق إلى الحور العين فترجمه بلسان الحال لا بلسان المقال، أما تعلم دعاء الحور العين وهُنَّ في لهفٍ وشوق تدعو الواحدة منهن لك قبل وصولك إليها وأنت بعدُ في دار الدنيا: «**اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبَلِّغه بعزتك يا أرحم الراحمين**».

* حديثهم مع الحور العين مناماً:-

قال مضر القاري: كان رجل من العُبّاد قلّما ينام من الليل، قال: فغلبته عينه ذات ليلة فنام عن جزئه، فرأى فيما يرى النائم كأن جارية وقفت عليه، وكأن وجهها القمر المستتم، قال: ومعها رَقٌّ فيه كتاب، فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم. قالت: فاقرأ هذا الكتاب. قال: فأخذته من يدها ففتحته فإذا فيه مكتوب:-

أَلْهَتْكَ لَذَّةُ نَوْمٍ عَنْ خَيْرِ عَيْشٍ مَعَ الخَيْرَاتِ فِي غُرَفِ الجِنَانِ
تَعِيشُ مُخَلَّدًا لَا مَوْتَ فِيه وَتَنْعَمُ فِي الجِنَانِ مَعَ الحِسَانِ
تَيَقَّظْ مِنْ مَنَامِكَ إِنَّ خَيْرًا مِنَ النَّومِ التَّهَجُّدُ بِالقُرْآنِ

قال: فواللَّه ما ذكرتها قط إلّا ذهب عني النوم.

❁ أبو سليمان الداراني والحَوْراء:ـ

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري:

«**بينما أنا ساجد إذْ ذهب بي النوم، فإذ أنا بالحوراء قد ركضتني برجلها فقالت: يا حبيبي أترقُدُ عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجّدين في تهجّدهم؟ بؤسًا لعين آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ، ولقى المحبون بعضهم بعضًا، فما هذا الرقاد، حبيب وقرّة عيني، أترقد عيناك وأنا أُربَّى لك في الخدور منذ كذا وكذا؟! فوثبت فزعًا وقد عرقت استحياءً من توبيخها إيّاي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي**».

أَتَطْلُبُ مِثْلِي وَعَنِّي تَنَامُ؟ وَنَومُ المُحِبِّينَ عَنَّا حَرَامُ
لِأَنَّا خُلِقْنَا لِكُلِّ امْرِيءٍ كَثِيرِ الصَّلَاةِ بَرَاهُ القِيَامُ

الدرجة الثانية

«**شوق إلى اللَّه ﷻ زرعه الحب الذي ينبت على حافات المنن. فعلق قلبه بصفاته المقدسة، فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه، وآيات برّه، وأعلام فضله. وهذا شوق تغشاه المبارّ، وتخالجه المسارّ، ويقاومه الاصطبار**».

قال ابن القيم معلقا على كلام الهروي عن شوق المُحبّين إلى اللَّه ـ تعالى ـ:

«**وهذا الشوق درجات:**

إحداها: شوق زرعه الحب الذي سببه الإحسان والمنّة، وهو الذي قال فيه

«ينبت على حافات المِنَن» فسببه: مطالعة منة اللَّه وإحسانه ونعمه... ومحبة الأسماء والصفات أكمل وأقوى من محبة الإحسان والآلاء.

وفي قوله: «تنبت على حافات المنن» أي جوانبه: إشارة إلى عدم تمكنها وقوتها، وأنها من نبات الحافات التي هي جوانب المِنَن، لا من نبات الأسماء والصفات.

وقوله: «فعلق قلبه بصفاته المقدّسة» يعني الصفات المختصة بالمِنَن والإحسان كالبَرِّ والمنان، والمحسِن، والجواد، والمعطي، والغفور، ونحوها.

وقوله: «المقدسة» يعني: المطهَّرة المُنزَّهة عن تأويل المحرِّفين،وتشبيه الممثلين، وتعطيل المُعَطِّلين. وإنما قلنا: إن مراده هذه الصفات الخاصة لوجهين:

أحدهما: أن تعلق القلب بالصفات العامة إنما يكون في الدرجة الثالثة.

الثاني: أنه جعل ثمرة هذا التعلّق شوق العبد إلى معاينة لطائف كرم الرب ومِنَنِه وإحسانه، وآيات برِّه، وهي علامات برِّه بالعبد، وإحسانه إليه، وكذلك «أعلام فضله» وهو ما يُفضِل عليه به، ويفضله به على غيره.

قوله: «وهذا شوق تغشاه المبار» يعني: أنه شوق معلول، وليس خالصًا لذات المحبوب، بل لما ينال منه من المبار «فقد غشيته المبار» أي: أدركته المبار.

قوله: «وتخالجه المسار» أي: تجاذبه فإن المخالجة هي المجاذبة، فإذا خالط هذا الشوق الفرح كان ممزوجًا بنوع من الحظ.

وقوله: «ويقاومه الاصطبار» أي: أن صاحبه يقوى على الصبر، فيقاوم صبرُه شوقه ولا يغلبه، بخلاف الشوق في الدرجة الثالثة [(١)].

وهذا القلب أكثر القلوب خيرًا، فيفعل البرَّ تقرُّبا إلى من هو مشتاق إليه، فهو يجيش أنواع البر وهذه من فوائد المحبة أن قلب صاحبها ينبع منه عيون الخير وتتفجَّر منه ينابيع البر.

---

(١) مدارج السالكين: (٣/ ٥٧ - ٥٨).

وصاحب هذه الدرجة له قوة على اصطباره على مرضاة حبيبه لشوقه إليه، وإنما يضعف الصبر لضعف المحبة، والمحب من أصبر الخلق كما قيل:

نَفْسُ المُحِبِّ عَلَى الآلَامِ صَابِرَةٌ لَعَلَّ مُسْقِمَهَا يَوْمًا يُدَاوِيهَا

الدرجة الثالثة

«نار أضرمها صفو المحبة، فنغّصت العيش، وسَلَبت السلوة، ولمْ يُنَهْنِهْا مَغْزَى دون اللقاء»

قال ابن القيم: «**يريد: أن الشوق في هذه المرتبة شبيه بالنار التي أضرمها صفو المحبة وهو خالصها. وشبهه بالنار لالتهابه في الأحشاء.**

وفي قوله: «**صفو المحبة**» إشارة إلى أنها محبة لم تكن لأجل المِنَّة والنعم ولكن متعلِّقة بالذات والصفات.

قوله: «**فنغَّصت العيش**» أي منعت صاحبها السكون إلى لذيذ العيش و«**التنغيص**» قريب من التكدير.

قوله «**وسلبت السلوة**» أي نهبت السلو وأخذته قهرًا.

و«**السلوة**» هي الخلاص من كرب المحبة، وإلقاء حملها عن الظهْر، والإعراض عن المحبوب تناسيًا.

وقوله: «**لم ينهنها مَغْزَى دون اللقاء**» أي: لم يَكفُّها ويردها قرار دون لقاء المحبوب.

وهذه لا يقاومها الاصطبار لأنه لا يكفها دون لقاء من يحب قرار» (١).

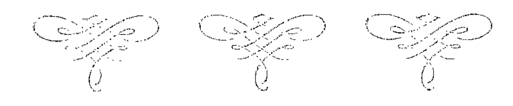
قال ابن القيم: «**إن هذا يتوقّد من خالص المحبة التي لا تشوبها علَّة فهو أشد أنواع الشوق وصاحبه لم يبق له مطمع في سلوّه أبدًا، وهذا أعظم ما يكون من الحب والشوق، وناره لا يبردها ولا يفتر حرَّها مقصود، ولا مطلب، ولا مراد دون**

(١) مدارج السالكين: (٣/ ٥٨ - ٥٩).

لقاء محبوبه، فليس له سبيل إلى تبريدها وتسكينها إلا بلقاء محبوبه».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «**الدرجـة الأولى: هي الشوق إلى فضل اللَّه وثوابه، والثانية: شوق إلى لقائه ورؤيته، والثالثة**: **شوق إليه لا لعلّة ولا لسبب ولا ملاحظ فيه غير ذاته**.

فالأول حظ المشتاق من إفضاله وإنعامه، والثاني: حظه من لقائه ورؤيته، والثالث: قد فنيت فيه الحظوظ واضمحلَّت فيه الأقسام[1].



(١) انظر: «طريق الهجرتين» ص (٣٣٦).



الفصل الثالث

شوق الأنبياء والصالحين

إلى الله رب العالمين



الفصل الثالث

شوق الأنبياء والصالحين إلى الله رب العالمين

* قال ابن قيم الجوزية: «وإذا كان الشوق هو سفر القلب في طلب محبوبه ونزوعه إليه، فهو من أشرف مقامات العبيد وأجلّها وأعلاها، ومن أنكر شوق العبد إلى ربه فقد أنكر محبّته له؛ لأن المحبَّة تستلذ الشوق، فالمحب دائمًا مشتاق إلى لقاء محبوبه لا يهدأ قلبه، ولا يقرُّ قراره إلا بالوصول إليه»(١).

* قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ [العنكبوت: ٥].

قال شيخ الإسلام أبو عثمان الحيري: «هذا تعزية للمشتاقين، معناه: إني أعلم أن اشتياقكم إليَّ غالب، وأنا أجّلت للقائكم أجلًا. وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه»(٢).

* شوق نبي الله آدم عليه السلام:

لا يدرك أحد شوق نبي اللَّه آدم الذي كلّمه اللَّه وأسكنه الجنة ثم أهبطه إلى الأرض....

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله! أنبيًّا كان آدم؟ قال: «**نَعم، مُعَلّمٌ مُكَلَّم**» قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «**عَشَرَةُ قُرُونٍ**». قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟ قال: «**عَشْرَةُ قُرُونٍ**». قالوا: يا رسول الله! كم كانت الرسل؟ قال: «**ثَلاثُ مِئَةٍ وخَمْسَةُ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا**»(٣).

* وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله؟ أنبيًّا كان آدم؟ قال: «**نعم**

(١) طريق الهجرتين: ص (٣٣١).
(٢) المصدر السابق: ص (٣٢٨).
(٣) صحيح: وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٢٨٩).

مُكَلَّم». قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «**عَشْرَةُ قُرُونٍ**». قال: يا رسول الله! كم كانت الرسل؟ قال: «**ثَلَاثُ مِئَةٍ وَخَمْسَةُ عَشَرٍ**»[1].

كم بكى آدم على الجنة شوقًا إليها بعدما أُهبط منها، «**كَانَ كلما ذكر الجنة قلق، وكلما رأى الملائكة تصعد يحترق، تذكَّرَ المعاهد فحنَّ.**

وَالَّذِي بِالبَيْنِ وَالبُعدِ بَلَانِي ... مَا جَرَى ذِكْرُ الحِمَى إِلَّا شَجَانِي

حَبَّذَا أَهْلُ الحِمَى مِنْ سَاكِنٍ ... شَفَّنِي الشَّوقُ إِلَيهِم وَبَرَانِي

كُلَّمَا رُمْتُ سُلُوًّا عنهمُ ... جَذَبَ الشَّوقُ إِلَيهِم بِعَنَانِي

أَحْسُدُ الطَّيرَ إِذَا طَارَتْ إِلَى ... أَرضِهِم أَو أَقْلَعَتْ لِلطَّيَرَانِ

أتمَنَّى أَنَّنِي أَصْحَبُهَا ... نَحوَهُم لَوْ أَنَّنِي أُعْطَى الأَمَانِي

لَا تَزِيدُونِي غَرَامًا بَعْدَكُم ... حَلَّ بِي مِنْ بَعْدِكُم مَا قَدْ كَفَانِي

ذَهَبَ العُمْرُ وَلَمْ أَحْظَ بِكُم ... وَتَقَضَّى فِي تَمَنِّيكُم زَمَانِي[2]

- بكاء آدم لفراق الجنة لا كبكاء غيره، ما كان هذا القلق لنفس الدار، بل لأجل رب الدار.

صُحْبِي مَضَوْا فَمَدَامِعِي ... مُنْهَلَّةٌ فِي أَثَرِ صُحْبِي

مَا فَوقَ الهُجْرَانِ سَهْمًا ... فَانْثَنَى عَنْ قَصْدِ قَلْبِي

كَلَّا وَلَا نَادَى الجوَى ... إِلَّا وَكُنْتُ أَنَا المُلَبِّي

وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مِنَى ... لَوْلَا المُنَى لَقَضَيتُ نَحْبِي

واعجبا كان يبكي للدار مرَّة وللجار ألفا، والفراق يقلقل والبعاد يزلزل

وَإِنِّي المُشْتَاقُ إِلَى طِيبِ وَصْلِكُم ... كَمَا أَشْتَاقُ نَحوَ الدَّارِ لِمَنْ طَالَ لَفْتُهُ

---

(١) صحيح وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٦٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير.

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ العُهُودِ وَأَهْلِهَا سَلامٌ مُشَوَّقٌ ذَاقَ مَا كُنْتُ ذُقْتُهُ
سَأَبْكِي الدِّمَا شَوْقًا إِلَى سَاكِنِ الحِمَى فَأَفْنَى بِهِ كَنْزَ اصْطِبَارٍ ذَخرتُهُ
وَلَمْ أَبْكِ بُعْدَ الدَّارِ عَنِّي وَإِنَّمَا بَكَيْتُ لِصَبْرٍ كَانَ لِي فَعَدَمْتُهُ[١]

وباللَّه خبرني عمن ذاق طيب الكلام، وكان نبيا مُكلَّما، كلَّمه ربه، كيف يكون شوقه... إن حبه لقديم .. وشوقه قديم قِدم حُبِّه انظر: ـ

قال ابن القيم: «**وحمده يتضمن أصلين: الإخبار بمحامده وصفات كماله، والمحبَّة له عليها، فمن أخبر بمحاسن غيره من غير محبَّة له؛ لم يكن حامدًا، ومن أحبَّه من غير إخبار بمحاسنه، لم يكن حامدًا حتى يجمع الأمرين**»[٢].

* عن أنس مرفوعًا: «**لَمَّا نَفَخَ اللَّهُ في آدَمَ الرُّوحَ، فَبَلَغَ الرُّوحَ رَأْسَهُ عَطَسَ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: يَرحَمُكَ اللَّهُ**»[٣].

واللَّه إن هذا الحديث عجيبٌ وإنه لنفوس المحبين لحبيبٌ، يحمد ربه عند تكوين خلقه ـ يا سبحان اللَّه ـ نجائب المحبة والشوق مُهيّأة للمُراد، سبقت له الحسنى من ربه، واصطفاه ربه وجعله أول نبي.. واجتباه ربه.. كان في إهباطه إلى الأرض صعودًا له، فهبوطه الغائص في اللُّجَّة خلف الدُّرِّ، أرسله إلى الأرض ليبعث إلى الجنات نفقة ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾، و﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ وشوق المحب العابد. وهو أولى الناس بقول القائل:

وَحَيِّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الأُولَى وَفِيهَا المُخَيَّمُ
ولكِنَّنا سَبْيُ العدوِّ فَهَلْ تُرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا ونَسْلَمُ؟
وَحَيَّ عَلَى رَوْضَاتِهَا وَرِياضِهَا وَحَيَّ عَلَى عَيْشٍ بِهَا لَا يَسْأَمُ

---

(١) المدهش: ص (٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(٢) اللطف في الوعظ: ص (٨، ٩).
(٣) الفوائد لابن القيم: ص (٤٠٢).

بِذِيالِكِ الوَادِي يَعِيشُ صَبَابَةً ... مُحِبٌ يَرَى أَنَّ الصَّبَابة مَغْنَمُ

فَيَا مُسْرِعِينَ السيرَ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ... قِفُوا بِي عَلَى تِلْك الرُّبُوعِ وَسَلِّمُوا

وقُولُوا مُحِبٌّ قَادَهُ الشَّوقُ نَحْوَكُمْ ... قَضَى عُمْرَهُ فِيكُمْ تَعِيشُوا وَتَسْلَمُوا

أَحِبَّتِنَا عَطْفًا عَلَينا فَإِنَّنَا ... بِنَا ظَمَأٌ والمَورِدُ العَذْبُ أَنْتُمُ

• شوق كليم الرحمن موسى عليه السلام إلى ربه عز وجل: -

قال - تعالى -: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢].

أخذ سماع الخطاب وكلام الرحمن لموسى بمجامع قلبه، فعلّق قلبه بالميقات المعلوم ليكون تأميله تعليلًا له.

ولا يعلم إلا اللَّه - سبحانه وتعالى - وكليمه موسى ما كان في قلب موسى عليه السلام من شوقه إلى الله، فصامها موسى عليه السلام وطواها فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة فأمره اللَّه - تعالى - أن يكمل بالعشرة أربعين، وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي؟ فالأكثرون على أن الثلاثين هي ذو القعدة والعشر عشر ذي الحجة قاله مجاهد ومسروق وابن جريج، وروى عن ابن عباس، فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام وفيه أكمل اللَّه الدين لمحمد ﷺ كما قال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣][1].

وَقَدْ صُمْتُ عَنْ اللَّذَّاتِ دَهْرِي كُلِّهَا ... وَيَومُ لِقَاكُم ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي

* حين ذاق موسى لذة التكليم الأول جرح قلبه نصل الشوق، فلم يداوه إلا طبيب ﴿وَوَاعَدْنَا﴾.

---

(١) صحيح انظر «الصحيحة» رقم (٢١٥٩).

كان موسى يطوف في بني إسرائيل ويقول: من يحملني رسالة إلى ربي؟ ما كان مراده إلا أن يطول الحديث مع الحبيب.

يُجَدِّدُ تَذْكَارَ الحَدِيثِ مَوَدَتِي فَذِكْرُكَ عِنْدِي والحَدِيثُ جَدِيدُ

ولما تم ميقات ربه وأُحضر موسى حظيرة القدس، فنسى الإنْس بما آنس من الأُنس.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ قال القشيري: «جاء موسى عليه السلام مجيء المشتاقين، مجيء المُهَيَّمين، جاء موسى ولم يبق من موسى شيء لموسى، آلاف الرجال قطعوا مسافات طويلة فلم يذكرهم أحدٌ، وهذا موسى خطا خطوات فإلى القيامة يقرأ الصبيان ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ﴾»[1].

* قال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] قال أبو علي الدقاق: «معناه شوقًا إليك، فستره بلفظ الرضا».

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي * فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال ابن القيم أن ربه ـ سبحانه وتعالى ـ قد كلّمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه[2].

والتكليم أن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة.. أي شوق ضمه القلب الطاهر الكريم للكليم حين يسمع كلام ربه منه بغير واسطة، إن غلبات الوجد عليه استنطقته بطلب كمال الوصلة من الشهود ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ولله در القائل:

---

(١) انظر لطائف الإشارات (١/ ٥٦٤).

(٢) حادي الأرواح: ص (٢٢٩).

وأَبْرحُ مَا يَكُونُ الشَّوقُ يَومًا إِذَا دَنَتْ الخِيَامُ مِنَ الخِيَامِ

أشد الخلق شوقًا إلى الحبيب أقربهم من الحبيب؛ هذا موسى عليه السلام؛ هذا موسى عليه السلام، وكان عريق الوصلة، واقفًا في محل المناجاة، محدقة به سجوف التولي، غالبة عليه بوادِه الوجود، ثم في عين ذلك كان يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾.

* ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤ - ١٤٥].

قال ابن كثير: «يذكر - تعالى - أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه.... قال الله - تعالى - له: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ أي من الكلام والمناجاة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على ذلك ولا تطلب ما لا طاقة لك به، ثم أخبر - تعالى - أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء، قيل: كانت الألواح من جوهر، وأن الله - تعالى - كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء، وأن الله كتب له فيها مواعظ وأحكامًا مفصَّلَة مبيّنة للحلال والحرام وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله - تعالى -: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ وقيل الألواح أُعْطِيهَا موسى قبل التوراة فالله أعلم، وعلى كل تقدير فكانت كالتعويض له عما سأل من الرؤيا ومُنِع منها والله أعلم»[1].

هذا الخطاب لتدارك قلب موسى عليه السلام بكل هذا الرفق كأنه قال: يا موسى- إني منعتك عن شيء واحد وهو الرؤية، ولكني خصصتك بكثير من الفضائل؛ اصطفيتك بالرسالة، وأكرمتك بشرف هذه الحالة... وقد كتب الله التوراة لموسى

(١) تفسير ابن كثير.

بيده.. وفي الأثر أن موسى عليه السلام كان يسمع صرير القلم، وفي هذا نوع لطف لأنه إن منع منه النظر أو منعه من النظر فقد علّله بالأثر. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ فيه إشارة إلى أن الأخذ يشير إلى غاية القرب، والمراد هنا صفاء الحال.

❁ يقول ابن الجوزي عن شوق كليم الله موسى عليه السلام:

«فلما دارت في دائرة دار الحب كئوس القرب، وسمع النداء وسط النادي بلا واسطة، وَسِيط(١) له من وسيط أقداح المنى، في المناجاة بلا وسيط، طاب له شراب الوصال من أوطاب(٢) الخطاب، في أواني سماع الكلام، فناداه توق شوقه.

أَوَانِ(٣) أَنْتَ فِي هَذَا الأَوانِ ... عَنْ الرَّاحِ المَرُوقِ فِي الأَوَانِي(٤)

وقال: «**مات موسى قتيل شوق** ﴿أَرِنِي﴾ **فلما جاز عليه نبينا ﷺ ليلة المعراج ردّده في الصلوات ليسعد برؤية من قد رأى**».

وَإِنِّي لَآتِي أَرْضَكُم لَا لِحَاجَةٍ ... لَعَلِّي أَرَاكُمْ أَوْ أَرَى مَنْ يَرَاكُمُ

وقال:

إِنْ تَشْقَ عَيْنِي فَطَالَمَا سَعِدَتْ ... عَيْنُ رَسُولِي وَفَازَ بِالنَّظَرِ

وَكُلَّمَا جَاءَنِي الرَّسُولُ لَهُم ... رَدَّدتُ شَوقًا في طَرْفِه نَظَرِي

تَظْهَرُ في طَرْفِهِ مَحَاسِنُهُم ... قَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ أَحْسَنَ الأَثَرِ

خُذْ مُقْلَتَيَّ يَا رَسُولُ عَارِيَةً ... فَانْظُرْ بِهَا واحْتَكِم عَلَى بَصَرِي(٥)

---

(١) سيط: مُزِج.
(٢) الأوطاب: جمع وطب وهو السقا.
(٣) اسم فاعل من ونى.
(٤) المدهش لابن الجوزي ص (٩٨).
(٥) المصدر السابق ص (٩٩)، وهذا على مذهب ابن الجوزي في رؤية النبي ﷺ ربه في الإسراء.

● شوق يوسف عليه السلام: ـ

قال ـ تعالى ـ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

قال أبو عثمان الحيري: «**علامة الشوق حب الموت مع الراحة والعافية، كحال يوسف لما أُلقي في الجُبِّ لم يقل** ﴿تَوَفَّنِي﴾، ولما أدخل السجن لم يقل ﴿تَوَفَّنِي﴾. ولما تم له الأمر والنعمة قال ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾»[١].

● شوق سيد ولد آدم ﷺ: ـ

كل كلمات الدنيا لا تسطر شوق رسولنا ﷺ.. وأنَّى للكلمات ذلك

تَرَكْنَا البِحَارَ الزَّاخِرَاتِ وَراءَنَا   فَمِنْ أَيْنَ يَدْرِي النَّاسُ أَنَّى توجَّهْنَا

سيط قلب نبينا بالشوق إلى ربه وإلى الدار الآخرة .. كيف وهو الذي أسرى به وأراه ربه الآيات الكبرى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

ياالجمال وعلو ما رقَّى اللَّه نبيه إليه، فهو مُراد اللَّه عز وجل.. فياليلة المعراج ما أحلاها

لَيْلَةُ الوَصْلِ أَصْفَى   مِنْ شُهُورٍ وَدُهُورٍ سُوَاهَا

رقَّاه إلى ما رقّاه، ولقّاه بما لقّاه، وأدناه حيث لا دنوّ قبله ولا بعده، وأخذ عنه حيث لا غير.. فسبحان من حفظ طرف النبي ﷺ في المسرى، فما زاغ بصره، وما طغى، لعلمه بما يؤهل له، فرعى النبي ﷺ في مشهد تزيغ فيه الأبصار وتطغى، سبحان من ثبّت قلب نبيه عندما رأى من آيات ربه الكبرى.. نعم ما زاغ البصر

---

(١) مدارج السالكين ص (٥٢).

وما طغى وهذا لنبينا ﷺ فقط ومن شاهد البحر استقل الأنهار والأودية.

أفق وضيء طليق مرفرف عاش فيه قلب نبينا ﷺ.. مزاحة عنه الأستار، لحظات خُصّ بها ذلك القلب المُصَفَّى.. واتصال مباشر، وشوق عظيم جارف.. والعجب كل العجب أن يثبت قلب نبينا.. فكيف لا تورثه ليلة المعراج كل الشوق إلى الجنة وإلى ربه؟!

ففي السنن أن النبي ﷺ سأل بعض أصحابه: «**كَيفَ تَقُولُ فِي دُعَائِكَ؟**» قال: اللهم إني أسالك الجنة وأعوذ بك من النار؛ أما إني لا أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ. فقال: «**حَولَهَا نُدَنْدِن**»[1].

فشوق النبي ﷺ إلى الجنة لا يعدله شوق وقد أراه الله إياها فرآها بعينه.

* رؤية النبي ربه مناماً.

* كيف يستطيع بشرٌ أن يصف شوق رسول الله ﷺ إلى ربه وقد رآه بفؤاده، رآه في المنام في أحسن صورة واختلف العلماء في رؤية النبي لربه يقظة بعينيه.

قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيلَةَ رَبِّي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَينَ ثَدْيَيَّ، فَعَلِمْتُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأَعْلَى قُلْتُ: نَعَم، في الكَفَّارَاتِ والدَّرَجَاتِ، والكَفَّارَاتُ: المكْثُ في المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، والمَشْيُ عَلَى الأَقْدَام إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغ الْوضُوءِ في المَكَارِهِ، قَالَ: صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَتَتُوبَ عَلَيَّ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٤٧٤)، وابن ماجة في إقامة الصلاة (٩٠٩) عن أبي هريرة في «الزوائد» إسناده صحيح ورجاله ثقات. ورواه أبو داود عن بعض الصحابة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٦٣).

إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، والدَّرَجَاتِ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ؛ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ»(١) .

* وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**رَأَيْتُ رَبِّي** عز وجل(٢) ».

قال الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٦٥٢): «**يعني في المنام كما تدل عليه الروايات الأخرى**».

● **رؤية النبي ﷺ ربه بفؤاده مرتين:**ـ

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: «**رأى محمد ربه بفؤاده مرتين**»(٣) .

فيا لطيب وطهارة قلب نبينا ويا لثباته حين يتحمّل ما لم يتحمله الجبل فدكّ ويا للأشواق جَمَّةً عظيمة لا تقوم لها الدنيا، وحملها قلب نبينا ﷺ !!!.

---

(١) حديث صحيح: رواه الترمذي، وأحمد في مسنده، وعبدالرزاق في «الجامع»، وعبد بن حميد عن ابن عباس، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ورواه معاذ بن جبل وقال الترمذي: سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا فقال: هذا حديث حسن صحيح وقد صححه الإمام أحمد، وابن رجب الحنبلي، وجمع طرقه ابن رجب في كتاب «اختيار الأوْلى» وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩) ج ١ ص (٧٢، ٧٣)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» ج ١ ص (١٦٤ ـ ١٦٥) حديث (١٦٤). وقال «وسنده صحيح»، وقد تكلمت عليه في أول «الجنائز» من «إرواء الغليل» وقد كنت ذهبت في بعض التعليقات إلى تضعيف الحديث، فقد رجعت عنه.

وقال الشيخ الناجي: إن الحافظ أبا أحمد العسّال قد ساق في كتاب «المعرفة» الحديث من عدة طرق وألفاظ، ومن رواية جماعة من الصحابة وأكثرها مصرّح بأن ذلك كان في المنام «أنظر «صحيح الترغيب» ١/ ١٦٥، ورد في بعض الروايات «وإسباغ الوضوء في السبرات» وهي شدة البرد.

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده، والآجري، والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٤٦٦).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧) باب معنى قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ (١/ ١٥٨).

* وعن أبي العالية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣] قال: «**رآه بفؤاده**»[١].

* وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «**رآه بقلبه، ولم يره بعينه**»[٢]، وبه قال عبدالله بن الحارث، وإبراهيم التيمي وجماعة.

● **من قال برؤية النبي ﷺ لربه بعينه:-**

قال الحافظ ابن حجر: «ذهب ابن عباس في المشهور عنه، وأنس بن مالك، وأبو هريرة - رضي الله عنهم - إلى أن النبي ﷺ رأى ربه في ليلة الإسراء بعين رأسه، وبه قال طائفة من التابعين منهم:

كعب الأحبار، والحسن البصري وكان يحلف عليه، وعطاء، وعكرمة، وعامة أصحاب ابن عباس، وعروة بن الزبير، وهو ابن أخت عائشة، فقد صحَّ أنه إذا ذُكِر عنده قول عائشة في نفي الرؤية يشتد عليه، ومحمد بن شهاب الزهري، ومعمر بن راشد وجماعة. وقال به أكثر أهل السنة من بعدهم، وهو قول الأستاذ أبي الحسن الأشعري، ومن تابعه من الأصوليين - رحمهم الله»[٣].

عن عبدالله بن أبي سلمة عَنّ[٤] عبدالله بن عمر بن الخطاب بعث إلى عبدالله بن عباس يسأله: «**هل رأى محمد ربه؟**» فأرسل إليه عبدالله بن عباس: «**أي نعم**».

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان» (١/ ٨٩)، والنسائي (٥٥٥ - تفسيره)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٤٨)، والبغوي في تفسيره (٨/ ١٠٠ - هامش ابن كثير).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه النسائي في «التفسير» (٥٥٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٣٦).

(٣) «الغنية في مسألة الرؤية» لابن حجر العسقلاني - تحقيق مسعد السعدني ص ١٣ - ١٤ - دار الصحابة - طنطا.

(٤) عَنّ: أي أنّ وهي لغة صحيحة.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «**تعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ**»[١].

وقال عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمد ﷺ بالرؤية»[٢].

* وعن ابن المبارك بن فضالة قال: «**كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد ربه**»[٣].

وعن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن كعب الأحبار قال: «**إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد، وكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين**»[٤].

«وممَّن يرجح الإثبات الإمام النووي في ظاهر كلامه حيث قال بعد أن ساق كلام القاضي عياض وصاحب التحرير: (والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، ومثل هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ، وهذا مما لا ينبغي أن

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن إسحاق في السيرة، والآجري في «الشريعة» ص (٤٩٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٣٠) وقوَّى إسناده ابن حجر في «الغنية» ص (١٥).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي في «التفسير» برقم (٥٥٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٢٩ - ١٣٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٤٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٥، ٢/ ٤٦٩)، والدارقطني في «الرؤية» وابن منده في «الإيمان» برقم (٧٦٢) كلهم من طريق قتادة به.

وقد صححه الحاكم على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في «تخريج السنة» (١/ ١٩٢ - ١٩٣) وصححه الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٠٨).

(٣) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٣٠)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» (٤٣٦)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٤٨)، وهذا سند صحيح على شرط البخاري.

(٤) إسناده صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٣١).

يتشكك فيه»[١].

* وممن يُرجِّح إثبات رؤية الرسول ﷺ ربه في الدنيا كذلك الإمام ابن خزيمة فقد عقد بابًا نوَّه في عنوانه بأن اللَّه ـ تعالى ـ خصَّ نبيه محمدًا ﷺ بالرؤية كما خص نبيه موسى بالكلام، وساق بالسند ما ورد في الباب من أحاديث وآثار مثبتة أو نافية، وأطنب في مناقشتها والتعليق عليها منتصرًا للإثبات.

وحمل ما ورد عن ابن عباس من نفي الرؤية البصرية على أن الرؤية وقعت مرتين: مرة بعينه، ومرة بقلبه»[٢]، [٣].

والحافظ ابن حجر ـ يظهر لي ـ أنه يميل إلى ترجيح القول بوقوع الرؤية للنبي ﷺ عيانًا في الدنيا، يعني في ليلة الإسراء، وذلك أنه عندما تكلَّم على امتناع رؤية اللَّه ـ تعالى ـ بالعين في الدنيا، ذَكَرَ أنَّ هذا لا يشمل النبي ﷺ لوجود دليل آخر على وقوع الرؤية له في الدنيا[٤]، فيكون ذلك تخصيصًا من عموم الأدلة الدالة على الامتناع[٥]، وقال: إن هذه الرؤية «**من خصائصه، فأعطاه اللَّه ـ تعالى ـ في الدنيا القوة التي ينعم بها على المؤمنين في الآخرة**»[٦].

فكل هذا الكلام؛ ممَّا يدل على ترجيح الحافظ ابن حجر رؤيته ﷺ ربه عيانًا في الدنيا[٧].

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٥١)، والدارقطني في «الرؤية»، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في «الغنية» ص (١٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٥).

(٣) انظر كتاب التوحيد «لابن خزيمة» (١٩٧ ـ ٢٣٠).

(٤) دلالة القرآن والأثر على رؤية الله ـ تعالى ـ بالبصر ص (٣٧ ـ ٣٨) لعبدالعزيز زيد الرومي ـ مكتبة المعارف ـ الرياض.

(٥) انظر فتح الباري (١٣/ ٤٢٦).

(٦) فتح الباري (١٣/٩٦).

(٧) منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه «فتح الباري» لمحمد إسحاق كندو (٢/ ٩٧٦) مكتبة الرشد.

وللحافظ ابن حجر رسالة صغيرة سماها «**الغنية في مسألة الرؤية**» رجح فيها الحافظ أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه ليلة الإسراء.

وذهب جماعة إلى أنه رآه مرتين: مرة بقلبه، ومرة بعينه.

وهي الرواية الثالثة عن ابن عباس.

وتوقف جماعة في القول بالرؤية أو عدمها:ـ

فقد حكاه ابن حجر في الفتح بقوله: «**وقد رجَّح القرطبي في «المفهم»** قول الوقف في هذه المسألة. وعزاه لجماعة من المحقّقين، وقوّاه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل. قال: وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية وإنما هي من المعتقدات فلا يُكتفى فيها إلا بالدليل القطعي».

نفاة رؤية النبي ﷺ لربه يقظة

ذهبت السيدة عائشة رضي الله عنها إلى أنه ﷺ لم يره في الدنيا أصلًا، ولم يثبت عنها إثبات رؤية الفؤاد إلَّا في خبر لا يحتج بإسناده، بل اشتد إنكارها على من أطلق أن محمدًا رأى ربه، حتى قالت: «**من قال ذلك فقد أعظم الفرية على الله**»[1].

وذهب إلى ذلك أبو ذر وابن مسعود، وقال إلى ترجيح النفي اللالكائي[2]، وابن تيمية وابن القيم.

عن مسروق قال: قلتُ لعائشة: يا أمتاه، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: «**لقد قفَّ شعري مما قلتَ، أين أنت عن ثلاث من حدّثكنَّ فقد كذب، مَن حدّثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأتْ** ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ [الشورى: ٥١].

---

(١) «الغُنية في مسألة الرؤية» ص (١٤).

(٢) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي» (٥١٢ ـ ٥٢٠).

فذكر الحديث، إلى أن قال: قلت: «**ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين**»[(١)].

* قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين»**[(٢)] وعائشة أنكرت الرؤية ـ فمن الناس من جمع بينهما فقال: أنكرت عائشة رؤية العينين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدّة بالفؤاد، وتارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه، وكذلك الإمام أحمد تارة يُطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده... ثم يقول: وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا يثبت عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسُّنة ما يدلُّ على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألتُ رسول اللَّه ﷺ هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: نُورٌ أَنَّى أَرَاه؟[(٣)]»[(٤)].

وعند مسلم من حديث أبي ذر «**رَأَيْتُ نُورًا**»[(٥)] وهو الحجاب كما جاء في الحديث «**حِجَابُه النُّورُ**».

وما ذكره ابن تيمية في غاية الحسن إذْ تُحمل رواية الإثبات على رؤية الفؤاد ورواية النفي على رؤية العين، وبذا يجمع بين الروايات المروية عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ فلا خلاف على وجه الحقيقة، بل في دائرة اللفظ فقط، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦١٢، ٤٨٥٥، ٧٣٨، ٧٥٣١)، ومسلم (١/ ٨٩)، والترمذي (٣٠٦٨، ٣٢٧٨)، والنسائي في «التفسير» (١/ ٤٢، ٤٢٩، ٥٥٢) والطبري في تفسيره (١٣٦٩٩ ـ أحمد شاكر)، (١٣٦٧٠، ١٣٦٧١)، والبغوي في تفسيره والقاضي عياض في «الشفا» (١/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

(٢) أخرجه مسلم باب في قوله عليه السلام «نور أنَّى أراه» (١/ ١٦١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٥٠٩، ٥١٠).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٧، ٥٠٨).

(٥) أخرجه مسلم (/٧٨) باب في قوله عليه السلام: ......وفي قوله: «رأيت نورا» (١/ ١٦١).

يتمشى مع ما تقرَّر من حمل المطلق على المقيد عند التعارض.

* وجزم شارح الطحاوية بأن معنى قوله ﷺ في حديث أبي ذر «**نُورٌ أَنَّى أَرَاه؟**» بأنه النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنَّى أراه أي كيف أراه، وهو حجابٌ بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ قال: «فهذا صريحٌ في نفي الرؤية واللَّه أعلم»(١).

فَتُحمل الرؤية على رؤية الفؤاد.. فيا لشوق هذا الفؤاد الطاهر إلى ربه وقد رآه!!، يا لشوق نبينا إلى ربه وقد رآه منامًا!! وهذا ثابت.

* وقد تقدم سؤال النبي ربه الشوق إلى لقائه في غير ضرَّاء مضرة ولا فتنة مضلِّة.

وانظر إلى أدعية النبي ﷺ التي تتوسل إلى اللَّه بالألوهية (اللهم) وتأمل أثر الميم المُشددة التي أضيفت إلى اسم «**الله**» فمع ضمَّة الشفتين وتقاربهما والتشديد يشعر العبد بحاجته الماسة إلى القرب من اللَّه الحق، وأن يأخذه اللَّه إليه، وهو يتوسل إليه بذلك شوقًا وحبًا.

● دعاء عظيم يترجم حب النبي ﷺ لربه وشوقه إليه

انظر إلى كنوز النبوة ولآلئها ودررها ونورها وشوقها: ـ

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ [وَمَنْ فِيهنِّ]، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقَّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، والنَبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص (١٤٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٩٣).

حاكَمْتُ [أَنْتَ رَبُّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ [وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي]، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ [أَنْتَ إِلَهِي] لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ، وَلَا إِلَه غَيْرُكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ])(١).

- **إنه حديث عهدٍ بربه: -**

وقد كان رسول اللَّه ﷺ يفرح بالمطر ويتلقَّاه بثوبه ولما يُسْأَل عن ذلك يقول: «**إنه حديث عهد بربه**» وفي هذا من الشوق إلى المولى عز وجل ما فيه:

يَا مَنْ يُذَكِّرُنِي بِعَهْدِ أَحِبَّتِي ... طَابَ الحَدِيثُ بِذِكْرِهِم وَيَطِيبُ
أَعِدِ الحَدِيثَ عَلَيَّ مِنْ أَطْرَافِهِ ... إِنَّ الحَدِيثَ عَنِ الحَبِيبِ حَبِيبُ
مَلَأَ الضُّلُوعَ وَفَاضَ عَنْ جَنَبَاتِهَا ... قَلْبٌ إِذَا ذُكِرَ الحَبِيبُ يَذُوبُ
مَا زَالَ يَخْفِقُ ضَارِبًا بِجَنَاحِهِ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَطِيرُ قُلُوبُ

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري واللفظ له (ما عدا ما بين الأقواس)، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة، وأبو عوانة، والدارمي، وابن نصر.

شوق الصحابة رضي الله عنهم

ضنائن اللَّه من خلقه.. خير القرون.. وأكمل الناس، وأعلم الناس، وأعبد الناس، فاقوا الأولين والآخرين في كل شيء، وصفت قلوبهم وطهرت نفوسهم فاشتاقوا إلى اللَّه وإلى الدار الآخرة.. وترجموا ذلك عملًا وحالًا.

قال سهيل بن أساف في صفة الصحابة:ـ

رِجَالٌ مِنَ الأَحْبَابِ تَاهَتْ نُفُوسُهُم
يُنَادُونَهُ خَوْفًا وَيَدْعُونَهُ قَصْدًا

وَقَامُوا بِلَيْلٍ والظَّلَامُ مُغَلِّلٌ
إِلَى مَنْزِلِ الأَحْبَابِ فَاسْتَعْمَلُوا الكَدَّا

يَحُثُّون حَثَّ الشَّوقِ نَحْوَ مَلِيكِهِم
وَقَصْدُهم الفِرْدَوسَ كَي يُرْزَقُوا الخُلْدَا

أُولَئِكَ قَوْمٌ في العِبَادَةِ أَخْلَصُوا
فَتَاهُوا بِهِ شَوقًا وَمَاتُوا بِهِ وَجْدَا

- **شوق صِدِّيق الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى اللَّه واهتزاز العرش عند موته:ـ**

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: خرجتُ يوم الخندق أقفوا[1] آثار الناس، فسمعتُ وئيد الأرض ورائي؛ ـ يعني حسَّ الأرض، فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ معه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجَنَّة[2]، فجلستُ إلى الأرض، فمرّ سعد

---

(١) أي: أتبع.
(٢) أي: التُّرس.

وعليه درعٌ من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد فمرَّ وهو يرتجز.

لَبِّثْ قليلًا يُدرِكِ الهَيْجا حَمَلْ   مَا أَحْسَنَ الموتَ إِذَا حَانَ الأَجَلُ

فقُمتُ، فاقتحمتُ حديقة، فإذا فيها نفرٌ من المسلمين، وإذا فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه سبغة له، يعني مغفرًا[(١)]، فقال عمر: ما جاء بك؟ لعمري والله إنك لجرئية! وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوُّزًا؟ فما زال يلومني حتى تمنَّيت أن الأرض انشقَّت ليس ساعتئذ فدخلتُ فيها»!

«**فرفع الرجل السبغة عن وجهه، فإذا طلحة بن عُبيد الله، فقال: يا عمر! إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوُّز أو الفرار إلّا إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ؟**».

«ويرمي سعدًا رجلٌ من المشركين من قريش ـ يقال له: ابن العرقة، بسهم له، فقال له: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أَكْحَلَه[(٢)]، فقطعه، فدعا الله سعدٌ، فقال: اللَّهم لا تُمتني حتى تُقِرَّ عيني من قريظة، وكانوا حلفاء مواليه في الجاهلية. فرَقَأ كَلْمُه[(٣)]، وبعث الله الريح على المشركين، فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويًّا عزيزا، فلحق أبو سفيان ومَن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجْد، ورجعت بنو قريظة، فتحصَّنُوا في صياصيهم[(٤)]، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فوضع السلاح، وأمر بقُبَّة من أدم[(٥)] فضُربت على سعد في المسجد.

فجاء جبريل وإنَّ على ثناياه لنقع الغبار، فقال: أَوَقَدْ وضعتَ السلاح؟! والله ما وضعت الملائكة بعدُ السِّلاح، أخرج إلى بني قريظة فقاتِلهم.

---

(١) زرد ينسج على قدْر الرأس، يُلبس تحت القلنسوة.

(٢) في «لسان العرب» «عرق في اليد يُفصَد، فإذا قُطِع في اليد، لم يرقأ الدم.. والفصد: القطع وهو عرق الحياة، يُدْعى نهر اليدن، وفي كل عضو منه شعبة.

(٣) أي: جُرْحه.

(٤) أي: حصونهم.

(٥) أي: من الجلد.

فلبس رسول الله لَأْمَتَهُ[1]، وأذّن في الناس بالرحيل؛ أن يخرجوا، فخرج رسول الله ﷺ فمرّ على بني غنيم - وهم جيران المسجد حوله -، فقال: مَنْ مَرّ بكم؟ قالوا: مرّ بنا دحية الكلبي - وكان دِحية الكلبي تُشبه لحيته وسنّه ووجهه جبريل عليه السلام، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم، واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حُكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لبابة بن المنذر، فأشار إليهم أنه الذَّبْح، قالوا: ننزل على حُكمْ سعد بن معاذ، فقال رسول الله ﷺ انزلوا على حُكْم سعد بن معاذ.

فنزلوا. وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فأُتي به على حمار عليه أكاف[2] من ليف، وقد حُمِل عليه، وحفّ به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو! حلفاؤك ومَواليك وأهل النكاية ومَن قد علِمتَ! فلم يرجع إليهم شيئًا، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا مِن دورهم؛ التفت إلى قومه، فقال: قد أنى[3] لي أن لا أبالي في الله لومة لائم».

فلمّا طلع على رسول الله ﷺ، قال: قوموا إلى سيّدكم فأنزلوه.

فقال عمر: سيدنا الله. قال: أنزلوُه. فأنزلوه. قال رسول الله ﷺ: «**احكم فيهم**». قال سعد: فإني أحكم أن تُقتل مقاتلهم، وتُسْبَى ذراريهم، وتقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ وحُكْمِ رَسُولِهِ**».

ثم دعا سعد؛ قال: اللهم إنْ كنت أبقيتَ على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئًا؛ فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم؛ فاقبضني إليك».

فانفجر كَلْمه وكان قد بريء حتى ما يُرى منه إلا مثل الخُرْص[4]، ورجع إلى

---

(١) لأْمته: أداة الحرب كلّها، من: رمح، وبيضة، ومغفر، وسيف، ودرع «انظر: «الوسيط».

(٢) أكاف: هو البرذعة، وهو ما يُوضع على الحمار أو البغل ليُركَب عليه، كالسّرْج للفرس.

(٣) كذا الأصل، وفي «المجمع»: «أتى لي»، ولعله: «آن لي» انظر «الصحيحة» رقم (٦٧) ويُقال: أنى يأنى؛ بمعنى: دنا وقرُب.

(٤) الخُرْص: الحلقة من الذهب والفضّة.

قُبّته التي ضَرب عليه رسول اللَّه ﷺ، فحضره رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر وعمر، فوالذي نفسي بيده؛ إني لأعرف بكاء عمر مِن بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ رحماء بينهم».

قال علقمة: قلت: أي أمّة! فكيف كان رسول اللَّه ﷺ يصْنَع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد؛ فإنما هو آخذ بلحيته»[(١)].

هذا العبد الصالح الذي دعا اللَّه ألا يميته حتى يقر عينه من يهود بني قريظة فاستجاب اللَّه له، أقرَّ عينه أي قرار، ثم دعا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ثانية بقبضه إليه فاستجاب اللَّه له وجعلها شهادة.. اشتاق إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فاشتاقت إليه الملائكة، وسُرَّ العرش وفرح واهتز بموت سعد، وشهد موته سبعون ألفا من الملائكة ما نزلوا إلى الأرض قبل موته.

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحَمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ**»[(٢)].

قال النضر بن شميل - وهو إمام في اللغة - اهتز: فرح[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر: «واهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه؛ يُقال لكل من خرج بقدوم قادم عليه: اهتزَّ له، ومنه: اهتزَّت الأرض بالنبات، إذا اخضرَّت وحسنت»[(٤)].

قال الذهبي: والعرش خلْق مسخَّر، إذا شاء أن يهتز اهتزَّ بمشيئة اللَّه، وجعل فيه شعورًا لحب سعد، كما جعل - تعالى - شعورًا في جبل أُحُد بحبه النبي ﷺ

---

(١) إسناده حسن: «قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه أحمد، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات».
وقال الحافظ في «الفتح»: «وسنده حسن» وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٦٧): وهذا إسناد حسن، وأشار إلى رواية البخاري المختصرة وغيرها.

(٢) رواه أحمد ومسلم عن أنس، ورواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن جابر.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٣).

(٤) فتح الباري: (٧/ ١٥٥).

وهذا حق»[١].

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هَـذَا العَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلَائِكَةِ، لَمْ يَنْزِلُوا إِلَى الأَرْضِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ أُفرِج عَنْهُ**»[٢].

وعن ابن عمر يرفعه: «**اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِحُبِّ لِقَاءِ اللَّهِ سَعْدًا**»[٣].

من أحب الله واشتاق إليه، أحب الله لقاءه.

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ مِن فَرَحِ الرَّبِ** عز وجل»[٤].

فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا ... إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهة والقَصْدِ

● **مقدام العلماء المشتاق إلى ربه معاذ بن جبل** رضي الله عنه:

عن عمرو بن قيس أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ قال: فقيل: لم نصبح، حتى أُتِي فقيل له: قد أصبحت. قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار. مَرْحبًا بالموت، مرحبًا، زائر مُغِبّ، حبيب جاء على فاقة. اللَّهم إنك تعلم أني كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك.

اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحبّ الدنيا وطول البقاء فيها لكري[٥] الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لِظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلَق الذكر»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (١/ ٢٩٧).

(٢) إسناده صحيح: رواه النسائي وابن سعد.

(٣) صحيح: رواه ابن سعد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح: انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٢٨٨).

(٥) كرى الأنهار: أي حفرها.

(٦) الزهد لأحمد بن حنبل (٢/ ١١٦)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٣٩)، و«صفة الصفوة» (١/ ٥٠١)، و«الثبات عند الممات» (١/ ٩١١)، و«كتاب المحتضرين» (١١١).

من أجل هذا يعيش مقدام العلماء، وعلى الشوق والحب لله يموت:.

● **وانظر إلى شوقه الجارف:**

ولما نزل الطاعون بجيش الصحابة في الشام قال معاذ رضي الله عنه: «اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة، قال الحارث بن عميره: فما أمسى حتى طُعِن ابنه عبدالرحمن وأحب الناس إليه الذي كان يُكنى به. فرجع معاذ من المسجد، فوجده مكروبًا، فقال: يا عبدالرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له، فقال عبد الرحمن، يا أبت: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٧]، فقال معاذ رضي الله عنه: وأنا ستجدني إن شاء الله من الصابرين فمات من ليلته ودُفِن من الغد.. ثم إن معاذًا رضي الله عنه اشتد به نزع الموت، فنزع أشد العالم نَزْعَة. فكان كلما أفاق من غمرة، فتح طرفه فقال: اخنق خنقك، فَوَعِزَّتِكَ إنك تعلم أني أحبك»[(١)].

وعند ابن سعد: ثم طُعِنت امرأتاه فهلكتا، وطُعِن هو في إبهامه، فجعل يمسها بفيه ويقول: «**اللهم إنها صغيرة، فبارك فيها، فإنك تبارك في الصغير**» حتى هلك[(٢)].

يهدهد جرحه فيا لعِظم شوقه إلى لقاء ربه..

● **وعبدالله بن مسعود يشتهي رضوان الله.. النظر إليه في يوم المزيد:**.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه نعوده في مرضه، فقلنا: كيف أصبحت يا أبا عبدالرحمن؟ قال: أصبحنا بنعمة الله إخوانا.

قلنا: كيف تجدك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: أجد قلبي مطمئنًا بالإيمان. قلنا: ما تشتكي أبا عبدالرحمن؟ قال: أشتكي ذنوبي وخطاياي. قلنا: ما تشتهي شيئًا؟

---

(١) إسناده حسن: انظر «بذل الماعون في فضل الطاعون» لابن حجر العسقلاني ص (٢٦٦ - ٢٧٠).

(٢) طبقات ابن سعد: (٣/ ٥٨٩).

قال: أشتهي مغفرة الله ورضوانه. قلنا له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني»[١].

نعم هو يشتهي رضوان الله.. النظر إلى في يوم المزيد.

● **حكيم الأمة أبو الدرداء يشتاق إلى ربه ويشتهي الجنة:-**

كان أبو الدرداء ﷺ يقـول: «أحب الموت اشتياقًا إلى ربي، وأحبُّ الفقر تواضعًا لربي، وأحبُّ المرض تكفيرًا لخطيئتي»[٢].

وعن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي. قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟ قال: هو أضجعني[٣].

● **حذيفة بن اليمان المشتاق إلى لُقْيا الرحمن:-**

عن زياد مولى ابن عباس - عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: دخلنا على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللَّهم إنك تعلم لولا أني أرى أن هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا لم أتكلم بما أتكلم به، اللَّهم إنك تعلم أني كنتُ أختارُ الفقر على الغِنى، وأختار الذلّة على العزّ، وأختار الموت على الحياة، حبيبٌ جاء على فاقة، لا أفلح من ندم[٤].

● **أمير المؤمنين في الحديث أبي هريرة ﷺ: -**

عن سعد بن أبي سعيد المقبري قال: دخل مروان على أبي هريرة ﷺ في

(١) «كتاب المحتضرين» ص (٢٣٨ - ٢٣٩)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤/ ٢٧٠).
(٢) استنشاق نسيم الأنس ص (٣٥٣)، و«الحلية» (١/ ٢١٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩٣)، و«صفة الصفوة» (١/ ٦٤٢)، والحلية (١/ ٢١٨)، و«الثبات عند الممات» ص (١٢٨)، و«الزهد» لأحمد (١٣٤)، والمصنف لابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٩)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٣٧).
(٤) «حلية الأولياء» (١/ ٢٨٢)، و«الثبات عند الممات» ص (١٢١ - ١٢٢)، و«كتاب المحتضرين» ص (٢٣٦).

شكواه الذي مات فيه. فقال: شفاك الله، فقال أبو هريرة: اللَّهم إني أحب لقاءك فأحبَّ لقائي. فما مبلغ مروان أصحاب القطا حتى مات أبو هريرة رحمه الله» (١).

هكذا موت الصالحين المشتاقين.

شوق العُبَّاد والعلماء الربانيين من سلف الأُمّة

قال أبو عتبة الخولاني: «كان إخوانكم لقاء اللَّه أحب إليهم من الشُّهْدِ».

«قال محمد بن زياد: اجتمع رجال من الأخيار، أو قال من العلماء والعباد وذكروا الموت، فقال بعضهم: لو أتاني آتٍ، أو ملك الموت فقال: أيكم سبق إلى هذا العمود، فوضع يده عليه لمات.

لرجوت ألا يسبقني إليه أحد منكم شوقًا إلى لقاء اللَّه - جل وعلا -.

وقال عبداللَّه بن زكريا (٢): لو خيرت بين أن أعيش مائة سنة في طاعة اللَّه أو أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض في يومي هذا أو في ساعتي، هذه؛ شوقًا إلى اللَّه وإلى رسوله، وإلى الصالحين من عباده.

وكان أبو عبد رب الزاهد (٣) يقول: لو أنه قيل: مَنْ مسَّ هذا العمود لمات لسرني أن أقوم إليه شوقًا إلى لقاء اللَّه ورسوله.

وقال سفيان: كان بالكوفة رجل متعبد من همذان، فكان يقول: ما تطيب نفسي لنفسي بالموت إلا إذا ذكرت لقاء اللَّه، فإني أجد نفسي عند ذلك تطيب بالموت لما ترجو في لقاء اللَّه عز وجل من البركة والسرور.

---

(١) طبقات ابن سعد: (٤/ ٣٣٩).

(٢) عبدالله بن أبي زكريا، وقيل: ابن زكريا الخزاعي، كان ثقة قليل الحديث صاحب غزو، وكان من فقهاء أهل دمشق، روى عن أم الدرداء ورجاء بن حيوة وعبادة بن الصامت وغيرهم، وروى عنه خالد بن دهقان، وداود بن عمر الدمشقي، وربيعة بن يزيد وغيرهم توفي سنة ١١٧هـ.

انظر الطبقات الكبرى (٧/ ٤٥٦)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢١٨)، وصفة الصفوة (٤/ ٢١٦).

(٣) هو: عبيدة بن المهاجر، أسند عن معاوية بن أبي سفيان، انظر صفة الصفوة (٤/ ٢١٩).

قال: وذكروا عنه أنه كان يقول: إذا ذكرت القدوم على الله كنت أشد اشتياقًا إلى الموت من الظمآن الشديد ظمؤه في اليوم الحار الشديد حره إلى الشراب البارد الشديد برده.

وقال رياح القيسي: أتيتُ الأبرد بن ضرار فقال لي: يا رياح هل طالت بك الليالي والأيام؟

فقلت له: بم؟ قال: بالشوق إلى لقاء الله. فسكت. وأتيت رابعة فذكرت ذلك لها فقالت: لكني نعم[1].

وقال عبيد الله بن محمد التيمي: سمعت امرأة من المتعبدات تقول: والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقًا إلى لقاء الله وحبًا للقائه، قال فقلت لها: أفَعَلى ثقة أنت من عملك؟ قالت: لا ولكن لحبي إياه، وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه؟!!

* وقال مسلمة العوصي: إني لمشتاق إلى ربي[2] منذ فارقت الحسن بن صالح قيل له: ولم؟ قال: لو لم يشتق العامل إلا إلى لقاء الله عز وجل لكان ينبغي له أن يشتاق.

* وكان أبو عبدالله النباحي يقول في مناجاته: إنك لتعلم أنك لو خيرتني بين أن تكون لي الدنيا منذ خلقت أتنعم فيها حلالًا، ولا أُسْئَلُ عنها يوم القيامة، وبين أن تخرج نفسي الساعة لاخترت أن تخرج نفسي الساعة. ثم قال: ألا تحب أن تلقى من تطيع.

• **ضيغم بن مالك** رحمه الله:

قال رحمه الله يومًا لمولى له: «منعني - والله - حب الله من الاشتغال بحب غيره. ثم سقط مغشيًا عليه».

---

(١) استنشاق نسيم الأنس: ص (٩٥ - ٩٦).

(٢) استنشاق نسيم الأنس: ص (١٣٣).

وقالت له أمه ذات يوم: ضيغم.. قال: لبَّيْك يا أمّاه. قالت: كيف فرحك بالقدوم على اللَّه؟ فصاح صيحة لم يسمعوه صاح مثلها قط، وسقط مغشِيًّا عليه، فجلست العجوز تبكي عند رأسه وتقول: بأبي أنت!! ما تستطيع أن نذكر بين يديك شيئًا مِن أمر ربك»[١].

● الفتح بن شخروف[٢]:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: قد طال شوقي إليك فعجِّلْ قدومي عليك.

● فتح الموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ شديد الشوق إلى ربه. قال في يوم عيد أضحى: قد تقرَّب المتقرِّبون بقربانهم، وأنا أتقرَّب إليك بطول حزني يا محبوب، لِمَ تتركني في أزقّة الدنيا محزونًا، ثم غُشِي عليه، وحُمِل فدُفِن بعد ثلاث ـ رحمه اللَّه تعالى ـ، هذا حال من غلب عليه الخوف فإنه بخلاف ذلك، ولا يتمنَّى الموت بل يستعظمه حتى يكاد يتصدع قلبه من ذكره[٣].

* قال مالك بن دينار: «إن الصِّدِّيقين إذا تُليت علهيم آيات الرحمن طربت قلوبهم واشتاقت إلى ما عنده» ثم يقول: «اسمعوا إلى ما يقول الصادق من فوق عرشه» ثم يبدأ في التلاوة. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما تنعَّم المتنعِّمون بمثل ذكر اللَّه».

* وقال زهير البابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن لله عبادًا ذكروه، فخرجت نفوسهم إعظامًا واشتياقًا، وقومٌ ذكروه فوجلت قلوبهم فَرَقًا وهيبة، وآخرون ذكروه في الشتاء فارفضُّوا عرقًا مِن خوفِه، وقوم ذكروه فَحَالت ألوانهم غبرًا، وقوم ذكروه فجفَّتْ أعينهم سَهَرًا».. يتلون كتاب اللَّه بشفاه ذابلة، ودموع وابلة، وزفرات قاتلة،

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٣٩٥ ـ ٣٦٠).

(٢) فتح بن شخروف بن داود أبو نصر الكشي، حدّث عن رجاء بن مرجا وجعفر بن عبدالواحد ومحمد بن عبدالملك بن زنجويه وغيرهم. توفى سنة ٢٧٣هـ.

(٣) استنشاق نسيم الأنس ص (٩٧).

وأجسام ناحلة، وخواطر في عظمته جائلة.

● أبو عبيدة الخوّاص رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان أبو عبيدة الخوَّاص رَحِمَهُ اللَّهُ يمشي في الأسواق ويقول: واشوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراه.

● عبدالواحد بن زيد:

«المتفلِّتُ من القيد، المتصيِّد للصيد»:

قال عنه حصين بن القاسم: «لو قُسِّم بث عبدالواحد بن زيد على أهل البصرة لوسِعهم، فإذا أقبل سواد الليل نظرت إليه كأنه فرس رهان مضمّر، ثم يقوم إلى محرابه فكأنه رجل مخاطب».

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «وعزَّتِك لا أعلم لمحبِّيك فرحًا دون لقائك، والاشتفاء من النظر إلى جلال وجهك في دار كرامتك، فيا مَن أحلَ الصادقين دار الكرامة، وأورث البطالين منازل الندامة، اجعلني ومن حضرني من أفضل أوليائك زلفًا، وأعظمهم منزلةً وقربة، تفضّلًا منك عَليَّ وعلى إخواني يوم تجزى الصادقين بصدقهم جنّات قطوفها متدلية عليهم ثمرها»(١).

* نام عبدالواحد رَحِمَهُ اللَّهُ عن وِرْده، فإذا هو بجارية لم ير أحسن منها وجهًا عليها ثياب حرير خُضر، وهي تقول: «**يا ابن زيد جِدَّ في طلبي، فإني في طلبك**»، ثم جعلت تقول:

مَنْ يَشْتَرِينِي وَمَنْ يَكُنْ سَكَنِي ... يَـأْمَـنُ فِي رِبْـحِـهِ مِـنَ الـغَـبْنِ

فقلت: يا جارية ما ثمنك؟ فأنشأت تقول:

تَـوَدُّدٌ لِلَّهِ مَـعَ مَـحَبَّتِهِ ... وَطُولُ فِكْرٍ يُشَابُ بِالحُزْنِ

فقلت: لِمن أنت يا جارية؟ فقالت:

---

(١) حلية الأولياء: (٦/ ١٥٥).

لِمَالِكٍ لَا يَرُدُّ ثَمَنًا مِنْ خَاطِبٍ قَدْ أَتَاهُ الثَّمَنِ(١)

من صَفَّا صُفِّي له، ومن كَدَّر كُدِّر عليه، وإنما يُكال للعبد كما كال... من اشتاق إلى الجنة والحور الحسان رآهن في المنام.. والجزاء العاجل من جنس العمل.. فما ظنك بالآخرة.

كان عبدالواحد بن زيد يقول: «**يا إخوتاه، ألا تبكون شوقا إلى الله** عز وجل؟ ألا إنه من بكى شوقًا إلى سيده لم يحرمه النظر إليه(٢).

* لله در الشافعي:

قال رحمه الله:

فَلِلَّهِ دَرُّ العَارِفِ النَّدبَ إنّهُ تَفِيضُ لفَرْطِ الوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمَا
يُقِيمُ إذَا مَا اللَّيلُ مَدّ ظَلَامَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الخوفِ مأْتَما
فَصَارَ قَرِينَ الهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ أخا السُّهد والنَّجْوَى إذَا اللَّيلُ أظْلَمَا
يَقُولُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي كَفَى بِكَ للرَّاجِينَ سُؤْلًا وَمَغْنَمَا
أَلَسْتَ الَّذِي غَذَّيْتَنِي وَهَدَيْتَنِي وَلَازِلْتَ مَنَّانًا عَلَيَّ ومُنعِما
فَفِي يَقَظَتِي شَوقٍ وَفِي غَفْوتِي مُنَى تَلاحِقُ خَطْوِي نَشْوَةً وتَرَنُّمَا(٣)

* علي بن سهل المدائني رحمه الله:

كان علي بن سهل المدائني رحمه الله يقوم إذا هدأت العيون فينادي بصوت له محزون:

«يا من اشتغلت قلوب خلقه عنه بما يعقبهم عند لقائه ندمًا، ويا من سَهَتْ

(١) صفة الصفوة: (٣/ ٣٢٤).
(٢) استنشاق نسيم الأنس ص (٣٥٩).
(٣) «ديوان الشافعي» ص (١١٥) ـ تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة ـ مكتبة الكليات الأزهرية.

قلوب عباده عن الاشتياق إليه إذْ كانت أياديه إليهم قبل معرفتهم به»، ثم يبكي حتى تبكي لبكائه جيرته، ثم ينادي: «**ليت شعري سيدي، إلى متى تحبسني؟ ابعثني سيدي إلى حسن وعدك، وأنت العليم أن الشوق قد برح بي، وطال عليَّ الانتظار**».

ثم يخرُّ مَغشيًا عليه فلا يزال كذلك حتى يُحَرَّك لصلاة الصبح»[(١)].

● **الحارث بن عمير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان الحارث بن عمير رَحِمَهُ اللَّهُ يقول إذا أصبح: «أصبحتُ ونفسي وقلبي مُصِرٌّ على حبِّك سيدي، ومشتاق إلى لقائك، فعجِّل بذلك قبل أن يأتيني سواد الليل»، فإذا أمسى قال مثل ذلك، فلم يزل على مثل هذه الحال ستين سنة»[(٢)].

● أحد المشتاقين: ـ

وكان أحد العُبّاد يقوم الليل حتى إذا برق عمود الصبح وثب قائمًا على قدميه ونادى بأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه، وأقبل النهار بدواهيه، ولم أقض من خدمتك وطرًا، خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلى سواك همّه» ثم أنشد يقول:

مَنْ عامَلَ اللَّهَ بِتَقْوَاهُ وَكَانَ فِي الخَلْوَةِ يَرْعَاهُ
سَقَاهُ كَأْسًا مِنْ صَفِيِّ حُبِّهِ يُسْلِبُهُ لَذَّةَ دُنْيَاهُ
فَأَبْعَدَ الخَلْقَ وَأَقْصَاهُم وانْفَرَدَ العَبْدُ بِمَولَاهُ[(٣)]

ولله درُّ القائل: ـ

أَبَدًا تَحِنُّ إِلَيْكُمُ الأرواحُ وَحَدِيثُكُم رَيْحَانُها والرَّاحُ

---

(١) الطريق إلى الله (الصدق) لأبي سعيد الخرّاز ص (١١٨) ـ تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود ـ نشر دار الإنسان.

(٢) «الطريق إلى الله» ص (١١٩).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٠٧، ٤٠٨).

وقُلُوبُ أهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ وَإِلَى بَهاءِ جَمَالِكُم تَرْتَاحُ
صَافَاهُمُ فَصَفَوْا لهُ، فَقُلُوبُهم فِي نُورِهَا المِشْكَاةُ والمِصْبَاحُ
وَتَمَتَّعوا فَالوَقْتُ طَابَ بِقُرْبِكم رَاقَ الشَّرَابُ وَرَاقتِ الأَقْدَاحُ
سَمَحُوا بِأَنْفُسِهِم وَمَا بَخِلُوا بِهَا لَمَّا دَرَوْا أن السَّمَاحَ رباحُ
وَدَعَاهُمُ دَاعِيَ الحقائِقَ دَعْوَةً فَغَدَوْا بِهَا مُسْتَأنَسِينَ وَرَاحُوا
رَكِبُوا عَلى سُفُنِ الوَفَا، ودُمُوعُهُم بَحْرٌ، وشِدَّةُ شوقِهم مَلَّاحُ
واللَّهِ مَا طَلَبوا الوُقُوفَ بِبَابِهِ حَتَّى دُعُوا وَأَتَاهُمُ المُفْتَاحُ
لَا يَطرِبون بِغَيرِ ذِكْرِ حَبِيبِهم أَبَدًا فكُلُّ زَمَانِهم أفْرَاحُ

* عابد: -

كان أحد الصالحين يُناجي ربّه في سجوده في جوف الليل فيقول:

«إلهي أغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح للسائلين، إلهي غارت النجوم، ونامت العيون، وأنت الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولَا نوم، إلهي فُرِشَتِ الفُرُش، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المستوحشين»:

ارْحَمْ حَشَاشَة نَفْسٍ فِيكَ قَدْ ذَهَبَتْ قَبْلَ المَمَاتِ فَهَذَا آخِرُ الرَّمَقِ
وَلَو مَضَى الكُلُّ مِنِّي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا وَإِنَّمَا عَجَبِي لِلْبَعْضِ كَيْفَ بَقِي

● ويقول آخر:

فَرَوْحِي وَرَيْحَانِي إذَا كُنْتُ حَاضِرًا وَإنْ غِبْتُ فَالدُّنيَا عَلَيَّ مَحَابسُ
إذَا لَمْ أُنَافِسْ فِي رِضَاكَ وَلَمْ أغِزْ لِدِينكَ فِيمَنْ لَيْتَ شِعْرِي أُنَافِسُ

* ولله درّ أحمد بن زيد البحراني حيث يقول:

مُحِبٌّ خَلَا بِالحُبِّ خَلْوَةَ وَاجِدِ خَلَا بِحَبِيبٍ، وَالظَّلَامُ لَهُ سِتْرُ

يَقُولُ بَذَلْتُ الحُبَّ يَا مُنْتَهَى المُنَى وَيَا نُورَ قَلْبِي أَنْتَ لِي سَيِّدِي ذُخُرُ
بِفَضْلِكَ زِدْنِي مِنْكَ قُرْبًا وأَدْنِنِي إِلَيْكَ دُنُوًّا لا يُغيِّرُهُ الدَّهْرُ
شِفَائِي مُقَامِي فِي الهَوَى وَهَوَ قَاتِلِي وَبَيْنَ سِقَامِي والشِّفَا يَنْفَدُ العُمْرُ
وَفِي كَبِدِي مِمَّا أُقَاسِي مِنَ الهَوَى ومِنْ زَفَرَاتِ الحُبِّ يَا وَاحِدِي جَمْرُ
غَزَا الحُبُّ قَلْبِي قَاصِدًا بِجُيُوشِهِ لِيَأسِرَهُ قَسْرًا فَأَذْهَلَهُ الأَسْرُ
وَحَقِّك لَا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ بَاقِيًا وَهَلْ يَتَسَلَّى من محبته فَخْرُ[1]

* السَّرِي السقطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الخطيب البغدادي: «كان من المشايخ المذكورين، وأحد العُبَّادِ المجتهدين»[2].

ونعته الذهبي في السير بأنه الإمام القدوة شيخ الإسلام.

وقال حسن بن البزَّار: «كان أحمد بن حنبل ههنا، وكان بشر بن الحارث ههنا، وكُنّا نرجو أن يحفظنا اللَّه بهما، ثم إنهما ماتا وبقي سري، فإني أرجو أن يحفظني اللَّه بسريّ[3].

وقال الحسن: «ما رأيت أعبد لله من السرى السقطيّ، أتت عليه ثمانٍ وتسعون سنة ما رؤي مضجعًا إلا في علة الموت»[4].

كان - رحمه اللَّه - يقول:

مَنْ لَمْ يَبِتْ وَالحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ لَمْ يَدْرِ كَيفَ تُفَتَّتُ الأَكْبَادُ[5]

---

(١) استنشاق نسيم الأنس: ص (١٠٤ - ١٠٥).
(٢) تاريخ بغداد: (١٠/ ٢٦٠).
(٣) تاريخ بغداد: (١٠/ ٢٦٦).
(٤) تاريخ بغداد: (١٠/ ٢٦٦)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٦).
(٥) الحلية: (١٠/ ١١٩).

ويقول:

مَا فِي النَّهَارِ وَلَا فِي اللَّيلِ لِي فَرَحٌ   فَمَا أُبَالِي أَطَالَ اللَّيلُ أَمْ قَصُرَا

حمل بوله إلى طبيب فقال: هذا بول محب، فقال السرى: قاتله الله ما أعرفه.

لَا يَعْرِفُ الشَّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ   وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

كان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا جنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ دَافَع أوَّله ثم دافع ثم دافع، فإذا غلبه الأمرُ أخذ في النحيب والبكاء[1].

قال تلميذه وابن أخته الجُنَيْد سيد الطائفة: «كنت يومًا عند السَّري بن مُغَلِّس وكُنّا خاليينْ، وهو مُتَّزِرٌ بمئزَر، فنظرت إلى جسده كأنه جَسَدُ سقيم دَنف مَضْني، كأجهد ما يكون، فقال: انظر إلى جسدي هذا لو شئت أن أقول إنَّ ما بي هذا من المحبَّة كان كما أقول، وكان وجهه أصفر، ثم أُشرِب حُمرة، ثم تورّد ثم اعتلّ، فدخلتُ عليه أعودهُ فقلتُ له: كيفَ تجدُك؟ فقال: كيف أشكو إلى طبيبي ما بي، والذي أصابني من طبيبي، فأخذت المرْوحة أرُوِّحه، فقال لي: كيفَ يجد روح المرْوحة مَن جوفُهُ تحترق من داخل؟! ثم أنشأ يقول:

القَلْبُ مُحْترقٌ وَالدَّمْعُ مستبَقٌ   وَالكَرْبُ مُجْتَمِعُ وَالصَّبرُ مُفْتَرِقُ

كَيفَ القَرَارُ عَلَىَ مَن لا قَرَارَ لَهُ   مِمَّا جَنَاهُ الهَوَى والشَّوْقُ والقلقُ

يَا رَبِّ إِنْ كَانَ شَيءٌ فِيهِ لِي فَرَجٌ   فَامْنُن عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ لِي رَمَقُ[2]

لله در السرى السقطي الورع التقيّ الخفيّ يصدق فيه وفي شوقه وكتمانه قول القائل:-

قَدْ كُنْتُ أَطْوِي عَلَى الوجد الضُلُوعَ وَلَا
أُبْدِي الهَوَى وَأَسُومُ القَلْبَ كِتْمَانَا

---

(١) الحلية: (١٠/ ١٢٦).

(٢) تاريخ بغداد: (١٠/ ٢٦٥)، والإحياء: (٤/ ٥١٣).

فَخَانَنِي الصَّبْرُ إِذْ نَادَيْتُه وَوَفَتْ
لي الشُّئُون فَعَادَ السِّرُّ إعْلَانَا
أَكْتُمُ الوَجْدَ وَالعَينَانِ تُظْهِرُهُ
لَلْحُبُّ أَعْظَمُ مِمَّا رُمْتُهُ شَانَا

وقول القائل:

قَالُوا سَهِرْتَ والعُيُونُ السَّاهِرَات نُوَّمُ
وَلَيسَ مِنْ جِسْمِكَ إِلَّا جِلْدَةٌ وَأَعْظُمُ
وَمَا عَلَيهِمُ سَهَرِي وَلَا رُقَادِي لَهُمُ
خُذْ أَنْتَ فِي شَأْنِكَ يَا دَمْعِي وَخَلِّ عَنْهُمُ

لله دره من عابدٍ أقلقه الخوفُ والفَرَق، وأطافَت بقلبه من الشوق الحُرَق، يا نوره إذا جنَّ الغَسَق، يا حُسْن دمعه محدقًا بالحدق، كتبت عذرها في الخَدِّ لَا في الورق، ذاب جسمه فلم يبق إلا رَمَق.

بِقَلْبِي مِنْهُمُ عَلَقٌ وَدَمْعِي فِيهِم عَلَقُ
وَبِي مِنْ حُبِّهِم حَرَقٌ لَهَا الأَحْشَاءُ تَحْتَرِقُ
وَمَا تَرَكُوا سِوَى رَمْقِي فَلَيْتَهُمُ لَهُ رَمَقُوا

● يا عجبًا من خِلّي يعذل الشجيّ، ويحك خلِّ شانه وشانه

بَلَانِي الحُبُّ فِيكَ بِمَا بَلَانِي فَشَأْنِي أَنْ تَفِيضَ غُرُوبُ شَانِي
أَبِيتُ اللَّيلَ مُرْتَفِقًا أُناجي بِصِدْقِ الوَجْدِ كَاذِبَةَ الأَمَانِي
فَتَشْهَدُ لِي عَلَى الأَرَقِ الثُّرَيَّا وَيَعْلَمُ مَا أَجَنَّ الفَرْقَدَانِ
فَيَا وَلَعَ العَوَاذِلَ خَلِّ عَنِّي وَيَا كَفَّ الغَرَامِ خُذِي عَنَانِي

وَلَا راحَة للمحب المشتاق في دار الدنيا، إن أحسّ الحجاب بكى على البُعد وإن فُتِح له باب القرب خاف الطرد.

فَيَبْكِي إنْ نَأَوْا شَوقًا إلَيهِم وَيَبْكِي إنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِرَاقِ

كل المخلوقات تحنُّ إلى أصل الجمال ومنبعه، من له جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال من اسمه الجميل، من اسمه النور.

كُلٌّ كَنَى عنْ شَوْقِهِ بِلُغَاتِه وَلَرُبَّمَا أَبَكَى الفَصِيحَ الأعجمُ

ما صحب أهل الشوق إلى اللّه والدار الآخرة إلّا من يحملهم إلى اللّه والآخرة حَمْلا ويحدو بهم إلى بلاد الأفراح.

وَذُو الشَّوقِ القَدِيمِ وَإنْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى العَاشِقِينَا

● شوق داود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان داود الطائي يقول في جوف الليل: «اللَّهُمّ هَمُّكَ عَطَّلَ عَلَيَّ الهُمُومَ، وَحالف بيني وبين السُّهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني، وحال بيني وبين اللذات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب».

قَالُوا تَشَاغَلَ عَنَّا وَاصْطَفَى بَدَلًا مِنَّا وَذَلِكَ فِعْلُ الخَائِنِ السَّالِي

وَكَيْفَ أَشْغِلُ قَلْبِي عَنْ مَحَبَّتِكُم بِغَيرِ ذِكْرِكُمْ يَا كُلَّ أشْغَالِي

● عُتْبَة الغلام رَحِمَهُ اللَّهُ:-

كان عتبة الغلام يقول في ليلة على ساحل البحر: «**إنْ تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب**» فلم يزل يرددها ويبكي حتى مطلع الفجر.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يبكي من السَّحر بكاءً شديدًا ويقول لـمَّا يُسأَلُ في ذلك: «إني واللّه ذكرت يوم العرض على اللّه»

ثم يقول وقد غشى عليه: «قطّع ذكرُ يوم العرض على اللّه أوصال المحبين»

ويقول:

«تراك مولاي تُعذِّب محبيك وأنت الحَيِيُ الكريم»[(١)].

هَنِيئًا لِمَنْ أَضْحَى وَأَنْتَ حَبِيبهُ ... وَلَوْ أَنَّ لَوعَاتِ الغَرَامِ تُذِيبُهُ
وَطُوبَى لِصَبٍّ أنتَ سَاكِنُ سِرِّهِ ... وَلَو بَانَ عَنْهُ إلفُهُ وَقَرِيبُهُ
وَمَا ضَرَّ صَبًّا أَنْ يَبِيتَ وَمَا لَهُ ... نَصِيبٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ نَصِيبُهُ
وَمَنْ تَكُ رَاضٍ عَنْهُ فِي طَيِّ غَيبِهِ ... فَمَا ضَرَّهُ فِي النَّاسِ مَنْ يَسْتَغِيبُهُ
فَوَاعِلَّةً فِي الصَّدْرِ أَنْتَ شِفَاؤُهَا ... وَوَامَرَضًا فِي القَلْبِ أَنْتَ طَبِيبُهُ
عُبَيْدُكَ فِي بَابِ الرَّجا مُتَضَرِّعٌ ... إذَا لَمْ يُجِبْهُ أَنْتَ مَنْ ذَا يجيبُهُ[(٢)]

قال صالح المري: بلغني عن كعب أنه كان يقول: **«من بكى اشتياقًا إلى الله عز وجل أباحه الله النظر إليه ـ تبارك وتعالى ـ»**.

قال حبيب بن عبيد: «كان دليجة إذا مشى طاشت قدماه من العبادة، فقيل له: ما شأنك؟! قال: الشوق. فقيل له: أبشر، فإن الأمير قد بعث إلى سرح المسلمين ليأذن لهم.

فيقول: ليس شوقي إلى ذلك، إن شوقي إلى مَن يَحُثُّها».

* لله در عثمان بن صخر العتكي:ـ

قال رحمه الله: «طوبى لمحبي الرب الذين عبدوه بالفرح والسرور والأنس والطمأنينة، فصاروا الصفوة من الخلق والخاصة من البريّة، يحنون إليه حنين الولهان، ويشتاقون إليه شوق من ليس صبر عنه، قد كُسروا بالخوف، وروحوا بالظَّفَر.

* «وكانت امرأة من المتعبدات بمكة تقول: «أوَ ليس عجبًا أن أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تُطفأ حتى أصير

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٣٧٠).
(٢) استنشاق نسيم الأنس: ص (١٠٤).

إلى الطبيب الذي بيده برؤ دائي وشفائي».

وقال ذو النون: «إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه، خاف الله، فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبة الله، فإذا سكنت درجة الهيبة، دامت طاعته لربه، فإذا أطاع؛ تَولّد من الطاعة الرجاء، فإذا سكنت درجة الرجاء تولّد من الرجاء المحبة، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه؛ سكن بعدها درجة الشوق، فإذا اشتاق أدّاه الشوق إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله؛ اطمأن إلى الله، فإذا أطمأنّ إلى الله، كان ليلة في نعيم، ونهاره في نعيم، وسِرُّه في نعيم، وعلانيته في نعيم».

* وروى أبو نعيم بإسناده عن عبدالعزيز بن محمد قال: رأيت في المنام قائلًا يقول: من يحضر، من يحضر؟ فأتيته فقال لي: أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأنبياء؟ فأدركه لعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه، فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول:

مَا نَالَ عَبْدٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنْزِلَةً ... أَعْلَى مِنَ الشَّوقِ إنَّ الشَّوقَ مَحْمُودُ

ثم سلّم ونزل، فقلتُ لرجلٍ إلى جَانِبِي: مَنْ هَذا؟ قال: أمَا تعرفه؟! قلت: لا. قال: هذا دَاود الطائي.

فعجبت في منامي منه، فقال: أتعجب مما رأيت؟ والله إن الذي عند الله من الزلفى لداود أكبر من هذا وأكثر [١].

◎ عبدالله بن المنازل:-

جاء رجل إلى عبدالله بن المنازل، فقال: رأيت في المنام كأنك تموت إلى سنة، فقال عبدالله: لقد أجَّلْتَني إلى أجلٍ بَعيد، أعيش إلى سنة! لقد كان لي أُنس ببيت سمعته من أبي على الثقفي:

يَا مَنْ شَكَا شَوْقَهُ مِنْ طُولِ فُرْقَتِهِ ... اصْبِرْ لَعَلَّكَ تَلْقَى مَنْ تُحِبُّ غدًا [٢]

---

(١) استنشاق نسيم الأنس: ص (٣٥٩ - ٣٦١).

(٢) طريق الهجرتين: ص (٣١٣).

● مطهر السعدي:

قال عبدالعزيز بن سلمان العابد وكان يرى الآيات والأعاجيب ـ قال: حدَّثَني مطهر السعدي، وكان قد بكى شوقًا إلى اللَّه ستين عامًا، قال: أُريت كأني على ضفَّة نهر يجري بالمسك الأذفر حافتاه شجرٌ ولؤلؤ ونبتَ من قضبان الذهب وإذا أنا بجوار مُزَيّنات يقلن بصوت واحد:

سُبْحَانَ المُسَبَّحُ بِكُلِّ لِسَانٍ سُبْحَانَه

سُبْحَانَ الدَّائِمُ فِي كُلِّ الأَزْمَانِ سُبْحَانَهُ

قال: فقلتُ: مَن أَنْتُنَّ؟ فَقُلن: خلْق من خلق الرحمن سبحانه، فقلتُ: ما تصنَعْنَ ها هنا؟ فقلن:

ذَرَأَنَا إِلَهُ النَّاس ربُّ محمَّدٍ لِقَومٍ عَلَى الأَطْرَافِ بِاللَّيلِ قُوَّمُ

يُنَاجُونَ رَبَّ العَالَمِينَ إِلَهَهُم وَتَسْرِي هُمُومُ القومِ وَالنَّاسُ نُوَّمُ

قال: قلت: بخ بخ لهؤلاء مَن هؤلاء؟ لقد أقرّ اللَّه أعينهم بِكُنّ؟

فقلن: أوَما تعرفهم؟ قلت: لا واللَّه ما أعرفهم. قلن: بلى، هؤلاء المتهجدون أصحابُ القرآنِ والسهر» [1].

● الشيخ إبراهيم عزت المحب المشتاق:ـ

قال الشيخ إبراهيم عزت المحبّ المتهجد الذي عرفته الليالي باكيا متهجّدًا ذاكرا.. ذاب حُبًّا وشوقًا إلى مولاه: ـ

مُشْتَاقَةٌ إليكَ سَيِّدِي جَوَارِحِي

مُشْتَاقَةٌ إِلَيكَ فِي القُلُوبِ لَمْحَةُ

مُحْتَاجَةٌ مِنْ نُورِكَ الفَيَّاضْ

بَعْدَ مَا يَبْل غُلَّةُ الظَّمأْ

---

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص (٣٥٣، ٣٥٤).

تَشَقَّقَتْ في الصَّدْرِ سَيِّدِي مَوَاطِنُ الزُّرُوعِ
بَعْضُ النَّدَى أو قَطْرَةُ مِنَ المَطَرِ
تَرُدُّ قِصَّةَ الحَيَاةِ
حَتَّى يَحِينُ مَوْعِدِي مَعَ اللِّقَاءِ
وَعِنْدَ ذَاكَ سَيِّدِي وَعِنْدَ ذَاكَ
سَيَنْتَهِي السُّؤَالُ
سَتَهْدَأُ الوَدَائِعُ الَّتِي فِي دَاخِلِ الصُّدُورِ
سَتَسْتَقِرُّ فِي مَرَافِئِ الأَمَانِ (١)

* * *

(١) قصيدة «لحظة الوصال» للشيخ إبراهيم عزت من كتاب «الشيخ إبراهيم عزت حياته وشعره» ص (١٠٨ - ١٠٩).

شوق غالب عند الممات

◉ أبو جهث المشتاق إلى الجنة يموت عند ذكر آية فيها وصف الجنة:

رحمك الله أبا جهث مسعود الضرير .. كم كنت مشتاقًا سيدي إلى الجنة: -

عن إسماعيل بن نصر العبدي، قال: نادى منادٍ في مجلس صالح المرّي: ليقم الباكون والمشتاقون إلى الجنة، فقام أبو جهث؛ فقال: اقرأ يا صالح: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٣، ٢٤].

فقال أبو جهث: ردّدها يا صالح. فما فرغ من الآية، حتى مات أبو جهث»[١].

* وقال أحمد بن أبي الحواري: «دخلت على بعض المتعبدين، وهو مريض، فقلت: كيف تجدك؟ فقال: بحال شريفة، أسير كريم حبيس جوارحه مع أعوان صدق، والله لو لم يكن بي مما ترون عِوَضًا إلا ما أُودع قلبي من محبته لكنتُ خليقًا أن أدوم على الرضا عنه، وما الدنيا؟! وما غاية البلاء فيها؟ هل هو إلّا ما ترون من هذه العِلّة، ويوشك إنْ اشتد بي الأمر أن ترحلين إلى سرر، ولنعمت العلّة عِلّة رحلت بمحب إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه»[٢].

ولما احتُضر الإمام الحافظ زكريّا بن عديّ، قال: اللّهم إني إليك مشتاقٌ.

◉ شوق ذي النون المصري عند الموت: -

لله ما أحلى حال ذي النون عند الموت، قال فتح بن شخرف: دخلت على ذي النون عند موته، فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

---

(١) «الجامع لشعب الإيمان»، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٣).

(٢) «العاقبة» لعبد الحق الأشبيلي ص (٦٣).

أَمُوتُ وَمَا مَاتَتْ إِلَيكَ صَبَابَتِي
وَلَا رُوِيتَ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أَوْطَارِي

مُنَايَ المُنى كُلُّ المُنَى أَنْتَ لِي مُنًى
وَأَنْتَ الغِنَى كُلُّ الغِنَى عِنْدَ إِقْتَارِي

وَأَنْتَ مَدَى سُؤْلِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي
وَمَوْضِعُ آمَالِي وَمَكْنُونُ إِضْمَارِي

تَحَمَّلَ قَلْبِي فِيكَ مَا لَا أَبُثُّهُ
وإِنْ طَالَ سَقَمِي فِيكَ أَوْ طَالَ إِضرَارِي(١)

وَبَينَ ضُلُوعِي مِنْكَ مَا لَا أَبُثُّهُ
وَكَمْ أُبْدِ بَادِيهِ لِأَهْلٍ وَلَا جَارِ

سَرَائِرُ لا يَخْفَى عَلَيكَ خَفِيُّها
وَإِنْ لَمْ أَبُحْ حَتَّى التَّنَادِي بَأَسرَارِي

فَهَبْ لِي نَسِيمًا مِنكَ أَحيى بِرَوْحِهِ
وَجُدْ لِي بِيُسْرٍ مِنْكَ يَطْرُدُ إِعْسَارِي

أَنَرْتَ الهُدَى لِلْمُهْتَدِينَ وَلَمْ يَكُنْ
مِنَ العِلْمِ فِي أَيْدِيهِمْ وعُشْرَ مِعْشَارِ

وَعلَّمْتَهُم عِلْمًا فَبَاتُوا بِنُورِهِ
وَبَانَ لَهُم مِنْهُ مَعَالِمُ أَسْرَارِ

---

(١) في «صفة الصفوة»
تَضَمَّن قَلْبِي مِنْكَ مَالَكَ قَدْ بَدَا ... وَإِنْ طَالَ سِرِّي فِيكَ أَوْ طَالَ إِظْهَارِي

مُعَايَنَةٌ لِلْغَيْبِ حَتَّى كَأَنَّهَا
لَمَّا غَابَ عَنْهَا مِنْهُ حَاضِرَةَ الدَّارِ
فَأَبْصَارُهُم مَحْجُوبَةٌ، وقُلُوبُهُم
تَرَاكَ بِأَوْهَامٍ حَدِيدَاتِ أَبْصَارِ
أَلَسْتَ دَلِيلَ المَرْءِ إنْ هُمْ تَحَيَّرُوا
وَعِصْمَةَ مَنْ أَمْسَى عَلَى جُرْفٍ هَارِ

* قال الفتح بين شخرف: فلما ثقل، قلت له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

وَمَا لِي سِوى الإِطْرَاقِ والصَّمْتِ حِيلَةٌ
وَوَضْعِي عَلَى خَدِّي يَدِي عِنْدَ تَذْكَارِي
وَإِنْ طَرقَتْنِي عَبْرةٌ بَعْدَ عَبرةٍ
تَجَرَّعْتُها حَتَّى إِذَا عِيلَ تَصْبَارِي
أَفَضْتُ دموعًا جَمَّةً مُسْتَهِلَّةً
أُطْفِيءُ بِهَا حَرًّا تَضَمَّن أَسْرَارِي
وَلَسْتُ أُبَالِي فَائِتًا بَعْدَ فَائِتٍ
إِذَا كُنْتَ في الدَّارَيْنِ يَا وَاحِدِي جَارِي(١)

● حجّة الإسلام الغزالي:

«سمعًا وطاعة للدخول على الملك»:-

قال أحمد ـ أخو الإمام أبي حامد الغزالي ـ: «لما كان يوم الاثنين وقت الصبح

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٣٩٠)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٢٠)، و«الثبات عند الممات» ص (١٦٤ - ١٦٥).

توضأ أخي - أبو حامد - وصَلَّى، وقال: عليَّ بالكفن، فأخذه وقبَّله، وتركه على عينيه، وقال: سمعًا وطاعة للدخول على المَلِك، ثمَّ مدَّ رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار»[(١)] رحمه اللَّه.

● **أبو يحيى زكريا بن يحيى الناقد تلميذ الإمام أحمد:**

«اشترى من اللَّه حوراء بأربعة آلاف ختمةٍ»:-

قال ابن الجوزي عنه: «**كان عابدًا، وكان أحمد بن حنبل يقول عنه: هذا رجلٌ صالح**».

وكان يقول: اشتريت من اللَّه - تعالى - حوراء بأربعة آلاف ختمةٍ، فلما كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء وهي تقول: «**وَفَّيْت بعهدك أنا التي اشتريتني**». فيُقال إنه مات عن قريب»[(٢)].

● **عليّ بن الفتح الحلبي وشوقه إلى لقاء اللَّه:-**

«قال أبو زرعة الدمشقي: خرج علي بن الفتح الحلبي يوم النَّحر، فرأى الناس يتقرَّبون إلى اللَّه - تعالى -، فقال: يا رب أرى الناس يتقربُّون بألوان الذبائح، وإني تقرَّبت إليك بحزني، ثم غُشِي عليه، فأفاق، ثم قال: إلهي إلى متى تردني في دار الدنيا محزونا؟ فاقبضني إليك، فوقع من ساعته ميِّتا»[(٣)].

● **وبشر بن منصور السُّلَيمِيَ**

الذي قال عنه عبدالرحمن بن مهدي: «ما رأيت أحدًا أخوف لله منه» قال له رجلٌ عند الموت: «كأنك تُسَرُّ من الموت؟! قال: فعجب من تعجُّبي، وقال: أتعجَّلُ قدومي على خالقي، أرجو خيره، كمقامي مع مخلوق أخافه؟!»[(٤)].

---

(١) «الثبات عند الممات» ص (١٧٨ - ١٧٩).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص (٦١٦).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٠).

(٤) «وصايا العلماء عند الموت» ص (١٠٤).

● **سعيد العابد: «لولاك ما طابت ولا طاب الطَّرَب»**

قال ميسرة الخادم: غزونا في بعض الغزوات، فصادفنا العدوُّ، فإذا بفتى مقنَّع في الحديد، فحمل على الميمنة، حتى ثناها، وحمل على المسيرة، حتى ثناها، وحمل على القلب حتى ثناه، ثم أنشأ يقول:

أَحْسَنْ بِمَوْلَاكَ سَعِيدُ ظَنًّا ... هَذَا الَّذِي كُنْتُ لَهُ تَمَنَّى

تَنَحِّ يَا حُورَ الجِنَانِ عَنَّا ... مَالَكِ قَاتَلْنَا وَلَا قُتِلْنَا

لَكِن إِلَى سَيْدِكَ اشْتَقْنَا ... قَدْ عَلِمَ السِّرَّ وَمَا أَعْلَنَّا

قال: فحمل فقاتل فقتل منهم عددًا، ثم رجع إلى مصافه، فتكالب عليه العدوّ، فإذا به قد حمل على الناس وأنشأ يقول:

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو، وَرَجَائِي لَمْ يَخِبْ ... أَنْ لَا يَضِيعَ الْيَوْمَ كَدِّي والتَّعَبْ

يَا مَنْ مَلَا تِلْكَ القُصُورَ بِاللَّعِبِ ... لَوْلَاكَ مَا طَابَتْ وَلَا طَابَ الطَّرَبْ

قال: فحمل فقتل منهم عددًا ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو، فحمل الثالثة وأنشأ يقول:

يَالُعْبَةَ الخُلْدِ قِفِي ثُمَّ اسْمَعِي ... مالَكِ قَاتَلْنَا فَكُفِّي وأرْبَعِي

ثُمَّ ارْجِعِي إِلَى الجِنَانِ فَأَسْرِعِي ... لَا تَطْمَعِي، لَا تَطْمَعِي، لَا تَطْمَعِي[١]

● تعليق:

هذا عابد مجاهد قد غلب عليه الشوق إلى مولاه فأنساه ما دونه.. هو يطلب الجار قبل الدار كقول آسية: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾.. وقد يغلب أمرٌ ما على اللب والعقل كحال آخر من يخرج من النار.. فقد غلب عليه الخوف من النار وكيف يخرج منها حتى يسأل مولاه أن يصرف وجهه على النار لا يسأله شيئًا غير ذلك، ويأخذ الله عليه العهد والميثاق على ذلك، فلما أخرجه منها سأل

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢٢ - ٤٢٣).

ربه الجنة وعذره مولاك. . وهذا تأويل مستساغ لمثل هذا القول الذي صدر من العابد والله تعالى أعلم.

● فتح الموصلي الوليّ الكبير مُعَلّق القلب بالآخرة:ـ

فتح بن سعيد الموصلي الولي الرباني الكبير .. من كبار أولياء هذه الأمة أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل.

قال عنه أبو إسماعيل صاحبه وخادمه: كان والله كهيئة الروحانيين مُعَلّق القلب بما هناك، ليست له في الدنيا راحة.

قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل، ورجع بعدما تفرّق الناس ورجعت معه، فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة فبكى، ثم قال: قد قرّب الناس قربانهم، فليت شعري ما فعَلتَ في قرباني عندك أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًا عليه، فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق، ثم قال: قد علمتَ طول غمّي وحُزني وترددادي في أزقّة الدنيا، فحتى متى تَحبِس أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًا عليه فجئت بماء فمسحت على وجهه فأفاق، فما عاش بعد ذلك إلّا أيامًا حتى مات.

● أبو عبدالله الدُّكالي: «حالي حالُ من اشتاق إلى لقاء الله في هذه الحالة»:ـ

روى أبو عبدالله الأنصاري المعروف بالرّصّاع عن أبي الحسن الحياتي أنه قال: دخلت مصر فوجدت ـ الشيخ سيدي ـ أبا عبدالله محمد الدُّكالي مريضًا، فوقفت على موضعه، فاستأذنت فخرجت زوجته، ودخلت عليه فسألته عن حاله. فقال لي: يا فقيه حالي حال من اشتاق إلى لقاء الله في هذه الحالة.

قال أبو الحسن ثم خرجت، فأنا بالباب وإذا بالزوجة أدركتني وقالت: يا سيدي، الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قضى نحبه»[1].

---

(١) «فهرست أبي عبد الله الرّصّاع ص (٧٣).

● **أبو بكر بن مسلم الحضرمي: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾: -**

لما احتُضِر أبو بكر بن مسلم الحضرمي ابتدأ القرآن فانتهى في سورة طه إلى قول الله - تعالى -: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]، ففاضت نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاثمائة(١).

● **النضر بن راشد العبدي وشوقه إلى الحور العين عند استشهاده: -**

كان النضر بن راشد العبدي قد دخل على امرأته والناس يقتتلون، فقال لها: كيف أنت إذا أُتيت بأبي ضمرة في لبد مُضرّجًا بالدماء؟ فشقّت جيبها ودعتْ بالويل، فقال: حسبك، لو أعولت عليّ كل أنثى لعصيتها شوقًا إلى الحور العين، ورجع فقاتل حتى استشهد رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

● أبو سعيد الخرّاز: «**لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقًا**»:

قال رُويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخرّاز وهو يقول:

حَنِينُ قُلُوبِ العَارِفِينَ إِلَى الذِّكْرِ
وَتَذْكَارُهُم وَقْتَ المُنَاجَاةِ لِلسِّرِّ

أُدْبِرتْ كُئُوسٌ لِلْمَنَايَا عَلَيْهِمُ
فَأَغْفَوْا عَنْ الدُّنْيَا كَإِغْفَاءِ ذِي الشُّكْرِ

هُمُومُهُم جَوَّالَةٌ بِمُعَسْكَرٍ
بِهِ أَهْلُ وُدِّ اللَّهِ كَالأَنْجُمِ الزُّهرِ

فَأَجْسَامُهُم فِي الأَرْضِ قَتْلَى بِحُبِّه
وَأَرْوَاحُهُمْ في الحُجْبِ نَحْوَ العُلَا تَسْرِي

---

(١) «ترتيب المدارك» (٦/ ٢٧١).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٤١).

فَمَا عَرَّسُوا إِلَّا بِقُرْبِ حَبِيبِهِم
وَمَا عَرَّجُوا مِن مسِّ بُؤْسٍ وَلَا ضُرِّ

وقيل للجنيد: إن أبا سعيد الخزّار كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقًا»[١].

● زهراء الوالهة وموتها شوقًا إلى ربها:-

قال ذو النون المصري: بينا أنا في بعض أودية بيت المقدس إذْ سمعتُ صوتًا يقول: يا ذا الأيادي التي لا تُحصَى، ويا ذا الجود والبقاء مَتِّع بصر قلبي من الجولان في بساتين جبروتك، واجعل همتي متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذني من مسالك المتجبِّرين بجلال بهائك يا رءوف، واجعلني لك في جميع الحالات خادمًا وطالبًا، وكن لي يا منوّر قلبي وغاية طلبي في الفضل صاحبًا...

أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عني شرّ ما أجد فقد استوحشت من الحياة. ثم خرّت ميتة.

فبقيت متحيِّرًا. فأقبلت عجوز كالوالهة فنظرت إليها، ثم قالت: الحمد لله الذي كرَّمها. قلتُ: مَن هذه؟ فقالت: ألم تسمع بزهراء الوالهة؟ هذه ابنتي توهّم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة، وإنما قتلها الشوق إلى ربها[٢].

● عابدة من عابدات السواحل:-

«قال ذو النون: بينا أنا أسير على ساحل البحر إذْ بصرتُ بجارية عليها أطمار شَعر وإذا هي ذابلة ناحلة. فدنوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت، ثم سقطت على الأرض، فلما أفاقت نحبت ثم قالت: يا سيدي بك تفرَّد المتفرِّدون في الخلوات، ولعظمتك سبَّحت النِينَان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفت

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٥١٢) - دار الريّان للتراث.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٥٣ - ٣٥٤).

الأمواج المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوَّار، والبحر الزخَّار، والقمر النوَّار، وكل شيء عندك بمقدار.

يَا مُؤْنِسَ الأَبْرَارِ فِي خَلْوَاتِهِم ... يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ النُزَّالُ

فقلت: زيدينا من هذا. فقالت: إليك عني. ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الوِدَادِ ... وحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَا

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الوِدَادِ ... فحُبٌّ شُغِلتُ بِهِ عَنْ سِوَاكَا

وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَّى أَرَاكَا

فَمَا الحَمْدُ في ذَا وَلَا ذَاكَ لِي ... وَلَكِنْ لكَ الحَمْدُ في ذَا وَذَاكَا

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا[١].

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٤/٣٧٤ - ٣٧٥).

المشتاقات من العابدات

• ابنة أم حسّان الأسدية ـ رحمها الله ـ: ـ

قال عنها سفيان الثوري: «كان إذا جنّ عليها الليل دخلت محرابًا لها وأغلقت عليها ثم نادت: إلهي خلا كل حبيب بحبيه، وأنا خالية بك يا محبوب»(١).

• عجردة العمية ـ رحمها الله ـ:

قال رجاء بن مسلم العبدي: كُنّا نكون عند عجردة العَمِية في الدار، فكانت تحيي الليل صلاة، وربما قال: تقوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان السَّحَر نادت بصوت لها محزون:

«إليك قطع العابدون دُجَى الليالي بتبكير الدُّلَج إلى ظُلَم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقرّبين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، يا كريم»، ثم تخرُّ ساجدة فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها، حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة»(٢).

• حبيبة العدوية ـ رحمها الله ـ:

قال عبدالله المكيُّ أبو محمد: كانت حبيبة العدوية إذا صلَّت العتمة قامت على سطح، فشدَّت عليها درعها وخمارها فقالت: «إلهي غارت النجوم، ونامت العيون، وغلَّقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك» ثم تقْبل على صلاتها(٣).

---

(١) حلية الأولياء: (٧/ ٩).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٣١).

(٣) «تنبيه المغترين» للشعراني: ص (١١٦).

● **جارية خالد الورَّاق:**

قال خالد الورَّاق: كانت لي جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يومًا فأخبرتها برفق اللَّه وقبوله يسير العمل، فبكت ثم قالت: يا خالد إني لأومِّل من اللَّه ـ تعالى ـ آمالًا لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أنّ في كرم اللَّه مستغاثًا لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلتُ: وما حسرة السباق؟ قالت: غداة الحشر إذا بُعثر ما في القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهدًا أبدًا، ولوْ حبا المجدُّ حَبْوًا، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون، وقد رُفِعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلى اللَّه المحبون، وخُلِّفت مع المسيئين المذنبين» ثم بكت.

● **شعوانة ـ رحمها اللَّه ـ:**

أما شعوانة فكانت تقول: «أنبتَّ لكلِّ داءٍ دواءً في الجبال، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت»[(١)].

وكانت رحمها اللَّه تقول في مناجاتها:

«إلهي ما أشوقني إلى لقائك، وأعظم جزائي لجزائك، وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين...[(٢)]

● **عبيدة بنت أبي كلاب ـ رحمها اللَّه ـ:**

قطعت الدنيا بكاءً وشوقًا إلى ربها، حتى ماتت.

قالت سلَّامة العابدة: بكت عُبيدة بنت أبي كلاب أربعين سنة، حتى ذهب بصرها.

وقال سلمة الأفقم: قلت لعبيدة بنت أبي كلاب ما تشتهين؟ قالت: الموت.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/٥٥).

(٢) «عودة الحجاب» للشيخ محمد إسماعيل المقدم: (٢/ ٣٠١).

قلت: ولم؟ قالت: لأني والله في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة.

وقال عبدالعزيز بن سلمان: اختلفت عبيدة وأبي إلى مالك بن دينار عشرين سنة.

قال أبي: فما سمعتها تسأل مالكًا عن شيء قط إلا مرَّة، قالت: يا أبا يحيى متى يبلغ المتقي للدرجة العليا التي ليس فوقها درجة؟ قال مالك: بخ بخ يا عبيدة، إذا بلغ المتقي تلك الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة لم يكن شيء أحب إليه من القدوم على الله. قال: فصرخت عبيدة صرخة سقطت مَغشيا عليها[1].

● أمة الجليل بنت عمرو العدوية ـ رحمها الله ـ:

قال سمع بن عاصم: قالت أمة الجليل بنت عمرو العدوية: ساعات الوليِّ ساعات شغل عن الدنيا، ليس للوليِّ في الدنيا حاجة. ثم أقبلت على كلاب فقالت: بنفسي أنت يا كلاب، مَن حدَّثك أو أخبرك أن وليَّه له همٌّ عليه فلا تصدِّقه[2].

● ريحانة ـ رحمها الله ـ:

قالت ـ رحمها الله ـ:

حَسْبُ المُحِبِّ مِنَ الحَبِيبِ بِعِلْمِهِ ... أَنَّ المُحِبَّ بِبَابِهِ مَطْرُوحُ

والقَلْبُ فِيهِ إِنْ تَنَفَّسَ فِي الدُّجى ... بِسِهَامِ لَوْعَاتِ الهَوَى مَجْرُوحُ

وأنشدت ـ رحمها الله ـ أيضًا:

بِوَجْهِكَ لَا تُعذِّبْنِي فَإِنِّي ... أُؤَمِّلُ أَنْ أَفُوزَ بِخَيْرِ دَارْ

مُنَجَّدةٍ مُزَخْرَفَةِ العَلَالِي ... بِهَا المَأْوَى ونِعْمَ هِيَ القَرَارْ

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٤).
(٢) «صفة الصفوة» (٤/٢٦).

وأَنْتَ مُجَاوِرُ الأَبْرَارِ فِيهَا وَلَوْلَا أَنْتَ مَا طَابَ المَزَارُ

كانت تقوم أول الليل وتقول:

قَامَ المحِبُّ إِلَى المؤَمَّلِ قَوْمَةً كَادَ الفُؤَادُ مِنَ السُّرُورِ يَطِيرُ

وفي جوف الليل تقول:

لَا تَأْنَسَنَّ بِمَنْ تُوحِشْكَ نَظْرَتُه فَتُمْنَعَنَّ مِنَ التَّذْكَارِ في الظُّلَمِ

وَاجْهَدْ وكِدّ وكُنْ في اللَّيلِ ذَا شَجَنٍ يُسْقِيكَ كَأْسَ وِدَادِ العِزِّ والكَرِمِ

ثم نادت: وَاحرباه واسَلبَاهَ. فقيل لها ممّ ذا؟ قالت:

ذَهَبَ الظَّلَامُ بِأُنْسِهِ وَبِإِلْفِهِ لَيْتَ الظَّلَام بِأُنْسِهِ يَتَجَدَّدُ[١]

• منيفة بنت أبي طارق:

كانت بالبحرين، وكانت رحمها اللَّه - إذا هجم عليها الليل قالت: «بخ بخ يا نفسُ قد جاء سرور المؤمن، فتقوم في محرابها فكأنها الجزع القائم، حتى تصبح»[٢].

• بردة الصريمية - رحمها اللَّه -:

كانت - رحمها اللَّه - بالبصرة، وكانت تقوم الليل، فإذا سكنت الحركات، وهدأت العيون نادت بصوتٍ لها حزين: «هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كلُّ حبيب بحبيب، وقد خلوتُ بك يا محبوبي، أفتراك تعذبني وحبك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه»[٣].

• **عابدة من البصرة:**

كانت تقول:

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/٥٧).
(٢) «صفة الصفوة» (٤/٧٣).
(٣) «صفة الصفوة» (٤/٣٦).

زَهِدَ الزَّاهِدُونَ وَالعَابِدُونَ إِذْ لِمَوْلَاهُمْ أَجَاعُوا البُطُونَا
أَسْهَرُوا الأَعْيُنَ القَرِيحَةَ فِيهِ فَمَضَى لَيْلُهُم وَهُم سَاهِرُونَا
حَيَّرَتْهُم مَحَبَّةُ اللَّهِ حَتَّى عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ فِيهِم جُنُونَا
هُمْ أَلِبَّا ذوو عقولٍ وَلَكِنْ شَجَاهُم جَمِيعُ مَا يَعْرِفُونَا[1]

● البيضاء بنت المفضل عابدة الشام ـ رحمها الله ـ:

سألتها أسماء الرملية ـ وكانت عابدة ـ: يا أختي، هل للمحب لله دلائل يُعَرف بها؟ قالت: يا أختي، والمحبُّ للسيد يَخفى!!، لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفى، قالت: صِفِيهِ لي. قالت: «لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجبًا عجيبًا مِن وَالهٍ ما يُقِرُّ على الأرض، طائر مستوحش، أنسه في الوحدة، قد مُنِع الراحة، طعامه الحُبُّ عند الجوع، وشربه الحُبُّ عند الظمأ، لا يملّ من طول الخدمة لله ـ تعالى ـ»[2].

● عابدة:

قالت عابدة لذي النون المصري: «أول المحبة يبعث على الكدِّ الدائم، حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جرّعهم من محبته لذيذ الكئوس»[3].

● خنساء بنت خدّام ـ رحمها الله ـ:

كانت خنساء بنت خدّام إذا جَنّ عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تقول: «يا حبيب المطيعين، إلى كم تحبس خدود المطيعين في التراب؟ ابعثهم، حتى ينجزوا موعدك الصادق الذي أتعبوا له أنفسهم ثم نصبوا» فتبكي الدور التي حولها.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/٥١).
(٢) «صفة الصفوة» (٤/٣٥٠).
(٣) «صفة الصفوة» (٤/٤٢٩).

● **عابدة مشتاقة إلى ربها:**

قالت - رحمها الله - «يأبى الله عز وجل أن يدنس طرائف حكمته وخفيَّ معرفته ومكنون محبته بممارسة قلوب البطَّالين. ثم قالت: «أوّه من شوق لا يبرأ إلا بك، ومن حنين لا يسكن إلا إليك، فأين لوجهي الحياء منك؟ وأين لعقلي الرجوع إليك؟[(١)]

● **أم أيمن بنت علي امرأة أبي علي الروذباري - رحمها الله -:**

هي أم أيمن عزيزة بنت علي امرأة أبي علي وكانت من الصالحات العابدات - رحمها الله - قالت: «كيف لا أرغب في تحصيل ما عندك وإليك مرجعي؟ وكيف لا أحبك وما لقيت خيرًا إلا منك؟ وكيف لا أشتاق إليك وقد شوَّقتني إليك»[(٢)].

● **عابدة وذو النون:**

قالت عابدة لذي النون: «أخدم مولاك شوقًا إلى لقائه، فإنّ له يومًا يتجلَّى فيه لأوليائه، وإنه - تعالى - سقاهم في الدنيا من محبته كأسًا لا يظمأون بعدها أبدًا، ثم قالت:

إِذَا كَانَ دَاءُ العَبْدِ حُبَّ مَلِيكِهِ ... فَمَنْ دُونَهُ يَرْجُو طَبِيبًا مُدَاوِيًا[(٣)]

● **رابعة العدوية المشتاقة إلى ربها:**

يَاسُرُورِي وَمُنْيَتِي وَعِمَادِي ... وَأَنِيسِي وَعُدَّتِي وَمُرَادِي
أَنْتَ رُوحُ الفُؤَادِ أَنْتَ رَجَائِي ... أَنْتَ لِي مُؤْنِسٌ وَشَوْقُكَ زَادِي
كَمْ بَدَتْ مِنَّةٌ وَكَمْ لَكَ عِنْدِي ... مِنْ عَطَاءٍ وَنِعْمَةٍ وَأَيَادِي

---

(١) «صفة الصفوة» (١٨٤/٤).

(٢) «صفة الصفوة» (٢٣٨/٤).

(٣) «صفة الصفوة» (٤٢٧/٤، ٤٢٨)، «عودة الحجاب» (٢/ ٣٠٠)، و«تنبيه المغترين» ص (٣٥).

حُبُّكَ الآنَ بُغْيَتِي وَنَعِيمِي وَجَلاَءٌ لَعَينِ قَلْبِي الصَّادِي
لَيْسَ لِي عِنْدَكَ مَا حَيِيتَ بَرَاحٌ أَنْتَ مِنِّي مُمَكَّنٌ في السَّوَادِ
إِنْ تَكُنْ رَاضِيًا عَلَيَّ فَإِنِّي يَا مُنَى القَلْبِ! قَدْ بَدَا إِسْعَادِي

رحم اللّه رابعة التقية، وجمهور أهل العلم على توثيقها(١).

* * *

(١) إلا أن أبا داود السجستاني اتهمها بالزندقة وتعديلها مقدم على الجرح غير المفسَّر.

ومع سادات المشتاقين تمضي مسيرتنا

لله درُّهم من سادة ملأوا الدنيا محبة وشوقًا إلى مولاهم.. وسطَّروا أجمل البيان الذي يبقى مدى الليالي والأزمان.. وصل عبيرهم إلى الأجيال مِن بعدهم فشوّقها إلى محبة ذي الجلال والدار الآخرة.. وانظر إلى سيد من سادات سلفنا وهو يترجم لنا حالهم: -

● **بكاء أبي سليمان الداراني ووصفه لحال المشتاقين:-**

دخل أحمد بن أبي الحواري على أبي سليمان الداراني فوجده باكيًا، فقال له ابن أبي الحواري: ما يبكيك؟ فقال أبو سليمان: «ويحك يا أحمد، كيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جنَّ الليل وهدأت العيون، وخلا كل خليل بخليله، واستنارت قلوب العارفين، وتلذذت بذكر ربهم، وارتفعت هممهم إلى ذي العرش، وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته، وردَّدوا كلامه بأصوات محزونة جرت دموعهم على خدودهم، وتقطَّرت في محاريبهم خوفًا واشتياقًا، فأشرف عليهم الجليل جلَّ جلاله، فنظر إليهم فأمدَّهم محبة وسرورًا، فقال لهم: أحبابي والعارفين بي، اشتغلوا بي، وألقوا عن قلوبكم ذكر غيري، أبشروا فإن لكم عندي الكرامة والقربى يوم تلقوني، فينادي اللَّه جبريل: يا جبريل بعيني مَن تلذَّذ بكلامي واستراح إليَّ، وأناخ بفنائي، وإني لمطَّلع عليهم في خلواتهم، أسمع أنينهم وبكاءهم، وأرى تقلّبهم واجتهادهم، فنادِ فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء الذي أسمع؟ وما هذا التضرع الذي أرى منكم؟ هل سمعتم أو أخبركم عني أحد أن حبيبًا يعذب أحبَّاءه؟ أوَ مَا علمتم أني كريم فكيف لا أرضى؟ أيشبه كرمي أن أرُدَ قومًا قصدوني؟ أم كيف أذلّ قومًا تعززوا بي؟! أم كيف أحجب غدًا أقوامًا آثروني على جميع خلقي وعلى أنفسهم وتنعَّموا بذكري؟ أم كيف يشبه رحمتي؟ أوْ كيف يمكن أن أبيت أقوامًا تملَّقوا إليَّ وقوفًا على أقدامهم وعند البيات أخزوهم؟ أم كيف يجمل بي أن أُعذب قومًا إذا جنَّهم الليل تملَّقوني وانقطعوا إليَّ

واستراحوا إلى ذكري، وخافوا عذابي، وطلبوا القربة عندي، فبي حَلَفْت لأرفعنَّ الوَحشة عن قلوبهم، ولأكونن أنيسهم إلى أن يلقوني، فإذا قدموا عليَّ يوم القيامة فإن أول هديتي إليهم أن أكشف لهم عن وجهي، حَتَّى ينظروا إليَّ وأنظر إليهم، ثمَّ لهم عندي ما لا يعلمه غيري»، يا أحمد إن فاتني ما ذكرت لك فيحق لي أن أبكي دمًا بعد الدموع.

قال أحمد: فأخذت معه في البكاء، وكنت أرى أثر ذلك عليه، حتى الممات، وكنت إذا سألته عن شيء من الحديث يقول: ما كفاك الذي سمعت؟

ثم بكى ابن الحواري وقال: وا حرماناه، وا شوم خطيئتاه، مضى القوم وبقينا بعد حين قد أمضيناه، فالناس ظفروا بما طلبوا ولا ندري ما ينزل بنا، فواخطراه وجعل يبكي)[(١)].

* الولي الرباني.. **إبراهيم بن أدهم** رحمه الله ورؤيته لربه منامًا:

قال إبراهيم بن أدهم: «قلتُ يومًا: اللَّهم إنْ كنتَ أعطيتَ أحدًا من المحبين لك ما سكنتَ به قلوبهم قبل لقائك، فأعطني ذلك فلقد أضرَّ بي القلق. قال: فرأيته - تبارك وتعالى - في المنام، فوقَّفني بين يديه وقال لي: يا إبراهيم، أما استحيَيْت مني؟ تسألني أن أعطيك ما تُسَكِّن به قلبك قبل لقائي، وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح المحب إلى غير من يشتاق إليه؟ قال: يا رب تهتُ في حبك فلم أدرِ ما أقول»[(٢)].

* قال إبراهيم بن بشَّار الخراساني سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: «بؤسًا لأهل النار لو نظروا إلى زوَّار الرحمن وقد حُمِلوا على النجائب، يزفُّونهم إلى الله إلى الله زفًّا، وحُشروا وَفْدًا، وقد نُصِبت لهم المنابر، ووُضِعت لهم الكراسي، وقد أقبل عليهم الجليل - جلَّ جلاله - بوجهه ليسرَّهم وهو يقول لهم: «إليَّ عبادي، إليَّ

---

(١) الحلية: (١٠/ ١٦، ١٧).
(٢) «استنشاق نسيم الأنس» ص (٣٦١).

عبادي، إليّ أوليائي المُطيعينَ، إليَّ أحبابي المشتاقين، إليَّ أصفيائي المحزونين، هأنذا فاعرفوني، من كان منكم مشتاقًا أو مُحِبًّا متملقا فليستمتع بالنظر إلى وجهي الكريم، فوعزتي وجلالي لأفرحنَّكم بجواري، ولأسرنَّكم بقربي، ولأبيحنَّكم كرامتي، من الغرفات تشرفون، وعلي الأسِرَّة تتكئون، تقيمون في دار المقامة أبدًا لا تظعنون، وتأمنون فلا تخافون، وتصحون فلا تسقمون، تنعمون في رغد العيش لا تموتون، وتعانقون الحور الحسان فلا تملُّون ولَا تسأمون، كُلوا واشربُوا هِنيئًا وتنعَّمو كثيرا بما أنحلتم الأبدان ونهكتم الأجسام، ولزمتم الصيام وسهرتم بالليل والناس نيام».

قال: وسمعته يقول: «لا تُنال جنته إلا بطاعته، ولا تنال ولايته إلا بمحبَّته، ولا تُنال مرضاته إلا بترك معصيته، واللَّه ـ تعالى ـ قد أعدَّ المغفرة للأوَّابين، وأعدَّ الرحمة للتوَّابين، وأعدَّ الجنة للخائفين، وأعدَّ رؤيته للمشتاقين، وأعدَّ الحور للمطيعين»(١).

● **الوزير الأثري، والعالم العادل أبو المظفَّر ابن هبيرة الحنبلي يحيى ابن محمد، رأى ربه منامًا:**

قال عنه ابن الجوزي: «سمعته يقول: اتِّبَاعُ السُّنَّة سَبب لكلِّ خَير، فإني صلَّيْتُ الفريضة يومًا في مسجدنا، ثم قلت: يُستَحَبُّ أن تُصلى السُّنَّة في غير موضع الفرض، ومضيت إلى البيت فصلّيتها، ثم اشتاق قلبي إلى رؤية اللَّه عز وجل، فقلت: اللَّهم أرني نفسك. فنمت تلك الليلة، فرأيته عز وجل وأنشد هذه الأبيات، وقال:

رَكِبْتُ بِحَارَ الحُبِّ جَهْلًا بقدرِهَا ... وَتِلْكَ بحارٌ لَا يَفِيقُ غَرِيقُهَا

وسِرْنا عَلَى ريحِ تدُلُّ عَليكُمُ ... فَبَانَتْ قَلِيلًا ثُمَّ غَابَ طَرِيقُهَا

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس» ص (٣٨٣).

إلَيكُم بِكُم أَرْجُو النَّجَاةَ وَمَا أرَى ... لِنَفْسِيَ مِنْهَا سَائِقًا فَيسُوقُهَا

● سمنون بن حمزة الخوَّاص.. أبو الحسن المحِبّ:ـ

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

أحِنُّ بأطرافِ النّهار صَبابَةً ... وَفي اللَّيلِ يَدْعُونِي الهَوَى فَأُجِيبُ
وَأَيَّامُنَا تَفْنَى وَشَوْقِي زَائِدٌ ... كَأَنَّ زَمَانَ الشَّوقِ لَيسَ يَغِيبُ[1]

قال عنه الخطيب البغدادي: «كان يتكلم في المحبّة أحسن كلام وهو من كبار مشايخ العراق مات بعد الجُنيد»[2].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَقَدْ كَانَ يُسْبِى القَلْبَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... ثَمَانُونَ بَلْ تِسْعُونَ نَفْسًا وَأرْجَحُ
يَهِيمُ بِهَذَا ثُمَّ يَأْلَفُ غَيْرَهُ ... وَيَسْلُوهُمُ مِنْ فَوْرِهِ حِينَ يُصْبِحُ
وكَانَ فُؤادِي خَالِيًا قَبْلَ حُبِّكُم ... وَكَانْ بِذِكْرِ الخَلْقِ يَلْهُو وَيَمْرَحُ[3]
فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَوَاكَ أَجَابَهُ ... فَلَسْتُ أَرَاهُ عَنْ فِنَائِكَ يَسْرَحُ[4]
رُمِيتُ بِبَيْنٍ مِنْكَ إنْ كُنتُ كَاذِبًا ... وَإنْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا بِغَيرِكَ أَفْرَحُ
وَإنْ كَانَ شَيءٌ فِي البِلَادِ بِأَسْرِهَا ... إذَا غِبْتَ عَنْ عَينِي بِعَيْنِي يُمْلحُ
فإنْ شِئْتَ وَاصِلْنِي وَإنْ شِئْتَ لَا تصلْ ... فَلَسْتَ أَرَى قَلْبِي لِغَيرِكَ يَصْلُحُ[5]

---

(١) الحلية (١٠/ ٣١١).
(٢) تاريخ بغداد: (١٠/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥).
(٣) في «طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية ص (١٧).
وقد كان قلبي ضائعًا قبل حبّكم ... فكان بحب الخلق يلهو ويمرح
(٤) في طريق الهجرتين:
فلما دعا قلبي هواك أجابه ... قلستُ أراه عن خبائك يبرحُ
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٧).

وفي «طريق الهجرتين»:

حُرِمْتُ مُنَائِي مِنْكَ إنْ كُنْتُ كَاذِبًا ... وإنْ كُنْتُ في الدُّنيَا بِغَيرِكَ أَفْرَحُ

وَإِنْ كَانَ شَيءٌ في الوُجودِ سِوَاكُمُ ... يُقَرُّ بِهِ القَلْبُ الجَرِيحُ وَيَفْرَحُ

إِذَا لَعِبَتْ أَيْدِي الهَوَى بِمُحِبِّكُم ... فَلَيْسَ لَهُ عَنْ بَابِكُم مُتَزَحْزَحُ

فَإِنْ أَدْرَكَتْهُ غُرْبَةٌ عَنْ دِيَارِكُم ... فَحُبُّكُمُ بَيْنَ الحَشَا لَيس يَبْرَحُ

وَكَمْ مُشْتَرٍ في الخَلْقِ قَدْ سَامَ قَلْبَهُ ... فَلَمْ يَرَهُ إِلَّا لِحُبِّكَ يَصْلَحُ

هَوَى غَيرِكُمْ نَارٌ تَلَظَّى وَمَحْبَسٌ ... وَحُبُّكُمُ الفِرْدَوْسُ بَلْ هُوَ أَفْسَحُ

فَيَا ضَيْم قَلْبٍ قَدْ تَعَلَّقَ غَيْرَكُم ... وَيَا رَحْمَةً مِمَّا يَجُولُ وَيَكْدَحُ[(١)]

رحم الله سمنون المحب يصدق فيه قول القائل:

أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتُ عَلَى فُؤَادِي ... بِحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا

فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ غَضَضْتُ طَرْفِي ... فَلَمْ أَنْظُرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَا

أُحِبُّكَ لَا بِبَعْضِي بَلْ بِكُلِّي ... وَإِنْ لَمْ يُبْقِ حُبُّكَ لِي حِرَاكَا

وَكُلٌ يَدَّعِي حُبًّا لِرَبِّي ... وَرَبِّي لَا يُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا

إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ في خُدُودٍ ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

فَأَمَّا مَن بَكَى فَيَذُوبُ شَوْقًا ... وَيَنْطِقُ بِالهَوَى مَن قَدْ تَبَاكَى

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

رُوحِي إِلَيكَ بِكُلِّها قَدْ أَجْمَعَتْ ... لَو أَنَّ فِيكَ هَلَاكَهَا مَا أَقْلَعَتْ

تَبْكِي عَلَيْكَ بِكُلِّهَا في كُلِّهَا ... حَتَّى يُقَالُ مِنَ البُكَاءِ تَقَطَّعَتْ!

انْظُرْ إِلَيهَا نَظْرَةً بِمَوَدَّةٍ ... فَلَرُبَّمَا مَتَّعْتَهَا فَتَمَتَّعَتْ[(٢)]

---

(١) طريق الهجرتين: ص (١٧ - ١٨).

(٢) عقلاء المجانين ص (١٤٠).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَا مَنْ فُؤَادِي عَلَيْهِ مَوْقُوف وكُلُّ هَمِّي إِلَيْهِ مَصْرُوفُ
يَا حَسْرَةَ حَسْرَةٍ أَمُوتُ بِهَا إنْ لَمْ يَكُنْ لِي لَدَيْكَ مَعْرُوف

وقال:

الحُبُّ شَيءٌ لَطِيفٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ عَقْلٌ لإِدْرَاكِهِ عِزٌّ وَتَدْبِيرُ
لَكِنَّهُ فِي مَجَارِي السِّرِّ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الإِشَارَةِ لَا كَيْفٌ وَتَقْدِيرُ

وقال:

أَلَسْتَ لِي عِوَضًا مِنْهُم كَفَى شَرَفًا فَمَا وَرَاءَكَ لِي حَظٌّ ومَطْلُوبُ

وقال:

لَا لِأَنِّي أُكْثِرُ ذِكْرَاكَ وَلَكِنْ بِذَاكَ يَجْرِي لِسَانِي
أَنْتَ فِي النَّفْسِ، والجَوَارِحِ، وَالفِكْرِ وَأَنْتَ المُنَى، وَفَوقَ الأَمَانِي

* يحيى بن معاذ الرازي

انظر - رحمك اللَّه - إلى سيد الوُعّاظ يحيى بن معاذ .. انظر إلى المشتاق «ولا يعرف الشوق إلا مَن يكابده» - وهو يستمطر الدمع حين يقول:

«قلب المحب يهيم بالطيران، وتَكْلِمه لَدَغاتُ الشوق والخفقان»[(١)].

ويقول: «يا ابن آدم إنك لا تشتاق إلى ربك إلّا بالاستيحاش من خلقه»[(٢)]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَضيتُ بسَيِّدِي عِوَضًا وأُنْسًا مِنَ الأَشْيَاءِ لَا أَبْغِي سِوَاهُ

---

(١) الحلية: (١٠/ ٥٦).
تَكْلمه: أي تجرحه، وهي هنا بمعنى: أن دواعي الشوق تدقُّ قلبه بعنف إلى لقاء ربه.

(٢) الحلية: (١٠/ ٥٩).

فَيَا شَوقًا إلى مَلِكٍ يَرَانِي ... عَلَى مَا كُنْتُ فِيهِ وَلَا أَرَاهُ
خَلَا يَسْتَمْطِرُ النَّجْمَ العَطَايَا ... فَيُعْطِى مِنْه أَكْثَرَ مَا رَجاهُ(١)

* وقال ـ أيضًا ـ:

طَرَبُ الحِبِّ على الحُبِّ ... مَعَ الحُبِّ يَدُومُ
عَجَبًا لِمَنْ رأيناهُ ... عَلَى الحُبِّ يَلُومُ
حَولَ حُبِّ اللَّه مَا عِشْتُ ... مَعَ الشَّوقِ أَحُومُ
وَبِهِ أَقْعُدُ مَا عِشْتُ ... حَيَاتِي وَأَقُومُ(٢)

* وقال:

نَفْسُ المُحِبِّ إِلَى الحَبِيبُ تَطَلَّعُ ... وَفُؤَادُه مِنْ حُبِّه يَتَقَطَّعُ
عِزُّ الحَبِيبِ إِذَا خَلَا في لَيْلِهِ ... بِحَبِيبِهِ يَشْكُو إِلَيهِ ويَضْرَعُ
وَيَقُومُ فِي المِحْرَابِ يَشْكُو بَثَّهُ ... وَالقَلْبُ مِنْهُ إِلَى المَحَبَّة يَنْزَعُ(٣)

* وقال: «ليكن بيتُك الخلوة، وطعامُك الجوع، وحديثك المناجاة، فإمّا أن تموت بدائك، أوْ تصل إلى دوائك»(٤).

* وقال:

أَمُوتُ بِدَائِي لَا أُصِيبُ دَوَائِيَا ... وَلَا فَرَجًا مِمَّا أَرَى مِنْ بَلَائِيَا
يَقُولُونَ: يَحْيَى جُنَّ مِن بَعْدِ صِحّةٍ ... ولَا يَعْلمُ العُذَّالُ مَا فِي حَشَائِيَا
إِذَا كَانَ دَاءُ المَرْءِ حُبَّ مَلِيكِه ... فَمَنْ غَيرُهُ يَرْجُو طَبِيبًا مُدَاوِيَا
مَعَ اللَّهِ يَقْضِي دَهْرَه مُتَلَذِّذًا ... تراهُ مُطِيعًا كَانَ أَوْ كَانَ عَاصِيًا

---

(١) الحلية: (١٠/ ٦٢).
(٢)، (٣) الحلية: (١٠/ ٦١).
(٤) صفة الصفوة: (٤/ ٩١).

ذَرُونِي وَشَأْنِي لَا تَزِيدُونَ كُرْبَتِي　　وَخَلُّوا عَنَانِي نَحْوَ مَوْلَى المَوَالِيَا
أَلَا فَاهْجُرُونِي وَارْغَبُوا فِي قَطِيعَتِي　　وَلَا تَكْشِفُوا عَمَّا يُجِنُّ فُؤَادِيَا
كِلُونِي إِلَى المَوْلى وكُفُّوا مَلامَتِي　　لِآنِسَ بِالمَوْلَى عَلَى كُلِّ مَا بِيا (١)

وقال: سبحان من جعل الأرواح روحانية نورانية، والأنفاس جولانية هوائية، فالأرواح تَحِنُّ إلى عِلِّيين معدنها، والأنفاس إلى سجين محبسها» (٢).

* وقال: «مِن صفة العارف: جِسْمٌ ناعِم، وقَلْبٌ هائِمٌ، وشوْقٌ دائِمٌ، وذِكْرٌ لازم» (٣).

* وقال: «الوليُّ ريْحانُ اللَّه في أَرْضِه، يَشُمُّه الصِّدِّيقون، فتصلُ رائحتُه إلى قلوبهم، فيشتاقون إلى مولاهم، ويزدادون برؤيته عبادة» (٤).

* وقال: «الدرجات التي يسعى إليها أبناء الآخرة سَبْع: التوبة، ثم الزهد، ثم الرضا، ثم الخوف، ثم الشوق، ثم المحبّة، ثم المعرفة؛ فبالتوبة تطّهروا من الذنوب، وبالزهد خرجوا من الدنيا، وبالرضا ألبسوا أقْراط العبودّية، وبالخوف جازوا قناطر النار، وبالشوق إلى المحبة استوجَبُوها، وبالمحبة عقلوا النعيم، وبالمعرفة وصلوا إلى اللَّه ولا يزالون فيه أبد الآبدين في الدنيا والآخرة» (٥).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل الرغبة صيدُهم في الأسواق، وأهل التوبة صيدهم في مجالس الذكر، وأهل الزهد صيدهم في مجالسة العارفين، وأهل الإرادة صيدهم في ملكوت العرش، وأهل المعرفة صيدهم في قرب خالق العرش» وأنشد:

حَسُنَ عَبْدٌ أحبَّ مَوْلاهُ　　حَسُنَ قَلْبٌ يَصِيدُ مَعْنَاهُ

---

(١) الحلية: (١٠/ ٦٢)، و«اللمع» ص (٣٢٣).
(٢) الحلية: (١٠/ ٦١).
(٣) الحلية: (١٠/ ٥٧).
(٤) طبقات الشعراني: (١/ ١٨٢).
(٥) الحلية: (١٠/ ١٨٢).

طُوْبَى لِمَنْ كَانَ عَاشِقًا دَنِفًا   يَشْكُو إِلَى ذِي الجَلَالِ بَلْوَاهُ
يَا ذَا المَعَانِي عَلَيكَ مُعْتَمَدِي   طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَعْنَاهُ

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو أنَّ مُؤمنًا مَاتَ من حب مَلَك أوْ نبيّ، لم يكن عجبًا منه، فكيف من حُبِّ اللَّه؟!

وقال: «العيش في حُبِّه أعجبُ من الموت في حبه»[(١)].

* ولله درُّه حين يقول: «لو رأت العقولُ بعيون الإيمان نُزْهة الجنة لذابت النفوس شَوْقًا، ولوْ أدركت القلوبُ كُنْه هذه المحبّة لخالقها، لانخلعت مفاصلُها إليه وَلَهًا عليه، ولطارت الأرواحُ إليه من أبدانها دَهَشا، فسبحان من أغفل الخليقة عن كنه هذه الأشياء، وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأشياء»[(٢)].

* ورحمه اللَّه حين يقول: «إلهي حُبُّك أعطش كَبِدي وأوحشني من أهلي وولدي»[(٣)].

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَنَا إِنْ تُبْتُ مَنَّانِي   وَإِنْ أَذْنَبْتُ رَجَّانِي
وإِنْ أَدْبَرْتُ نَادَانِي   وَإِنْ أَقْبَلْتُ أَدْنَانِي
وَإِنْ أَحْبَبْتُ وَالَانِي   وَإِنْ أَخْلَصْتُ نَاجَانِي
وَإِنْ قَصَّرْتُ عَافَانِي   وَإِنْ أَحْسَنْتُ جَازَانِي
حَبِيبِي أَنْتَ رَحْمَانِي   فَصَرِّفْ عَنِّي أَحْزَانِي
إِلَيكَ الشَّوقُ مِنْ قَلْبِي   عَلَى سِرِّي وَإِعْلَانِي
فَيَا أَكْرَمُ مَنْ يُرْجَى   وَيَا قَدِيمَ إِحْسَانِي

---

(١) طبقات السلمي: ص (٢٧).
(٢) الحلية: (١٠/ ٥٣).
(٣) طبقات ابن الملقِّن: ص (٣٢٤).

مَا كُنْتَ عَلَى هَذَا إِلَهَ النَّاسِ تَنْسَانِي
لَدَى الدُّنْيَا وَفِي العُقْبَى عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَانِي[(١)]

* ولله دره حين يقول: -

كُلُّ مَحْبُوبٍ سِوَى اللَّهِ سَرَفْ وَهُمُومٌ وغُمُومٌ وأَسَفْ
كُلُّ مَحْبُوبٍ فَمِنْهُ لي خَلَفْ مَا خَلَا الرَّحْمَنُ مَا مِنْهُ خَلف
إِنَّ لِلْحُبِّ دَلَالَاتٍ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْ صَاحِبِ الحُبِّ عُرِف
صَاحِبُ الحُبِّ حَزِينٌ قَلْبُهُ دَائِمُ الغُصَّةِ مَغْمُومٌ دَنِفْ
هَمُّهُ فِي اللَّهِ لَا فِي غَيْرِهِ ذَاهِبُ العَقْلِ وَبِاللَّهِ كَلِفْ
أَشْعَثُ الرَّأْسِ خَمِيصٌ بَطْنُه أَصْفَرُ الوَجْهِ وَفِي الطَّرْفِ ذَرْف
دَائِمُ التِّذْكَارِ مِنْ حُبِّ الَّذِي حُبُّهُ غَايَةُ غَايَاتِ الشَّرَف
فَإِذَا أَمْعَنَ فِي الحُبِّ لَهُ وَعَلَاهُ الشَّوقُ مِمَّا قَدْ كَشَف
بَاشَرَ المِحْرَابَ يَشْكُو بَثَّهُ وأَمَامَ اللَّهِ مَولَاهُ وَقَف
قَائِمًا قُدَّامَهُ مُنْتَصِبًا لَهِجًا يَتْلُو بِآيَاتِ الصُّحُف
رَاكِعًا طَورًا وَطَورًا سَاجِدًا بَاكِيًا وَالدَّمْعُ فِي الأَرْضِ يَكِفْ
أَوْرَدَ القَلْبَ عَلَى حُبِّ الَّذِي فِيهِ حُبُّ اللَّه حَقًّا فَعَرَف
ثُمَّ جَالَتْ كَفُّهُ فِي شَجَرٍ يُنبِتُ الحبَّ فَسَمَّى وَاقْتَطَفْ
إِنَّ ذَا الحُبَّ لِمَنْ يُغْنَى بِهِ لَا بِدَارٍ ذَاتِ لَهْوٍ وَطُرَفْ

* وانظرْ إلى الكلام الأخّاذ لمحب اللَّه يحيى بن معادٍ يقول في مناجاته لربه: «أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحبُّ

---

(١) يحيى بن معاذ الرازي لسعيد هارون عاشور ص (٢٢٦).

السَّاعات إليّ ساعة يكون فيها لقاؤك».

● ابن الجوزي سيد الوعّاظ وحديثه عن الشوق: -

ابن الجوزي خير من أتى باللطائف في الوعظ في عصره، وليس كل معدن عرق الذهب، ليس من غاص في قرار البحر حتى وقع بالدر اليتيم، كمن قعد على الساحل يجمع الصدف، كانت فواكه الألفاظ الرائقة اللذيذة في مذاق الأفهام السليمة ليس لها ثمن.

* قال ابن الجوزي:

«لما عاينت أبصار البصائر يوسف العواقب قطعت أيدي الهوى بسكِّين الشوق، فولوج الجمل في سمِّ الخياط أسهل من دخول اللوم في تلك الأسماع.

فإذا حان حين الحين فرح سائرُ الليل بقطع المنزل، وصاحت السنة الجدّ بالعاذلين ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾.

إِذَا لَعِبَ الرِّجَالُ بِكُلِّ فَنٍّ رَأَيْتُ الحُبَّ يَلْعَبُ بِالرِّجَالِ

نجائب أبدانهم أنْضاً، بالرياضة تجوهرت أرواحهم في بوتقة الجسم، فترافقا في سفر الشوق، فاللسان مشغول بالذكر، والسرُّ مغلوب بالوجد، والعين عبرى بالخوف، والنفس هاربة إلى دار الزهد.

إِنَّـمَـا أَهْـرَبُ مِمَّـا حَلَّ بِي مِنْكَ إِلَيكَ
أَنْتَ تَطْلُبُ رَوْحِي قُلْتُ هَا خُذْهَا إِلَيكَ[1]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

خُذِي حَدِيثَكِ عَنْ نَفْسِي مِنْ النَّفَس وَجْد المشَوَّقِ المُعَنَّى غير مُلْتَبِسِ
المَاءُ فِي نَاظِرَيّ وَالنَّارُ فِي كَبِدِي إِنْ شِئْتَ فَاغْتَرِفِي أَوْ شِئْتِ فَاقْتَبِسِي

وقال:

---

(١) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزى ص (٦٦، ٦٧).

إذَا كُنْتَ خِلْوًا فاعْذُرِ الصَّبَّ فِي الهَوَى
فَمَا المُبْتَلَى وَالمُسْتَرِيحُ سَواءُ

لو رأيتموهم لقلتم مجانين.. إلا أن قلب الصَّبِّ في يد غيره يصرِّفه في الحب كيف يشاء، إليك عنهم، فلو ذقت الهوى لعذرتهم «جفونك وَسْنَى والفؤاد هباءُ»

كرب المحب بالنهار يشتد بمزاحمة رقباء المخالطة، فإذ اهبّت نسائم الأسحار وجدت روحه روْحًا يصل من قصر مصر المنى إلى أرض كنعان الأمل، فقام ركب الشوق يتحسس النسيم من فُرج الفرج.

وَقَدْ أَنْبَأَتْهُم مِياه الجُفُونِ بِأَنَّ بِقَلْبِكَ دَاءً دَفِينَا[1]

وقال:

«والله ما فاز سوى الزاهدين، ولا نال الربح غير العابدين، ونهاية الكمال للمحبين، كان هَمّ القوم طلب النجاة، وكانت لذتهم في المناجاة، فارتفع لهم القدر وعلا الجاه، لو رأيتهم في الأسحار، وقد حار الخائف، بين اعتذار واستغفار ولطائف، يتخلَّل ذَلِكَ دمع غزير ذارف، يرمز إلى شوق شديد متكاثف».

وعلا الجاه.

كانت عابدة تقوم من أول الليل، وتقول تشاغل الناس بلذّاتهم، وقد جئت إليك يا محبوب.

سُرُورِي مِنَ الدَّهْرِ لُقْيَاكُمْ وَدَارُ سَلَامِي مَغْنَاكُمُ
وَأَنْتُم مَدَى أَمَلِي مَا حَيِيتُ وَمَا طَابَ عَيْشِي لَوْلَاكُمُ
جَنَابُكُمُ الرَّحْبُ مَرْعَى الكِرَام فَلَا صَوَّحَ الدَّهْرُ مَرْعَاكُمُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي وَمَنْ لِي بِأَنْ أَعِيشَ إِلَى يَومِ أَلْقَاكُمُ

---

(١) المصدر السابق: ص (٧١، ٧٢).

إِذَا ازْدَحَمَتْ فِي فُؤَادِي الهُمُومُ   أُعَلِّلُ قَلْبِي بِذِكْرَاكُمُ[١]

● تُراكَ تحلو لك العبارات، وتفهم الإشارات؟!

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

* سبحان من فاوَت بين القلوب، فمنها ما لا يصلح إلا لخدمة الدنيا، ومنها ما لا يصلح إلا للتعبد، ومنها روحاني مشغول بمحبة الخالق والشوق إليه:

أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتُ عَلَى فُؤَادِي   بِحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا

فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ غَضَضْتُ طَرْفِي   فَلَمْ أَنْظُرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَا

أُحِبُّكَ لَا بِبَعْضِي بَلْ بِكُلِّي   وَإِنْ لَمْ يُبْقِ حُبُّكَ لِي حِرَاكَا

وَكُلٌّ يَدَّعِي حُبًّا لِرَبِّي   وَرَبِّي لَا يُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا

إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ   تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

فَأَمَّا مَن بَكَى فَيَذُوبُ شَوْقًا   وَيَنْطِقُ بِالهَوَى مَن قَدْ تَبَاكَى

* النهار يزيد في كرب المحبِّ، واللَّيل يُرَوِّحه، السَّحَر روضةٌ نَجْدِيّة يجد فيها المحب ضالة وجده، شراب المناجاة يروى ظمأ المحبين.

* لو رأيت المحب في الليل يتقلقل، ويناجي حبيبه ثم يتململ، وكلما أزعجه الشوق تحيَّر وتبلبل.

أَحِنُّ بِأَطْرَافِ النَّهارِ صَبَابَةً   وَفِي اللَّيلِ يَدْعُونِي الجَوى فَأُجِيبُ

وَأَيَامُنَا تَفْنَى وَشَوقِي زَائِدٌ   كَأَنَّ زَمَانَ الشّوق لَيسَ يَغِيبُ

* كانت رابعة ـ رحمها اللَّه ـ تقول: «لو طالت عليّ الأيام والليالي، بالشوق إلى اللَّه ـ تعالى ـ:

أُمِرْتُ عَنْكَ بِصَبْرٍ   وَلَيسَ لِي عَنْكَ صَبْرُ

(١) المدهش: ص (٥٦٧ ـ ٥٦٨).

يَا آمِري بالتَّسَلِّي مَالِي مَعَ الشَّوقِ أَمْرُ[١]

* قُلوب القوم في الدُّجى قلقة، وأفئدتهم من الخوف محترقة، وجفونهم من البكاء غَرِقة، وعروق المحبة في سويدائهم عَلقَة، والآمال إليه في كل وقت منطلقة، وما عادت قط إلا وهي بالشوق عبقة.

* قاموا بالشوق إلى الودود وقعدت، وسهروا في الدجى ورقدت، هذه طريقهم فأين السالك كأنك بهم وقد دخلت على الملأ الملائك، انظر يا من لم ترقد هذا بذلك.

«قال أبو سليمان: غلبتني عيني، فإذا أنا بالحوراء، قد ركضتني برجلها، وهي تقول: أترقد عيناك؟ والملك يقظان، قال: ونمت أخرى، وإذا بها توقظني وتقول: أتنام؟ وأنا أُرَبَّى لك في الخدور منذ خمسمائة عام.

يا نَفْسُ فَازَ الصَّالِحونَ بالتُّقَى فَأَبْصَرُوا الرُّشْدَ وَقَلْبي قَدْ عَمِي
يَا حُسْنَهُم وَاللَّيلُ قَدْ أَجَنَّهُم وَنُورُهم يَفُوقُ نُورَ الأَنْجُمِ
تَرَنَّموا بِالذِّكرِ فِي لَيْلِهِم فَعَيْشُهُم قَدْ طَابَ بِالتَّرَنُّمِ
قُلُوبُهُم لِلذِّكْرِ قَدْ تَفَرَّغَتْ دُمُوعُهُم كَلُؤْلُؤٍ مُنْتَظِمِ
أَسْحَارُهُم بِهِم لَهُمْ قَدْ أَشْرَقَتْ وَخِلَعُ الغُفْرانِ خَيْرَ المَقْسَمِ

* * *

---

(١) المدهش: ص (٥٢٦).

ذو النون المصري المشتاق إلى ربه

قال الذهبي عن ذي النون المصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان زاهدًا، عارفًا، وكان ممَّن امتُحِنَ وأُوذِي، لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه، وكان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال، وفي مقامات الأولياء، فقال الجهلة هو زنديق»(١).

وقال القشيري: «كان ذو النون قد فاق أهل هذا الشأن، وصار أوْحدَ وقته: علمًا، وورعًا، وحالًا، وأدبًا»(٢).

نعم، ذو النون المصري هو صاحب العبارات الوثيقة والإشارات الدقيقة، فكلامه لا يصدر إلّا عن سيّد حطَّت همة قلبه في عاريات التقى، حتى أناخت في رياض النعيم، وسرحت روحه في العلا، وشرب من الحكمة، وطارت همَّتُهُ في ملكوت السماوات فعادت بظرائف الفوائد، فكم عزف على أوتار القلوب، وجعل القلوب تحنّ إلى مولاها.. فطيّب اللَّه ثراه، وسقاه من أنهار الجنة.

المكنون في كلام ذي النّون

* قال ذو النون رَحِمَهُ اللَّهُ: «طرقت الفكرة في قلوب أهل الرضا فمالت بهم ميلةً فزعزعت الجوى ودكدكت الضمير، فاختلفا جميعًا والتويا، فعرفا طريق الرضا، فمنحهم الألفة إليه، فوهب لهم هبته، ثم أتحفهم بتحفة الرضا، فماجت في بحار قلوبهم موجة، فهيَّجت منها اللذة، لا، بل هيّجت منها هيجان اللذاذات، فشخصت بالحلاوة التي أتحفت إلى من أتحفها، فمرّت تطير من خوف الجوى، فأيُّ طيران يكون أبهى من قلوبٍ تطير إلى سيدها؟

لقد هبَّت إليه بلا أجنحة تطير، لقد مرَّت في الملكوت أسرع من هبوب الرياح، ومن بردها، وهو يدعوها إليه.

لقد فتح لها الباب حين هبّت إليه طائرة، فدخلت قبل أن تقرع الباب.

---

(١)، (٢) «المكنون في مناقب ذي النون» للسيوطي ص (٦٣، ٦٤).

لقد مهد مهادهن نعتٌ في رَوْح رياض قدسه، وهي له، ومعه»[١].

قال ذو النون: «صحبتُ زنجيًّا في التيه، وكان مفلفل الشعر، **فإذا ذكر اللَّه ابيضَّ، فورد عليَّ أمر عظيم، فقلتُ له: يا هذا إنك إذا ذكرت اللَّه تحوَّل لونك وانقلبت عيناك؟**

قال: فجعل يخطر في التيه ويقول:

ذَكَرْنَا وَمَا كَان لِنَنسَى فَنَذْكُرُ ... وَلَكِنَّ نَسِيمَ القُرْبِ يَبْدُو فَيَظْهَرُ

فَأَحْيَا بِهِ عَنِّي وَأَحْيَا بِهِ لَهُ ... إِذْ لَحِقَ عَنْهُ مَخْبَرٌ وَمَعْبَرُ

قال ذو النون: فما طرق سمعي مثل حكمة ذلك الزنجيِّ، فعلمت أن للَّه - تعالى - عِبَادًا تعلو قلوبهم بالأذكار، كما تعلو الأطيار في الأوكار، لو فتَّشت منهم القلوب لما وجدت فيها غير حبّ المحبوب.

قال: ثم بكى ذو النون وأنشأ يقول:

وَأَذْكُرُ أَصْنَافًا مِنْ الذِّكْرِ حَشْوُها
وِدَادٌ وَشَوقٌ يَبْعَثَانِ عَلَى الذِّكْرِ

فَذِكْرُ أَلِيفِ الحُبِّ مُمْتَزِجٌ بِهَا
يَحُلُّ مَحَلَّ الرَّوحِ فِي طُرْقِهَا يَسْرِي

وذِكرٌ يَعِزُّ النَّفْسَ مِنْهَا لأَنَّه
لَهَا مُتْلِفٌ مَنْ يَدْرِي وَلَا تَدْرِي

وذِكرٌ عَلَا مِنِّي المَفَارِقَ والذُّرَى
يَجِلُّ عَنْ الأوصَافِ بِالوَهْمِ وَالفِكْرِ[٢]

---

(١) المصدر السابق: ص (٨٠ - ٨١).

(٢) الحلية (٩/ ٣٩١).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلب العارف أسرع إلى الله من الرياح العواصف»[1].

* وسُئِل رَحِمَهُ اللَّهُ عن استحقاق الاشتياق؟ فقال: إذا استحق الاشتياق قرب من باب الخلّاق، وشرب من كأس المذاق، فشاق واشتاق[2].

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلوب أهل المحبة محترقة بنار المحبة، وقلوب أهل المعرفة نازلة إلى ميدان المنّة، وقلوب أهل الولاية تنظر إلى صاحب الولاية» ثم أنشأ يقول:

الخَوفُ أَمْرَضَنِي وَالشَّوقُ أَحْرَقَنِي
وَالحُبُّ أَيْقَظَنِي والحَقُّ يُحْيِينِي[3]

* وقال: «إذا أكرم الله عبدًا ألهمه ذكره، وألزمه بابه، وآنسه به، يتعرَّفُ إليه بأكبر الفوائد، ويمدّه من عنده بالزوائد، ويصرف عنه أشغال الدنيا والبلايا، فيصير من خواص الله وأحبابه، فطوبى له حيًّا وميتًا، ولو علم أبناء الدنيا ما فاتهم من حظِّ المقرّبين، وتلذّذ الذاكرين، وسرور المحبين: لماتوا كمدا»[4].

* ولله درُّه حين يقول: «إن أولياء الرحمن نظروا إلى حسن صنيعه بهم، فوردوا على بحر محبته، فاغترفوا منه ريَّ الشراب، فتسهل عليهم كل عارض عرض دون لقاء ربهم، فألفت القلوب تلك الراحة، فهم المحزونون المغمومون والمكربون المهمومون، عُجِنوا بماء اليقظة، فهطلت عليهم سحائب الأشجان، فكأنَّ مطالبهم قد ظفر بهم، لا تفارقهم العبادة ولا يفارقونها.

أول أنفاسهم سَمُوم، وآخرها رَوْح. وأول كلامهم خوف، وآخره رجاء. قد سكنت إليهم النفوس فرضوا بالفقر والبؤس. قد تطاولت عليهم الأحزان، فخشعوا لهيبته، واستوطنوا خشيته فطوبى لهم»[5].

---

(١) المكنون ص (١٠٣).
(٢) المكنون ص (١٠٩).
(٣) المكنون ص (١١٤).
(٤) «الزهد الكبير» للبيهقي، والمكنون ص (١١٥ - ١١٦).
(٥) المكنون ص (١١٩ - ١٢٠).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : «إن لله عبادًا ذابت قلوبهم كما يذوب الآنك[١]، لا أنه ذوّبها فذهب بها، ولكن غضرَم فِيها جمرة الهوى فتغضرَمت، فهي متغضرمة بالاشتغال، إن الجمرة قد توقد تذهب فتطفي، وتضمحلّ، وجمرة الهوى لاطفأ لها، ولا انقضاء.

هي في كل وقت بالشوق والحب مشتعلة.

اشتعل الجوى، فانحطّ على الضمير، فغضرم المكنون، فهو اختفاء خفيّ، للاختفاء في الكمين، بين الجوى والضمير، حتى خبت جمرة الهوى فأفاق، فأوقدها، فلما استوقدت رماها بسهمه فقدحها، فاشتعل الجوى بالاشتعال، واشتعل الضمير، فتغضرمت الجمرة باتقادها. فحميَّ سَطوة الصفاء عليها، فوقع الجمر على الجوى، والضمير، فهما جميعًا إلى الفوران والغليان أقرب من السكون والهدوء.

وأي راحة تكون لقلب قد تغضرم فيه جمرة الهوى.

يا أهل (المحبة)[٢] اشتغلتم، وإلى الجليل تقرَّبتم، وبقربه نزلتم، اتعبوا، فغدًا الراحة، أتحبُّون قطع الراحة؟؟ فغدا تنعَّمون، ابكوا إن شئتم وأكثروا فغدًا بقرب الجليل تفرحون إذا قيل لكم ارتقوا، وبقرب عرشي فانزلوا، وإلى وجهي فانظروا، هنالك تفرحون وتتمنوا أنكم زدتم تعبًا».

ثم بكى، وقال: طوبى لهم، ثم طوبى لهم[٣].

ما جاء في «الحلية» لأبي نعيم من كلام ذي النون وحِكَمِه:-

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «ثلاثة من أعلام الوصول: الأنس به في جميع الأحوال، والسكون إليه في جميع الأعمال، وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال».

---

(١) الآنك: الرصاص.

(٢) في الأصل: يا أهل الهوى.

(٣) المكنون ص (١٢٠ - ١٢١).

* وقال: «ثلاثةٌ من أعمال الشوق: حب الموت مع الراحة، وبغض الحياة مع الدِّعَة، ودوام الحزن مع الكفاية»[(١)].

* وقال: «نفسٌ على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت. نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثُنْيا[(٢)].

نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت الدُّجى إلى أن وضح الفلَق، فما ظنك بنفس في وادي الحنادس سلكت، وهجرت الدنيا فما ملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العيناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى النذر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلم الدياجي سهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في غلس الدجى مشمرة، هذه نفس خدوم، عملت ليوم القدوم، وكُلّ ذلك بتوفيق الحي القيوم».

* وقال: «إن المؤمن إذا آمن بالله، واستحكم إيمانه: خاف اللَّه، فإذا خاف اللَّه تولّدت من الخوف هيبة اللَّه، فإذا سكن درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولَّد من الطاعة الرجاء، فإذا سكن درجة الرَّجاء تولَّدت من الرجاء المحبة، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق، فإذا سكن اشتاق، فأدَّاه الشوقُ إلى الأنس بالله، فإذا أنس باللَّه اطمأن إلى اللَّه، فإذا اطمأن إلى اللَّه كان ليله في نعيم، ونهاره في نعيم، وسرُّه في نعيم وعلانيته في نعيم.

وقال له سعدون: يا أبا الفيض إنَّ من القلوبِ قلوبًا تستغفر اللَّه قبل أن تذنب؟

قال: نعم، تلك قلوب تُثَاب قبل أن تُطيع.

قال: يا أبا الفيض اشرح لي ذلك؟

فقال: يا سعدون، أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين، فهم قد فطموا النفوس من رَوْح الشهوات، فهم رهبان من الرهابين، وملوك في العبّاد، وأمناء في الزهاد، للغيث الذي مُطِر في قلوبهم الوالهة بالقدوم إلى اللَّه شوقًا،

(١) حلية الأولياء (٩/ ٣٤٢)، وتاريخ دمشق (١٧/ ٤١٥).
(٢) ولا استثناء.

فليس فيهم من آنسٍ بمخلوق، ولا مسْترْزَقٍ من مرزوقٍ، فهو بين الملأ حقير ذليل، وعند اللَّه خطير جليل».

* **وقيل له** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كم بابًا إلى الفطنة؟

قال: أربعة أبواب: أولها: الخوف، ثم الرجاء، ثم المحبة ثم الشَّوق.

ولها أربعة مفاتيح، فالفرض: مفتاح باب الخوف، والنافلة مفتاح باب الرجاء، وحُبّ العُبَّاد والشوق: مفتاح باب المحبة، وذكر اللَّه الدائم بالقلب واللسان مفتاح باب الشوق.

وهي أربع درج إلى اللَّه، فأقربها منه درجة: الشوق، وهي درجة الولاية، فإذا همت بالارتقاء في هذه الدرجة، فتناولْ مفاتيح باب الخوف، فإذا فتحته وصلت إلى باب المحبة، فتناول مفتاحه، فإذا فتحته وصلت إلى باب الشوق، فتناول مفتاحه، فإذا فتحته أفضيْت إلى باب الفطنة مفتوحًا لا غَلَق عليه، فإذا دخلته فلا أظنك تطيق ما ترى فيه، فحينئذ تجوَّز شرفك الأشراف، ويعلُو ملكك مُلْك الملوك.

واعلم يا أخي أنه ليس بالخوف يُنال الفرض، ولكنْ بالفرض يُنال الخوف، ولا بالرجاء تنال النافلة، ولكن بالنافلة ينال الرجاء، كما أنه ليس بالأبواب تُنال المفاتيح، ولكن بالمفاتيح تُنال الأبواب.

واعلم أنه من تكامل فيه الفرض، فقد تكامل فيه الخوف، ومن جاء بالنافلة، فقد جاء بالرجاء، ومَن جاء بمحبَّةِ العُبَّادِ، فقد وصل إلى اللَّه، ومن شغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف اللَّه في قلبه نور الاشتياق إليه، وهذا سرُّ الملكوت، فاعلمه واحفظه حتى يكون اللَّه عَزَّوَجَلَّ يناوله من يشاء من عباده».

* وسُئل عن صفة المهمومين، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لو رأيتهم لرأيت قومًا لهم هموم مكتمومة، خُلِقَت من لُبَاب المعرفة، فإذا وصلت المعرفة إلى قلوبهم سقاهم بكأس سرّ السرّ، من مؤانسة سر محبته، فهاموا بالشوق على وجوههم، فعندها لا يحطون رحال الهمم إلا بفناء محبوبهم، فلو رأيتهم لرأيت قومًا أزعجهم الهَمُّ

عَن أوطانهم، وانبثت الأحزان في أسرارهم، فهممهم إليه سائرة، وقلوبهم إليه من الشوق طائرة، قد أضجعهم الخوف على فرش الأسقام، وذبحهم الرجاء بسيف الانتقام، وقطّع نياط قلوبهم كثرة بكائهم عليه، وزهقت أرواحهم من شدة الوله إليه، قد هدَّ أجسامهم الوعيد، وغيّر ألوانهم السَّهر الشديد، يتلذَّذُون بكَلام الرَّحمن، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام، فرحين في خلواتهم، لا تفتر لهم جارحة في الخلوات، ولا يستريح لهم قدم تحت ستور الظلمات، فيا لها من نفوس طاشت بهمّتها، والمسارعة إلى محبتها، لما أمّلت من اتصال النظر إلى ربها، فنظرت، فأنست، ووصلت فأوصلت، وعرفت ما أراد بها، فركبت النجب، وفتقت الحجب، حتى كشفت عن هممها الكُرَب ثم أنشأ ذو النون يقول:

رِجَالٌ أَطَاعُوا اللَّه في السِّرِّ والجَهْرِ فَمَا بَاشَرُوا اللَّذَّاتِ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ
يُرَاعُونَ نَجْمَ اللَّيلِ مَا يَرْقُدُونَهُ فَباتُوا بِإِدْمَانِ التَّهَجُّدِ وَالصَّبْرِ
فَدَاخِلْ هُمُومَ القَومِ لِلْخَلْقِ وَحْشَةٌ فَصَاحَ بِهِم أَنَسُ الجَلِيلِ إِلَى الذِّكرِ
فَأَجْسَادِهُم فِي الأَرْضِ هَوْنًا مُقِيمَةً وَأَرْوَاحِهُمُ تَسْرِى إِلَى مَعْدَنِ الفَخْرِ
فَهَذَا نَعِيمُ القَومِ إِنْ كُنْتَ تَبْتَغِي وَتَعقِلُ عن مولاكِ آدَابَ ذَوي القَدْرِ

* وسُئِل رَحِمَهُ اللَّهُ: «متى أشتاق إلى ربي؟»

قال: إذا جعلت الآخرة لك قرارًا، ولم تُسَمِّ الدنيا لك مسكنًا ودارًا».

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثلاثةٌ مِنْ أَعْلَام حبِّ الآخرَةِ: كثرة البكاء والذكر، ودوام الشوق لها، وبغض الدنيا من أجلها»[1].

ولله دره حين يقول في مناجاته لربه: «اللهم مَتعْ أبصارنا بالجولان في جلالك، وسهِّرنا عمّا نامت عنه عيون الغافلين، واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل

(١) «الزهد الكبير» للبيهقي، والمكنون ص (١٧٩).

النور، وأطلقنا من الأسر لنجول في خدمتك مع الجّوالين»[١].

نعم.. لنجول في خدمتك مع الجوَّالين المشتاقين

قَوْمٌ تَخَلَّلَهُم زَهْوٌ بِسَيِّدِهِم ... وَالعَبْدُ يَزْهُو عَلَى مِقْدَارِ مَوْلَاهُ

تَاهُوا بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ لَهُ ... يَا حُسْنَ رُؤْيَتِهِم فِي حُسْنِ مَا تَاهُوا

«أسألك باسمك الذي ابتدعت به عجائب الخلق أن تجعلنا من الذين شربوا بكأس الصفاء، فأورثهم الصبر على طول البلاء، حتى تولّهت قلوبهم في الملكوت، وجالت بين سرائر حجب الجبروت، ومالت أرواحهم في ظل برد نسيم المشتاقين الذين أناخوا في رياض الراحة ومعدن العزِّ وعرصات الموحدين».

قال ذو النون رحمه الله:

تَوَجُّعُ مِمْرَاضٍ، وخَوفُ مُطالَبٍ ... وإشْفَاقُ مَهْمُومٍ وَحُزنُ كَئِيبِ

وَلَوْعَةُ مُشْتَاقٍ، وَزَفْرَةُ وَالِهٍ ... وَسَقْطَةُ مِسقَامٍ بِغَيرِ طَبِيبِ

وَفِكْرَةُ جَوَّالٍ، وَفِطْنَةُ غَائِصٍ ... لَيَأْخُذَ مِنْ طِيبِ الصَّفَا بِنَصِيبِ

أَلَمَّتْ بِقَلْبٍ حَيَّرَتْه طوارقُ ... مِنَ الشَّوقِ حَتَّى ذَلَّ ذُلَّ غريبِ

يُكَاتِمُ لِي وَجْدًا، وَيُخْفِي مَحَبَّةً ... هَوَتْ فَاسْتَكَنَّتْ فِي فُؤَادِ لَبِيبِ

خَلَا فَهْمُهُ عَنْ فَهْمِهِ لِحُضُورِهِ ... فَمِنْ فَهْمِه فَهْمٌ عَلَيه رَقِيبُ

يَقُولُ إِذَا مَا شَفَّهُ الشَّوقُ وَاحْتَدَى ... بِهِ العَيْشُ، يَا أُنْسَ الحَبِيبِ يَطِيبُ

فَهَذَا لِعَمْرِي عبدُ صِدْقٍ مُهَذَّبٌ ... صَفَى فاصْطُفِي، فالرَّبُّ مِنْهُ قَرِيبُ

* وقال رحمه الله:

أَمَّا النَّهَارُ، فَأَنْتَ رَوحُ قُلُوبِهِم ... واللَّيلُ يَسْمَعُ فِيهِ مَا يَتَمَتَّعُ

عَرَجَتْ إِلَيكَ هُمُومُهُم، وَقُلُوبُهُم ... مَرْفُوعَةٌ مِنْهُم إِلَيكَ تَطَلَّعُ

(١) الحلية: (٩/ ٣٥٨).

* قالت إحدى العابدات لذي النون المصري: «أَحِبَّ رَبَّكَ واشتق له، فإن له يومًا يتجلَّى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبَّائه، فيذيقهم من محبَّتِهِ كَأسًا لا يظمئون في دار لا أجدُ فيها أحدًا يسعدني على البكاء أيام حياتي؟ ثم تركته ومضت[(١)]

* قال ذو النون المصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدرجات التي عمل لها أبناء الآخرة سبع درجات: أولها التوبة، ثم الخوف، ثم الزهد، ثم الشوق، ثم الرضا، ثم الحب، ثم المعرفة.

ثم قال: بالتوبة تطَهروا من الذنوب، وبالخوف جازوا قناطر النار، وبالزهد تخفّفوا من الدنيا وتركوها، وبالشوق استوجبوا المزيد، وبالرضا استعجلوا الراحة، وبالحب عقلوا النعم، وبالمعرفة وصلوا إلى الأمل»[(٢)].

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ قبلته عبادته فدينه جنَّته، ومن قبلته حبُّه فدينه النظر إليه»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثلاثة من أعلام الوله إلى اللَّه: اضطراب الروح في البدن عند الذكر تشوُّقًا، ولو صاح العقل عند النجوع تملّقًا، ودلوج الهمَّة نحو اللَّه تخلّقًا[(٤)].

* ولله دره حين يقول: «الحُبُّ يُنطِق، والحياء يُسكِت، والشوق يغلغل[(٥)].

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: الشُّوقُ أعْلَى الدرجات وأعلى المقامات، إذا بلغها العبد استبطأ الموت شوقًا إلى ربه وحُبًّا للقائه والنظر إليه»[(٦)].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: (١٧/ ٤٠٧).
(٢) المصدر السابق: (١٧/ ٤١٦).
(٣) المصدر السابق: (١٧/ ٤٢٥).
(٤) المصدر السابق: (١٧/ ٤٢٥).
(٥) تاريخ دمشق: (١٧/ ٤٣٠).
(٦) تاريخ دمشق: (١٧/ ٤٣١).

* كانت لذي النون عصًا مكتوب عليها:

عَبَرَاتٌ كُتِبْنَ في الخَدِّ سَطْرًا ... قَدْ قَرَأَهُ مَنْ لَيسَ يُحْسِن يَقْرَا
إنَّ مَوتَ الحُبِّ مِنْ أَلَمِ الشَّوقِ ... وَخَوفُ الفِرَاقِ يُورِثُ عُذْرَا
صَابَرَ الصَّبرَ فاستغاثَ بِهِ الصَّبرُ ... فَصَاحَ المُحِبُّ بِالصَّبْرِ صَبْرًا[1]

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقيت بعض الشيوخ فقلتُ له: مِن أين أقبلت؟ فأنشأ يقول:

مِنْ عِنْدِ مَنْ عَلِق الفُؤَادُ بحُبِّه ... وَشَكَا إلَيهِ بِخَاطِرٍ مُشْتَاقِ
يَبْغِي إلَيهِ مِنَ الوِصَالِ تَقَرُّبًا ... فِيهِ الشِّفَا لِوَامِقٍ تَوَّاقِ[2]

وفي رواية أخرى:

يَبْغِي إلَيهِ مِنَ الوَسَائِلِ قُرْبَةً ... فِيهَا الشِّفَا لِوَامِقٍ تَوَّاقِ

* يقول ذو النون في موعظته التي تُدمي القلوب والأجفان: «إن لله عبادًا ملأ قلوبهم من صفاء محبته، وهيّج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته، فسبحان من شوّق إليه أنفسهم، وأدنى منه هممهم، وصَفَت له صدورهم، سبحان مُوَفِّقهم ومؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم، إليه لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة، وانبسطت أيديهم إلى الذي طيّبت به عيشهم، وأدمْت به نعيمهم، فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك، ففتحت لهم أبواب سماواتك، وأَتَحْتَ لَهُمْ الجوازَ في ملكوتك، بك أنست محبة المحبين، وعليك معول وشوق المشتاقين، وإليك حنّت قلوب العارفين، وبك أنست قلوب الصادقين، وعليك عكفت رهبة الخائفين، وبك استجارت أفئدة المقصرين، قد بسطت الراحة من فتورهم، وقلّ طمع الغفلة فيهم، لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم، ولا يفتروا عن التعب والسهر، يناجونه بألسنتهم، ويتضرّعون إليه بمسكنتهم، يسألونه العفو عن

---

(١) المصدر السابق: ص (٤٣٤).
(٢) المصدر السابق: (١٧/ ٤٣٥).

زلّاتهم، والصفح عمّا وقع الخطأ به في أعمالهم، فهم الذين أذابت قلوبهم الأحزان وخدموه خدمة الأبرار الذين تدفّقت قلوبهم ببره، وعاملوه بخالص من سره، كنت لهم سيدي مؤيدًا، ولعقولهم مؤدبًا، ذهبت الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته، ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده.

فيا حسنهم والليل قد أقبل بحنادس ظلمته، وهدأت عنهم أصوات خليقته، وقدموا إلى سيدهم الذي له يأملون، فلو رأيت أيها البطال أحدهم، وقد قام إلى صلاته وقراءته، فلما وقف في محرابه، واستفتح كلام سيده، خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، فانخلع قلبه، وذهل عقله، فقلوبهم في ملكوت السماوات معلقة، وهمومهم بالفكر دائمة، فما ظنك بقوم خيار أبرار وقد خرجوا من رقّ الغفلة، واستراحوا من وثائق الفترة، وأنسوا بيقين المعرفة، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة، بلّغنا اللّه وإياكم هذه الدرجة»[١].

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن لله عبادًا علموا الطريق إليه، والوقوف غدًا بين يديه، فثارت القلوب إلى محجوب الغيوب، فجرّعوا مرارة مذاق خوف، واستعملوا الظلام في رضا صاحب السّماوات، فسقاهم من أعين العلم والزيادات، وغوّصهم في بحار السلامات، فهم غدًا يسلمون من الزلازل والسطوات ويسكنون الغرفات»[٢].

لله در ذي النون وهو يقول:

«إن لله عبادًا ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته وهيّج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته، فسبحان من شوّق إليه أنفسهم، وأدنى منه هممهم، وصفت له صدورهم، سبحان موفّقهم ومؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم، إلهي لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة، وانبسطت أيديهم إلى ما طيّبت به عيشهم

---

(١) الحلية: (٩/ ٣٣٩).

(٢) الحلية: (٩/ ٣٦٠).

وأدمت به نعيمهم.

بك أنست محبة المحبين، وعليك مُعَوَّلُ شوق المشتاقين»

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: عن المشتاقين: «هاموا بالشوق فلا يحطُّون رحال الهمِّ إلَّا بفناء محبوبهم، فلو رأيتهم لرأيت أقوامًا أزعَجَهُم الهمُّ عن أَوطانهم، فهممهم إلى مولاهم سائرة، وقلوبهم إليه من الشوق طائرة».

بِحَالِ قُلُوبِ العَارِفِينَ بِرَوضَةٍ ... سَمَاوِيَّةٍ مِنْ دُونِهَا حَجبُ الرَّبِّ

وَأَرْوَى صَدَاهَا كَأسُ صَرْفٍ بِحُبِّه ... وَبرْدُ نَسِيمٍ جَلَّ عَنْ مُنْتَهَى الخَطْبِ

فَيَا لَقُلُوبٍ قُرِّبتْ فَتَقَرَّبَتْ ... لِذِي العَرْشِ مِمَّا زَيَّنَ المَلِكُ بِالقُرْبِ

رَضِيَهَا فَأَرْضَاهَا فَحَازَتْ مَدَى الرِّضَا ... وَحَلَّتْ مِنَ المَحْبُوبِ بِالمَنْزِلِ الرَّحْبِ

* رحم اللَّه ذا النون، لقد اشتاق إلى ربه فترجم ذلك أقوالا وأعمالًا وأحوالًا، ولله در القائل:

إذَا كَانَ حُبُّ الهَائِمِينَ مِنَ الوَرَى ... بِلَيلَى وَسُعْدَى يَسْلِبُ العَقْلَا

فَمَاذَا عَسَاهُ يَصْنَعُ الهَائِمُ الَّذِي ... سَرَى قَلْبُهُ شَوْقًا إلَى العَالَمِ الأَعْلَى

* ولله در القائل:

وَلَهُ خَصَائِصُ يُكَلَّفُونَ بِحُبِّهِ ... اخْتَارَهُمْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ

اخْتَارَهُم مِنُ قَبْلِ فِطْرَةِ خَلْقِهِ ... بِوَدَائِعَ وَفَوَائِدَ وَبَيَانِ[1]

* ولله در القائل:

غَرَسْتَ الحُبَّ غَرْسًا فِي فُؤَادِي ... فَلَا أَسْلُو إلَى يَومِ التَّنَادِي

جَرَحْتَ القَلْبَ مِنِّي بِاتِّصَالٍ ... فَشَوْقِي زَائِدٌ وَالحُبُّ بَادِي

«إنَّ لله - تعالى - شرابًا يسقيه في الليل قلوب أحبابه، فإذا شربوه طارت

(١) الحلية: (٩/ ٣٨٠).

قلوبهم في الملكوت الأعلى حُبًّا لله - تعالى - وشوقًا إليه:.

سَقَانِي شَرْبَةً أَحْيَا فُؤَادِي كَأْسُ الحُبِّ مِنْ بَحْرِ الوِدَادِ
فَلَوْلَا اللَّهُ يَحْفَظُ عَارِفِيهِ لَهَامَ العَارِفُونَ بِكُلِّ وَادِ

* وقال في وصف الأولياء: «هم يا أخي قومٌ قد ذوّب الحزن أكبادهم، وأنحل الخوف أجسامهم، وغيَّر السَّهرُ ألوانهم، وأقلق خوف البعث قلوبهم، وقد سكنت أسرارهم إليه، وتذللت قلوبهم عليه، فنفوسهم عن الطاعات لا تسلو، وقلوبهم عن ذكره لا تخلو، وأسرارهم في الملكوت تعلو، الخشوع يخشع لهم إذا سكنوا، والدموع تُخبر عن خفيِّ حرقتهم إذا كمدوا، قد نَسَوْا فرح الشهوات بحلاوة المناجاة، فليس للغفلة عليهم مدخل، ولا للهو فيهم مطمع، قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات، فهم على بابه يبكون، وإليه يبكون، ومنه يبكون، فطوبى للعارفين ما أغنى عيشهم، وما ألذَّ شربهم، وما أجلَّ حبيبهم»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَمُوتُ وَمَا مَاتَتْ إِلَيكَ صَبابَتِي وَلَا قَضَيْتُ عَنْ وِرْدِ حُبِّكَ أَوْطَارِي
مُنَايَ المُنَى كُلُّ المُنَى أَنْتَ لِي مُنَى وَأَنْتَ الغِنَي كُلُّ الغِنَى عِنْدَ إِقْتَارِي
وَأَنْتَ مَدَى سُؤْلِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي وَمَوْضِعُ شَكْوَايَ وَمَكْنُونُ إِضْمَارِي

ويحدثنا رَحِمَهُ اللَّهُ عن امرأة شاهدها في بعض بلاد الشام.. فسألها: من أين أقبلتِ؟

قالت: مِن عند أقوامٍ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ... ثم سألها: وأين تريدين؟

قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه... فطلب إليها أن

---

(١) الحلية: (١٠/ ٩٧).

تصفهم، فقالت: -

قَوْمٌ هُمُومُهُمُ بِاللَّهِ قَدْ عَلِقَتْ ... فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَى أَحَدِ
فَمَطْلَبُ القَومِ مَوْلَاهُم وَسِيِّدُهُم ... يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِم لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
مَا إِنْ تُنَازِعِهُم دُنْيَا وَلَا شَرَفٌ ... مِنَ المَطَاعِمِ وَاللَّذَاتِ وَالوَلَدِ
وَلَا لِلبْسِ ثِيَابِ فَائِقٍ أَنِقٍ ... وَلَا لِرَوْحِ سُرُورٍ حَلَّ فِي بَلَدِ
إِلَّا مُسَارَعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ ... قَدْ قَارَبَ الخَطْوُ فِيهَا بَاعِدَ الأَبَدِ

* * *

من دُرر ابن قيم الجوزية

المشتاق إلى ربه

الفرائد من «الفوائد»

لله در ابن القيم من إمام رباني يسوق القلوب بالشوق إلى الكريم الودود... فهو بحق حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إذا شهدت القلوب من القرآن مَلِكًا عظيمًا رحيمًا جوادًا جميلًا هذا شأنه؛ فكيف لا تحبه، وتُنافس في القرب منه، وتُنفِق أنفاسها في التودد إليه، وكيف لا يكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه آثر عندها مِن رضا كلِّ ما سواه؟! وكيف لا تلهج بذكره، ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاءَها وقُوتَها ودواءها؛ بحيث إنْ فَقَدَتْ ذلك، فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها»[(١)].

● التخلية قبل التحلية:

«قَبُول المحلِّ لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضدّه:

فالقلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته والشوق إليه والأنس به لا يُمكن شَغْلُه بمحبة الله وإرادته وحبه والشوق إلى لقائه؛ إلا بتفريغه من تعلُّقه بغيره، ولا حركة اللسان بذكره والجوارح بخدمته، إلا إذا فرّغها من ذِكْر غيره وخِدمته، فإذا امتلأ القلب بالشُّغل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفع، لم يبق فيها موضع للشُّغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه.

وسِرُّ ذلك: أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن؛ فإذا صغا[(٢)] إلى غير حديث الله، لم يبق فيه ميل إلى محبته، فإذا نطق القلب بغير ذكره، لم يبق فيه محل

---

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية ص (٨٦) تحقيق عامر بن علي ياسين - دار ابن خزيمة

(٢) صغى يصغو ويصغى صغْوًا: مال.

للنطق بذكره، كاللسان»(١).

● **محبة العبد لربه والشوق إليه على قدر معرفته به:-**

«اللذة تابعة للمحبة؛ تقوى بقوَّتها، وتضعف بضعفها؛ فكلما كانت الرغبة في المحبوب والشوق إليه أقوى؛ كانت اللَّذة بالوصول إليه أتم.

والمحبة والشوق تابعان لمعرفته والعلم به، فكلما كان العلم به أتم؛ كانت محبته أكمل.

فإذا رجع كمال النعيم في الآخرة وكمال اللَّذَّة إلى العِلم والحب، فمن كان باللَّه وأسمائه وصفاته أعرف؛ كان له أحَبَّ، وكانت لذته بالوصول إليه ومجاورته والنظر إلى وجهه وسماع كلامه أتمّ... وكل لذّة ونعيم وسرور وبهجة بالإضافة إلى ذلك كقطرةٍ في بحر.

فكيف يُؤثِرُ من له عقل لذّة ضعيفة قصيرة مشوبة بالآلام على لذّةٍ عظيمةٍ دائمة أبد الآباد؟!

وكمال العبد بحسب هاتين القوّتين: العلم والحبِّ، وأفضل العلم العلم بالله، وأعلى الحبِّ الحبُّ له، وأكمل اللذة بحسبهما»(٢).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«سبحان اللَّه! تزيَّنت الجنة للخُطّاب فجدّوا في تحصيل المَهر، وتعرّف ربُّ العزة إلى المحبين بأسمائه وصفاته فعَملوا على اللقاء، وأنت مشغول بالجِيَفِ.

لَا كَانَ مَنْ لِسِوَاكَ مِنْهُ قَلْبُهُ ... وَلَكَ اللِّسَانُ مَعَ الوِدَادِ الكَاذِبِ

* المعرفة بساط لا يطأ عليه إلا مُقَرَّب، والمحبة نشيد لا يطرب عليه إلا محب مُغرَم.

* الحب غدير في صحراء، ليست عليه جادَّة(٣)؛ فلهذا قلَّ وارده.

---

(١) المصدر السابق ص: (٨٦، ٨٧).

(٢) المصدر السابق ص: (١٣٤).

(٣) أيْ: ليست عليه طريق معروفة مُعبَّدة يسلكها الناس.

* المحبُّ يهرب إلى العزلة والخلوة بمحبوبه والأنس بذكره كهرب الحوت إلى الماء والطفل إلى أمه.

وَأخْرُجُ مِنْ بَيْنِ البُيُوتِ لَعَلَّني   أُحُدِّثُ عَنْكَ القَلْبَ بِالسِّرِّ خَالِيَا

* ليس للعابد مستراح إلّا تحت شجرة طوبى، ولا للمُحِبِّ قرار إلا يوم المزيد.

* الهِمَّةُ العَلِيَّة من استعدَّ صاحبها للقاء الحبيب، وقدّم التقادم[(١)] بين يدي المُلتقى، فاستبشر عند القدوم ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)] [البقرة: ٢٢٣].

● **المحبة لا تجيء بالتعليم:-**

* قال رجل لمعروف: علِّمني المحبة! فقال: المحبة لا تجيء بالتعليم:

هُوَ الشَّوْقُ مَدْلُولاً عَلَى مَقْتَلِ الفَتَى   إذَا لَمْ يَعُدْ صَبًّا بلُقْيا حَبِيبِهِ[(٣)]

● **الشوق حادٍ وسائق:-**

«إذا سافر المحبُّ لِلقاء محبوبه؛ ركبت جنوده معه، فكان الحب في مقدمة العسكر، والرجاء يحدو بالمَطِيِّ، والشوق يسوقها، والخوف يجمعها على الطريق؛ فإذا شارف قدوم بلد الوصل؛ خرجت تقادِم الحبيب باللقاء.

فَدَاوِ سُقْمًا بجسْمٍ أَنْتَ مُتْلِفُهُ   وابْرِدْ غَرَامًا بِقَلْبٍ أَنْتَ مُضْرِمُهُ

وَلَا تَكِلْنِي عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ إِلَى   صَبْرِي الضَّعِيفِ فَصَبْري أَنْتَ تَعْلَمُهُ

تَلَقَّ قَلْبِي فَقَدْ أَرْسَلْتُهُ عَجِلاً   إِلَى لِقَائِكَ وَالأَشْوَاقُ تَقْدُمُهُ

فَإِذَا دَخَلَ على الحبيب؛ أُفيضَت عليه الخِلَع من كل ناحيةٍ ليُمْتَحَنْ، أيسكُنْ

---

(١) التقادم: سوابق الخير والأعمال الصالحة التي يقدمها المرء لنفسه جمع تقدمة.

(٢) الفوائد ص: (١٦٩ - ١٧١).

(٣) الفوائد ص: (١٧٢).

إليها فتكون حَظَّهُ؟ أم يكون التفاته إلى من ألبسه إياها» [(١)].

«سُرَادِق المحبة لا يُضَرب إلَّا في قاعٍ نزهٍ فارغ.

نَزِّه فُؤَادَكَ مِنْ سِوَانَا وَالْقَنَا   فَجَنابُنَا حِلٌّ لِكُلِّ مُنَزَّهِ

وَالصَّبرُ طِلَّسْمٌ لِكنْزِ وِصَالِنَا   مَنْ حَلَّ ذَا الطِّلْسَم فَازَ بِكَنْزِهِ

* فَرَّغَ القوم قلوبهم من الشواغِل، فَضُربت فيها سُرادقات المحبة، فأقاموا العيون تحرُس تارة وتَرُشُّ أُخَرى» [(٢)].

* «ملأوا مراكب القلوب متاعًا لَا تنفق إلا على المَلِك، فلمَا هَبَّتْ رياح السَّحَر، أقلعتْ تلك المراكبُ، فما طَلَع الفجرُ إلا وهي بالميناء» [(٣)].

* «قد علمت أين المنزل؛ فاحْدُ لها؛ تَسِرْ.

* الجنة ترضى منك بأداء الفرائض، والنار تُدفَع عنك بترك المعاصي، والمحبَّة لا تقنع منك إلا ببذل الرُّوح» [(٤)].

* «الشوق إلى اللَّه ولقائه نسيم يهُبُّ على القلوب يُرَوِّح عنه وهج الدنيا» [(٥)].

نعم، الشوق إلى اللَّه ولقائه نسيم يهب على القلوب، ويُطيِّب لها السير إلى بلاد المحبوب.

* من وطَّن قلبه عند ربه، سكن واستراح، ومَن أرسله في الناس، اضطرب واشتد به القلق.

* لا تدخل محبة اللَّه في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سَمِّ [(٦)] الإبرة.

---

(١) المصدر السابق ص: (١٩٣).

(٢) المصدر السابق ص: (١٩٤).

(٣) المصدر السابق ص: (١٩٣).

(٤) الفوائد ص: (١٩٥).

(٥) المصدر السابق ص: (٢٣٦).

(٦) سَمُّ الإبرة: ثقبها الذي يُدْخَل فيه الخيط.

* إذا أحبَّ اللَّه عبدًا، اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته فشغل همّه به، ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته.

● مجاهدة النفس والشوق إلى اللَّه:-

«كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه: أيهما أفضل: رجل لم تخطر له الشهوات، ولم تمرّ بباله، أو رجل نازعته إليها نفسه فتركها لله؟ فكتب عمر: إن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله عَزَّ وَجَلَّ من ﴿ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

فما ابتلى اللَّه - سبحانه - عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي وميل نفسه إليها؛ إلَّا لِيَسوقه بها إلى محبة ما هو أفضل منها وخير له وأنفع وأدوم، وليجاهد نفسه على تركها له - سبحانه، فتورثه تلك المجاهدة الوصول إلى المحبوب الأعلى، فكلما نازعته نفسه إلى الشهوات واشتدَّت إرادته لها وشوقه إليها؛ صرف ذلك الشوق والإرادة والمحبة إلى النوع العالي الدائم، فكان طلبه لها أشدَّ، وحرصه عليها أتمَّ؛ بخلاف النفس الباردة الخالية من ذلك؛ فإنَّها وإن كانت طالبة للأعلى، لكنّ بين الطَّلبين فرقًا عظيمًا! ألا ترى أن من مشى إلى محبوبه على الجمر والشوك أعظم ممن مشى إليه راكبًا على النجائب؟ فليس من آثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن آثره على عدم منازعتها إلى غيره، فهو - سبحانه - يبتلي عبده بالشهوات؛ إمّا حجابًا له عنه، أو حاجبًا له يوصِلُه إلى رضاه وقربه وكرامته»[١].

● علو الهمة ولذّة الشوق إلى اللَّه:-

لَذَّة كُل أحدٍ على حسب قَدْرِه وهمَّته وشرف نفسه:

فأشرف الناس نفْسًا وأعلاهم همَّة وأرفعهم قدْرًا مَنْ لذَّته في معرفة اللَّه ومحبته والشوق إلى لقائه، والتوُّدد إليه بما يحبه ويرضاه؛ فَلَذَّتُه في إقباله عليه وعكوف همَّته عليه... ودون ذلك مراتب لا يحصيها إلا اللَّه»[٢].

---

(١) الفوائد ص: (٢٥٨، ٢٥٩).

(٢) الفوائد ص: (٣٤٠).

◉ الشوق إلى الله والعبادة كلّما خف البدن لطفت الروح واشتاقت:-

«خُلِق ابن آدم من الأرض، وروحه من ملكوت السماء وقُرن بينهما:

فإذا أجاع بدنه وأقامه في العبادة؛ وَجَدَت رُوحه خِفّة وراحَة، فتاقت إلى الموضع الذي خُلِقت منه، واشتاقت إلى عالمها العلوي.

وإذا أشبعه ونعّمَهُ ونوّمه واشتغل بخدمته وراحته، أخلد البدن إلى الموضع الذي خُلق منه، فانجذبت الروح معه، فصارت في السجن؛ فلولا أنها أَلِفَتِ السِّجن، لاستغاثت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالمها الذي خُلِقت منه كما يستغيث المُعذَّب.

وبالجملة، فكلما خفَّ البَدَن؛ لَطُفَت الروح وخَفَّتْ وطلبت عالمها العلوي، وكُلَّما ثَقُلَ وأخلد إلى الشهوات والراحة، ثقلت الروح وهبطت من عالمها وصارت أرضية سفلية فترى الرجل روحه في الرفيق الأعلى وبدنه عندك، فيكون نائمًا على فراشه وروحه عند سدرة المنتهى تجول حول العرش، وآخرٌ واقف في الخدمة ببدنه وروحه في السُّفل تجول حول الحشّ، فَإِذَا فَارَقَتِ الرَّوح البدن، التحقت برفيقها الأعلى أوالأدنى، فعند الرفيق الأعلى كل قُرَّة عين وكل نعيم وسرور وبهجة ولذَّة وحياة طيبة، وعند الرفيق الأسفل كل همٍّ وضيق وحزن وحياة نكِدَة ومعيشة ضنك.

فآثر أحسن المعيشتَيْن وأطيبهما وأدومها! فَأَشْقِ البدن بنعيم الروح، ولا تُشق الروح بنعيم البدن! فإن نعيمَ الروح وشقاءها أعظم وأدْوَم، ونعيمَ البَدن وشقاءَه أقصرُ وأهون»[(١)].

ولله در ابن القيم حين يقول:

وَلَمَّا ادَّعَيْتُ الحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتني ... فَمَالِي أَرَى الأَعْضَاءُ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَمَا الحُبُّ حَتَّى يلْصُقَ القَلْبُ بِالحَشَا ... وَتَذْبُلَ حَتَّى مَا تُجِيبُ المُنَادِيَا

---

(١) الفوائد ص: (٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦) بتصرف يسير.

وتَنْحَلُ حَتَّى لاَ يُبَقِّي لَكَ الهَوَى سِوَى مُقْلَة تَبْكِي بِهَا وَتُنَاجِيَا

● **قلب المشتاق وعظم قدره:ـ**

«اعلم أن الله ـ تعالى ـ خلق في صدرك بيتًا وهو القلُب، ووضع في صدره عرشًا لمعرفته يستوي عليه المثل الأعلى، فهو مستوٍ على عرشه بذاته بائن من خلقه، والمثل الأعلى من معرفته ومحبته وتوحيده مستوٍ على سرير القلب، وعلى السرير بساط من الرضا، ووضع عن يمينه وشماله مرافق شرائعه وأوامره، وفتح إليه بابًا مِنَ جنة رحمته والأنس به والشوق إلى لقائه، وأمطره من وابل كلامه ما أنبت فيه أصناف الرياحين والأشجار المثمرة من أنواع الطاعات والتهليل والتسبيح والتحميد والتقديس، وجعل في وسط البستان شجرة معرفة؛ فهي ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

من المحبة والإنابة والخشية والفرح به والابتهاج بقربه، وأجرى إلى تلك الشجرة ما يَسْقيها من تدبر كلامه وفهمه والعمل بوصاياه، وعلَّق في ذَلِكَ البيت قَنديلًا أسرجه بضياء معرفته والإيمان به وتوحيده؛ فهو يُسْتَمَد من ﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾ ثم أحاط عليه حائِطًا يمنعه من دخول الآفات والمفسدين، ومَن يُؤذي البستان، فلا يلحقه أذاهم، وأقام عليه حرسًا من الملائكة يحفظونه في يقظته ومنامه، ثم أعلم صاحب البيت والبستان بالساكن فيه؛ فهو دائمًا هَمّه إصلاح السَّكن ولَمُّ شعثه؛ ليرضاه الساكن منزلًا، وإذَا أحَسَّ بأدنَى شَعَثٍ في السكن؛ بادر إلى إصلاحه ولَمِّه خشية انتقال الساكن منه؛ فنعم الساكن ونعم السكن»[١].

* قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَارف في الأرض ريحانة من رياحين الجنة، إذا شمَّها المريد؛ اشتاقت نفسه إلى الجنة»[٢].

---

(١) المصدر السابق ص: (٣٩٢ - ٣٩٣).

(٢) المصدر السابق ص: (٣٩٥).

● لله درهم من قوم:

«اشتَغَشُّوا الهوى فخالفوه، واستنصحوا العقل فشاوروه، وفرَّغوا قلوبهم للفكر فيما خُلِقوا له، وجوارحهم للعمل بما أُمروا به، وأوقاتهم لعمارتها بما يعمِّرُ منازلهم في الآخرة، واستظهروا على سرعة الأجل بالمبادرة إلى الأعمال، وسكنوا الدنيا وقلوبهم مسافرة عنها، واستوطنوا الآخرة قبل انتقالهم إليها، واهتمُّوا باللَّه على قدر حاجتهم إليه، وتزوّدوا للآخرة على قدر مُقامهم فيها، فعجَّل لهم - سبحانه - من نعيم الجنة ورَوْحِها؛ أن آنسَهم بنفسه، وأقبل بقلوبهم إليه، وجمعها على محبته، وشوَّقهم إلى لقائه، ونعَّمهم بقربه، وفرَّغَ قلوبهم ممَّا ملأ قلوب غيرهم من محبة الدنيا والهمِّ والحُزْن على فَوْتها والغمّ من خوف ذهابها، فاستلانوا ما استوعره المُتْرَفُون، وأنِسوا بما استوحش منه الجاهلون؛ صحبوا الدنيا بأبدانهم، والملأ الأعلى بأرواحهم»[1].

● عُكوف القلب على المَلِك الجليل لا الصور والتماثيل: -

من لم يعكف قلبه على اللَّه وحده؛ عَكفَ على التماثيل المتنوِّعة؛ كما قال إمام الحنفاء لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[الأنبياء: ٥٢].

فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل، وكان حظه العكوف على الرب الجليل، والتماثيل جمع تمثال وهي الصور الممثَّلة.

فتعلُّقُ القلب بغير اللَّه واشتغاله به والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شرك عُبَّاد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإرادتهم على تماثيلهم.

فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته بحيث يكون عاكفًا عليها؛ فهو نظير عكوف عُبّاد الأصنام عليها، ولهذا سمّاه النبي ﷺ عبدًا لها ودعا عليه

(١) الفوائد ص: (٤٢٣).

بالتعس والنَّكس، فقال: «تعِس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعِس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»(١).

● أَبَى اللَّه أن يودع ذخائره وأجلها الشوق في قلب فيه سواه:ـ

«ذخائر اللَّه وكنوز البر ولذَّة الأنس والشوق إليه والفرح والابتهاج به لا تحصل في قلب فيه غيره وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم؛ فإن اللَّه أبى أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه وهمَّته متعلِّقة بغيره، وإنما يُودِع ذخائره في قلب يرى الفقر غنىً مع اللَّه، والغنى فقرًا دون اللَّه، والعزُّ ذُلًّا دونه، والذل عزًّا معه، والنعيم عذابًا دونه والعذاب نعيمًا معه، وبالجملة فلا يرى الحياة إلا به ومعه، والموتُ والألم والهمُّ والغَمُّ والحزنُ إذا لم يكن معه؛ فهذا له جنتان: جنة في الدنيا معجَّلَة، وجنة يوم القيامة»(٢).

قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] فطلبت كون البيت عنده قبل طلبها أن يكون في الجنة، فإن الجار قبل الدار.

● ليس وراء اللَّه غاية تُطلَب، ولا دونه غاية إليها المنتهى:

قَول اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]: متضمِّن لكنز من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يُطلب إلا ممن عنده خزائنه، ومفاتيح تلك الخزائن بيديْه، وأن طلبه من غيره طلبٌ ممَّن ليس عنده ولا يقدر عليه.

وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] متضمِّن لكنز عظيم، وهو أن كل مراد إِنْ لم يُرَد لأجله ويتصل به؛ فهو مضمحل منقطع؛ فإنه ليس إليه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد ـ باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ـ (٦/ ٨١/ ٢٨٨٦و ٢٨٨٧) عن أبي هريرة.

وَشِيك: أصيب بالشوكة، وانتقش: نزع الشوكة انظر الفوائد ص: (٤٢٦ ـ ٤٢٧).

(٢) الفوائد ص: (٤٢٥ ـ ٤٢٦).

المنتهى وليس المنتهى إلَّا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه؛ فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يُحَبُّ لأجله؛ فمحبته عناء وعذاب، وكل عمل لا يُراد لأجله؛ فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل إليه؛ فهو شقيٌّ محجوب عن سعادته وفلاحه.

فاجتمع ما يُراد منه كله في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾، واجتمع ما يُرادُ له كله في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾؛ فليس وراءه - سبحانه - غاية تُطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى.

وتحت هذا سِرٌّ عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقرُّ ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يُحَبُّ ويُراد؛ فمرادٌ لغيره، وليس المرادُ المحبوب لذاته! لا واحدٌ إليه المنتهى.

فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره؛ بَطَل عليه وزال عنه وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعيمه ولذّته وبهجته وسعادته أبد الآباد»[(١)].

* «كل محب فهو مشتاق لحبيبه، مؤثر لمراضيه»[(٢)].

* وقال: «عيش المشتاق منغَّص حتى يلقى محبوبه فهناك تقرّ عينه، ويزول عن عيشه تنغيصه، وكذلك يزهد في الخلق غاية التزهيد، لأن صاحبه طالب للأنس باللَّه والقرب منه، فهو أزهد شيء في الخلق، إلّا من أعانه على هذا المطلوب منهم، وأوصله إليه، فهو أحبُّ خلق اللَّه إليه، ولا يأنس من الخلق بغيره، ولا يسكن إلى سواه، فعليك بطلب هذا الرفيق، فإن لم تظفر به فاتخذ اللَّه صاحبًا، وَدَع الناس جانبًا»[(٣)].

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشوق يحمل المحب على العجلة في رضا المحبوب والمبادرة

---

(١) الفوائد ص: (٤٣٧ - ٤٣٨).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٣٠).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٥٤).

إليها على الفور، ولو كان فيها تلفه ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝٨٤﴾[1]
[طه: ٨٣ - ٨٤].

* «ليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية، أحلى، ولا ألذّ، ولا أطيب، ولا أسرّ، ولا أنعم، من محبة اللَّه والإقبال عليه[2]، والأنس به والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة»[3].

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشَّوق إلى لقاء اللَّه - تعالى - ولقائه لبُّ المحَبّة وسرها»[4].

* وقَال: «علم المحبة والشوق شيء، وحال المحبة شيء آخر»[5].

* وقال: «من أعرض عن محبة اللَّه وذكره والشوق إلى لقائه ابتلاه اللَّه بمحبة غيره»[6].

● رؤية وجه اللَّه:

«أعظم نعيم الآخرة ولذتها: هو النظر إلى وجه الربّ - جل جلاله -، وسماع كلامه منه، والقرب منه، وأعظم الأسباب التي تُحصِّل هذه اللّذة هو أعظم لذَّات الدنيا على الإطلاق، وهو لذَّة معرفته - سبحانه - ولذَّة محبته، فإن ذلك هو جنة الدنيا ونعيمها العالي، ونسبة لذَّاتها الفانية إليه كتفلة في بحر؛ فإن الروح والقلب والبدن إنما خُلِق لذلك، فأطيب ما في الدنيا معرفته ومحبَّته، وألذُّ مَا في الجنة رؤيته

---

(١) روضة المحبين لابن قيم الجوزية ص: (٤٣٦).
(٢) روضة المحبين ص: (١٨).
(٣) «إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٩٧).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٢٦).
(٥) مدارج السالكين (٣/ ٣١٠).
(٦) «الجواب الكافي» لابن القيم ص: (٢١٦).

ومشاهدته، فمحبته قُرة العيون، ولذَّة الأرواح، وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها، بل لذّات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب آلامًا وعذابًا، يبقى صَاحبها في المعيشة الضنك، فليست الحياة الطيبة إلا بالله»[١].

* وقَال: «المحب الصادق الذي قد لاحظ أعظم الأعواض وشمّر إليها، وهي قربه من اللَّه ووصوله إليه، واشتغاله به عمّا سواه، والتَّنعم بحبه ولذة الشوق إلى لقائه»[٢].

* وقَال: «كل محب مشتاق إلى لقاء محبوبه»[٣].

* وقال: «قلب المحب موضوع بين جلال محبوبه وجماله، فإذا لاحظ جلاله هابه وعظَّمَه، وإذا لاحظ جماله أحبّه واشتاق إليه»[٤].

● الشوق إلى اللَّه - تعالى - ورؤيته:

* «إن اللَّه - سبحانه وتعالى - خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة تقرُّ عيونهم، ويتمُّ نعيمهم، فلا يعطيهم في الآخرة شيئًا هو أحب إليهم، ولا أقرّ لعيونهم ولا أنعم لقلوبهم: من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة، ولم يعطهم في الدنيا شيئًا خيرًا لهم ولا أحبَّ إليهم، ولا أقرّ لعيونهم من الإيمان به، ومحبته والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، والتنعم بذكره»[٥].

● أنفاس المشتاق: -

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصعب الأحوال المنقطعة: انقطاع الأنفاس، فإن أربابها إذا صَعَّدَ النَّفس صعّدوه إلى محبوبهم، صاعدًا إليه، متلبّسًا بمحبته والشوق إليه، فإذا

---

(١) «الجواب الكافي» ص: (٢٨١ - ٢٨٢).

(٢) مدارج السالكين ص: (١/ ٤٨٠).

(٣) طريق الهجرتين ص: (٣٢٨).

(٤) الفوائد ص: (٢٣٢).

(٥) إغاثة اللهفان (١/ ٢٨).

أرادوا دفعه دفعوا معه نَفَسًا آخر، فكل أنفاسهم بالله، وإلى الله، متلبّسة بمحبته والشوق إليه، والأنس به، فلا يفوتهم نفس من أنفاسهم مع الله إلّا إذا غلبهم النوم، وكثير منهم يرى في نومه: أنه كذلك، لالتباس روحه وقلبه فيحفظ عليه أوقات نومه ويقظته ولا تستنكر هذه الحال، فإن المحبة إذا غلبت على القلب وملكته أوجبت له ذلك لا محالة»(١).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما أنَّه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجهه الأعلى ـ سبحانه ـ، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته، ومعرفته والشوق إليه والأنس به، بل لذة النظر إليه ـ سبحانه ـ تابعة لمعرفتهم به، ومحبتهم له، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، فكلما كان المحبُّ أعرف بالمحبوب، وأشدّ محبة له، كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم»(٢).

● وقال ابن القيم:

مَا فِي الدِّيَارِ وَقَدْ سَارَتْ رَكَائِبُ مَنْ ... تَهْوَاهُ لِلصَّبِّ مِن شُكْرٍ وَلَا أَرَبِ

مَنَازِلًا كَانَ يَهْوَاهَا وَيَأْلَفُهَا ... أَيَّامَ كَانَ مَنَالُ الوَصْلِ عَنْ كَثَبِ

فَكُلَّمَا جُلِّيَتْ تلكَ الرُّبوعُ لَهُ ... تَهْوِي إِلَيهَا هَوِيَّ الماءَ في الصَّبَبِ

أَحْيَا لَه الشَّوقَ تِذكارُ العُهُودِ بِهَا ... فَلَوْ دَعَا القَلْبَ لِلسُّلْوانِ لم يُجِبِ

هَذَا وَكَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ ... وَقَالَهُ فِي سِوَاهَا الدَّهْرَ مِنْ رَغَبِ

مَا فِي الخِيَامِ أَخُو وَجْدٍ يُرِيحُكَ إِنْ ... بَثَثْتَهُ بَعْضَ شَأْنِ الحُبِّ فَاغْتِرِبِ

وَأَسْرِ فِي غَمَرَاتِ اللَّيلِ مُهْتَدِيًا ... بِنَفْخَةِ الطِّيبِ لَا بِالعُودِ وَالحَطَبِ(٣)

---

(١) مدارج السالكين (٣/٥٠).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٣).

(٣) الفوائد ص: (١٩٠، ١٩١).

● الشوق والرجاء: ـ

جعل الإمام الهروي وشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية الشوق أعلى درجات الرجاء، فقال الهروي:

الدرجة الثالثة[1]: رجاء أرباب القلوب: وهو رجاء لقاء الخالق الباعث على الاشتياق، المبغِّض المُنَغِّص للعيش، المزهِّد في الخلق».

قال ابن القيم: «هذا الرجاء أفضل أنواع الرجاء وأعلاها. قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ [العنكبوت: ٥] وهذا الرجاء هو محض الإيمان وزبدته، وإليه شخصت أبصار المشتاقين ولذلك سلّاهم اللَّه ـ تعالى ـ بإتيان أجل لقائه، وضرب لهم أجلًا يسكِّن نفوسهم ويطمئنها.

والاشتياق هو سفر القلب في طلب محبوبه.

واختلف المحبُّون: هل يبقى عند لقاء المحبوب أم يزول؟ **على قولَين:ـ**

فقالت طائفة: يزول؛ لأنه إنما يكون مع الغيبة. وهو سفر القلب إلى المحبوب، فإذا انتهى السفر، واجتمع بمحبوبه، وضع عصا الاشتياق عن عاتقه، وصار الاشتياق أنسًا به ولذّةً بقربه.

وقالت طائفة: لا يزيد ولا يزول باللقاء.

قالوا: لأن الحب يقوى بمشاهدة جمال المحبوب أضعاف ما كان حال غيبته، وإنما يواري سلطانه فناءه ودهشته بمعاينة محبوبه، حتى إذا توارى عنه ظهر سلطان شوقه إليه، ولهذا قيل:

وأَعْظَمُ مَا يَكُونُ الشَّوقُ يَومًا إذَا دَنَـتِ الخيَـامُ مِـنَ الخيَـامِ

ثمَّ قال: فلا ريب أن عيش المشتاق منغّص حتى يلقى محبوبه، فهناك تقرّ

(١) أي: من درجات الرجاء.

عينه، ويزول عن عيشه تنغيصه، وكذلك يزهد في الخلقِ غاية التزهيد؛ لأن صاحبه طالب للأنس بالله والقرب منه، فهو أزهد شيء في الخلق إلّا مَنْ أعانه على هذا المطلوب منهم وأوصله إليه، فهو أحبُّ خلق الله إليه، ولا يأنس من الخلْق بغيره، ولا يسكن إلى سواه، فعليك بطلب هذا الرفيق جهدك، فإنْ لم تظفر به، فاتخذ اللَّه صاحبا، ودَع الناس كلَّهم جانبًا.

مُتْ بِدَاءِ الهَوَى، وَإلَّا فَخَاطِرْ ... واطْرُقِ الحَيَّ وَالعُيُونُ نَوَاظِرْ

لَا تَخَفْ وَحْشَةَ الطَّرِيقِ إذَا جِئْـ ... ـتَ وَكُنْ فِي خِفَارَةِ الحُبِّ سَائِرْ

وَاصْبِرِ النَّفْسَ سَاعَةً عَنْ سِوَاهُمْ ... فَإذَا لَمْ تُجَبْ لِصَبْرٍ فَصَابِرْ

وَصُمِ اليَومَ، وَاجْعَلْ الفِطْرَ يَومًا ... فِيهِ تَلْقَى الحَبِيبَ بِالبِشْرِ شَاكِرْ

وافْطِمِ النَّفْسَ عَنْ سِوَاهُ فَكُلُّ الـ ... ـعَيْشِ بَعْدَ الفِطَامِ نَحْوَكَ صَائِرْ

وَتَأَمَّلْ سَرِيرَةَ القَلْبِ وَاسْتَحْـ ... ـيِ مِنَ اللَّهِ يَومَ تُبلى السَّرَائِرْ

واجْعَلِ الهَمَّ واحدًا يُكْفِكَ ... اللَّهُ هُمُومًا شَتَّى فَرَبُّك قَادِرْ

وانْتَظِرْ يَومَ دَعْوَةِ الخَلْقِ إلَى ... اللَّهِ رَبِّهِم مِنْ بُطُونِ المَقَابِرْ

وَاسْتَمِعْ مَا الذِّي أنتَ تُدعَى ... بِهِ مِنْ صِفَاتٍ تَلُوحُ وَسَطَ المَحَاضِرْ

وِسِمَاتٍ تَبْدُو عَلَى أَوْجُهِ الخَلْـ ... ـقِ عَيَانًا تُجْلَى على كُلِّ نَاظِرْ

يَا أخَا اللُّبِّ إنَّما السَّيْرُ عَزْمٌ ... ثُمَّ صَبرٌ مؤَيَّدٌ بالبَصَائِرْ

يَا لَهَا مِنْ ثَلَاثَةٍ مَنْ يَنَلْهَا ... يَرْقَ يَومَ المَزِيدِ فَوقَ المَنَابِرْ

فَاجْتَهِدْ فِي الَّذِي يُقَالُ لَكَ ... البُشْرَى بِذَا، يَومَ ضَرْبِ البَشَائِرْ

عَمَلٌ خَالِصٌ بِمِيزَانِ وَحْيٍ ... معَ سِرٍّ هُنَاكَ فِي القَلْبِ حَاضِرْ[1]

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٤ - ٥٥).

● مُنكِر الشوق كثيف الحجاب، حجريُّ الطباع:

يقول ابن القيم: «لا يُنكر فرح القلب بالرب ـ تعالى ـ وسروره به، وابتهاجه وقرّة عينه، ونعيمه بحبه، والشوق إلى لقائه إلا كثيف الحجاب، حجريُّ الطباع»(١).

شتان بيْن من يسيرون بالقلوب والأرواح، وبيْن من ساروا بالقوالب والأشباح..

فمن سار بالقوالب والأشباح يُعَرِّجُ عَلى أوطان الغفلة، ويجيب داعي الشهوة، ويخلد إلى أرض الطبيعة.. ومن نهض قلبه في طلب الحق كانت عنده لوعة في الفؤاد، ولذعة في القلب، وغرام في الضمير، وانزعاج في الباطن، ونيران تأجّج في القلوب، يستجمع قوى الباطن والظاهر شوقًا إلى ما هو سائر إليه.. ولا يقرُّ قلبه؛ حَتَّى يصل إلى وليه ومحبوبه، فيكون نومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة. مسترسل مع جليسه بشبحه ورسمه وصورته فقط، ومُفَارِقُهُ بقلبه وسره. يسمع بالله كلامه سماع المحبين المحبوبين كما في الحديث الذي في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «مَا تَقَرَّبَ إِليَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وَبِيَ يُبْصِرُ، وَبِيَ يَبْطِشُ، وَبِيَ يَمْشِي».

ويكون غذاؤه بالسماع القرآني ـ وهو غذاء سادات العارفين من هذه الأمة، وأبرَّها قلوبًا، وأصحَّها أحوالًا.

وهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فإذا فارقه كان كالحوت إذا فارق الماء، وعَلَتْه الكآبة، وغمره الهمّ والغم والأحزان، فيصير كما قال يحيى الصرصريّ:

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥٩).

إِذَا صَارَ قَلْبُ العَبْدِ لِلسِّرِّ مَعْدَنَا تَلُوحُ عَلَى أَعْطَافِهِ بَهْجَةُ السَّنَا
وَإِنْ فَاتَهُ المَغْنَى عَلَتْه كَآبَةٌ فَأَصْبَحَ فِي أَفْعَالِهِ مُتَلَوِّنَا

● **الشوق يُوجب البقاء لا الفناء:ـ**

قال ابن القيم رحمه الله: «أين طلب الشوق إلى لقائه، الباعث على كمال الاستعداد، على خفّة أعباء السير، والمزيل لكل فتور، والحامل على كل صدق، وإخلاص وإنابة، وصحة معاملة ـ إلى أمر مشوب بصولة الهيمان تضربه أمواج الفناء، بحيث غلب قومًا على عقولهم، وسلب قومًا صبرهم بحيث صيّرهم في عالم الفناء؟

ورسول الله ﷺ لم يكن ليسأل حالة الفناء قط، وإنما سأل شوقًا موجبًا للبقاء، مصاحبًا له، موجبًا له طيب الحياة، وقرّة العين، ولذّة القلب، وبهجة الروح.

والمسئول[1] أن يهب له شوقًا إلى لقائه، مصاحبًا للعافية والهداية، فلا تصحبه فتنة ولا محنة، وهذا من أجلّ العطايا والمواهب ـ فتضمَّن هذا الدعاء حصول ذلك، والتأهيل له مع كمال العافية بلا محنة، والهداية بلا فتنة»[2].

● أكثر آفات الناس من الألفاظ: شوق العيان:ـ

قال ابن قيم الجوزية: «إن المريد في أول الأمر سالك على شوق الخبر في مقام الإيمان، فإذا ترقَّى عنه إلى مقام الإحسان وتمكّن منه بقي شوقه بشوق العيان، فصال هذا الشوق على الشوق الأول، فإن كان هذا مراده، وإلا فالعيان في الدنيا لا سبيل للبشر إليه ألبتة.

ومن زعم خلاف ذلك فأحسن أحواله أن يكون ملبوسًا عليه، وليس فوق الإحسان للصّدّيقين مرتبة إلا بقاؤهم فيه. فإن سمى ذلك عيانًا فالتسمية الشرعية المخلصة التي لا لبس فيها أولى وأحرى.

---

(١) أي من دعاء النبي ﷺ.
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٢١، ٤٢٢).

وأكثر آفات الناس من الألفاظ، ولا سيما في هذه المواضع التي يعزُّ فيها تصور الحق على ما هو عليه، والتعبير المطابق، فيتولد من ضعف التصوّر، وقصور التعبير نوع تخبيط، ويتزايد على ألسنة السامعين له وقلوبهم بحسب قصورهم وبعدهم عن العلم.

فتفاقم الخطب، وعظم الأمر، والتبس طريق أولياء اللَّه الصادقين بطرائق الزنادقة الملحدين.

وعَزَّ المُفَرِّق بينهما. فدخل على الدِّين من الفساد من ذلك ما لا يعلمه إلا اللَّه.

وأشير إلى أعظم الخلق كفرًا باللَّه عز وجل وإلحادًا في دينه بأنه من شيوخ التحقيق والمعرفة والسلوك.

ولولا ضمان اللَّه بحفظ دينه، وتكفّله بأن يقيم له من يجدِّد أعلامه، ويُحيي منه ما أماته المبطلون، وينعش ما أخمله الجاهلون لهُدِّمت أركانه، وتداعى بنيانه، ولكن اللَّه ذو فضل على العالمين»[(١)].

* الهمّة والشوق: -

قال ابن القيم عن أصحاب السلوك: «الهمة عندهم: طلب الحق من غير التفات إلى غيره. و«الجمع» شهود الفردانية التي تفنى فيها رسوم المشاهد. وهذا جمع في الربوبية.

وأعلى منه: الجمع في الألوهية» وهو جمع قلبه وهمه وسرِّه على محبوبه ومراضيه ومراده منه فهو عكوف القلب بكليته على اللَّه عز وجل لا يلتفت عنه يَمْنَةً ولا يَسرة، فإذا أذاقت الهمة طعم هذا الجمع، اتصل اشتياق صاحبها وتأجّجت نيران المحبة والطلب في قلبه، ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره، كما قيل:

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا ... إِلَّا عَلَيكَ فَإِنَّهُ لَا يُحْمَدُ

(١) مدارج السالكين (٣/ ٧٨ - ٧٩).

وَقَدْ تقدّم ذكر الأثر الإلهي: «إني لا أنظر إلى كلام الحكيم، وإنما أنظر إلى همَّته».

فللَّه همَّة نَفْس قطعت جميع الأكوان، وسارت فما ألقتْ عصى السَّيْر إلا بين يدي الرحمن، فسجدت بين يديه سجدة الشكر على الوصول إليه، فلم تزل ساجدة حتى قيل لها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

فسبحان من فاوت بين الخلق في هممهم، حتى ترى بين الهمَّتيْن أبعد ما بين المشرقَيْن والمغربيْن، بل أبعد مما بين أسفل سافلين وأعلى عليين، وتلك مواهب العزيز الحكيم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[1] [الجمعة: ٤].

● المعرفة والشوق: -

قال ابن القيم: «من عرف اللَّه - تعالى - صفا له العيش، فطابت له الحياة، وهابه كل شيء. وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله.

وقال غيره: من عرف اللَّه قرَّت عينه بالله، وقرَّت عينه بالموت. وقرَّت به كل عين، ومن لم يعرف اللَّه تقطَّع قلبه على الدنيا حسرات، ومن عرف اللَّه لم يبق له رغبة فيما سواه. ومن ادَّعى معرفة اللَّه - وهو راغب في غيره - كذَّبت رَغبته معرفته. ومن عرف اللَّه أحبَّه على قدر معرفته به، وخافه ورجاه، وتوكّل عليه، وأناب إليه، ولهج بذكره، واشتاق إلى لقائه، واستحيا منه، وأجلّه وعظّمه على قدر معرفته به.

وعلامة العارف: أن يكون قلبه مرآة إذا نظر فيها الغيب الذي دُعي إلى الإيمان به، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها اللَّه - سبحانه -، والدار الآخرة، والجنة والنار، والملائكة والرسل - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - كما قيل: -

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٩٨ - ٩٩).

إِذَا سَكَنَ الغَدِيرُ عَلَى صَفَاءٍ وَجُنِّبَ أَنْ يُحَرِّكَهُ النَّسِيمُ
بَدَتْ فِيهِ السَّمَاءُ بِلَا امْتَراءٍ كَذَاكَ الشَّمسُ تَبْدو وَالنُّجُومُ
كَذَاكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجَلِي يُرَى فِي صَفْوِهَا اللَّهُ العَظِيمُ

وهذه رؤية المثل الأعلى، كما تقدم.

ومن علامات المعرفة:

أن يبدو لك الشاهد، وتفنى الشواهد، وتنحلُّ العلائق، وتنقطع العوائق، وتجلس بين يدي الرب - تعالى -، وتقوم وتضطجع على التأهب للقائه، كما يجلس الذي شدّ أحماله، وأزمع السفر على التأهب له، ويقوم على ذلك ويضطجع عليه، كما ينزل المسافر في المنزل، فهو قائم وجالس ومضطجع على التأهب»[1].

«* الشوق وأنوار العبادات لا أنوار الذات والصفات:-

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يعتقد أن الذات المقدسة والأوصاف برزت وتجلّت للعبد كما تجلّى - سبحانه - للطور، وكما يتجلّى يوم القيامة للناس إلا غالط فاقد للعلم. وكثيرًا ما يقع الغلط من التجاوز من نور العبادات والرياضة والذكر إلى نور الذات والصفات. فإن العبادة الصحيحة، والرياضة الشرعية، والذكر المتواطيء عليه القلب واللسان يُوجِب نورًا على قدر قوته وضعفه، وربما قوي ذلك النور حتى يشاهد بالعيان.

فيغلط فيه ضعيف العلم والتمييز بين خصائص الربوبية ومقتضيات العبودية، فيظنه نور الذات، وهيهات! ثم هيهات! نور الذات لا يقوم له شيء، ولو كشف - سبحانه وتعالى - الحجاب عنه لتدكدك العالم كله، كما تدكدك الجبل وساخ لمّا ظهر له القدر اليسير من التجلّي.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠).

وفي الصحيح عنه ﷺ: **«إن الله ـ سبحانه ـ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القِسْط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**.

فالإسلام له نور، والإيمان له نور أقوى منه، والإحسان له نور أقوى منهما، فإذا اجتمع الإسلام والإيمان والإحسان، وزالت الحجب الشاغلة عن الله ـ تعالى ـ، امتلأ القلب والجوارح بذلك النور، لا بالنور الذي هو صفة الرب ـ تعالى ـ، فإن صفاته لا تحل في شيء من مخلوقاته، كما أن مخلوقاته لا تحلُّ فيه. فالخالق ـ سبحانه ـ بائن من المخلوق بذاته وصفاته فلا اتحاد ولا حلول ولا ممازجة ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا»[1].

* * *

معاينة البصر ومعاينة البصيرة، والشوق

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية:

المعاينة نوعان: معاينة بصر، ومعاينة بصيرة.

- فمعاينة البصر:

وقوعه على نفس المرئي، أو مثاله الخارجي، كرؤية مثال الصورة في المرآة والماء.

- ومعاينة البصيرة:

وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي، فيكون إدراكه له بمنزلة إدراك العين للصورة الخارجية، وقد يقوى سلطان هذا الإدراك الباطن،

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١١١ ـ ١١٢).

بحيث يصير الحكم له، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدركها، بحيث يستغرق فيه. فيغلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة. فيستولى على السمع والبصر. بحيث يراه، ويسمع خطابه في الخارج. وهو في النفس والذهن. لكن لغلبة الشهود، وقوة الاستحضار، وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى: صار كأنه مرئيٌ بالعين، مسموع بالأذن. بحيث لا يشك المدرك ولا يرتاب في ذلك ألبتة. ولا يقبل عذلاً.

وحقيقة الأمر:

أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية، تابعة للمعتقَد. فذلك الذي أدرك بعين القلب والروح: إنما هو شاهد دال على الحقيقة. وليس هو نفس الحقيقة.

فإن شاهِدَ نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم له السموات والأرض. فإنه لو ظهر لها لتدكدكت، ولأصابها ما أصاب الجبل. وكذلك شاهِدُ نور العظمة في القلب: إنما هو نور التعظيم والإجلال، لا نور نفس المعظَّم ذي الجلال والإكرام.

وليس مع القوم إلا الشواهد، والأمثلة العلمية، والرقائق التي هي ثمرة قرب القلب من الرب، وأنسه به، واستغراقه في محبته وذكره، واستيلاء سلطان معرفته عليه. والرب - تبارك وتعالى - وراء ذلك كله. منزَّه مقدَّس عن اطلاع البشر على ذاته، أو أنوار ذاته. أو صفاته، أو أنوار صفاته. وإنما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد، كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار، وما أعد الله لأهلهما.

وهذا هو الذي وجده عبدالله بن حرام الأنصاري يوم أحد، لما قال: «واهًا لريح الجنة! إني أجد والله ريحها دون أحد» ومن هذا قوله ﷺ «**إِذَا مَرَرْتُم بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**»، **قالوا: وَمَا رِياض الجنة؟ قال: «حِلَقُ الذِّكْرِ»**.

ومنه قوله ﷺ «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**» فهو روضة لأهل العلم والإيمان، لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة، حتى كأنها لهم رأي عين. وإذا قعد المنافق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة، ومن هذا

قوله ﷺ: «**الجَنَّةُ تحتَ ظِلَالِ السُّيوفِ**».

فالعمل إنما هو على الشواهد. وعلى حسب شاهد العبد يكون عمله[1].

● **القلب وحريته:**

حين يصفو القلب عن حديث النفس ووسواسها، يُفدَى من أسرها ويصير طليقًا، فحينئذ يخلو قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه، ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه، إلى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قيل:

وَأَخْرُجُ مِنْ بَيِنِ البُيُوتِ لَعَلَّنِي ... أُحَدِّث عَنْكَ النَّفْسَ فِي السِّرِّ خَالِيَا

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربِّه، وطلبه والشوق إليه[2].

● **قُرْبٌ يُورِث الشوق:-**

إذا مَنّ اللَّه على العبد وفتح له مشهد «القرب والمعية» فيشهده ـ سبحانه ـ معه، غير غائب عنه، قريبًا غير بعيد، مع كونه فوق سماواته على عرشه، بائنًا من خلقه، قائمًا بالصنع والتدبير، والخلق والأمر. فيحصل له ـ مع التعظيم والإجلال ـ الأنس بهذه الصفة. فيأنس به بعد أن كان مستوحشًا. ويقوى به بعد أن كان ضعيفًا. ويفرح به بعد أن كان حزينًا. ويجد بعد أن كان فاقدًا. فحينئذ يجد طعم قوله: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ. فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».

فأطيب الحياة على الإطلاق: حياة هذا العبد. فإنه محب محبوب، متقرب إلى ربه، وربه قريب منه. قد صار له حبيبه لفرط استيلائه على قلبه، ولهجه

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٦٨).

بذكره. وعكوف همته على مرضاته، بمنزلة سمعه وبصره ويده ورجله. وهذه آلات إدراكه وعمله وسعيه، فإن سمع سمع بحبيبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به.

فإن صعب عليك فهم هذا المعنى وكون المحب الكامل المحبة يسمع ويبصر ويبطش ويمشي بمحبوبه، وذاته غائبة عنهج فاضْرب عنه صفحًا، وخلِّ هذا الشأن لأهله

خَلِّ الهَوَى لِأُنَاسٍ يُعْرَفُونَ بِهِ ... قَدْ كَابَدُوا الحُبَّ حَتَّى لَان أَصْعَبُهُ

فإن السالك إلى ربه لا تزال همته عاكفة على أمْريْن: استفراغُ القلب في صدق الحب، وبذل الجهد في امتثال الأمر. فلا يزال كذلك، حتى يبدو على سرِّه شواهد معرفته، وآثار صفاته وأسمائه، ولكن يتوارى عنه ذلك أحيانًا، ويبدو أحيانًا- يبدو من عينْ الجود، ويتوارى بحكم الفترة. والفترات أمرٌ لازم للعبد. فكل عامل له شِرَّة، ولكل شرة فترة.

فأعلاها فترة الوحي، وهي للأنبياء، وفترة الحال الخاص للعارفين، وفترة الهمَّة للمريدين.

وفترة العمل للعابدين. وفي هذه الفترات أنواعٌ من الحكمة والرحمة، والتعرُّفات الإلهية، وتعريف قدر النعمة، وتجديد الشوق إليها، ومحض التواجد إليها وغير ذلك.

ولا تزال تلك الشواهد تتكرّر وتتزايد، حتى تستقرَّ، وينصبغ بها قلبه وتصير الفترة غير قاطعة له، بل تكون نعمة عليه، وراحة له، وترويحًا وتنفيسًا عنه.

فهمَّةُ المحُبِّ إذا تعلَّقت روحه بحبيبه، عاكفًا على مزيد محبَّته، وأسباب قوَّتها فهو يعملُ على هذا، ثم يترّقى منه إلى طلب محبة حبيبه له، فيعمل على حصول ذلك، ولا يعدم الطلب الأول ولا يفارقه ألبتة، بل يندرج في هذا الطلب الثاني، فتتعلق همته بالأمريْن جميعا، فإنه إنما يحصل له منزلة «كنت سمعه الذي

يسمع به، وبصره الذي يبصر به» بهذا الأمر الثاني، وهو كونه محبوبًا لحبيبه، كما قال في الحديث «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ» إلخ.

فهو يتقرَّب إلى ربه، حفظًا لمحبته له، واستدعاءً لمحبة ربه له.

فحينئذ يَشُدُّ مِئْزر الجِدِّ في طلب محبة حبيبه له بأنواع التقرب إليه: فقلبه للمحبة والإنابة والتوكل، والخوف والرجاء. ولسانه للذكر وتلاوة كلام حبيبه، وجوارحه للطاعات فهو لا يفتر عن التقرُّب من حبيبه.

وهذا هو السير المُفضي إلى هذه الغاية التي لا تُنال إلا به، ولا يُتوصل إليها إلَّا من هذا الباب، وهذا الطريق. وحينئذ تجمع له في سيره جميع متفرقات السلوك: من الحضور، والهيبة، والمراقبة، ونفي الخواطر، وتخلية الباطن.

فإن المحب يشرع ـ أولا ـ في التقرُّبات بالأعمال الظاهرة. وهي ظاهر التقرُّب، ثمَّ يترقَّى من ذلك إلى حال التقرُّب، وهو الانجذاب إلى حبيبه بكليته بروحه وقلبه وعقله وبدنه، ثم يترقَّى من ذلك إلى حال الإحسان، فيعبد اللَّه كأنه يراه، فيتقرَّب إليه حينئذ من باطنه بأعمال القلوب: من المحبة والإنابة، والتعظيم والإجلال والخشية، فينبعث حينئذ من باطنه الجود ببذل الروح والجود في محبة حبيبه بلا تكلّف، فيجود بروحه ونفسه، وأنفاسه وإرادته، وأعماله لحبيبه حالًا، لا تكلُّفا، فإذا وجد المحب ذلك فقد ظفر بحال التقرّب وسره وباطنه.

وإنْ لم يجده فهو يتقرَّب بلسانه وبدنه وظاهره فقط، فَلْيَدُم على ذلك، وليتكلَّف التقرُّب بالأذكار والأعمال على الدوام، فعساه أن يحظى بحال القرب.

ووراء هذا «القرب الباطن» أمرٌ آخر أيضًا، وهو شيء لا يُعبَّر عنه بأحسن من عبارة أقرب الخلق إلى الله رسول اللَّه ﷺ عن هذا المعنى، حيث يقول حاكيًا عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ: **«مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»** فيجد هذا المحب في باطنه ذوق معنى هذا الحديث ذوقًا حقيقيا.

فذكر من مراتب القرب ثلاثة: ونبّه بها على ما دونها وما فوقها. فذكر تقرُّب العبد إليه بالبر، وتقرُّبه ـ سبحانه ـ إلى العبد ذراعًا، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرُّب انتقل منه إلى تقرُّب الذِّراع. فيجد ذوق تقرُّب الرب إليه باعًا، فإذا وجد حلاوة هذا القرب الثاني أسرع المشي حينئذ إلى ربه، فيذوق حلاوة إتيانه إليه هرولة.

وههنا منتهى الحديث. منبّهًا على أنه إذا هرول عبده إليه كان قرب حبيبه منه فوق هرولة العبد إليه. فإما أن يكون قد أمسك عن ذلك لعظم شاهد الجزاء، أو لأنه يدخل في الجزاء الذي لم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، أو إحالة له على المراتب المتقدمة. فكأنه قيل له: وقِسْ على هذا.

فعلى قَدْر ما تبذل منك متقرِّبًا إلى رَبك يتقرَّب إليك بأكثر منه، وعلى هذا فلازم هذا التقرُّب المذكور في مراتبه، أيْ مَن تقرّب إلى حبيبه بروحه وجميع قواه، وإرادته وأقواله وأعماله، تقرّب الربُّ منه ـ سبحانه ـ بنفسه في مقابلة تقرُّب عبده إليه.

وليس القرب في هذه المراتب كلها قرب مسافة حسية، ولا مماسة، بل هو قرب حقيقي، والرب ـ تعالى ـ فوق سماواته على عرشه، والعبد في الأرض.

وهذا الموضع هو سرُّ السُّلوك وحقيقة العبودية، وهو معنى الوصول الذي يدندن حوله القوم.

وملاك هذا الأمر: هو قصد التقرُّب أولًا، ثم التقرُّب ثانيًا. ثمَّ حال القُرب ثالثًا. وهو الانبعاث بالكلية إلى الحبيب.

وحقيقة هذا الانبعاث: أن تفنى بمراده عن هواك، وبما منه حظُّك، بل يصير ذلك هو مجموع حظك ومرادك. وقد عرفت أن مَن تقرّب إلى حبيبه بشيء من الأشياء جُوزى على ذلك بقربٍ هو أضعافه. وعرفت أن أعلى أنواع التقرُّب: تقرُّب العبد بجملته ـ بظاهره وباطنه وبوجوده ـ إلى حبيبه، فمن فعل ذلك فقد تقرّب بكله، ولم تبق منه بقيّة لغير حبيبه كما قيل:

لَا كَانَ مَنْ لِسِوَاكَ فِيهِ بَقِيَّةٌ   يَجِدُ السَّبِيلَ بِهَا إِلَيه العُذَّلُ

وإذا كان المُتقرَّبُ إلَيه بالأعمال يُعْطَى أضعاف ما تَقَرَّبَ بِهِ، فَمَا الظنُّ بِمَن أُعطِيَ حال التقرب وذوقه ووجده؟ فما الظن بمن تقرَّب إليه بروحه، وجميع إرادته وهمته، وأقواله وأعماله؟

وعلى هذا، فكما جاد لحبيبه بنفسه، فإنه أهلٌ أن يُجادَ عليه، بأن يكون ربه - سبحانه - هو حظه ونصيبه، عوضًا عن كل شيء، جزاءًا وفاقا. فإن الجزاء من جنس العمل، وشواهد هذا كثيرة....

فالعبد لا يزال رابحًا على ربه أفضل مما قدّم له. وهذا المقرّب، بقلبه وروحه وعمله يفتح عليه ربه بحياة لا تشبه ما الناسُ فيه من أنواع الحياة، بل حياة من ليس كذلك بالنسبة إلى حياته كحياة الجنين في بطن أمه بالنسبة إلى حياة أهل الدنيا ولذّتهم فيها، بل أعظم من ذلك.

فهذا نموذج من بيان شرف هذه الحياة وفضلها. وإن كان علم هذا يوجب لصاحبه حياة طيبة، فكيف إن انصبغ القلب به، وصار حالاً ملازمًا لذاته؟ فاللَّه المُستعان.

فهذه الحياة: هي حياة الدنيا ونعيمها في الحقيقة، فمن فقدها ففقده لحياته الطبيعية أوْلى به:

هَذِي حَيَاةُ الفَتَى فَإنْ فُقِدَتْ   فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَلْيَقُ بِهِ

فلا عيش إلا عيش المحبّين، الذين قرّت أعينهم بحبيبهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم به، واستأنسوا بقربه، وتنعَّموا بحبه ففي القلب فاقة لا يسدُّها إلّا محبة اللَّه، والإقبال عليه، والإنابة إليه، ولا يَلُمُّ شَعَثه بغير ذلك ألبتة. ومَن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم، وآلام وحسرات. فإنه إن كان ذا همة عالية تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات، فإن همته لا ترضى فيها بالدون، وإن كان مهينًا خسيسا فعيشه كعيش أخس الحيوانات، فلا تقرّ العيون إلا بمحبة

الحبيب الأول.

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى ... مَا الحُبُّ إِلَّا لِلحَبِيبِ الأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى ... وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ[1]

لله درك يا ابن القيم: فلا يُجِيدُ الحديث عن القرب ومعاينة إلا عالم رباني محبٌّ مشتاق مثلك أخذ الحب والشوق بناصيته وكليته... علمًا وحالًا وذوقًا وسلوكا... لسان حالك وشوقك يقول:

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وِدَادِكَ مَنْزِلًا ... تَتَحَيَّرُ الأَلْبَابُ كَيفَ نُزُولَهُ

أو

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ اشْتِيَاقِي مَنْزِلًا ... تَتَحَيَّرُ الأَلْبَابُ كَيفَ نُزُولُهُ

• الشوق والغيرة: -

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إن الحقَّ جلَّ جَلَالُهُ غَيُورٌ لا يرضى ممَّن عرفه ووجد حلاوة معرفته، واتصل قلبه بمحبته والأنس به، وتعلَّقت روحه بإرادة وجهه الأعلى.. أن يكون له التفات إلى غيره ألبتة.

ومن غيرته ـ سبحانه ـ: «حَرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. والله ـ سبحانه ـ يغار أشد الغيرة على عبده: أن يلتفت إلى سواه. فإذا أذاقه حلاوة محبته، ولذة الشوق إليه، وأنس معرفته. ثم ساكن غيره: باعده من قربه. وقطعه من وصله. وأوحش سره. وشتت قلبه. ونغص عيشه. وألبسه رداء الذل والصغار والهوان.

فنادى عليه حاله، إن لم يصرح به قاله: هذا جزاء من تعوض عن وليه وإلهه وفاطره، ومن لا حياة له إلا به: بغيره وآثر غيره عليه. فاتخذ سواه له حبيبًا، ورضي بغيره أنيسًا، واتخذ سواه وليا. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٦٩ - ٢٧٤).

أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٠].

فإذا ضرب هذا القلب بسوط البعد والحجاب، وسُلط عليه من يسومه سوء العذاب، ومُليء من الهموم والغموم والأحزان، صار محلًا للجيف والأقذار والأنتان، وبُدِّل بالأنس وحشة، وبالعز ذلًا، وبالقناعة حرصًا، وبالقرب بعدًا وطردًا، وبالجمع شتاتًا وتفرقةً ـ كان هذا بعض جزائه. فحينئذ تطرقه الطوارق والمؤلمات. وتعتريه وفود الأحزان والهموم بعد وفود المسرات.

قرأ قاريء بين يدي السري (الإسراء: ٤٥) ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ فقال السري: تدرون ما هذا الحجاب؟ هو حجاب الغيرة. ولا أحد أغير من الله. فمن عرفه وذاق حلاوة قربه ومحبته، ثم رجع عنه إلى مساكنة غيره: ثبط جوارحه عن طاعته. وعقل قلبه عن إرادته ومحبته، وأخّره عن محل قربه. وولاه ما اختاره لنفسه.

وقال بعضهم: احذره، فإنه غيور: لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه.

ومن غيرته: أن صفيه آدم لما ساكن بقلبه الجنة، وحرص على الخلود فيها أخرجه منها. ومن غيرته ـ سبحانه ـ: أن إبراهيم خليله لما أخذ إسماعيل شعبة من قلبه أمره بذبحه، حتى يخرج من قلبه ذلك المزاحم.

إنما كان الشرك عنده ذنبًا لا يغفر لتعلق قلب المشرك به وبغيره. فكيف بمن تعلق قلبه كله بغيره. وأعرض عنه بكليته؟

إذا أردت أن تعرف ما حل بك من بلاء الانفصال، وذل الحجاب، فانظر لمن استعبد قلبك، واستخدم جوارحك، وبمن شغل سرك. وأين يبيت قلبك إذا أخذت مضجعك؟ وإلى أين يطير إذا استيقظت من منامك؟ فذلك هو معبودك وإلهك. فإذا سمعت النداء يوم القيامة: لينطلق كل واحد مع من كان يعبده. انطلقت معه كائنا من كان.

لا إله إلا الله! أما أشد غبن من باع أطيب الحياة في هذه الدار المتصلة بالحياة الطيبة هناك، والنعيم المقيم بالحياة المنغصة المنكدة المتصلة بالعذاب الأليم.

والمدة ساعة من نهار، أو عشية أو ضحاها، أو يوم أو بعض يوم. فيه ربح الأبد أو خسارة الأبد.

فَمَا هِي إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي ... وَيَذْهَبُ هَذَا كُلُّه وَيَزُولُ(١).

● **الجهمية المعطلة والمعتزلة لا يشتاقون إلى الله وكفى بذلك عقوبة:-**

لا عقوبة للمنحرفين الجهمية والمعتزلة في الدنيا أشد من حرمانهم من الشوق إلى مولاهم

وَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَابَ يَكْفِي عُقُوبَةً ... مَغِيبُكَ عَن ذَا الشَأْنِ لَو كُنْتَ وَاعِيَا

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الجهمية والمعتزلة تزعم أن ذاته لا تُحَبّ، ووجهه لا يُرَى، ولا يلتذّ بالنظر إليه، ولا تشتاق القلوب إليه، فهم في الحقيقة منكرون الإلهية»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها، وشهوده لها: هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين، وحاديهم إلى الوصول. ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومُنير هممهم إذا قصروا، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد. فمن كان لا شاهد له فلا سير له، ولا طلب ولا سلوك له. وأعظم الشواهد: صفات محبوبهم، ونهاية مطلوبهم، وذلك هو العَلَمُ الذي رُفع لهم في السير، فشمروا إليه، كما قالت عائشة - رضي الله عنها -: «من رأى رسول الله ﷺ فقد رآه غاديًا رائحًا. لم يضع لَبِنة على لبنة، ولكن رُفع له عَلَم فشمر إليه» ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل، حتى يرفع الله عَزَّ وَجَلَّ له - بفضله ومَنِّه - عَلَما، يشَاهده بقلبه، فيشمر إليه. ويعمل عليه.

فإن عُطِّلت شواهد الصفات، ووضعت أعلامها عن القلوب، وطمست

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٢٨ - ٣٢٩).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٢٦).

آثارها، وضربت بسياط البعد، وأُسْبل دونها حجاب الطرد، وتخلفت مع المتخلفين، وأوحى إليها القَدَر: أن اقعدي مع القاعدين. فإن أوصاف المدعو إليه، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه ـ هي الجاذبة للقلوب إلى محبته، وطلب الوصول إليه؛ لأن القلوب إنما تحب من تعرفه، وتخافه وترجوه وتشتاق إليه. وتلتذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بصفاته. فإذا ضُرب دونها حجاب معرفة الصفات والإقرار بها: امتنع منها ـ بعد ذلك ـ ما هو مشروط بالمعرفة، وملزوم لها. إذ وجود الملزوم بدون لازمه، والمشروط بدون شرطه: ممتنع.

فحقيقة المحبة، والإنابة والتوكل، ومقام الإحسان: ممتنع على المعطل امتناع حصول المَغَل من معطل البذر، بل أعظم امتناعًا.

كيف تصمد القلوب إلى من ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلًا به ولا منفصلًا عنه، ولا مباينًا له ولا محايثًا؟ بل حظ العرش منه كحظ الآبار والوهاد. والأماكن التي يرغب عن ذكرها؟ وكيف تأْلهُ القلوب من لا يسمع كلامها. ولا يرى مكانها. ولا يحب ولا يحب. ولا يقوم به فعل ألبتة، ولا يتكلم ولا يكلم. ولا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء. ولا يقوم به رأفة ولا رحمة ولا حنان، ولا له حكمة، ولا غاية يفعل ويأمر لأجلها؟

فكيف يتصور على ذلك، ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه، ورؤية وجهه الكريم في جنات النعيم. وهو مستوٍ على عرشه فوق جميع خلقه؟ أم كيف تأله القلوب من لا يحب ولا يحب، ولا يرضى ولا يغضب. ولا يفرح ولا يضحك؟.

فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته، والسرور والفرح به، والشوق إلى لقائه، وانتظار لذة النظر إلى وجهه الكريم، والتمتع بخطابه في محل كرامته ودار ثوابه! فلو رآها أهلًا لذلك لمنَّ عليها به، وأكرمها به؛ إذ ذاك أعظم كرامة يكرم بها عبده. والله أعلم حيث يجعل كرامته. ويضع نعمته»[١].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).

● لله در ابن القيم من عالم رباني حادي الأرواح إلى الشوق وبلاد الأفراح يحذر من الجهمية المعطلة، وأهل الاتحاد أصحاب وحدة الوجود.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن الفتوحات التي ينعم الله بها على السالكين على محبته:-

فإن استمر على حاله واقفًا بباب مولاه، لا يلتفت عنه يمينًا ولا شمالاً.

ولا يجيب غير من يدعوه إليه، ويعلم أن الأمر وراء ذلك، وأنه لم يصل بعد.

ومتى توهم أنه قد وصل، انقطع عنه المزيد، رجى أن يفتح له فتح آخر وهو فوق ما كان فيه. مستغرقًا قلبه في أنوار مشاهدة الجلال بعد ظهور أنوار الوجود الحق، ومحو وجوده هو. ولا يتوهم أن وجود صفاته وذاته تبطل. بل الذي يبطل: هو وجوده النفساني الطبعي ويبقى له وجود قلبي روحاني ملكي. فيبقى قلبه سابحًا في بحر من أنوار آثار الجلال. فتنبع الأنوار من باطنه، كما ينبع الماء من العين، حتى يجد الملكوت الأعلى كأنه في باطنه وقلبه. ويجد قلبه عاليًا على ذلك كله، صاعدًا إلى من ليس فوقه شيء. ثم يرقيه الله ـ سبحانه ـ، فيشهده أنوار الإكرام بعد ما شهد أنوار الجلال، فيستغرق في نور من أنوار أشعة الجمال.

وفي هذا المشهد يذوق المحبة الخاصة الملهبة للأرواح والقلوب، فيبقى القلب مأسورًا في يد حبيبه ووليه، ممتحنًا بحبه. وإن شئت أن تفهم ذلك تقريبًا، فانظر إليك وإلى غيرك، وقد امتحنت بصورة بديعة الجمال ظاهرًا وباطنًا ـ فملكت عليك قلبك وفكرك، وليلك ونهارك. فيحصل لك نار من المحبة، فتضرم في أحشائك يَعِزُّ معها الاصطبار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فياله من قلب ممتحن مغمور مستغرق بما ظهر له من أشعة أنوار الجمال الأحدى!، والناس مفتونون ممتحنون بما يفنى من المال والصور والرياسة، معذبون بذلك قبل حصوله، وحال حصوله، وبعد حصوله. وأعلاهم مرتبة: من يكون مفتونًا بالحور العين، أو عاملًا على تمتعه في الجنة بالأكل والشرب واللباس والنكاح. وهذا المحب قد ترقى في درجات المحبة على أهل المقامات، ينظرون إليه

في الجنة كما ينظرون إلى الكوكب الدري الغابر في الأفق؛ لعلو درجته، وقرب منزلته من حبيبه، ومعيته معه. فإن المرء مع من أحب. ولكل عمل جزاء. وجزاء المحبةِ المحبةُ والوصول والاصطناع والقرب. فهذا هو الذي يصلح. وكفى بذلك شرفًا وفخرًا في عاجل الدنيا. فما ظنك بمقاماتهم العالية عند مليك مقتدر؟ فكيف إذا رأيتهم في موقف القيامة، وقد أسمعهم المنادى «لِيَنْطَلِقْ كُلُّ قَوْمٍ مَعَ مَا كَانُوا يَعْبُدُون»، فيبقون في مكانهم ينتظرون معبودهم وحبيبهم الذي هو أحب شيء إليهم، حتى يأتيهم، فينظرون إليه، ويتجلى لهم ضاحكًا.

والمقصود: أن هذا العبد لا يزال الله يرقيه طَبَقًا بعد طبق، ومنزلًا بعد منزل، إلى أن يوصله إليه. ويمكن له بين يديه، أو يموت في الطريق. فيقع أجره على الله. فالسعيد كل السعيد، والموفق كل الموفق: من لم يلتفت عن ربه - تبارك وتعالى - يمينًا ولا شمالًا، ولا اتخذ سواه ربًا ولا وكيلًا، ولا حبيبًا ولا مدبرًا، ولا حكمًا ولا ناصرًا ولا رازقًا.

وجميع ما تقدم من مراتب الوصول إنما هي شواهد وأمثلة إذا تجلت له الحقائق في الغيب - بحسب استعداده ولطفه ورقته من حيث لا يراها - ظهر من تجليها شاهد في قلبه، وذلك الشاهد دال عليها ليس هو عينها، فإن نور الجلال في القلب ليس من نور ذي الجلال في الخارج، فإن ذلك لا تقوم له السموات والأرض، ولو ظهر للوجود لتدكدك، لكنه شاهد دال على ذلك، كما أن المثل الأعلى شاهد دال على الذات. والحق وراء ذلك كله، منزه عن حلول واتحاد، وممازجة لخلقه. وإنما تلك رقائق وشواهد تقوم بقلب العارف. تدل على قرب الألطاف منه في عالم الغيب حيث يراها. وإذا فنى فإنما يفنى بحال نفسه لا بالله ولا فيه، وإذا بقى فإنما يبقى حاله هو ووصفه. لا ببقاء ربه وصفاته. ولا يبقى بالله إلا الله، ومع ذلك فالوصول حق يجد الواصل آثار تجلى الصفات في قلبه، وآثار تجلي الحق في قلبه، ويوقف القلب فوق الأكوان كلها بين يدي الرب - تعالى -. وهو على عرشه، ومن هناك يكاشف بآثار الجلال والإكرام. فيجد العرش

والكرسي، بل شاهد ومثال علمي، يدل على قرب قلبه من ربه، وقرب ربه من قلبه. وبين الذوقين تفاوت. فإذا قرب الرب - تعالى - من قلب عبده؛ بقيت الأكوان كلها تحت مشهد قلبه. وحينئذ يطلع في أفقه شمس التوحيد. فينقشع بها ضباب وجوده ويضمحل ويتلاشى. وذاته وحقيقته موجودة بائنة عن ربه.

وربه بائن عنه. فحينئذ يغيب العبد عن نفسه ويفنى. وفي الحقيقة هو باق، غير فان، ولكنه ليس في سره غير الله. قد فنى فيه عن كل ما سواه.

نعم، قد يتفق له في هذه الحالة ألا يجد شيئًا غير الله، فذلك لاستغراق قلبه في مشهوده وموجوده. ولو كان ذلك في نفس الأمر: لكان العبد في هذه الحال خالقًا بارئًا مصورًا أزليًا أبديًا.

فعليك بهذا الفرقان، واحذر فريقين هما أعدى عدو لهذا الشأن: فريق الجهمية المعطلة، التي ليس عندها فوق العرش إلا العدم المحض. فشَمُّ رائحة هذا المقام من أبعد الأمكنة حرام عليها، وفريق أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود وأن العبد ينتهي في هذا السفر إلى أن يشهد وجوده هو عين وجود الحق - جل جلاله - وعيشك بجهلك خير من معرفة هاتين الطائفتين، وانقطاعك مع الشهوات خيرك معهما. والله المستعان وعليه التكلان[(١)].

• الشوق إلى الله:

قال ابن القيم: «الشوق هو سفر القلب إلى المحبوب، وقد جاء إطلاقه في حق الرب - تعالى - كما في «مسند الأمام أحمد» من حديث عمار بن ياسر، وهذا هو المعنى الذي عبر عنه ﷺ بقوله: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»[(٢)].

وقال بعض أهل البصائر في قوله - تعالى -: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ﴾: لما علم الله - سبحانه - شدة شوق أوليائه إلى لقائه، وأن قلوبهم لا

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٨١ - ٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٣)، ومسلم (٢٦٨٣).

تهتدي دون لقائه؛ ضرب لهم أجلًا وموعدًا للقائه، تسكن نفوسهم إليه.

وأطيب العيش وألذّه على الإطلاق عيش المحبين المشتاقين المُستأنسين، فحياتهم هي الحياة الطيبة في الحقيقة، ولا حياة للقلب أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها، فهي الحياة الطيبة المذكورة في قوله ـ تعالى ـ:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار والأبرار والفجّار، من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح، بل ربما زاد أعداء الله على أوليائه في ذلك أضعافًا مضاعفة.

وقد ضمن الله ـ سبحانه ـ لكل من عمل صالحًا أن يحييه حياة طيبة، وهو صادق الوعد الذي لا يُخلف وعده، وأيُّ حياة أطيب من حياة مَنْ اجتمعت همومه كلها وصارت همًّا واحدًا في مرضاة الله! ولم يشعِّب قلبه، بل أقبل على الله، واجتمعت إرادته وأفكاره التي كانت منقسمة بكل وادٍ منها شعبة، فصار ذكر محبوبه الأعلى وحبُّه والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه ـ هو المستولي عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقصوده بل وخطوات قلبه، فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله، وإن سمع فبه يسمع، وإن بصر فبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، وبه يتحرك، وبه يسكن وبه يحيا، وبه يموت، وبه يبعث، كما في «صحيح البخاري» (٦٥٠٢) عنه ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ: **«مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلَ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعطِيَنَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَددتُ فِي شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، كَتَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْس عَبْدِي المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءتَهُ وَلَا بُدَّ لَه مِنْهُ»**.

فتضمَّن هذا الحديث الشريف الإلهي ـ الذي حرم على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به ـ حَصْر أسباب محبته في أمرين: أداء فرائضه، والتقرُّب

إليه بالنوافل.

وأخبر ـ سبحانه ـ أن أداء فرائضه أحب ما يتقرَّب به إليه المتقرِّبون، ثم بعدها النوافل، وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبًا لله، فإذا صار محبوبًا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى منه لله فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه ألبتة، فصار ذكر محبوبه وحبُّه ومثله الأعلى مالكًا لزمام قلبه مستوليًا على روحه استيلاء المحبوب على محبة الصادق في محبته، التي قد اجتمعت قوى محبة حبه كلها له.

ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به، فهو في قلبه ومعه وأنيسه وصاحبه، فالباء ها هنا للمصاحبة، وهي مصاحبة لا نظير لها، ولا تُدْرَك بمجرّد الإخبار عنها والعلم بها، فالمسألة حاليَّة لا عِلمية محضة.

وإذا كان المخلوق يجد هذا في محبة المخلوق التي لم يُخلَق لها ولم يُفطَر عليها، كما قال بعض المبِّين:

خَيالُكَ في عَيْنِي وَذِكْرُكَ في فَمِي ... وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي فَأَيْنَ تَغِيبُ

وقال الآخر:

وَمَنْ عَجَبٍ أَنّي أَحِنُّ إِلَيْهِم ... فَأَسْأَلُ عَنْهُم مَنْ لَقِيتُ وَمَن مَعِي

وَتَطْلُبُهُم عَيْنِي وَهُم فِي سَوَادِها ... وَيَشْتَاقُهم قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي[1]

فما الظن بالخالق؟

* * *

(١) الداء والدواء ص: (٢٨٤ ـ ٢٨٦) ـ دار ابن الجوزي ـ السعودية.

● **وعن فضل «لا إله إلا الله»:**

في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**إنِّي لأَعلمُ كَلِمةً لا يَقُولُها عَبْدٌ عِندَ الموْتِ إلَّا وَجَدتْ رُوحه لَهَا رُوحًا**»(١)

فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه، وكما أنَّ من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلّب فيها، فمنْ عاش على تحقيقها والقيام بها، فروحه تتقلّب في جنة المأوى، وعيشه أطيب عيش؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]؛ فالجنة مأواه يوم اللقاء.

وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح به والرضا به وعنه - مأوى رُوحه في هذه الدار، فمن كانت هذه الجنة مأواه ها هنا، كانت جنة الخلد مأواه يوم المِعاد، ومَن حُرم هذه الجنة فهو لتلك الجنة أشد حرمانًا، والأبرار في النعيم، وإن اشتد بهم العيش وضاقت عليهم الدنيا، والفجّار في جحيم وإن اتسعت عليهم الدنيا، قال - تعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تُشْغِلُهَا ... عَنِ الشَّرَابِ وَتُلهِيهَا عَنِ الزَّادِ

لَهَا بِوجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ ... وَمِنْ حَدِيثِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي

إِذَا شَكَتْ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ أَوْعَدَهَا ... رُوحُ اللِّقَاءِ فَتحْيَا عِنْدَ مِيعَادِ

* وقال ابن القيم: إن أعظم لذات الدنيا هو السبب الموصل إلى أعظم لذة في الآخرة.....فأعظمها وأكملها ما أوصل إلى لذة الآخرة، ويثاب الإنسان على هذه اللّذة أتم ثواب، ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من أكله

---

(١) سنده قوي: رواه أحمد (١/ ٦٣)، والحاكم (١/ ٧٢)، وابن حبّان (٢٠٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٩٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص (٣٢٨)، وابن البنّاء في «فضل التهليل» رقم (١) عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وسنده قوي.

وشربه ولباسه ونكاحه، وشفاء غيظه بقهر عدو الله وعَدوِّه؛ فكيف بلذّة إيمانه، ومعرفته بالله، ومحبته له، وشوقه إلى لقائه، وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم؟»[١].

ابن رجب الحنبلي

سيدٌ من المحبين المشتاقين

نعم، والله.. «لا يعرف الشوق إلا مَن يكابده»...وابن رجب محبٌّ مشتاقٌ يعرف الشوق ويعرب عن علاماته ويُترجم حاله....ولو لم يكن له إلا «شرح حديث عمار بن ياسر»، أو «اختيار الأولى»، أو «استنشاق نسيم الأنس»، وما كتبه فيها عن الشوق لكفاه فخرا.

قال رحمه الله:

«الشوق إلى لقاء اللَّه درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة المحبة لله عز وجل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله هذه الدرجة»[٢].

أَبَى الحُبُّ أَنْ يَخْفَى وَقَدْ كَتَمْتُهُ فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنَّبَا
إِذَا اشْتَدَّ شَوْقِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ وَإِنْ رُمْتُ قُرْبًا مِنْ حَبِيبِي تَقَرَّبَا
وَيَبْدُو فَأَفْنَى ثُمَّ أَحْيَا بِهِ لَهُ فَيُسْعِدُنِي حَتَّى أَلَذَّ وَأَطْرَبَا[٣]

* لله درهم من سادة ملأوا الدنيا محبة وشوقا وحنينا إلى اللَّه وإلى الدار الآخرة وكانوا حداة للأرواح والقلوب إلى مجاورة علّام الغيوب.

* * *

---

(١) الداء والدواء ص (٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٢) المصدر السابق ص: (٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٣) «استنشاق نسيم الأنس» ص: (٣٥١).

المشتاقون من عقلاء المجانين

● ملحوظة هامة

هذه تراجمُ قوم أحبوا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ من كل قلوبهم، وكثير منهم غشي عليهم، وهم قوم صدق يَصْدُق فيهم قول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ «والذي عليه جمهور العلماء أن الواحد[1] من هؤلاء إذا كان مغلوبًا لم يُنكر عليه، وإنه كان حال الثابت أكمل منه، ولهذا لما سُئل الإمام أحمد عن هذا، فقال: قُرِيء القرآن على يحيى بن سعيد القطّان، فغشي عليه، ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه؛ لدفعه يحيى بن سعيد فما رأيت أعقل منه، ونحو هذا وقد نُقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك، وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة، وبالجملة فهذا ممن لا يُستراب في صدقه.......» إلى أن قال: «فهذه الأحوال التي يُقترن بها الغشي، أو الموت، أو السكر، أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك، إن كانت أسبابها مشروعة، وصاحبها صادقًا عاجزًا عن دفعها كان محمودًا على ما فعله من الخير، وما ناله من الإيمان كمغدورٍ فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره، وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانهم وقسوة قلوبهم، ونحو ذلك من الأسباب التي تتضمَّن ترك ما يحبه اللَّه، أو فِعْل ما يكرهه اللَّه، ولكن من لم يزل عقله مع أنه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه، فهو أفضل منهم. وهذه حال الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ وهو حال نبينا ﷺ؛ فإنه أُسرى به إلى السماء وأراه اللَّه ما أراه، وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله، فحاله أفضل من حال موسى ﷺ الذي خرَّ صعقًا لما تجلَّى ربه للجبل، وحال موسى حال جليلة عليّة فاضلة، لكن حال محمد ﷺ أكمل وأعلى وأفضل»[2].

* قال ابن رجب الحنبلي: «ومن هؤلاء من كان يُسمَّى مجنونًا كسعدون

(١) كلام ابن تيمية هنا عن حال من غُشِيَ عليه عند تلاوة القرآن.
(٢) «الصوفية والفقراء» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وغيره، ويسمون أيضًا «عقلاء المجانين»، وكانت أقوالهم وأحوالهم محفوظة غالبًا، ويصدر منهم من الكلام الحسن شيء كثير. وقد غلط طوائف من المتأخرين في أمرهم فظنوا أن حالهم هو غاية الكمال، وأن العقلاء كلهم من العلماء بالله، والعمال لله مقصرون عن درجتهم، وهذا خطأ قبيح»(١).

● **سعدون المجنون: -**

قال مالك بن دينار: «دخلت جبَّانة البصرة، فإذا أنا بسعدون، فقلت له: كيف حالك؟ وكيف أنت؟ فقال: يا مالك، كيف يكون حال من أمسى وأصبح، يريد سفرًا بعيدًا بلا أُهبةٍ ولا زادٍ، ويقدم على ربٍّ عدل؟! ثم بكى بكاءً شديدًا؛ فقلت: ما يُبكيك؟ قال: واللَّه ما أبكي حرصًا على الدنيا، ولا جزعًا من الموت؛ لكني بكيت ليوم مضى من عمري لم يُحسن فيه عملي، أبكاني - واللَّه - قلة الزاد، وبُعد المفازة، والعقبة الكئود، ولا أدرى بعد ذلك أصير إلى الجنة أو النار؟

فسمعت منه كلام حكيم، فقلت له: إن الناس يزعمون أنك مجنون! فقال: وأنت قد اغتررت بما اغترَّ به بنو الدنيا. زعم الناس أنني مجنون وما بي جِنّة، ولكن حُبّ مولاي قد خالط قلبي وأحشائي، وجرى بين لحمي، ودمي، وعظمي، فأنا - والله - من حبه هائم مشغوف»(٢).

* وقال خالد بن منصور القُشيري: قدم علينا «سعدون المجنون» فسمعته ليلة من الليالي يقول في دعائه: لك خشعت قلوب العارفين! وإليك طمحت آمال الراجين!

ثم أنشأ يقول:

وَكُنْ لِرَبِّكَ ذَا حُبٍّ لِتَخْدُمَهُ ... إِنَّ المُحِبِينَ لِلأَحْبَابِ خُدَّامُ(٣)

(١) «استنشاق نسيم الأنس» ص: (٣٩٣).
(٢) «عقلاء المجانين» لأبي القاسم بن حبيب النيسابوري ص: (٨٨ - ٨٩) - مكتبة ابن سينا.
(٣) عقلاء المجانين ص: (٨٣).

● شوقه إلى الحور العين: -

قال سعدون المجنون في شوقه إلى الحور العين:

تَفَهَّم يَا أَخِي وَصْفَ المِلَاحِ ... وَقَدْ رَكِبُوا النَّجَائِبَ فِي الوِشَاحْ[1]

مِنَ الحُورِ الحِسَانِ مُنَعَّمَاتٍ ... تَفُوقُ وُجُوهُهَا ضَوءَ الصَّبَاحْ

بَرَاهُنَّ المُهَيمِنُ مِن عَبِيرٍ ... وَشَرَّفَهُنَّ حَقًّا بِالفَلَاحْ

فَهَا أَنَا وَاصِفٌ مِنْهُنَّ حُورًا ... مُنَعَّمَةً مُذَلَّلَةً رَدَاح[2]

بِشَعرٍ فَاحِمٍ رَجِلٍ[3] أَنِيقٍ ... وَطَرْفٍ سِحْرُهُ لِلْقَلْبِ لَاحْ

وَصُدغ فَوقَ سَالِفَةٍ[4] بِمسكٍ ... كَمَشْقِ النُّونِ فِي رَقٍّ[5] مُبَاحْ

إِذَا خَطَرتْ تُحَيِّرُ كُلَّ حُسْنٍ ... وَإِنْ مَرِحَتْ فَأَهْلٌ لِلْمَرَاحْ

تَقُولُ إِذَا أَتَتْ نَحْوَ العَذَارَى ... أَلَا يَا خُودُ، هَل حُبِّي بِصَاحْ؟[6]

فَقَدْ نَغَّصْنَ لَذَّاتِي جَمِيعًا ... وَأَعْدَمَنِي هَوَاهَا شُرْبَ رَاحْ

● متى يكون القلب أميرًا؟

قال الفتح بن سالم: كان سعدون سيّاحًا لهجًا بالقول، فرأيته يومًا بالفسطاط قائمًا على حَلقةِ ذي النون وهو يقول: يا ذا النون، متى يكون القلب أميرًا بعد أن كان أسيرًا؟!

---

(١) النجائب: نجيبة «كرام الإبل. والوشاح: ما تتشح به المرأة وتشده بين عاتقها وكشحها.

(٢) الرداح: ضخمة الردف.

(٣) رَجِل: بفتح الجيم وكسر: ليس شديد الجعودة ولا سبطا.

(٤) السالفة: ناحية مقدم العنق مِن لدُن معلق القرط إلى قَلْت (النقرة) الترقوة.

(٥) المشق: الكتابة. والرَّق: بالفتح جلد رقيق يُكتب عليه.
والعرب كانوا يشبهون السوالف بالحروف الهجائية كالنون.

(٦) الخود: المرأة الشابة.

قال ذو النون: ـ

إِذَا اطَّلَعَ الخَبِيرُ عَلَى الضَّمِيرِ   وَلَمْ يُرَ فِي الضَّمِيرِ سِوَى الخَبِيرُ

قال: فصرخ سعدون، وخرَّ مغشِيًّا عليه، ثم أفاق؛ فقال:

وَلَا خَيْرَ فِي شَكْوَي إِلَي غَيْرَ مُشْتَكَى   وَلَا بُدَّ مِن شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُ

ثم قال: أستغفر اللَّه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قال: يا أبا الفيض، إن من القلوب قلوبًا تستغفر اللَّه قبل أن تُذنِب. قال: نعم، تلك قلوبٌ تُثَاب قبل أن تُطيع. أولئك قوم أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين[1].

* قال ذو النون لسعدون: ارفق بنفسك؛ فلعله ينظر إليك برحمته، فنزع يده من يد ذي النون وهو يقول: ـ

سَلَامٌ عَلَى طِيبِ المَقَامِ سَلَامُ   فَلَيسَ لِعَينِ المُسْتَهَامِ[2] مَنامُ

وَلَوْ تَرَكَ الإِغْمَاضَ يَوْمًا جِفْنِه   لأَيْقَظْهُ مِمَّا يُجِنُّ ضِرَامُ[3]

* قلب سماوي مشتاق يدعو اللَّه فيستجيب له:

قال محمد بن الصباح: خرجنا بالبصرة نستقي، فلما أصحرنا، إذا بسعدون عليه جبَّة صوف، فلما رآنا قام، وقال: إلى أين؟ قلنا: نستقي المطر، فقال: بقلوب سماوية، أو بقلوب خالية؟ فقلنا: بقلوب سماوية. فقال: اجلسوا هاهنا فجلسنا، حتى ارتفع النهار، والسماء لا تزداد إلا صحوًا، فقال: يا بطَّالين، لو كانت قلوبكم سماوية لسُقيتم، ثم توضأ وصلى ركعتين، ولحظ السماء بطرفه، وتكلَّم بكلام لم نسمعه فما استتم كلامه حتى أرعدت وأبرقت وأمطرت مطرًا جوادًا،

(١) عقلاء المجانين ص: (٨٤).

(٢) المستهام: المحب الهائم.

(٣) مما يجنّ: مما يستر. والضِّرام: اشتعال النار ويقصد نار المحبة والشوق. انظر عقلاء المجانين ص: (٨٦).

فسألنا عن الكلام الذي تكلّم به فقال: إليكم عني، إنما هي قلوب حنّت فرنّت، فعاينت، فعملت وعلى ربها توكلت، وأنشأ يقول:

اعْرِضْ عَنْ الفَخْرِ والتَّمَادِي وَارْحَلْ إِلَى سَيِّدٍ جَوَادِ
مَا العَيْشُ إِلَّا جِوَارَ قَوْمٍ قَدْ شَرِبُوا صَافِي الوِدَادِ[(١)]

● **قلوب العارفين المشتاقين: -**

قال رحمه الله عند البيت الحرام: «ربّ عبدُك المسكين الطَّريد الشريد من بين خلقك، أسألك من الأمور أقربها إليك، وأسألك إلا سقيتني كأس محبتك، وكشفتَ عن قلبي أغطية الجهل، حتى أرقى بأجنحة الشوق إليك، فأناجيك، في أركان الحق بين رياض بهائك.

وأنشأ يقول:

قُلُوبُ العَارِفِين تَحِنُّ حَتَّى تَحِلَّ بِقُرْبِهِ فِي كُلِّ رَاحِ
صَفَتْ فِي وِدِّ مَوْلَاهَا فَمَا إِنْ لَهَا مِنْ وِدِّه أَبَدًا بَرَاحِ[(٢)]

فلله در سعدون من رجل سار إلى الله سير من نصب المحبة بين عينيْه، وخاف خوف من أخذت الزبانية بقلبه.

قال رحمه الله :

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّنِي مَجْنُونٌ! كَيْفَ أَسْلُو وَلِي فُؤَادٌ مَصُونُ
عَلِقَ القَلْبُ بِالبُكَاءِ فِي الدَّيَاجِي وَهُو بِاللَّهِ مُغْرَمٌ مَحْزُونُ[(٣)]

وكتب رحمه الله إلى أخٍ له:

«أما بعد... يا أخي، جعلنا الله وإياك من الذين غاصوا في بحار الشوق،

---

(١) عقلاء المجانين ص: (٨٧).

(٢) براح: زوال، أي: لا تنفك ولا تبرح عن التنعم بهذا الود إلى غيره.

(٣) عقلاء المجانين ص: ٩٢ - ٩٣).

فاستخرجوا صدف اللطف، فسقط عنهم الأذى والأسف»[(١)].

وكتب إلى الآخر: «أما بعد: يا أخي جعل اللَّه قلبك سَماويًّا مُعلَّقًا بجلال مودَّته، حتى تنصَبُّ إليك ينابيع الدلائل؛ فتسمو إليه بمواريث الطاعة»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : «تضجُّ أوجاع القلوب إلى مداويها، وتشكو ألم الضمير إلى مُبليها، وتبكي العيون عن محبة مبكيها شوقًا إلى من تؤنسها محبته، ثم أنشأ يقول:

فَهَامَ بِحُبِّ اللَّهِ فِي القَفْرِ سَائِحًا ... وَحطَّتْ عَلَى سُوقِ القُدُومِ رَوَاحِلُه

نَهَاهُ النُّهَى فَارْتَاعَ لِلْخَوْفِ بَاطِنُهُ ... وَخَافَ وَعِيد اللَّهِ فَالحَقُّ شَاغِلُهُ

فَلَمَّا جَرَى مَاءُ اليَقِينِ بِقَلْبِهِ ... فَأَنْبَتَ زَرْعًا لَمْ تَجِفَّ سَنَابِلُهُ

طَوَى دَهْرَه بِالصَّومِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... عَلَيهِ يَمِينٌ أَنَّهُ لَا يُزَايِلُهُ

فَعَادَ بِحُزْنٍ قَدْ جَرَى بِضَمِيرِهِ ... تَنُوحُ بِهِ أَعْضَاؤُه وَمَفَاصِلُهُ

يَسُرُّ الفَتَى مَا كَانَ قَدَّمَ مِن تُقَى ... إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ[(٣)]

● ولهان المجنون:ـ

قال ذو النون المصري: رأيت ولهانَ يومًا ـ وهو يطوف حول البيت، وهو يقول: «شوقك قتلني، وحبُّك أقلقني، والاتصال بك أسقمني!

فقدت قلبًا يحب غيرك، وثَكِلتُ خواطر تُسَرُّ بسواك[(٤)]

● حيُّونة العابدة ـ رحمها اللَّه ـ: ـ

قال راشد بن علقمة الأهوازي: كانت «حيونة» إذا جَنَّها الليل تقول: «إلهي! وَدِدْت أن النهار ليلٌ؛ حتى أتمتّع بقربك»[(٥)].

---

(١)، (٢) المصدر السابق ص: (٩٥).

(٣) المصدر السابق ص: (١٣٠).

(٤) المصدر السابق ص: (١٣٨).

(٥) عقلاء المجانين ص: (١٣٨).

قال سلّام الأسود: صامت حيونة حتى أسوّدت؛ فعوتبت في ذلك، فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: قد لامني خلقك في خدمتك، فوعزتك وجلالك لأخدمنّك حتى لا يبقى لي عصب ولا قصب[١] ثم أنشأت تقول:

يَا ذَا الَّذِي وَعَدَ الرِّضَا لِحَبِيبِهِ   أَنْتَ الَّذِي مَا إِنْ سِوَاكَ أُرِيدُ

● جاء عُرْس المهتدين:ـ

زارت رابعة حيُّونة، فلما كان جوف الليل، حمل النوم على رابعة، فقامت إليها حيُّونة فركلتها برجلها، وهي تقول: قومي، قد جاء عُرْس المهتدين، يا من زَيَّن عرائس الليل بنور التهجُّد.

* وقال سلام: سمعت حيونة تقول: مَن أَحَبَّ اللّه أنس، ومن أنس طرب، ومن طرب اشتاق، ومن اشتاق وَلِه، ومن وله خدم، ومَن خدم وصل، ومن وصل اتصل، ومن اتصل عرف، ومَن عرف قرُب، ومَن قرب لم يرقد، وتسوّرت عليه بوارق الأحزان»[٢].

● وكُن لربك ذا حُبٍّ لتخدمه: ـ

قال عابد في مناجاته: «لك هطلت الآماق، ولك بكت الأحداق، وذكرك مشهور في الآفاق، يا مَن ينعم بحبه أهل الإشفاق، يا مَن يداوي جراحات أهل الوجد والاحتراق» ثم أنشأ يقول: ـ

وَكُنْ لِربِّكَ ذَا حُبٍّ وَمِن قَلَقٍ   إِنَّ المُحِبِّينَ لِلأَحْبَابِ خُدَّامُ
قَوْمٌ يَبِيتُونَ مِنْ وَجْدٍ وَمِن قَلَقٍ   وَمِن مَحَبَّتِهِ فِي اللَّيْلِ قُوّامُ
قَدْ قَطعُوا اللَّيْلَ دَهْرًا فِي مَحَبَّتِه   مَا إِنْ تَرَوْنَهم بِاللَّيلِ نُوّامُ[٣]

---

(١) القصب: العظام.
(٢) أي أطلت عليه الأحزان في خلوته.... انظر عقلاء المجانين ص: (١٦٧، ١٦٨، ١٦٩).
(٣) انظر عقلاء المجانين ص: (١٧٧).

● مِن أجل حُبِّك سيدي: -

قام أحد العبّاد لما غارت النجوم وهدأت العيون فقال:

طَالَ القِيَامُ لِهَجْعَةِ النُّوَامِ ... وَتَرَاكَ مُطَّلِعًا لِطُولِ مَقَامِي

يَا سَيِّدِي وَمُؤَمِّلِي وَمَوْثِقِي ... مِنْ أَجْلِ حُبِّكَ قَدْ هَجَرْتُ مَنَامِي

فرد عليه عابد آخر فقال:

يَا ذَا الَّذِي هَجَرَ الرُّقَادَ لَدَيْهِ ... أَبْشِرْ بِدَارِ تَحِيَةٍ وَسَلَامِ!

يَومُ القُدُومِ عَلَيْهِ فِي دَارِ البَقَا ... يَوْمٌ تَزُفُّ إِلَيْهِ بِالخُدَّامِ(١)

● توبة امرأة عن الغناء وموتها شوقًا إلى رب العالمين

اسمها: بدعة - رحمها الله -: -

قال الإمام ابن قدامة المقدسي في «كتاب التوابين».

وجدت في كتاب عن سريّ السقطي أنه قال: ضافت عليَّ نفسي يومًا، فقلت في نفسي: أخرج إلى المارستان، وأنظر إلى المجانين فيه، وأعتبر بأحوالهم. فخرجت إلى بعض المارستانات، وإذا بامرأة مغلولة يدها إلى عنقها وعليها ثياب حسان، وهي تنشد:

أُعِيذُكَ أَنْ تَغُلَّ يَدِي ... بِغَيْرِ جَرِيمَةٍ سَبَقَتْ

تَغُلِّ يَدِي إِلَى عُنُقِي ... وَمَا خَانَتْ وَلَا سَرَقَتْ

وَبَيْنَ جَوَانِحِي كَبِدٌ ... أُحِسُّ بِهَا قَدْ احتَرَقَتْ

وَحقِّكَ يَا مَدَى أَمَلِي ... يَمِينًا بَرَّةً صَدَقَتْ

فَلَو قَطَّعْتُهَا قِطَعًا ... وَحقِّكَ عَنْكَ لَا نَطَقَتْ

فقلت لصاحب المارستان: ما هذه؟ فقال مملوكة خُبِل عقلها، فحبست

---

(١) انظر المصدر السابق ص: (١٧٨، ١٧٩).

لتصلح، فلما سمعت كلامه، أنشدت:

مَعْشَرَ النَّاسِ مَا جُنِنْتُ وَلَكِنْ أَنَا سَكْرَانَةٌ وَقَلْبِي صَاحِ
لِمَ غَللْتُم يَدِي وَلَمْ آتِ ذَنبًا غَيْرَ هَتْكِي فِيْ حُبِّهِ وَافتضَاحِي
أَنَا مَفْتُونَةٌ بِحُبِّ حَبِيبٍ لَسْتُ أَبْغِي عَنْ بَابِهِ مِنْ بَرَاحِ
فَصَلَاحِي الَّذِي زَعَمْتُم فَسَادِي وَفَسَادِي الَّذِي زَعَمْتُم صَلَاحِي
مَا عَلَى مَنْ أَحَبَّ مَوْلَى المَوَالِي وَارتَضَاه لِنَفْسِه مِن جُنَاحِ

قال سريٌّ فسمعت كلامًا أبكاني. فلما رأتْ دموعي قالت: يا سريّ! هذه دموعك على الصِّفة، فكيف لو عرفته حق المعرفة؟ فقلت: هذا أعجب! من أين عرفتني؟ قالت: ما جهلت منذ عرفت أن أهل الدَّرجات يعرف بعضهم بعضًا، فقلت: يا جارية أراكِ تذكرين المحبة فلمن تُحبين؟ قالت: لمن تعرَّف إلينا بآلائه، وتحبَّب إلينا بنعمائه، وجاد علينا بجزيل[1] عطائه، فهو قريب إلى القلوب مجيب؛ تسمى بأسمائه الحسنى، وأمرنا أن ندعوه بها، فهو حكيم كريم قريب مجيب. قال: فقلت لها: فيم حُبِست؟ فقالت: قومي عابوا عليَّ ما سمعت منهم، فقلت لصاحب المارستان: أطلقها، ففعل؛ فقلت: اذهبي حيث شئت، فقالت: إن حبيب قلبي قد ملَّكني لبعض مماليكه، فإن رضي مالكي، وإلَّا صبرت واحتسبت، فقلت: هذه والله أعقل مني! فجاء مالكها ومعه ناس كثير، فقال لصاحب المارستان: وأين بدعة[2]؟ فقال: دخل عليها سريٌّ فأطلقها. فلما رآني عظَّمني؛ فقلت: هي والله أولى بالتعظيم مني! فما الذي تنكر منها؟ فقال: كثرة فكرتها، وسرعة عبرتها وزفرتها وحنينها، فهي باكية راغبة، لا تأكل مع من يأكل، ولا تشرب مع من يشرب، وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالي - بعشرين

---

(١) الجزيل: العظيم الكثير. مختار الصحاح ص: (١-٣).
(٢) اسم المرأة المحبوسة.

ألف درهم - وأمَّلت أن أربح فيها مثل ثمنها. فقلت: وما كانت صنعتها؟ قال: مطربة. قلت: ومنذ كم كان بها هذا الداء؟ فقال: منذ سنة. قلت: ما كان بدؤه؟ قال: كان العود في حجرها وهي تغني وتقول:

وَحقِّكَ لَا نَقَضْتُ الدَّهْرَ عَهْدًا وَلَا كَدَّرْتُ بُعْدَ الصَّفْوِ وُدًّا

مَلأَتُ جَوَانِحِي[1] وَالقَلْبَ وَجْدًا فَكَيْفَ أُقِرُّ أَوْ أَسْلُو وَأَهْدَا

فَيَا مَنْ لَيْسَ لِي مَوْلَى سِوَاهُ تُرَاكَ تَرَكْتَنِي فِي النَّاسِ عَبْدَا

قال: فكسرت العود وقامت وبكت. فاتهمتها بمحبَّة إنسان. فكشفتُ عن ذلك فلم أجد له أثرًا. قال: فقلت لها: هكذا كان؟ فقالت:

خَاطَبَنِي الوَعْظُ مِن جَنَانِي وَكَانَ وَعْظِي عَلَى لِسَانِي

قَرَّبَنِي مِنْهُ بَعْدَ بُعْدٍ وَخَصَّنِي اللَّهُ وَاصطَفَانِي

أَجَبْتُ لَمَّا دُعِيتُ طَوْعًا مُلَبِّيًا لِلَّذِي دَعَانِي

وَخِفْتُ مِمَّا جَنَيْتُ قِدْمًا فَوَقَعَ الحُبُّ بِالأَمَانِ

قال: فقلت: عليَّ الثمن وأزيدك. قال: فصاح: وا فقراه! من أين لك ثمن هذه؟ فقلت: لا تعجل عليَّ، تكون في المارستان، حتى أتى بثمنها، ثم مضيت وعيني تدمع وقلبي يخشع. وبتُّ ولم أطعم غمضًا، واللَّه ما عندي درهم من ثمنها. وبقيت طول ليلتي أتضرع إلى اللَّه - تعالى - وأقول: يا رب! إنك تعلم سري وجهري، وقد اتكلت على فضلك وعوَّلْت عليك فلا تفضحني.

فبينما أنا عند السحر إذا بقارعٍ يقرع الباب. فقلت: مَن بالباب؟ فقال: حبيب من الأحباب، أتى في سببٍ من الأسباب، من الملك الوهاب. ففتحت الباب، فإذا برجل معه خادم وشمعة. فقال: يا أستاذ! أتأذن لي بالدخول؟ فقلت: ادخل! من أنت؟ قال: أنا أحمد بن المثنى، قد أعطاني مالك الدار فأكثر. كنت

(١) الجوانح: جمع جانحة، وهي الضِّلَعُ القصيرة مما يلي الصدر. الوجيز ص: (١٢٠).

الليلة نائمًا فهتف بي هاتف في المنام: احمل خمس بدرات[1] إلى سريٍّ يعطيها لمولى بدعة يفكها من الأسر ومن رق العبودية الساعة؛ فلنا بها عناية. فجئت مبادرًا بهذا المال، فاصنع به ما شئت. قال: فخررتُ لله ساجدًا وارتقبت الصبح. فلما تعالى ضوء النهار أخذت بيد أحمد ومضيت به إلى المارستان. فإذا الموكل به يلتفت يمينًا وشمالًا. فلما رآني قال: مرحبًا! ادخل! فإن لها عند الله عناية؛ هتف بي البارحة هاتف، وهو يقول:

إنَّـهَـا مِـنَّـا بِـبَـالٍ ... لَيْسَ تَخلُو مِنْ نَوَالِ
قَـرُبَـتْ ثُـمَّ تَـسَـمَّـتْ ... وَعَلتْ فِي كِلِّ حَال

فحفظت هذا القول وكررته إلى أن أتيتم. فدخلت عليها وهي تقول:

قَدْ تَصَبَّرْتُ إلَى أَنْ ... عِيلَ فِي حُبِّكَ صَبرِي
ضَاقَ مِنْ غُلِّي وَقَيْدِي ... وَامتِهَانِي فِيكَ صَدْرِي
لَيسَ يَخْفَى عَنكَ أَمرِي ... يَا مُنَى قَلْبِي وَذُخرِي
أَنْتَ لِي تَعتقُ رِقِّي ... وَتَفُكُّ اليَومَ أَسْرِي

قال: وأقبل مولاها يبكي ويخشع، فقلت له: قد جئناك بما ورثت وربح خمسة آلاف. فقال: لا والله! فقلت: بربح عشرة آلاف. فقال: لا فقلت: بربح المثل. فقال: لو أعطيتني الدنيا ما قبلت! وهي حرة لوجه الله - تعالى -. فقلت له: ما القصة؟ فقال: يا أستاذ! وبخت البارحة، أشهدك أني خارج من جميع مالي وهارب إلى الله - تعالى - اللَّهم كن لي بالسعة كفيلًا وبالرزق جميلًا. فالتفت إلى ابن المثنى فرأيته يبكي فقلت له: ما بكاؤك فقال: ما رضي بي المولى لما ندبني إليه؛ أشهدك أني قد تصدَّقت بجميع مالي لوجه الله - تعالى -. فقلت: ما أعظم بركة بدعة على الجميع! فقامت بدعة، فنزعت ما كان عليها، ولبست مدرعة من الشعر، وخرجت وهي تقول:

---

(١) البدرات: جمع بدرة، وهو الكيس من المال.

هَـرِبْـتُ مِـنْـهُ إِلَـيْـهِ بَـكَـيـتُ مِـنْـهُ عَـلَـيْـهِ
وَحَـقِّـهِ فَـهُـو مَـوْلَـى لَا زِلْـتُ بَـيْـنَ يَـدَيـهِ
حَـتَّـى أَنَـالُ وَأَحْـظَـى بِمَـا رَجُـوتُ لَـدَيْـهِ

قال سريٌّ: فأقمت بعد ذلك مدة حتى مات مولاها. فبينا أنا أطوف بالكعبة وإذا أنا بصوت محزون من كبد محروقة، وهو يقول:

قَـدْ تَـشَـهَّـرْت بِـحُـبِّـكَ كَيْفَ لِي مِنكَ بِقُربِكْ
كَيْفَ بِي يَا نَفْسُ إِنَ وَا خَـذَكِ الـلَّـهُ بِـذَنْـبِـكْ
لَمْ يُـقَـاسِـي أَحَـدٌ يَـا نَفْسُ كَرْبًا مِثْلَ كَرْبِكْ
فَـسَـلِـي رَبَّـكِ يَـأْتِـيـ ـكِ الرِّضَى مِنْ عِندِ رَبِّكْ

قال: فتبعت الصوت فإذا امرأة كالخيال. فلما رأتني قالت: السلام عليك يا سريُّ! فقلت: وعليك السلام من أنتِ؟ فقالت: لا إله إلا اللَّه! وقع التناكر بعد المعرفة[1]! أنا بدعة. فقلت: ما الذي أفادك الحقّ بعد انفرادك عن الخلق؟ فقالت: أفادني كل المنى. وأنشدت:

يَا مَنْ رَأَى وَحشَتِي فَآنَسَنِي بِالقُرْبِ مِن قُرْبِهِ فَأَنْعَشَنِي
هَرِبْتُ مِنْ مَسْكَنِي إِلَى سَكَنِي نَعَمْ وَمِنْ مَوْطِنِي إِلَى وَطَنِي
يَا سَكَنِي لَا خَلَوتُ مِنْ سَكَنِي دَهْرِي وَيَا عُدَّتِي عَلَى الزَّمنِ
أَوحَشَنِي مَا فَقَدْت مِنْه فَقَدْ عَـادَ بِـإِحْـسَـانِـه فَـآنَـسَـنِـي
وَعُـدتُ أَيْـضًـا وَعَـادَ مُـنْـعَـطِـفًـا كَـذَلِكَ مُذْ كَانَ مِنْهُ عوَّدَنِي

ثم قالت: لا حاجة لي بالبقاء، فخذني إليك! قال: فحركتها فإذا هي ميتة - رحمة اللَّه عليها[2].

---

(١) أي لم تعرفني بعد أن كنت تعرفني حق المعرفة.

(٢) كتاب التوابين «لابن قدامة المقدسي» ص: (١٨٠ - ١٨٤) - طبعة دار الفجر.

وقفات

رؤية الله منامًا

بين أهل العلم خلاف في ذلك فمنهم من منع من ذلك، ومنهم من أجازه، وهذا هو الأقوى وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية. فقال ـ رحمه الله ـ: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلّا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه.

ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها «تعبير وتأويل» لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.

وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام، فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم، وقد يتجلَّى له من الحقائق ما يشهده بقلبه، فهذا كله يقع في الدنيا.

وربما غلب أحدهم ما يشهده قلبه وتجمعه حواسه فيظن أنه رأى ذلك بعينيْ رأسه، حتى يستيقظ، فيعلم أنه منام، وربما علم في المنام أنه منام.

فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه، حتى تفنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤية بعينه، وهو غالط في ذلك»(١).

وقال في موضع آخر: «ومن رأى الله عَزَّ وَجَلَّ في المنام فإنه يراه في صورة من الصور بحسب حال الرائي، وإن كان صالحًا رآه في صورة حسنة، ولهذا رآه النبي ﷺ في أحسن صورة.

و«المشاهدات» التي قد تحصل لبعض العارفين في اليقظة كقول ابن عمر لابن الزبير لما خطب إليه ابنته في الطواف: أتحدِّثني في النساء ونحن نترآءى الله عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٩٠).

في طوافنا؟ وأمثال ذلك، وإنما يتعلَّق بالمثال العلمي المشهود. وهذا المثال العلمي يتنوّع في القلوب بحسب المعرفة بالله والمحبة له تنوُّعًا لا ينحصر»[١].

وقال: «وكثير من هؤلاء العباد الذي يشهد قلبه الصورة المثالية ويفنى فيما شهده يظن أنه رأى الله بعينه؛ لأنه لما استولى على قلبه سلطان الشهود، ولم يبق له عقل يميِّز به، والمشاهد للأمور هو القلب، لكن تارة شاهدها بواسطة الحس الظاهر، وتارة بنفسه فلا يبقى أيضًا يميِّز بين الشهودين، فإن غاب عن الفرق بين الشهودين ظن أنه رآه بعينه...

وهذا كله من قوة شهود القلب وضعف العقل بمنزلة ما يراه النائم، فإنه لغيبة عقله بالنوم يظن أن ما يراه هو بعينه الظاهرة، وما يسمعه يسمعه بأذنه الظاهرة، وما يتكلَّم به يتكلَّم به بلسانه بالحس الظاهر؛ وعينه مغمضة ولسانه ساكت، وقد يقوى تصورة الخيالي في النوم حتى يتصل بالحس الظاهر، فيبقى النائم يقرأ بلسانه ويتكلم بلسانه تبعًا لخياله، ومع هذا فعقله غائب لا يشعر بذلك....»[٢].

رؤية الله يقظة

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «هذا كله ضلال، فإن أئمة السنة والجماعة متفقون من أن الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في نبينا ﷺ خاصة»[٣].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وبالجمة أن كل حديث فيه أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض» وفيه «أنه نزل له إلى الأرض» وفيه «أن رياض الجنة من خطوات الحق» وفيه «أنه وطيء على صخرة بيت المقدس» كل هذا كذب باطل بإتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥١).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٥٣ - ٢٥٤).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٤٩٠).

* وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أنّ أحدًا من المؤمنين لا يرى ربه بعينى رأسه حتى يموت.

وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النّواس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه لما ذكر الدّجال قال: «**واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت**»(١).

* وقال «وكل من قال من العُبّاد المتقدمين والمتأخرين أنه رأى ربه بعينيْ رأسه فهو غالط في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان»(٢).

* وسُئِل رَحِمَهُ اللَّهُ عن أقوام يدّعون أنهم يروْن اللَّه بأبصارهم في الدنيا؛ وأنه يحصل لهم بغير سؤال ما حصل لموسى بالسؤال؟

فأجاب: ـ

أجمع «سلف الأمة وأئمتها» على أن المؤمنين يرون اللَّه بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، ولم يتنازعوا إلّا في النبي ﷺ.

وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت».

ومن قال من الناس أن الأولياء أو غيرهم يرى اللَّه بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال، مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، لا سيّما إذا ادّعوا أنهم أفضل من موسى، فإنهم يستتابون، فإن تابوا وإلا قُتِلوا. واللَّه أعلم»(٣).

ونقل ابن تيمية عن الإمام أبي عبداللَّه محمد بن خفيف أن جعفر الصادق بن محمد الباقر قال في معرض الردّ لـمّا سُئِل: هل رأيت اللَّه حين عبدته؟ قال: رأيت اللَّه ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بتحديد الأعيان، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان»(٤) والمراد من الردّ إنكار نفي الرؤية البصرية

(١)، (٢) المصدر السابق (٣/ ٣٨٩، ٣٩٠).
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٥١٢).
(٤) «الفتوى الحموية الكبرى» لابن تيمية ص (٦٣).

في الدنيا.

* **ويرى بعض أهل العلم جواز رؤية اللَّه ـ تعالى ـ في الدنيا.**

قال القاضي عياض: والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته ـ تعالى ـ في الدنيا جائزة عقلًا، وليس في العقل ما يحيلها، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها»[1].

وهذا القول قول مرجوح وحكى الكعبي المعتزلي أس الكعبية من المعتزلة عن بعض المشبّهة أنهم يجوّزون رؤية اللَّه ـ تعالى ـ في الدنيا، وحكى عن داود الجواربي[2] ما يُنَزَّه اللَّه عن وصفه به ـ تعالى ـ وتقدّس.

وأجاز كثير ممن أجاز رؤيته في الدنيا مصافحته وملامسته ومزاورته وقالوا: إن المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إنْ أرادوا ذلك[3] ـ تعالى اللَّه عما يقولون عُلُوًّا كبيرا ـ.

قال ابن القيم: «والمنحرفون في باب رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ نوعان: أحدهما: مَن يزعم أنه يُرَى في الدنيا ويحاضِر ويُسامر.

والثاني: من يزعم أنه لا يرى في الآخرة ألبتة ولا يُكَلِّم عباده، وما أخبر اللَّه به ورسوله، وأجمع عليه الصاحبة والأئمة يُكذِّب الفريقيْن»[4].

* * *

(١) الشفا في شرح شمائل صاحب الأصطفا للقاضي عياض مع شرحه للقاري (٢/ ٤٦٩، ٤٧٠).

(٢) داود الجواربي رأس في الرفض والتجسيم. قال يزيد بن هارون: الجواربي والمريسي كافران. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٢٣).

(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري (٢١٣، ٢١٤).

(٤) «حادي الأرواح» لابن القيم ص (٢٢٠).

من درر الحافظ في الكلام عن رؤية الله في دار الدنيا

لله در الحافظ ابن حجر في رده على من يزعمون رؤية الله بالأبصار في دار الدنيا:ـ

وقفة: ـ

يقول الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه «ابن الفارض والحب الإلهي»:

«إن هناك قصة أخيرة تظهرنا على أن ابن الفارض انتهى في آخر لحظات حياته إلى رؤية الله، وهي عند القوم غاية الكرامة، فقد قصَّ برهان الدين الجعبري على ولد ابن الفارض قصة وصف فيها الشاعر وما وقع له عند احتضاره، وقد كان الجعبري أحد الذين حضروا ذلك الاحتضار من الأولياء. ومن هذه القصة نتبيَّن أن ابن الفارض عندما حضرته الوفاة تمثلت له الجنة أمام عينيه، ولكنه ما يكاد يراها، حتى تأوَّه وصرخ صرخةً عظيمة وبكى بكاءً شديدًا وتغيّر لونه وقال:

إِنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الحُبِّ عِنْدَكُم ... مَا قَدْ رَأَيْتُ فَقَدْ ضَيَّعتُ أَيَامِي

أُمنِيَةٌ ظَفَرَتْ رُوحِي بِهَا زَمَنًا ... وَاليَوْمَ أَحْسِبُهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامِ

وهنا قال له الجعبري: إن هذا مقام عظيم، فردَّ عليه ابن الفارض قائلا: «يا إبراهيم رابعة العدوية تقول ـ وهي امرأة ـ: وعزتك ما عبدتك خوفًا من نارك ولا رغبةً في جنتك، بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك، وليس هذا المقام الذي كنت أطلبه، وقضيت عمري في السلوك إليه» قال الجعبري: فسمعتُ قائلًا يقول بين السماء والأرض أسمع صوته ولا أرى شخصه: يا عمر، فما تروم؟ فقال:

أَرُومُ وَقَدْ طَالَ المَدَى مِنْكَ نَظْرَةً ... وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ دُونَ مَرْمَايَ طُلَّت

قال الجعبري: ثم بعد ذلك تهلّل وجهه وتبسم وقضى نحبه فرحًا مسرورًا، فعلمتُ أنه أُعطي مرامه»[1].

فإن صحَّ فهْم الجعبري لهذا المرام على أنه رؤية اللَّه وظفر ابن الفارض بهذه النظرة التي طالما رامها، وسُفِكت في سبيلها الدماء، فإنه ينبغي على ذلك أن يكون شاعرنا قد تحقّق أخيرًا بأسمى الكرامات وأرقى خوارق العادات.

ومع هذا فإن فريقًا من الصوفية قد أجمع على أن اللَّه لا يُرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلّا من جهة الإيقان لأنه غاية الكرامة وأفضل النِّعَم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلا في أفضل المكان، ولو أعطى القوم في الدنيا أفضل النعم، لم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقية فرق، ولما منع اللَّه ـ سبحانه ـ كليمه عليه السلام ذلك في الدنيا، كان من هو دونه أحْرى؛ وأخرى أن الدنيا دار فناء ولا يجوز أن يُرَى الباقي في الدار الفانية»[2].

وهذا الإنكار لرؤية اللَّه في الدنيا، إن صحَّ بالقياس إلى مَنْ يدّعِي هذه الرؤية من الصفوة وهو ما يزال غارقًا في بحر الحياة، فإنه لا يصحّ بالقياس إلى حال ابن الفارض كما تصوّرها القصة المذكورة آنِفًا، فهو هنا قد وَلّى من الحياة وتولّت عنه الحياة بما فيها من متاع دنيوي ماديّ، وأقبل عليه الموت، وأصبح من العالم العلويّ قاب قوسين أو أدنى، فليس ثمّة ما يمنع إذًا من أن يكرمه اللَّه برؤيته في هذه اللحظة الأخيرة من حياته التي ستصعد روحه فيها إلى السماء، وستنعم في ظل بارئها بكل ألوان النعيم والسعادة والسناء»[3].

ولقد انتصر الحافظ ابن حجر ـ كغيره من العلماء الربانيين لمذهب أهل السنة

---

(١) «ديباجة ديوان ابن الفارض» لسبط ابن الفارض ص (١٢) ـ دار الكتب المصرية، مطبعة بولاق.

(٢) التعرّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص (٢٠ ـ ٢١).

(٣) «ابن الفارض والحب الإلهي» للدكتور محمد مصطفى حلمي ص (٧٦ ـ ٧٨) ـ دار المعارف بمصر.

والجماعة في نفي رؤية الله في دار الدنيا بالأبصار ـ، وبيّن ـ رحمة الله ـ أن رؤية الله ـ تعالى ـ في الدار الدنيا بالأبصار وإن كانت جائزة عقلًا فإنّها ممتنعة سمعًا(١)، ومن الأدّلة على امتناع الرؤية في الدّنيا:

١ ـ حديث جبريل الطّويل، وفيه: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبَدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٢).

قال الحافظ: «دلّ سياق الحديث على أنّ رؤية اللّه في الدنيا بالأبصار غير واقعة»(٣).

٢ ـ وقال الحافظ: «قد صرّح مسلم في روايته من حديث أبي أمامة بقوله ﷺ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوا رَبَّكم حَتَّى تَمُوتُوا**»(٤).

٣ ـ وقوله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَالمَوْتُ قَبْلَ لِقَاءَ اللَّهِ**»(٥).

قال الحافظ: «وفيه أنّ اللّه ـ تعالى ـ لا يراه في الدنيا أحد من الأحياء، وإنّما يقع ذلك للمؤمنين بعد الموت، أخذًا من قوله: «**وَالمَوْتُ دُونَ لِقَاءَ اللَّهِ**»، وقد تقدم أنّ اللقاء أعمّ من الرؤية(٦)، فإذا انتفى اللِّقاء انتفت الرؤية»(٧).

فهذه الأدلة التي استدلّ بها الحافظ على امتناع الرؤية في الدنيا، وكلّها أدلّة

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٨/ ٦٠٨).

(٢) أخرجه البخاري بطوله في صحيحه ـ مع «الفتح» ـ: (١/ ١١٤)، برقم (٥٠).

(٣) «فتح الباري»: (١/ ١٢٠).

(٤) نفس المصدر: (١/ ١٢٠، و٨/ ٦٠٨، و١١/ ٣٦١)، والحديث المذكور جزء من حديث طويل في خبر الدجال ـ أخرجه مسلم في كتاب الفتن (٨/ ٥٦).

(٥) أخرجه البخاري ـ مع «الفتح» ـ: (١١/ ٣٥٧)، برقم (٦٥٠٧)، دون قوله: «والموت قبل لقاء الله». أخرجه مسلم ـ بشرح النووي ـ: (١٧/ ١٠)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، واللفظ له.

(٦) سيأتي استدلال الحافظ بثبوت اللقاء على ثبوت الرؤية في الآخرة.

(٧) «فتح الباري»: (١١/ ٣٦١).

صحيحة، وظاهرة الدلالة على المسألة.

* وأشار الحافظ في بعض المواضع إلى علّة امتناع الرؤية في الدّنيا، وهي أنّ الأبصار في الدنيا فانية، واللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ باق، فلا يُرى الباقي بالفاني، بخلاف حالة الآخرة، فإنّ أبصار المؤمنين فيها باقية، فلا استحالة أن يرى الباقي بالباقي[1].

* وإذا ثبت امتناع رؤية اللَّه ـ تعالى ـ بالأبصار في الدار الدنيا، بهذه الأدلّة الصريحة، وكما هو إجماع السلف[2]، يكون من ادّعى الرؤية البصريّة في الدّنيا كاذبًا في دعواه، مبتدعًا ضالًا[3].

وقد ردَّ الحافظ على هؤلاء الذين يدَّعون أنهم يرون اللَّه ـ تعالى ـ جهرًا في دار الدنيا، من الصوفية والزّنادقة، فقال ـ في شرح حديث جبريل الطويل، الذي سبقت الإشارة إليه ـ: «وأقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم، فقال: فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء، وتقديره: فإن لم تكن ـ أي فإن لم تصر ـ شيئًا، وفنيت عن نفسك، حتّى كأنّك ليس بموجود فإنك حينئذ تراه.

وغفل قائل هذا ـ للجهل بالعربية ـ عن أنّه لو كان المراد ما زعم، لكان قوله: (تراه) محذوف الألف، لأنّه يصير مجزومًا، لكونه على زعمه جواب الشّرط، ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادّعى أن إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار إليه، إذ لا ضرورة هنا.

وأيضًا فلو كان ما ادّعاه صحيحًا لكان قوله: «**فإنه يراك**» ضائعًا، لأنّه لا ارتباط له بما قبله[4].

---

(١) انظر: المصدر السابق: (٨/ ٣٠٢، ٦٠٨، ١٣/ ٤٢٦).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٦/ ٥١٠، ٥١٢)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٢٢٢).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٢).

(٤) هذا مما يبين أهمية علم اللغة في فهم النصوص وقد تقدّم في الباب التمهيدي أن من منهج الحافظ الاستدلال باللغة وهذا مثال لذلك أيضًا، مع أمثلة أخرى سبقت.

ومما يفسد تأويله رواية كهمس[١]، فإنّ لفظها: «**فَإِنَّك إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، وكذلك في رواية سليمان التيمي[٢]، فسلط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمل على ارتكاب التأويل المذكور.

وفي رواية أبي فروة[٣]: «**فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَإِنَّه يَرَاكَ**»، ونحوه في حديث أنس، وابن عباس، وكلّ هذا يبطل التأويل المتقدّم، واللَّه أعلم»[٤].

وفي شرح حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرقْ يَلتِمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ...**» الحديث[٥]، وفيه أنهم يعرجون إلى ربهم فيسألهم - وهو أعلم منهم -: «**هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ**».

قال الحافظ: «**وفيه بيان كذب من ادّعى من الزّنادقة أنّه يرى اللَّه جهرًا في دار الدنيا**»[٦].

وكذلك قال الحافظ في حديث: «**تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدُكُم رَبَّه حَتَّى يَمُوتُ**»[٧]، قال: «وفي هذا الحديث ردّ على من يزعم أنه يرى اللَّه - تعالى - في اليقظة، تعالى اللَّه عن ذلك»[٨].

---

(١) هو كهمس بن الحسن التّميمي، أبو الحسن البصريّ، ثقة، مات سنة (١٤٩هـ) رحمه الله تعالى. «تقريب التهذيب»: (٢/ ١٣٧).

(٢) هو سليمان بن طرخان التّيمي، أبو المعتمر البصري، نزل في التّيم فنسب إليهم، ثقة عابد، مات سنة (١٤٣هـ) وهو ابن سبع وتسعين، رحمه الله. «تقريب التهذيب»: (١/ ٣٢٦).

(٣) هو عروة بن الحارث الهمداني، الكوفي، أبو فروة الأكبر، ثقة، من الخامسة «تقريب التهذيب»: (٢/ ١٨).

(٤) «فتح الباري»: (١/ ١٢٠).

(٥) أخرجه البخاري - مع «الفتح» -: (١١/ ٢٠٨)، برقم (٦٤٠٨).

(٦) «فتح الباري»: (١١/ ٢١٣).

(٧) سبق تخريجه.

(٨) «فتح الباري»: (١٣/ ٩٦).



الفَصْلُ الرَّابِعُ

تُرَاكَ تَحْلُو لك العِبَارَاتُ
وَتَلَذُّ لَكَ الإِشَارَاتِ؟



لا يعرف الشوق إلّا مَن يُكابدُهُ

نعم...

لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدَهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

نعم نعم...

خَلِّ المَطِيَّ وَحَادِيهَا وَأَعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا

نعم..

فَلِلْكَثَافَةِ أَقْوَامٌ لَهَا خُلِقُوا وَلِلْمَحَبَّةِ أَكْبَادٌ وَأَجْفَانُ

سيدي ومولاي:

إِذَا كَانَتْ تَحِنُّ لَكَ المَطَايَا فَمَاذَا يَفْعَلُ القَلْبُ المُشَوَّقُ

ولله در القائل في شوقه إلى ربه:

مَا عَنْكَ يُشْغِلُنِي مَالٌ وَلَا وَلَدُ نَسِيتُ بِاسْمِكَ ذِكْرَ المَالِ وَالوَلَدِ

فَلَو سَفَكْتَ دَمِي فِي التُّرَابِ لَانْكَتَبَتْ بِهِ حُرُوفُكَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَم تَزِدِ

وقول الآخر: -

ارْحَمْ حَشَاشَةَ نَفْسٍ فِيكَ قَدْ ذَهَبَتْ قَبْلَ المَمَاتِ فَهَذَا آخِرُ الرَّمَقِ

وَلَو مَضَى الكُلُّ مِنِّي لَمْ يَكُن عَجَبًا وَإِنَّمَا عَجَبِي لِلْبَعضِ كَيفَ بَقِي

ولله در القائل:

هَنِيئًا لِمَنْ أَضْحَى وَأَنْتَ حَبِيبُه وَلَوْ أَنَّ لَوْعَاتِ الغَرَامِ تُذِيبُهُ

وطُوبى لِصَبٍّ[1] أَنْتَ سَاكِنُ سِرِّهِ وَلَوْ بَانَ عَنْهُ إِلْفُهُ وَقَرِيبُهُ

---

(١) الصَّبابة: رقّة الشوق، والصَّبُّ: المُشتاق.

وَمَا ضَرَّ صَبًّا أَنْ يَبِيتَ وَمَالَهُ نَصِيبٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ نَصِيبُهُ
فَوَاعِلَّةً فِي الصَّدْرِ أَنْتَ شِفَاؤُهَا وَوَامَرَضًا فِي القَلْبِ أَنْتَ طَبِيبُهُ[١]

معشر المتوجهين إلى اللَّه بحبكم وأشواقكم: ما ضَرَّكم ما فاتكم مِن الدنيا إذا كان اللَّه لكم حظًّا، وما ضرّكم مَن عاداكم إذا كان اللَّه لكم سِلْمًا.

* وما أحلى قول القائل:

لَـمَّا عَلِمْتُ بِأَنَّ قَلْبِي فَارِغٌ مِمَّـنْ سِـوَاكَ مَـلأْتُـه بِـهَـوَاكَـا
وَمَلأْتُ كُلِي مِنْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْ مِنِّي مَكَـانًـا خَـالِيًا لِسـوَاكَـا
فَـالـقَـلْـبُ فِيكَ هُـيَـامُهُ وَغَـرَامُهُ وَالرُّوحُ لَا تَنْفَكُّ عَنْ ذِكْـرَاكَـا
وَالسَّمعُ لَا يُصْغِي إِلَى مُتَكَلِّمٍ إِلَّا إِذَا مَـا حَـدَّثُـوا بِـحُـلاكَـا
وَالطَّرْفُ حَيْثُ أُجِيلُهُ مُتَلَفِّتًا فِي كُلِّ شَيءٍ يُجْتَلَى مَعْنَاكَا

وقول من قال:

لَا أَذَاقَ الـلَّـهُ عَـيْنًا أَبْـصَـرَتْ غَيْرَكُم يَا حِبَّ قَلْبِي سَكَنًا
لَا وَلَا كَـانَـتْ قلوبٌ سَـكَـنَـتْ عِنْدَ ذِكْـرَاكُـم وَلَا نَالَت مُنَى

* وقال ابن الوزير الصنعاني: -

وَأَنْتَ لِي عِوَضٌ عَنْ كُلِّ مُفْتَقَدٍ مَالِي وَأَهْلِي وَخِلّانِي وَجِيرَانِي
وَأُنْسُ غَيْرِكَ مِثْلُ الطَّيْفِ عَنْ كَثَبٍ يَفْنَى وَلَيْسَ بِوَافٍ ذَلِكَ الفَانِي
كَـانَـتْ لِقَـلْبِيَ أَشـجَـانٌ مُـفَـرَّقَـةٌ فَاستَجْمَعَتْ بكَ فَضلًا كُلُّ أَشجَانِي
فَأَسكَرَ القَلبَ تَفْوِيضًا وطِيبَ رِضًا إِذَا تَعَرَّضَ فِيهِ الصَّحْوُ أَشجَانِي

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» لابن رجب ص: (١٣٩) - طبع المكتب الإسلامي.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :-

وَأَدْلِجْ وَلَا تَخْشَ الظَّلَامَ فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَ وَجْهُ الحِبِّ فِي اللَّيْلِ هَادِيَا

وَسُقْهَا بِذِكْرَاهُ مَطَايَاكَ إِنَّهُ سَيَكْفِي المَطَايَا طِيبُ ذِكْرَاهُ حَادِيَا

وَعِدْها بُروحِ الوَصْلِ تُعْطِيكَ سَيْرَهَا فَمَا شِئْتَ واسْتَبِقِ العِظَامَ البَوالِيَا

وَأَقْدِمْ فَإِمَّا مُنْيَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ تُرِيحُكَ مَنْ عَيْشٍ بِهِ لَسْتَ رَاضِيَا

فَمَا ثَمَّ إِلَّا الوَصْلُ أَوْ كَلَفٌ بِهِم وَحَسْبُكَ فَوزًا ذَاكَ إِنْ كُنتَ وَاعِيَا

أَمَا سَئِمَتْ مِنْ عَيْشِهَا نَفْسُ وَالِهٍ تَبِيتُ بِنَارِ البُعْدِ تَلْقَى المَكَاوِيَا

* وقال الشاعر:

رَضِينَا بِمَا يُرضِيكَ أَنتَ مُنَانَا وَإِنْ نَطْلُبْ اللُّقْيَا فَأَنْتَ عُلانَا

وَكُلُّ فُؤَادٍ غَافِلٍ عَنْكَ صَخْرَةٌ وَلَكِنَّه إِنْ ذَاقَ ذِكْرَكَ لَانَا

وَرُوحِي تَسْتَغنِي عَن النَّاسِ بِاسْمِهِ وَقَلبِي تَدَانَى بِالهُدَى وَتَفَانَى

أَلَا أَيُّهَا اللاحِي تَجَرَّعْ كُؤُوسَنَا لِتُصبِحَ مِنَّا إِنْ سُقِيتَ سُقَانَا

تَجَلَّت لَنَا الأَنوَارُ مِنْ عَالَمِ البَقَا فَهَامَتْ بِهَا أَرْوَاحُنَا وَنُهَانَا

فَنِينَا بِهَا حُبًّا فَطَابَتْ حَيَاتُنَا رَأَيْنَا بِهَا عِندَ الفَنَاءِ بَقَانَا

* وما أجمل قول القائل: -

سَأَلتُ فَوَفَّانِي رَجَوْتُ فَزَادَنِي وَإِنَّ كَرِيمَ الكَفِّ مَا خَابَ سَائِلُهْ

أَحِنُّ عَلَى ذُلٍّ وَأَهوَى عَلَى هُدًى وَأَسْرِي عَلَى عِلْمٍ بِقَلبِي أُواصِلُهْ

وَهَلْ يُدْرِكُ الآيَاتِ إِلَّا رِجَالُهَا وَهَلْ يَعرِفُ الوِجْدَانَ إِلَّا مُزاوِلُهْ

وَذُو الوَجْدِ لَا يُغضِي عَنِ الحُبِّ لَحظَةً بِهِ عَاشَ حَتَّى لَوْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

فَقُل لِلَّذِي لَمْ يَشْهَدِ الحَقَّ لَا تَحُدْ عَنِ الحَقِّ إِنَّ الحَقَّ قَدْ خَابَ جَاهِلُهْ

شَهِدْنَا وَشَاهَدْنَا وَطَابَت نُفُوسنَا ... فَهَامَتْ بِهِ أَرواحُنَا إِذْ نُسَائِلُهْ
أُسَامِرُ لَيلِى خَالِيًا بِشهُودِه ... وَقَلْبِي بِنُورِ الحَقِّ فَاضَتْ مَنَاهِلُهْ

* ولله درّ القائل: -

وَقَفْتُ عَلَى نَجْوَى الإِلَهِ جَوانِحِي ... كَذَلِكَ قَلبِي مَنْزِلٌ كُلُّهُ ذِكْرُ
وَأَخْلَيتُ قلبي مِنْ مُنَاجَاة غَيْرِهِ ... فَأَصْبَحَ طَوْدًا لَا يُزَلْزِلُهُ الغَيْرُ
أُسَارِعُ مُشتَاقًا وَأَسْكُتُ هَائِمًا ... وَأَنْطِقُ إِجْلَالًا وَمَا عَافَنِي سَيْرُ
فَفِي صَحْوَتي شَوْقٌ وفي غَفْوَتي هَوًى ... وَفِي مِشْيَتِي عِلْمٌ وَفِي وَقفَتِي سِرُّ

* وما أعذبَ قول الشاعِر: -

شَرَابُ الحُبِّ يُعْرَفُ بِالمَذَاقِ ... وَمَا كُلُّ السُقَاةِ لَهُ بِسَاقِي
إِذَا مَا عِشْتُ لَا أَنْسَى إِلَهِي ... بِهِ أَسْمُو مِنَ الأُخْرَى المَرَاقِي
يَعِزُّ عَلَيَّ تَرْكُ الحُبِّ عِندِي ... وَلَوْ بَلَغَتْ بِيَ الرُّوحُ التَرَاقِي
تَرَكْتُ جَمِيعَ خَلْقِ اللَّهِ دُونِي ... شُغِلْتُ عَنِ الخَلَائِق بِاشتِيَاقِي
وَشَوقِي قَد مُزِجَتْ بِهِ رَجَائِي ... عَلَى خَوفٍ فَمِنْ خَوفِي مَذَاقِي
وَمَن عَرِفَ المَحَبَّةَ عَنْ يَقِينٍ ... حَرَامٌ أَنْ يَمِيلَ إِلَى فِرَاقِ
أَطُوفُ عَلَى الرِّحَابِ بِكُلِّ ذُلٍّ ... مُرِيدًا وَاليَقِين بِهِ انسِيَاقِي
وَكَيفَ أُحِبُّ غَيرَ اللَّه يَوْمًا ... وَلَيْسَ سِوَاهُ فِي الأَكْوَانِ بَاقِ

* يقول محب لله:-

لَا تُحَارِبْ بِالعَذْلِ قَلْبَ مُحِبٍّ ... عَالَجَ الشَّوْقُ عُمْرَهُ وَلَهَانَا
وَتَلَطَّفْ بِهِ فَقَد حَكَمَ الشَّوْقُ ... عَلَيهِ فَلَنْ يَفِيقُ جَنَانَا
اعذُورُنِي أَوْ اعْذِلُونِي فَإِنِي ... لَسْتُ أَخْشَى المَلَامَ مِنْ حَيثُ كَانَا

قَدْ رَضِينَا بِاللَّهِ لَا بِسِوَاهُ ... مَا لَقِينَا لَمَّا رَضِينَا هَوَانَا

قَدْ تَنَاءَيتُ عَنْ سِوَاهُ بِكُلِّي ... وَتَلَقَّيْتُ سِرَّهُ إِحْسَانَا

* وانظر إلى الرقّة تنسابُ لفظًا ومَعْنى:-

إِنَّا مُحِبُّوهُ آثَرْنَا الحيَاةَ لَهُ ... فَلَا نُلَامُ عَلَى إحيَاءِ تَقوَاهُ

إِنْ كَانَ حُبِّي جنُونًا بِئسمَا زَعَمُوا ... يَا رَبِّ زِدْنِي جنُونًا أَنتَ مَنْحَاهُ

قَالُوا اتخَذَ لَكَ جَاهًا تَستَعِينُ بِهِ ... قُلتُ اتَّخَذْتُ فَكُفُّوا حَسْبِيَ اللَّهُ

* هكذا يكون العيش: -

يقول الشاعر:

قَتَلتُ هَوَى نَفسِي فَعِشتُ بِلَا نَفْسِ ... وَجَافَيتُ أُنْسِي فَانحَدَرْت إِلَى الأُنْسِ

وَلَمْ أُبْدِ أَمرِي لِلعِبَادِ فَطَالَمَا ... كَتَمتُ الذِي أَلْقَى عَنْ الجِنِّ وَالإِنسِ

وَطِرْتُ بِأَشْوَاقِي إِلَى اللَّهِ غَايَتِي ... وَعَاينتُ آيَاتِ اليَقِين بِلَا لَبسِ

وَعِشْتُ زَمَانِي لَستُ آنسُ بِالوَرَى ... وَكَيْفَ وَقَلبِي هَامَ فِي مَشهَدِ القُدْسِ

وَأَحبَبْتُ نُورَ اللَّه وَهُوَ بَصِيرَتِي ... وَقَدْ وَضَحَ البُرهَانُ مِنْ آيَةِ الكُرْسِي

وَمَا اتَّخَذتْ رُوحِي سِوَى اللَّهِ غَايَةً ... فَتَمَّ الهُدَى لِلرُّوحِ وَالقَلْبِ وَالحِسِّ

* حُبُّ المشتاقين للخلوة والمناجاة للمَلِكَ العلَّام:-

وهذا من علامة الشوق: «بأبي وأمي قوم يراعون الظلام بالنهار، كما يراعي الراعي الشفيق غنمه، ويحنُّون إلى غروب الشمس كما تحنُّ الطير إلى أوكارها بعد الغروب، فإذا جنَّهم الليل، واختلط الظلام، وفُرِشت الفرش، ونصبوا الأسرَّة، وخلا كلُّ حب بحبيبه، نصبوا لله أقدامهم، وافترشوا له وجوههم، وناجَوْه بكلامه، وتملَّقوا له بإنعامه، فبيْنَ صارخٍ وباكٍ، ومتأوِّه وشاكٍ وبين قائم وقاعد، وبيْن راكع وساجد، بعينيْ مولاه ما يتحمّلون لأجله، وبسمعه

ما يشتكون من حبِّه».

قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أفرح بالليل؛ لمناجاة ربي، وأكره النهار؛ للقاء الخلق**»

عن مسلم العابد قال: ما يجد المطيعون لله لذَّة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحبّ لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر في صدورهم وألذَّ في قلوبهم من النظر إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ثم غُشي عليه(١).

بكى أحد العُبّاد من أهل البحرين في جوف الليل وهو على ساحل البحر وقال: قُرّة عيني وسرور قلبي، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم، ثم يبكي ويقول:

«طوبى لقلوب ملأتها خشيتك، واستولت عليها محبتك، فمحبتك مانعة لها من كل لذَّة غير مناجاتك، والاجتهاد في خدمتك، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصية خوفًا لحلولِ سخطك» ثم بكى وقال: يا إخوتاه ابكوا على خوف فوات الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة(٢).

* وكان أحد العُبّاد يُناجي مولاه في جوف الليل ويقول: يا سيدي وأَمَلِي، ومُؤَمَّلي ومَنْ به تمَّ عملي، أعوذ بك من بدنٍ لا ينتصب بين يديك، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك، وأعوذ بك من دعاءٍ لا يصل إليك، وأعوذ بك من عين لا تبكي عليك».

* وآخر يدعو ويناجي مولاه فيقول: «**سُبحَانَ مَن أخرج قلوبَ المشتَاقين في رياضِ الطَّاعة بين يدَيه، سُبحَان مَن أوصل الفَهْم إلى عُقُول ذوي البصائر فهيَ لَا تعتمدُ إلا عَلَيه، سبحان مَنْ أوردَ حياضَ المودَّة نفُوس أَهل المحبَّة فهيَ لَا تحنُّ إلا إليه**»، ثم يقول: «**إن لله عَزَّ وَجَلَّ عبادًا قدح في قلوبهم زند الشَّغَفِ ونَار الوَمَق، فأرواحُهم لِشدة الاشتياق تَسرحُ فِي المَلَكُوت، وَتَنظر مَا ذُخِر لَهَا فِي حُجُبِ**

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس» ص: (٤٦).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٧٣).

الجَبَرُوت»[١].

* بربِّك يا أخي أخبِّرني عن هذه المناجاة ألا تهطل المدامع، وتهيج بلابل الشوق إلى المولى عَزَّ وَجَلَّ.

أَبَـدًا نُـفُـوسُ الطَّـالِبِـيـ ـنَ إِلَى رِيَاضِكُم تَحِنُّ
وَكَذَا القُلُوبُ بِذِكْرِكُم بَـعـدَ المَخَافَة تَـطْـمَـئِنُّ
حَـنَّـتْ بِـحُـبِّـكُـمُ وَمَـنْ نَاجَى الحَبِيب وَلَا يَحِنُّ؟[٢]

* وعابدٌ آخر يُناجي في جوف الليل بصوت محزون: «**يا من آنسنِي بقربه، وأوحشني مِن خلقه، وكان عند مسرَّتي، ارْحَمْ اليومَ عَبْرَتِي**».

* وآخر يُناجي ويقول: «شهد لك قلبي في النوازل بمعرفة الفضل وكيف لا يشهد لك قلبي بذلك؟ ولا يُحسِنُ قلبي أن يألف غيرك، هيهات، لقد خاب لديك المقصِّرون عنك»[٣].

فانظر يا أخي إلى هذه الأنفس الطاهرة، صافوا مولاهم بالعقول، ورققوا له الفطن، فسقاهم من كأس حبه والشوق إليه شربة، فظلُّوا في عطشهم أروياء، وفي ريِّهم عطاشا.

عَجِبتُ لِمَن يَقُولُ ذَكَرتُ رَبِّي وَهَل أَنسَى فَأَذكُرُ مَا حَيِيتُ
شَرِبْتُ الحُبَّ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ فَمَا نَفَدَ الشَّرَابُ وَمَا ارْتَوَيْتُ

• **أبو عبيدة الخواص(عبّاد بن عبّاد)** رَحِمَهُ اللَّهُ: -

اشتهر بأبي عبيدة، وإنما هو أبو عتبة، ذكره البخاري وغيره.

قال أبو عبيد العسقلاني: رأيت أبا عبيدة الساحلي لم يضحك منذ أربعين

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٤١).
(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ص: (٤١٩).
(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٤٧).

سنة، فقيل له: لم لا تضحك؟ فقال: كيف أضحك أنا وفي أيدي المشركين من المسلمين أحد؟!.

وقال عبدالأعلى بن سليمان: رأيت أبا عُبيدة الخوّاص وهو يمشي في طريق البصرة وهو يقول: واشوقاه إلى مَن يراني ولا أراه.

وقال بشر بن الحارث: رأيت على جبل عرفة رجلا قد ولع به الوله وهو يقول:

سُبحانَ مَنْ لَوْ سَجَدْنَا بِالعُيُونِ لَهُ ... عَلَى شَبَا الشَّوكُ وَالمَحْمِي مِنَ الإِبَرِ

لَم نَبْلُغ العُشْرَ مِنْ مِعشَارِ نِعمتهِ ... وَلَا العُشَيْرَ وَلَا عُشْرَ مِن العُشْرِ

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ أُنْسِي إِذْ خَلَوْتُ بِهِ ... فِي جَوْفِ لَيْلِي وَفِي الظَّلْمَاءِ وَالسَّحَرِ

أَنتَ الحَبِيبُ وَأَنْتَ الحِبُّ يَا أَمَلِي ... مَنْ لِي سِوَاكَ وَمَنْ أَرجُوهُ يَا ذُخْرِي

ثم أنشد أيضًا: -

كَمْ قَدْ زَللتُ فَلَمْ أَذْكُرْكَ فِي زَلَلِي ... وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي فِي الغَيْبِ تَذْكُرنِي

كَمْ أَكْشِفُ السِّتْرَ جَهْلًا عِندَ مَعْصِيَتِي ... وَأَنْتَ تَلطِفُ بِي حَقًّا وَتَسْتُرنِي

لأَبكِيَنَّ بِدَمعِ العَيْنِ مِنْ أَسَفٍ ... لأَبكِيَنَّ بُكَاءَ الوَالِهِ الحَزِنِ

قال: ثم غاص في خلال الناس، فلم أره، فسألت عنه، فقيل: هذا أبو عبيدة الخَواص[1]

❁ نغمة المشتاقين المختمرة في صدورهم تحدو القلوب إلى جوار علّام الغيوب:-

قال أحمد الموصلي لأحمد الميموني - من ولد ميمون بن مهران -: «يا أحمد إن تعملْ فقد عمل العاملون قبلك، وإن تعبد فقد تعبّد المتعبّدون قبلك، أولئك الذين قرّبوا الآخرة، وباعدوا الدنيا، أولئك الذين وليَ اللّه إقامتهم على الطريق،

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ١٨٩).

فلم يأخذوا يمينًا ولا شمالًا، فلو سمعت نغمة من نغماتهم المختمرة في صدورهم، المتغرغرة في حلوقهم لغيّبت عليك عيشك، ولطردت عنك البطالة أيام حياتك»[١].

هَجَرْتُ الوَرَى فِي حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنِّعَمْ
وَعِفْتُ الكَرَى شَوْقًا إِلَيْه فَلَمْ أَنَمْ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّوقَ وَالحُبَّ بَائِحًا
كَشَفْتُ قِنَاعِي ثُمَّ قُلْتُ: نَعَمْ نَعَمْ
فَإِنْ قِيلَ مَجنُونٌ فَقَدْ جَنَّنِى الجَوَى
وَإِنْ قِيلَ مِسْقَامٌ فَمَا بِي مِن سَقَم
فَقَدْ لَامَنِي الوَاشُونَ فِيكَ جَهَالَةً
فَقُلْتُ لِطَرْفِي: أَفْصِحِ العُذْر فاحتَشَمْ
فَعَاتِبَهُم طَرْفِى بِغَيرِ تَكَلُّمِ
وَأَخبِرهُم أَنَّ الجَوَى يُورِثُ السَّقَمْ[٢]

* ولله درّ القائل: -

وَمُشْتَاقٌ وَلَيْسَ لَهُ قَرَارُ نُفُورٌ لَيْسَ يَمْلِكُهُ العِذارُ
وَمُؤنسُ قَلْبِه لَيْلٌ طَويلٌ يَلَذُّ بِه ويُوحِشُه النَّهَارُ
قَضَى وَطَرًا بِهِ فَأَفَادَ عِلْمًا فَنُهمَتُهُ التَّعَبُّدَ وَالفِرَارُ
أَلَا صَبْرًا عَلَى دُنيَاكَ صَبْرًا فَكُلُّ أُمُورِهَا فِيهَا اعْتِبَارُ

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٩).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧٣).

● **سجود قلب المشتاق تحت العرش:ـ**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن السابقين المقرّبين:ـ

«نَبَأُ القوم عجيب، وأمرهم خَفِيٌّ إلا علىَ من له مشاركة مع القوم، فإنه يطّلع على ما يريه إياه القدر المشترك. وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته، فَسَرت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلّا وقد دخله الحب.

فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسُه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همّه عليه، متذكّرًا صفاته العُلَى وأسمائه الحسنى، مشاهدًا له في أسمائه، قد تجلّت على قلبه أنوارها، فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته، فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه، وأسجده بين يديه خاضعًا خاشعًا ذليلًا منكسرًا من كل جهة من جهاته، فيالها من سجدة ما أشرفها من سجدة!! لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء. وقيل لبعض العارفين: أيسجد القلب بين يدي ربه؟ قال: أي والله، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة، فشتَّان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه بيداء الأكوان، وخرق حجب الطبيعة، ولم يقف عند رسم، ولا سكن إلى علم، حتى دخل على ربه في داره فشاهد عز سلطانه وعظمة جلاله وعلوّ شأنه وبهاء كماله، فإذا صارت صفات ربه وأسماؤه مشهدًا لقلبه أَنْسَتْه ذكْر غيره، وشغلته عن حبّ مَن سواه، وبالجملة يبقى قلب العبد ـ الذي هذا شأنه ـ عرشًا للمثل الأعلى ـ أي عرشًا لمعرفة محبوبه ومحبته، وناهيك قلب هذا شأنه فياله من قلب مِن ربه ما أدناه!!

فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان وسجدت تحت العرش وأبدانهم في فُرُشِهم كما قال أبو الدرداء: «**إذا نام العبد المؤمن عُرِج بروحه حتى تسجد تحت العرش، فإن كان طاهرًا أذُن لها في السجود، وإنْ كان جُنُبًا لم يُؤذن لها بالسجود**» وهذا ـ والله أعلم ـ هو السر الذي لأجله أمر النبي ﷺ الجنُب إذا أراد النوم أن يتوضأ فإذا استيقظ هذا القلب من منامه، صعد إلى الله بهمّه وحبّه

وأشواقه مشتاقًا إليه، طالبًا له محتاجًا إليه عاكفًا عليه، فحاله كحال المحب الذي غاب عنه محبوبه الذي لا غنى له عنه، ولا بُدّ له منه، وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النَّفَس والطعام والشراب، فإذا نام غاب عنه، فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه وإلى الشوق الشديد والحب المقلق، فحبيبه آخر خطراته عند منامه وأولها عند استيقاظه كما قال بعض المحبين لمحبوبه.

وَآخِرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ هَجعَةٍ ... وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِي

فأُفٍّ لقلب لا يصلح لهذا ولا يُصدِّق به، لقد صُرِف عنه خير الدنيا والآخرة» [١].

ولله در القائل: -

قَلِيلُ العَزَاءِ كَثِيرُ النَّدَمْ ... طَويلُ النحِيبِ عَلَى مَا اجتَرَمْ

جَرَى دَمْعُهُ فَبَكَى جَفْنُه ... فَصَارَ البُكَاءُ بِدَمْعٍ وَدَم

يَخَافُ البَيَاتَ بِهَجْمِ المَمَاتِ ... وَفَقْدِ الحَيَاةِ بِضُرِّ السَّقَمْ

وَيُخْفِي مَحَبَّةَ رَبِّ العُلَى ... فَتُظْهِر أَنفَاسُه مَا اكْتَتَمْ

وَأَسْبَلَ مِنْ طَرْفِهِ عَبْرَةً ... عَلَى الصَّحْنِ مِنْ خَدِّه فَانْسَجَمْ

وَبَاتَ مُحَارِبَ مِحْرَابِه ... وَلَمَّا تَزَلْ قَدمٌ عَنْ قَدَمْ

فَلَمَّا تَفَتَّتت أَحْشَاؤُه ... مِن الشَّوْقِ رَقًّا عَلَيْهِ الأَلَمْ

وَكَمْ لَيْلَةٍ رَامَ فِيهَا المَنَامَ ... فَصَاحَ بِهِ حُبّه لَا تَنَمْ

وَنَاحَ عَلَى جَسدٍ نَاحِلٍ ... أَطَالَ النُّحولَ بِهِ فَانهَدَم

أَنَابَ إِلَى اللَّهِ مُسْتَغْفِرًا ... فَصَارَ لَهُ مِنْ أَعزِّ الخَدَم

ولله درّ من قال واصفًا حال المشتاقين ليلًا:-

---

(١)«طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية ص: (٢٠٥ - ٢٠٨).

فَهِمُوا عَنِ المَلِك الكَرِيمِ كَلَامَهُ ... وَأَقَامَ أَمرَهُمُ الرَّشَاد فَقَامُوا
وَتَوَسَّلُوا بِمَدَامِعٍ مُنْهَلَّةٍ ... تَحْتَ الدَّيَاجِي وَالأَنَامُ نِيَامُ
وَتَلَوْا مِنَ الذِّكْرِ الحَكِيم جَوَامِعًا ... جُمِعت لَهَا الأَلبَابُ وَالأَفهَامُ
يَا صَاحِ لَو أَبصَرتَ لَيْلَهُمُ وَقَدْ ... صَفتِ القُلُوبُ وَصُفَّتِ الأَقدَام
لَرَأَيتَ نُوُر هِدَايَةٍ قَدْ حَفَّهم ... فَسَرَى السُّرُورُ وَأَشرَقَ الإِظلَامُ
فهمُ العَبِيد الخَادِمُون مَلِيكَهم ... نِعمَ العَبِيدُ وَأَفلَحَ الخُدَّامُ
سَلِمُوا مِن الآفَاتِ لَمَّا اسْتَسلَمُوا ... فَعَلَيهِمُ حَتَّى المَمَاتِ سَلَامُ

* مَن أرقُّ من المشتاقين أفئدة؟!..

بأبي هم وأمي.. مَنْ أرقّ منهم أفئدة حين اتخذوا من الدمع رسولهم لربهم؟ فالدمع ألحُّ شفعائهم، وهمُ كاتبوا اللَّه بدموعهم وهم ينتظرون الجواب

صحَائِفَنَا إِشَارَتُنَا ... وَأَكْثَرُ رُسْلِنَا الحُرقُ
لأَنَّ الكُتْبَ قدْ تُقْرَأ ... بِغَيرِ الدَّمْعِ لَا نَثِقُ

ـ لله ما أرق قلوبهم وما أحلى مناجاتهم:ـ

* انظر إلى قلوبهم الرقيقة وكيف هدهدها الشوق إلى مولاها، يقول أحدهم في مناجاته:

«سيدي، قصدك عبد روحه لديك، وقياده بيديْك، واشتياقه إليك، وحسراته عليك، ليله أرق، ونهاره قلق، وأحشاؤه تحترق، ودموعه تستبق، شوقا إلى رؤيتك، وحنينًا إلى لقائك ليس له راحة دونك، ولا أمل غيرك».

انظر إلى أبي مدين.. مَنْ رَقَّ وراق وذاق وأذاق، فإنه على قدر الأذواق تكون الأشواق:

تَضِيقُ بِنَا الدُّنيَا إِذَا غِبْتُمو عَنَا ... وَتَزْهَقُ بِالأَشْواقِ أَروَاحُنَا مِنَّا

بِعَادُكُم مَوتٌ وَقُرْبُكُم حَيَا ... وَإِنْ غِبْتمُ عَنَّا وَلَوْ نَفسًا مِتْنَا

نَعِيشُ بِذِكْرَاكُمْ إِذَا لَمْ نَرَاكمُ ... أَلَا إِنَّ تذْكَارَ الأَحِبَّةِ يُنْعِشُنَا

يُحرِّكُنَا ذِكْرُ الأَحَادِيثِ عَنْكُمُ ... وَلَولَا هَوَاكُم فِي الحَشَا مَا تَحَرَّكْنَا

وَلَولَا مَعَانِيكُم تَرَاهَا قُلُوبُنَا ... إِذَا نَحنُ أَيقَاظٌ وَفِي اللَّيلِ إِنْ نِمْنَا

نَمُوتُ أَسىً مِنْ بُعدِكُم وصَبَابَةً ... وَلكِنَّ فِي المَعْنَى مَعَانِيكُمُ مَعْنَا

إذَا لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَتِ النَاس فِي الهَوَى ... فَبِاللَّهِ يَا خَالِي الحَشَا لَا تُعَنِّفْنَا

أَمَا تَنْظُرُ الطَّيرَ المُقَفَّصَ يَا فَتَى ... إِذَا ذَكَرَ الأَوطَانَ حَنَّ إِلَى المَغْنَى

وَفَرَّج بِالتغْرِيدِ مَا فِي فُؤَادِه ... فَيَفْلِقُ أَربَابَ القُلوبِ إِذَا غَنَّى

كَذَلِكَ أَروَاحُ المُحِبِّين يَا فَتَى ... تُهَزْهِزُهَا الأَشوَاقُ لِلعَالَمِ الأَسْنَى

فَيَا عَاذِلِي كَرِّرْ عَلَيّ حَدِيثَهمْ ... فَأَعْيُنُنَا مِنهُمْ وَأَعينُهُمْ مِنَّا[١]

عيون مُوطَّنَاتٌ على السَّهر مشتاقة إلى ربِّها

إِلَيْكَ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ ... وَمِنكَ وَإِلَا فَالمُؤَمِّلُ خَائِبُ

وَفِيكَ وَإِلَّا فَالغَرَامُ مُضَيَّعٌ ... وَعَنكَ وَإِلَّا فَالمُحَدِّث كَاذِبُ

يا لجفون موطَّناتٌ على السهر للَّه، تجود بدمعٍ كالوابل الهطّال ما أحلاها مِن جفون!!

لِلَّهِ أَجْفَانُ عَينٍ فِيكَ سَاهِرَةٌ ... شَوْقًا إِلَيْكَ وَقَلْبٌ بِالغَرَامِ شَجِ

أَرْوَاحُهْم خَشَعَتْ لِلَّهِ فِي أَدَبٍ ... قُلُوبُهُم مِنْ جَلَالِ اللَّه فِي وَجَلِ

هُمْ الرِّجَالُ فَلَا يُلْهِيهُمُ لَعِبٌ ... عَنِ الصَّلَاةِ وَلَا أُكْذُوبَةُ الكَسَلِ[٢]

---

(١) أبو مدين الغوث للدكتور/ عبدالحليم محمود ص: (١١٩ - ١٢١) - دار المعارف.

(٢) «الرقائق» لمحمد أحمد الراشد ص: (١٧).

نورَّ اللَّه دنياهم بالشوق إليه، فقطعوا أيامهم في الاتِّصال به، لسان حالهم يقول:

قَلَّ التَّصَبُّرُ عَنْكَ يَا مَنْ حُبُّهُ ... فِي الجَارِحَاتِ سِقَامُه بِي يُسْرِعُ
كَيْفَ اصْطِبَارُ مُتَيَّمٍ فِي حُبِّه ... قَدَمًا لِكَاسَاتِ الهَوَى يَتَجَرَّعُ
لَاحَتْ وَعَنْ صِدْقِ المَحَبَّةِ مَا بَدَت ... لِلنَّاظِرِين نُجُومُ لَيْلٍ تَطْلَعُ(١)

● الليل والمشتاق: -

للمشتاقين إلى اللَّه والدار الآخرة مع الليل قِصّة لا تنتهي.. ولا يكون مشتاقًا من لا تعرفه الليالي مناجيًا لربه راكعًا ساجدًا باكيًا.

هَدَأَ النَّاسُ غَيْرَ قَلْبٍ شَجِيٍّ ... هَبَّ مِنْ لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ دَفِينِ
مَدَّ كَفَّيْهِ فِي ثَنَايا اللَّيَالِي ... رَعَشَاتٍ مُبَلَّلاتِ الحَنِينِ
وَهَبَتْ لِلنُّجُومِ رَعْشَةَ شَوْقٍ ... وَأَعَارَتْ لَهَا انفِلَاتَ الشُّجُونِ
فِي شُعَاعٍ يَمُوجُ بَيْنَ ثَنَايَـ ... ـاهُ رَفِيقٌ مِنَ الدُّعَاءِ الحَزِينِ(٢)

الليل وقت الأنس باللَّه والشوق إليه، وقت الصفاء والأنين والحنين، والمشتاقون رجال الأنفاس.. رجال الليل يضيئون ظلمته بنور الشوق..

وَاللَّيلُ تَحلُو بِهِ اللُّقيَا وَإِنْ قَصُرَتْ ... سَاعَاتُهَا مَا أُحَيلَاهَا وَأَحْلَاهُ!!
فَنُورُه يَجْعَلُ اللَّيلَ البَهِيمَ ضُحَى ... فَمَا أَجَلَّ وَمَا أَحْلَى مُحيَّاه

في الليل مزامير الشوق والأنس.. في مقاصير قدس، بألحان التوحيد، في رياض التمجيد مع القرآن والمثاني في تلك المعاني المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، هذا طعمُ الخبر فكيف طعَمُ النَّظَر؟!

---

(١) «بحر الدموع» لابن الجوزي ص: (١٣٤).

(٢) من قصيدة «موكب النور» من ديوان «موكب النور» للدكتور عدنان النحوي ص: (٥٨).

* نعم لليل عند المشتاقين مقام أي مقام، وقد جعل اللَّه الليل للمشتاقين مثل الغيب لنفسه - ولله المثل الأعلى - فكما لا يشهد أحدٌ فِعْل اللَّه في خلْقه لحجاب الغيب الذي أرسله دونهم، جعل الليل لباسًا للمشتاقين، يلبسونه فيسترهم هذا الليل عن أعين الأغيار الرقباء سباتًا، أي: راحة لأهل الليل إلهية كما هو راحة للناس طبيعية، فإذا نام الناس، استراح هؤلاء مع ربهم، وخلوْا به حِسًّا ومعنى، فيما يسألونه، فنوم الناس راحةً لهم، وإن اللَّه - تعالى - ينزل إلى السماء الدنيا إذا مضى شطر الليل، فأهل الليل هم الفائزون بهذه الحظوة في هذه الخلوة وهذه المسامرة في محرابهم، فهم قائمون يتلون كلامه ويرتلون قرآنه، فما ظنُّك بقوم قال عنهم يحيى بن معاذ في كلامه الجميل الرائق الأخّاذ «قومٌ على فرش من الذكر في مجلس من الشوق، وبساتين من المناجاة، بين رياض الأطراب، وقصور الهيبة، وفِناء مجالس الأنس، مع أنقى عرائس الحكمة بصدور الأفهام، منَّاعي زفرات الوجد بفنون الأفراح، وجوه الآخرة تعاطوا بينهم كئوسًا، سقاهم فيها، وغوتهم على شربها فرقان الشجى، تجري في الأكباد، تديم عليهم ذكر الحبيب، ويبلبلهم معها هيمان الوجود.

طَرَبُ الحُبِّ عَلَى الحُبِّ ... مَـعَ الحُبِّ يَـدُومْ

عَـجَـبًـا لِمَنْ رَأَيْـنَـاهُ ... عَـلَـى الحُبِّ يَـلُـومْ

حَولَ حُبِّ اللَّهِ مَا عِشْتُ ... مَـعَ الـشَّـوْقِ أَحُـومْ

وَبِـهِ أَقْـعُـدُ مَـا عِـشْـ ... ـتُ حَـيَـاتِـي وَأَقُـومْ

لله ما أحلى هذه الأوقات وما أشرف ما يُتلى فيها.. وما أحلى مناجاتها

أَتَـاكَ حَـدِيـث لَا يُمَـلُّ سَـمَـاعُـهُ ... شَـهِـيٌّ إِلَـينَا نَـثْـرُه وَنِـظَـامُـهُ

إِذَا ذَكَـرتُه النَّفْسُ زَالَ عناؤهَا ... وَزَالَ عَنْ القَلْبِ الكَئِيب قتَامُهُ

نظروا إلى ثواب اللَّه ﷻ بأنفس تائقة، وعيون رامقة، وأعمال موافقة، فحلُّوا

عن الدنيا مطيّ رحالهم «**يستثيرون بالقرآن دواء دائهم**» كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه «فإذا مرُّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقًا، وظنوا أنها نصب أعينهم»[1] حتى إذا جاء وقت السحر.. وما أدراك ما وقت السحر؟. تلقّت القلوب من ربها ما تلقت، وتحمّلت وتحلّتْ، وأذنت لربها وحُقّت.

لقد كانت آيات القرآن محرك أشواقهم ووجدهم، فهزّهم الحنين إلى روضات الفردوس إذا ذكروا الجنة، وتنعموا بكلام مولاهم، واشتاقوا إلى لُقْيَاه.

«قال نافع ـ وكان من عُبّاد الجزيرة ـ: «**لَيتَ رَبِي جَعَلَ ثَوَابِي مَنْ عَملِي نَظْرةً منِي إِلَيْه، ثُمَّ يَقُولُ لِي: يَا نَافِع كُن تُرَابًا**».

يَا حَبِيبَ القُلُوبِ مَالِي سِوَاكَا ... ارْحَمِ اليوْمَ مُذْنِبًا قَدْ أَتَاكَا
أَنتَ سُؤْلِي وَمُنْيتِي وَسرُورِي ... قَدْ أَبَى القلبُ أَنْ يُحِبّ سواكَا
يَا مُرَادِي وَسَيِّدي وَاعْتِمَادِي ... طَالَ شَوْقِي مَتَى يَكُونُ لِقَاكَا[2]

وفي هذا المعنى قالوا: ـ

وَعِزَّةُ الرَّب[3] مَالِي عَنْكمُ عِوَضٌ ... وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادَتِي غَرَضُ
وَقَدْ شَرَطْتُ عَلَى قَوْمٍ صَحِبْتُهُمُ ... بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ فَرَضُوا
وَمِنْ حَدِيثِي بِكُمْ قَالُوا بِهِ مَرَضٌ ... فَقُلْتُ: لاَ زَالَ عَنِي ذَلِكَ المَرَضُ[4]

* لقد تنعّم المحبّون بكلام مولاهم؛ لأنهم علموا أن كلام الملوك ملوك الكلام، وطافوا برياض الأسماء والصفات، وقدّسوا مولاهم بألسن التماديح في القرآن، وأفواه التسابيح، وأورثهم ذلك شوقًا إليه وتذلّلًا بين يديه، وحُبًّا نحلت منه

---

(١) انظر: «نهج البلاغة» ص: (٢٤٢) ـ كتاب الشعب.

(٢) «استنشاق نسيم الأنس» ص: (٨٥).

(٣) في الأصل: «ورحمة الوُدّ».

(٤) «استنشاق نسيم الأنس» ص: (٨٥).

أجسادهم، وفاضت مآقيهم بالدموع والعبرات.

فَمَا الحُبُّ حَتَّى يَلْصَقَ القَلْبُ بِالحَشَا ... وَتَذْبُلُ حَتَّى مَا تُجِيبُ المُنَادِيَا

وَتَنْحَلُ حَتَّى لَا يُبَقِّي لَكَ الهَوَى ... سِوَى مُقْلَةٍ تَبْكِي بِهَا وَتُنَاجِيَا

ولله ما أحلى وصف ذي النون لهم: -

شَوَاهِدُ أَهْلِ الحُبِّ بَادٍ دَلِيلُهَا ... بِأَعْلَامِ صِدْقٍ مَا يَضِلُّ سَبِيلُهَا

جَسُومُ أَولَى صِدْقِ المَحَبَّةِ وَالرِّضَى ... تُبَيِّـنُ عَنْ صِدْقِ الوِدَادِ نُحُولُهَا

إِذَا نَاجَتْ الأَفْهَامُ أُنْسَ نُفُوسِهِم ... بِأَلسِنَةٍ تُخْفِى عَلَى النَّاسِ قِيلُهَا

وَضَجَّتْ نُفُوسُ المُستهامِينَ وَاشتَكَتْ ... جَوًى كَانَ عَنْ أَجْسَامِهَا شَرِبِيلُهَا

يَحِنُّونَ حُزْنًا ضَاعَفَ الخَوْفُ شَجْوَه ... وَنِيرَانِ شَوْقٍ كَالسَّعِيرِ عَلِيلُهَا

وَسَارُوا عَلَى حُبِّ الرَّشَادِ إِلَى العُلَا ... تَـؤُمُّـهـمُ تَـقْـوَاه وَهُـوَ دَلِـيـلُـهَـا

فَحَطُّوا بِدَارِ القُدْسِ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ ... وَفَازُوا بِزُلْفَى ذِي الجَلَالِ حلُولُهَا[1]

ذُنُبِي يا رِيحَ السَّحَر

لنسيم السَّحَر خاصية ما أظنه تعطَّر إلَّا بأنفاس المستغفرين والمشتاقين؛ فَلِنَفَس المحبِّ عِطْر يَنمُّ على قدر طيبه.

صحائف المشتاقين خدودهم، ومدادهم دموعهم **«إذا بكى المشتاقون فقد كاتبوا اللَّه بدموعهم.. رياح الأسحار لا يشمها مزكوم غفلة، ولو شممت نسيم الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور..**

واعجبًا!! رسائل الأسحار تُحمَل ولا يدري بها الفَلَكُ، وأجوبتها تُرَدُّ إلى الأسرار ولا يعلم بها الملك.

رياح الأسحار تحمل أنين المذنبين وأنفاس المحبين المشتاقين، ثم تعود بردِّ

(١) «الحلية» (٩/ ٣٧٨).

الجواب بلا كتاب.

أَعَلِمتمُ أَنَّ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى حَمَلَ الحَدِيثَ إِلَى الحَبِيبِ كَمَا جَرَى
جَهِلَ العَذُولُ بِأَنَنِي فِي حُبِّهِم سَهَرُ الدُّجَى عندي أَلَذُّ مَن الكَرَى

* لو رأيت رياح الأسحار تحرّك أشجار القلوب فتقع ثمار المحبة. يا لذّة خلوتهم بالحبيب، يا موفور نصيبهم من ذلك النصيب.

هَبَّتْ رِيَاحُ وِصَالِهِم سَحَرًا لِحَدَائِقِ الأَشْوَاقِ فِي قَلْبِي
وَاهْتزَّ عُودُ الوَصْلِ مِن طَرَبٍ وَتَسَاقَطَتْ ثَمرٌ مِنَ الحُبّ
وَمَضَتْ خُيولُ الهَجْرِ سَادِرَةً مَطْرُودَة بِعَسَاكِرِ القُرْبِ
وَبَدَتْ شُمُوسُ الوَصْلِ خَارِقَةً بِشُعَاعِهَا لِسُرادِقِ الحُجْبِ
وصَفَا لَنَا وَقْتٌ أَضَاءَ بِهِ وَجَهَ الرِّضَا عَنْ ظُلْمَةِ العُتْبِ[1]

* لو قمتَ وقت السحر رأيت طريق العُبّاد قد غصّ بالزحام، ولو وردت ماء مدين لوجدت عليهم أمة من الناس يسقون، واسحرة ليل القوم ما أضواها، قاموا على أقدام التحيّر، بين كنّ الحذر، وشارع الشوق، سترهم ذيل الليل تحت مخيّم الظلام، إن ناحُوا فأشجى من متيّم، وإن ندموا فأفصح من خنساء.

فَيَا رِيحَ الصِّبَا اقْتَرِحِي عَلَى الأَحشَاء وَاحتَكِمِي
فَهَذِي فِي يَدِي كَبِدِي وَذَا فِي وجنَتِيَّ دَمِي

قال ابن رجب: «إذا جنَّ الغاسق حنَّ العاشق. قلوب المحبين جمرة تحت فحمة الليل كلما هبّ عليها نسيم السحر التهبت وأجّج ما فيها من شوق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ».

وَأَمْطَرنَا سَحَابَ الدَّمعِ حَتَّى حَسِبنَا أَنَهَا مُهْجٌ تَسِيلُ

---

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٣٢٥).

فيا معرضًا عن الحبيب إلى من أعرضت... يا مشغولًا عنه بمَن تعوّضت... اجلس على مائدة السحر... وذُق طعم المناجاة تنسيك كل لذة..

فَـازَ مَـنْ سَـبَّـحَ وَالـنَّـاسُ هُـجُـوعْ
يَـدْفِـنُ الأَشْـوَاقَ مَـا بَـيْـنَ الـضُـلُـوعْ
وَيُـغَـشِّـيـهِ سُـكُـون وَخُـشُـوعْ
ذَاكِـرًا لِـلَّـهِ وَالـدُّمُـوعْ هُـمُـوعْ
لِـتُـضِـيءَ الـدَّرْبَ يَـوْمَ المَحْـشَـرِ
سَـجْـدَةٌ لِـلَّـهِ عِـنْـدَ الـسَّـحَـرْ

نعم.. لسان دمع المشتاق أفصح من غيره

قُلْتُ لِلَّيْلِ: كَمْ بِصَدْرِكَ سِرٌّ   أَنْـبِـئْـنِّـي مَـا أَرْوَعَ الأَسْـرَارِ
قَالَ مَا ضَاءَ فِي ظَلَامِي سِرٌّ   كَدُمُوعِ المُنِيبِ فِي الأَسْحَارِ

فما ظنك بدموع المشتاق في الأسحار

* مشتاق يصف الطريق إلى الله: -

قال عابد: «اعلم أن الزاهد في الدنيا قُوتُه ما وجد، ومسكنه حيث أدرك، ولباسه ما ستر، الخلوة مجلسه، والقرآن حديثه، والله الجبار العزيز أنيسه، والذكر رفيقه، والصمت جُنّته، والخوف سجيّته، والشوق مطيته، والنصيحة نهمته، والصبر وسادته، والصّدّيقون إخوانه، والحكمة كلامه، والعقل دليله، والجوع أدمه، والبكاء دأبه، والله عَزَّ وَجَلَّ عدته»[1].

* وقال آخر: أحب الله عَزَّ وَجَلَّ شوقًا إلى لقائه فإن له يومًا يتجلّى فيه لأوليائه.

قَـدْ كَـانَ لِـي دَمْـعٌ فَـأَفْـنَـيْـتُـه   وَكَـانَ لِـي جَـفْـنٌ فَـأَدْمَـيْـتُـهْ
وَكَـانَ لِـي جِـسْـمٌ فَـأَبْـلَـيْـتـه   وَكَـانَ لِـي قَـلْـبٌ فَـأَضْـنَـيْـتُـهْ

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٥ - ٢٤٦).

وَكَانَ لِي يَا سَيِّدِي نَظَرٌ   أَرَى بِهِ الجوَّ فَأَعْمَيْتُه

عَبْدُكَ أَضْحَى سَيِّدِي مُوثَّقًا   لَوْ شِئْتَ قَبْلَ اليَوْمَ دَاوَيْتَهْ[1]

● شوقي إليه هيّجني:-

وقال عابد: «**حبي له هيّمني، وشوقي إليه هيّجني، ووجدي به أفردني**»

يَا ذَا الذِي أَنِسَ الفُؤادُ بِذِكْرِهِ   أَنْتَ الَّذِي مَا إِنْ سِوَاهُ أُرِيدُ

تَفْنَى اللَّيَالِي والزَّمَانَ بِأَسْرِهِ   وَهَوَاكَ غَضٌّ فِي الفُؤادِ جَدِيدُ

● الشوق إلى الله وإلى الجنة:-

قال رجل عابد لبشر بن الحارث: «من عرف الدنيا لم يطمئن إليها، ومن أبصر ضررها أعدّ لها دواءها، ومن عرف الآخرة ألحّ في طلبها، ومن توهمها اشتاق إلى ما فيها فهان عليه العمل.

ثم قال: «كيف لو توهّمت من يملكها ومَن زخرفها ومَن قال لها كوني فكانت وتزيّني فتزيّنت؟ والتشوّق إلى مالكها أوْلى بقلوب المشتاقين، وأطيب لعيش المستأنسين. قد أنسوا بربهم فالأمر فيما بينهم وبينه سليم، صافوه بالعقول، ودققوا له الفِطن، فسقاهم من كأس حبه شربة فظلّوا في عطشهم أروياء، وفي ريِّهم عطاشا»[2].

وَلَهُ خَصَائِصُ مُصْطَفُونَ لِحُبِّهِ   اخْتَارَهُم فِي سَالِفِ الأَزَمَانِ

اخْتَارَهُم مِن قَبْلِ فِطْرَةِ خَلْقِهِ   فَهُمُ وَدَائِعُ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ

سبحانك يا من دعاك المذنبون فوجدوك قريبا، ويا من قصدك الزاهدون فوجدوك حبيبا، ويا من استأنس بك المجتهدون فوجدوك قريبًا، بك عرفوك فما حاجتهم إلى غيرك؟!.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٨).

(٢) المصدر السابق: (٤/ ٢٦٥ - ٢٦٦).

* نفس المشتاق في الليل على آخر نفس، فإذا ثارت شعلة من نار الشوق أضاءت بها طريق القصد، فسمعت أُذن اليقين هاتف «**هل من سائل؟**».

فَقُمتُ أَفْرِشُ خَدِي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ۞ ذُلًّا وَأَسْحبُ أَجْفَانِي عَلَى الأَثَرِ

مكروب الوجد والشوق يرتاح إلى نسيم السحر وإن قلق الواجد.

* عبارة النسيم لا يفهمها إلا المشتاق، وحديث البروق لا يروق إلا للعشاق، خَلَوْا بالحبيب في دار المناجاة فضمَّخهم بطيب المعاملة، وغالية السَّحَر غالية، يصبحون وعليهم سيما القرب «**وجوهٌ زهاها الحُسْن أن تتقنّعا**».

* أيعلم خالٍ ما جرى للمتيم؟!

تأسَّف يا جيفة القوم، وابكِ يا عُرْيان الغفلة.. أتدري كيف مرَّ عليهم الليل؟ ألك علم بما جرى للقوم؟ أيعلمُ خالٍ ما جرى للمُتيِّم؟

تخيرّوا شواطيء أنهار الصدق، فشرّعوا فيها مشارع البكاء، وانفردوا بقلقهم وشوقهم، يسعدهم ريم الفلا، وترنّمت بلابل بلبالهم في ظلام الدُّجى، فلو رأيت حزينهم يتقلَّبُ على جمر الغضا

سل الليل عن الأحباب فعنده الخبر، خلا القلب بالفكر في بيت التلاوة، فجَرَت أوصاف الحبيب، فنهض قلق الشوق يضرب بطون الرواحل لينهر السهر فلا وجه لنوم القوم.

وَمَا تلوَّم جِسْمِي عَنْ لِقَائِكمو ۞ إِلَّا وَقَلْبِي إِلَيْكم شَائِقٌ عَجِلُ

وَكَيْفَ يَقْعُدُ مُشْتَاقٌ يُحرِّكُه ۞ إِلَيْكُم الحَافِزَانِ: الشَّوقُ وَالأَمَلُ

فَإِنْ نَهَضْت فَمَا لِي غَيرُكُم وَطَرٌ ۞ وَإِنْ قَعَدْت فَمَا لِي غَيْرُكُم شُغْلُ

وَكَمْ تَعَرَّضَ لِيَ الأَقْوَامُ بَعْدَكُمُ ۞ يَسْتَأْذِنُونَ عَلَى قَلْبِي فَمَا وَصَلُوا

* تلمَّح القوم الوجود، ففهموا المقصود، فجمعوا الرَّحْل قبل الرحيل، وشمّروا للسير في سواء السبيل.. ما ضرّهم ما غرّهم .. أعقبهم ما سرّهم.. هان عليهم

طول الطريق بالشوق إلى الله ولعلمهم بشرف المقصود..، وحلتْ لهم مرارات البلى حُبًّا لتعجيل السلامة فيا بشراهم يوم (هذا يومكم).

شَقِينَا فِي النَّوَى زَمَنًا فَلمَّا ... تَلاَقَيْنَا كَأَنَّا مَا شَقِينَا

سَخِطْنَا عِنْدَمَا جنَتِ اللَّيَالِي ... فَمَا زَالَتْ بِنَا حَتَّى رَضِينَا

سَعِدْنَا بِالوِصَالِ وَكَمْ سَعِينَا ... بِكَاسَاتِ النَّعِيمِ وَكَمْ شَقِينَا

فَمَنْ لم يحيى بعدَ المَوْتِ يَوْمًا ... فَإِنَّا بَعْدَ مَيْتَتِنَا حَيِينَا[1]

● خُذ حديث القوم جملة:-

أخبارهم أرقّ من نسيم السَّحَر، آماقهم بالدموع دامية.. ناموا في الدجى على مهاد الشوق والقلق، فاستيقظت عينٌ ما تهنأت بطعم الرقاد.

كَفَى سَائِقًا بِالشَّوْقِ بَيْنَ الأَضَالِعِ ... لَهِيب اشْتِيَاق ثُمَّ فَيْضُ مُدَامِعِ

* قتيل الشوق يتعلّق بما يرى، ويتشبث بما يسمع، ويرتاح إلى السهر ومقصوده غيره.

تَحَمَّلَ أَصْحَابِي وَلم يَجِدُوا وَجْدِي ... وَلِلنَّاسِ أَشْجَانٌ وَلِي شَجَنٌ وَحْدِي

إن خرجت يومًا عن هواك فعرِّج بواديهم هناك تجد نعتهم: «**بعيني ما يتحمّل المتحمّلون**».

* فَرّغ القوم قلوبهم من الشواغل، فضربت فيها سرادقات المحبة، فأقاموا العيون تحرس تارة وترش أخرى، هيهات، هان سهر الحُرّاس لما علموا أن أصواتهم بسمع الملِك.. قلوبهم مملوءة بذكر الحبيب ليس فيها لغيره سعة.

قَدْ صِيغَ قَلْبِي عَلَى مِقْدَارِ حُبِّهم ... فَمَا لِحِبِّ سِوَاهُم فِيهِ متَّسَعُ

إن نطقوا فبذكره، وإنه تحرّكوا فبأمره، وإن سهروا فلقُربه.

---

(١) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي ص: (١٣، ١٤، ١٥).

وَاللَّهِ مَا طَلَعتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ إِلَّا وَحُبُّكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسِي
وَلَا جَلَستُ إِلَى قَوْمٍ أَحدِّثُهُم إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَّاسِي

ولله در القائل:

وَشُغِلتُ عَنْ فَهْمِ الحَدِيثِ سِوَى مَا كَانَ عَنْكَ فَإِنَّهُ شُغْلِي
وَأُديمُ نَحو مُحَدِّثِي وَجْهِي لِيَرَى أَنْ قَدْ عَقِلتُ وَعِندَكُم عَقْلِي

وقول الآخر:

يَا مَنْ يُذَكِّرُنِي بِعَهْدِ أَحبَّتِي طَابَ الحَدِيثُ بِذِكْرِهِم وَيَطِيبُ
أَعِدِ الحَدِيثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَبَاتِهِ إِنَّ الحَدِيثَ عَن الحَبِيبِ حَبِيبُ
مَلأَ الضُلُوعَ وَفَاضَ عَن جَنَبَاته قَلْبٌ إِذَا ذُكِرَ الحَبِيبُ يَذُوبُ
مَا زَالَ يَخْفِقُ ضَارِبًا بِجَنَاحِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي هَل تَطِير قُلُوبُ

وقول الآخر:

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنَّ قَلْبِي فَارِغٌ مِمَّن سِوَاكَ مَلأْتُه بِهدَاكَ
وَالقَلبُ فِيكَ هَيَامُه وَغَرَامُه وَالرُّوحُ لَا تَنْفَكُّ عَنْ ذِكْرَاكَ

* وقول المحب:

خطَرَاتُ ذِكْرى تَستَثِير مَودَّتِي وَأُحِسُ مِنهَا فِي القُلُوبِ دَبِيبَا
لَا عُضْوَ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

* كرب المحب بالنهار يشتدّ بمزاحمة رقباء المخالطة، فإذا هبّت نسائم الأسحار وجدت رُوحه رَوْحًا يصل من قصر المنى إلى أرض كنعان الأمل.

وَقَدْ أَنْبَأَتْهُم مِيَاهُ الجُفُونِ بِأَنَّ بِقَلْبِكَ دَاءً دَفِينَا

فإذا أردت أن تعرف أحوالهم فاسمع حديث النَّفْس من النَّفَس

خُذِي حَدِيثَكِ عَنْ نَفْسِي مِنْ النَّفَسِ وَجْد المشوق المُعَنّي غير مُلْتَبس

المَاء فِي نَاظِرِي وَالنَّارُ فِي كَبِدِي إنْ شِئْتِ فَاغْتَرِفي أَوْ شِئْتِ فاقتبِسِ

قلّ غرس خلوة إلّا وعليها ثمرة الأنس والشوق.

أَمَّا لَكَ أَيُّهَا القَلْبِ اعتِبَارٌ بِمَا فَعَلَ الهَوَى بِالقَانِتِينا

بِنَفْسِي من غَدَاةَ نَأَيتَ عَنْهُم تَرَكْتَ القَلْبَ عِنْدَهُم رَهِينَا

ملأوا مراكب القلب متاعًا لا يُنفق إلا على المَلِك، فلما هبّت رياح الدجى دفعت المراكب.

* أخي: ويحك .. اعرف ما ضاع منك، وابك بكاء مَنْ يدري قيمة الفائت.

والله لو بعت لحظة من الشوق إلى الله بعمر نوح في ملك قارون لغبنت وما ربحت.

* أشواق أخرى:

قال الشاعر:

قَدْ رَجَوْنَا فَيضَ رَحْمَتِهِ وَتَلَاحَقْنَا بِسَاحَتِهِ

وَلَنَا شَوقٌ لجَنّتِهِ أَمَلٌ فِي يَوْمِ رُؤْيَتِهِ

وَهوَ أَمَلٌ أَطْيَبُ الأَمَل

ادَّخرنَا ذِكْرَه عَدَدَا وَاتَّخذنَا وُدَّه مَدَدَا

وَمَدَدنَا لِلعَطَاءِ يَدا فَأَفَاضَتْ باليَقِينِ يَدَا

خَالِقِي فَالكُلُّ فِي نَهَل

رَائِدِي فِي حُبِّهِ سَهَرِي وَبِشَوْقِي تَمَّ لِي ظَفَرِي

يَا فُؤَادِي كُنْ عَلَى حَذرٍ مِنْ حِسَابِ اللَّه وَاعتَبِرِ

بِالَّذِي قَدْ مَرّ مِن دُوَلِ

طُولَ لَـيْـلِـي فِي مَـحَـبَّـتِـكـم أَتَـحَـلَّـى مِـن جَـلَالَـتِـكُـمْ
قَـدْ غَـرِقْـنَـا فِي مَـوَدَّتِـكـم وَانْـتَـظَـمْـنَـا فِي حِـمَـايَـتِـكُـم
فِي جَلَالٍ صَيِّبٍ هَطِل

يَا حَبِيبِي أَنْتَ مُحْتَسَبِي أَنْـتَ رَبِّي مُنْـتَـهَى طَـلَـبِي
أَنْـتَ يَـا رَبَّ الـسَّـمَـا أَرَبِـى أَنْـتَ يَـا خَـلَّاقُ مُـنْـتَـسَـبِي
أَنْـتَ لِـي يَـا ذَا الجَلَالِ وَلِـي

رَاحَـتِي فِي الحُبِّ وجْـهَـتُـكُم مَـطْـلَـبِي فِي العَـرْضِ رُؤيَـتِـكم
مَـقْـصِدِي فِي المَوْتِ رَحْـمَـتكم قَـدْ دَعـتْـنِي الـيَـوْمَ خَـشْـيَـتُـكُم
لَـكُـمُـو وَالـقَـلْـبُ فِي وَجَـلِ

لَمْ تَغِبْ عَنِي مشَاهِدُكم طَالَمَا رُوحِي تُعَاهِدُكمُ
وَتُـزَكِّـيِنِي مَـقَـاصِـدُكُـم وَتُجَـلِّـينِي مَـوَارِدُكـمْ
فَـأَرَى فِي ضَـوْئِـهَـا أَمَـلِـي

* * *

ياليلَ الصَّبِّ(١) متى غدُهُ

يَالَيلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ؟ لِـمَشَوقٍ قلَّتْ عُـوَّدُهُ
مَا كَانَ هَوَايَ لِغَانِيَةٍ أَوْ كَانَ لِظَبيٍ أَعْهَدُهُ
بَلْ لِاسْمِ اللَّهِ وَفي اسْمِ اللَّهِ وَبِاسْمِ اللَّهِ أُوَحِّدُهُ
فَيُرِيـنِـي الـعَـفْـوَ فَـأَعْـبُـدُهُ وَيُرِينِي الفَضْلَ فَأَحْمِدُهُ
إِنْ عزَّ النَّاسُ بِمَا لَهُمُو عِـزِّي دِيـنٌ أَتَـعَـهَّـدُهُ

(١) الصبابة: رقة الشوق، والصَّبُّ: المشتاق.

أَنَا فَانٍ مِنِّي عَنِّي بَلْ بِكَ بَاقٍ يَسْلَمُ سُؤْدُدُهُ
وَلَدَيكَ هُدَايَ وَمِنْكَ مُنَايَ وَمِنْكَ عَطَائِي أَشْهَدُهُ
شَوْقِي لِلحُورِ بَرَى جَسَدِي شَوْقِي إِلَى رَبِّي أَعبُدُهُ
فَمَتَى أَلقَاكَ وَبِي شَغَفٌ أَجِنَانُ المَأْوَى مَوْعِدُهُ؟

* * *

رب رُحْماكَ

لَكَ مَحْيَايَ خَالِصًا .. وَمَمَاتِي يَا إِلَهِي .. وَيَا عَظِيمَ الصِّفَاتِ
لَكَ سَعْيِي.. وَفِيكَ غَايَةُ حُبِّي وَنَجَاوِي ضَرَاعَتِي.. وَصَلَاتِي
وَسُجُودِي.. مِعْرَاجُ رُوحِي وَعَقْلِي وانعِتَاقِي.. وَلَذَّتِي.. وَحَيَاتِي
وَكَأَنِّي فِي بَحْرِ نُورِكَ طَيْفٌ هَائِمُ الشَّوْقِ وَاكِفُ العَبَرَاتِ
وَكَأَنَّ الوجُودَ مِحْرَابُ تَقْدِيـ ـسٍ وَذِكْرٍ.. أَفْنَى بِهِ عَنْ ذَاتِي
وَأَرَى الكَوْنَ.. وَالفَضَاءَ كِتَابًا سُطِّرَتْ فِيهِ أَرْوَعُ الآيَاتِ
كُلُّ شَيءٍ مِرآتُهُ عَنْكَ تَحْكِي وَتُرِينَا الإِبْدَاعَ وَالمُعجِزَاتِ
وَلِسَانُ الوجُودِ يَلهَجُ بِالحَمْدِ اعْتِرَافًا مِنْهُ بِفَيْضِ الهِبَاتِ[1]

* * *

الحبُّ الباقي

أَنَا مِنْ مُعِينِكَ يَا إِلَهِي أَسْتَقِي وأَهِيمُ حُبًّا بِالجَمَالِ المُطْلَقِ
وَأُذِيبُ فِيكَ حَشَاشَتِي وَصَبَابَتِي شِعْرًا.. يُؤَجِّجُ لَوْعَتِي وَتَحَرُّقِي

---

(١) لأحمد محمد الصديق من ديوان: «جراح وكلمات».

مَوْلَاي.. ذِكْرُكَ فِي فُؤادِي نَشْوَةٌ عُلْوِيَّةٌ.. فَاضَتْ كَنَهْرٍ مُغْدِقِ
يَزْكُو بِهِ عَقْلِي.. وَتَصْفُو مُهْجَتِي يَا نِعْمَ ذَاكَ الطُّهْرُ وَالوِرْدُ النَّقِي[1]

* وقال آخر:

بِذِكرِكَ يَا مَوْلَى الوَرَى نَتنَعَّمُ وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلكَ قَدْ عَمُوا
إِذَا كَانَ قَلْبُ العَبْدِ بِالشَّوْقِ نَاطِقًا فَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
إِلَيَّ فَجُدْ وَاصْفَحْ وَشَوِّقْ قُلُوبنَا إِلَى جَنَّةِ المَأْوَى وَمَا هُوَ أَعْظَمُ
وَأَنْتَ الَّذِي قَرَّبتَ قَوْمًا فَوَافَقُوا وَوَفَّقتَهم حَتَّى أَنَابُوا وَسَلَّمُوا
لَهُمْ فِي الدُّجى أُنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا فَهُمْ فِي اللَّيَالِي سَاجِدِين وَقُوَّمُ
نَظَرْتَ إِلَيْهِم نَظْرةً بِتَعَطُّفٍ فَعَاشُوا بِهَا وَالنَّاسُ سَكْرَى وَنُوَّمُ

* ويقول آخر:-

غَرسْتَ الحُبَّ غَرْسًا فِي فؤَادِي فَلَا أَسْلُو إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ
وَأَحيَيْتَ الفُؤَادَ بِطِيبِ حُبٍّ فَشَوْقِي زَائِدٌ وَالحُبُّ بَادِ

* ولله درّ القائل عن المشتاقين: -

هُمُومُهُمْ جَوَّالَةٌ بِمُعَسْكَرٍ بِهِ أَهْلُ وُدِّ اللَّهِ كَالأَنْجُمِ الزَّهْرِ
فَمَا عَرَّسُوا إِلَّا بِقُربِ حَبِيبِهم وَمَا عرجُوا عَنْ مَسِّ بُؤسٍ وَلَا ضُرِّ
سُكُونٌ إِلَى رُوحِ اليَقِينِ وَطِيبِه كَمَا سَكَنَ الطِّفْلُ الرَّضِيعُ إِلَى الحِجْرِ

* ويقول آخر: -

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللَّهِ قَدْ عَلِقَتْ فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَى أَحَدِ
مَا إِنْ تنَازَعهُمْ دُنْيا وَلَا شَرَفٌ مِنَ المَطَامِعِ وَاللَّذَاتِ وَالوَلَدِ

---

(١) من ديوان «جراحٌ وكلمات».

وَلَا بِلِبْسِ ثِيَابٍ فَائِقٍ أَنِقٍ ... وَلَا بِرُوحِ سُرُورٍ حَلَّ فِي بَلَدِ

إِلَّا مُسَارِعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ ... قَدْ قَارَبَ الخَطْوُ فِيهَا بَاعِدَ الأَبَدِ

فَمَطْلَبُ القَوْمِ مَوْلَاهُم وَسَيِّدُهم ... يَا حُسنَ مَطْلَبِهِم لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ

* * *

● وفي أبيات منسوبة إلى الشافعي قال رحمه الله: -

حَوَالَيَّ فَضْلُ اللَّهِ فِي كُلِّ جَانِبٍ ... وَنُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَفترِشُ السَّمَا

وَفِي القَلْبِ إِشرَافُ المُحِبِّ بِوَصْلِهِ ... إِذَا قَارَبَ البُشْرَى وَجَازَ إِلَى الحِمَى

حَوالَيَّ إِينَاسٌ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ ... يُطَالِعُنِي فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ أَنجُمَا

أَصُونُ وِدَادِي أَنْ يُدَنِّسَهُ الهَوَى ... وَأَحْفَظُ عَهْدَ الحُبِّ أَنْ يَتَثَلَّمَا

فَفِي يَقْظَتِي شَوْقٌ وَفِي غَفْوَتِي مُنًى ... تُلَاحِقُ خَطْوِي نَشْوَةً وَتَرَنُّمَا

● وقال يوسف العظم رحمه الله: -

مُنَى القَلْبُ أَنْ يَحْيَا صَفَاءً مُجَنَّحًا ... لَدَى نُورِكَ القُدْسِيِّ يَسْمُو وَيَخْشَعُ

لِأُرسِلَ رُوحِي عَبْرَ أُفقِ من الرِّضَا ... فَيَبْقَى لِرُوحِي فِي «الحَقِيقَةِ» مَوْضِعُ

وَأَهجرُ لَغوَ النَّاسِ لِلنَّاسِ عَلَّنِي ... أَعِيشُ مَع «التَّنْزِيلِ» أَتْلُو وَأَرْكَعُ

وَأَسْمَعُ تَرْتِيلَ المَلَائِكِ تَارَةً ... وَطَوْرًا تَسَابِيحَ النَّبِيينَ أَسمَعُ[١]

* * *

● وعمر بهاء الدين الأميري رقيق المشاعرِ والوُجدان:-

قال - رحمه الله:

أَجْهَشَ الوَجْدُ بِأَعْمَا ... قِي وَنَحْبِي طَالَ نَحْبِي

(١) مِن ديوان «في رحاب الأقصى» ص: (١٧٧ - ١٧٨).

غُـرْبَـتِـي تَحْـتَـدُّ.. تَمْـتَـدُّ فَطِرْبِي .. ثُمَّ طِرْبِي
لِـلـسَّـمَـاوَاتِ.. فَـآنِـسْ غُرْبَتِي الحَرَّى بِقُرْبِ
ثَمِلَتْ ذَاتِي.. فَنَادَيْتُك نَـاجَـيـتُـكَ .. دَأْبِـي
طَمَعًا بِالحُبِّ لَا شَكْـ ـوَى وَلَا طَائِفَ عَتْبِ
يَا حَبِيبِي .. أَنَا عَبْدٌ يَا حَبِيبِي أَنْتَ رَبِّي
أَنْتَ فِي خَفْقِ جَنَانِي وَكِيَانِي مِلْءَ قَلْبِي
فَـإِذَا جَـاوَزْتُ حَـدِّي أَفَلَا يَشْفَعُ حُبِّي؟![1]

زِدنِي هُيَامًا

ضَـرَاعَتِي إِلَيْكَ، نُـور الـسَّـمَـا وَالأَرْضِ، خَـلَّاقِـي وَمَـوْلَايَـا
ضَـرَاعَـةٌ يَـشْـدُو بِـهَـا دَائِـبًـا فِي صَـمْـتِـهِ نَـبْـضُ خَـلَايَـايَـا
وَأَنْـتَ أَنْـتَ الـلَّـهُ أَدْنَـى إِلَـى نَـفْـسِيَ مِـنْ نَـفْـسِـي وَنَجْوَايَا
وَأَنْـتَ مَـنْ أَبْـدَعَـنِـي عَـاشِـقًـا لِـلْـحُـسْـنِ مُـذ قَـدَّرَ مَـحْـيَـايَـا
زِدْنِي هُيَامًا بِكَ وَاجْمَعْ عَلَى حُـبِّـيـكَ أُوْلَايَ وأُخْـرَايَـا[2]

عِزَّةُ التَّذَلُّل

يَـا مَـلَاذًا يَـا لِـوَاذًا يَـا سَـنَـا ذَرَّةٍ مِنْ وَمْضِهِ تَجْلُو الحَلَكْ
امْـلأَ الأَكْـوَانَ بِـالخَيْـرِ فَـمَـا خَابَ فِي الأَكْوَانِ عبدٌ أَمَّلَكْ
وَأَنَـا يَـا رَبِّ.. عِـزِّي أَنَّـنِـي كُلَّمَا ذَلَّتْ مَعَانِي الذَّاتِ لَكْ

---

(١) مِن ديوان «قلب ورب» للأميري ص: (٢٧٧ - ٢٧٨).
(٢) مِن ديوان «إشراق» للأميري ص: (١٥٧ - ١٥٨).

زَادَ شَأْنِي وَارْتَقَى شَأْوِي[١] عُلًا مُشْرَئِبًّا[٢] .. فَلَكًا إِثْرَ فَلَكْ
وَبِنَفْسِي فِي تَعَالِي نَفْسِي وَكَأَنِّي طَائِرٌ فَوْقَ مَلَكْ
سَبَحَاتٌ لَا تَنِي[٣] مُصْعِدَةٌ وَبِهَا التَّقْدِيسُ بِالحَمْدِ اشْتَبَكْ
فَتَقَبَّلْنِي عَلَى ذَنْبِي فَفِي خَفْقِ قَلْبِي حُبُّكَ الأَسْمَى سَلَكْ[٤]

الشوق إلى الله

وَشَوْقِي وَجْدٌ يَهُزُّ الحَشَا بِعَاطِفَةٍ ثَرَّةٍ سَامِيَهْ
وَشَوْقِي سِرُّ الجَوَى وَالهَوَى يُهِيجُ جَوَارِحِي العَانِيَهْ
وَنَارُ الجوَى فِي ضُلُوعِي زَكَتْ بِأَنَّاتِ صَدْرِي .. بِآهَاتِيَه
وَلِلشَّوْقِ فِي غَوْرِ نَفْسِي جُذًى وَحُمَّى تَعِيثُ بِأَوصَالِيَهْ
إِلَهِي بِإِقْبَالِ لُبِّي وَقَلْبِي وَخَفْقَتُه لَهِجَتْ ضَاوِيَهْ
تُرَدِّدُ ذِكْرَكَ فِي بَهْجَةٍ تُرَدِّدُ خَاشِعَةً رَاجِيَهْ
وَتَصْعَدُ حَمْدًا نَقِيًّا إِلَيْكَ يُمَازِجُ ذَرَّاتِ أنفَاسِيَهْ
إِلَهِيَ أَفْرِغْ مِنْ الصَّبْرِ بَرْدًا عَلَى كُلِّ جَارِحَةٍ لَاظِيَهْ
وَهَبْ لِفُؤَادِي سَكِينَةَ قُرْبٍ تَبُلُّ صَدَى الغُلَّة الصَّادِيَهْ

* * *

إِلَهِي وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَةً رَانِيَهْ

---

(١) شأوي: أمدي وغايتي.
(٢) مشرئبًا: متطاولا.
(٣) وَني: ضعُف.
(٤) من ديوان: «قلب ورب» للأميري ص: (١٧٢- ١٧٣).

فَوَجِّه خُطَايَ إِلَى قَصْدِهَا وحَقِّقْ مُنَايَ وَأَحْلَامِيَهْ

* * *

إِلَيْهِ لَجَأْتُ إِلَى مَوْئِلٍ عَزِيزٍ مَنَازِلُهُ عَالِيَهْ
لَجَأْت لَجَأْتُ.. بِذِلَّةِ ذَنْبِي وَعِزَّةِ حُبِّي وَأَشْوَاقِيَهْ
وَإِنِّي لأَطْمَعُ فِي مَطْمَعٍ عَظِيمٍ رَحِيمٍ عَلِيمٍ بِيَهْ
تَشَبَّثْتُ مِنْهُ بِأَلْطَافِهِ وَأَنْوَارِهِ وَالدُّنَا دَاجِيَهْ
تعَلَّقْتُ بَيْنَ السَّمَا وَالثَّرَى لأَخْرُجَ لِلَّهِ عَنْ ذَاتِيَهْ

* * *

مَعَ اللّٰه

كُلَّمَا أَمْعَنَ الدُّجَى وتَحَالَكْ شِمْتُ فِي غَوْرِهِ الرَّهِيب جَلَالَكْ
وَتَرَاءتْ لِعَيْنِ قَلْبِي بَرَايَا مِنْ جَمَالٍ آنَسْتُ فِيهَا جَمَالَكْ
وَتَسَامَى لِمَسْمَعِ الرُّوحِ هَمْسٌ مِنْ شِفَاهِ النُّجُوم يَتْلُو الثَّنَا لَكْ
وَاعْتَرَانِي تَوَلُّهٌ وَخُشُوعٌ وَاحْتَوَانِي الشُّعُورُ أَنِّي حِيالَكْ
مَا تَمَالَكْتُ أَنْ يَخِرَّ كِيَانِي سَاجِدًا وَاجِدًا، وَمَنْ يَتَمَالَكْ؟![1]

* * *

إِلَى مَنْ أَبدى الوداد تكرُّمًا

وَكُلِّي مُحْتَاجٌ وَأَنْتَ لَكَ الغِنَى وَمِثْلِي مَنْ يُخْطِي وَمِثْلُكَ مَنْ يعفُو
وَأَنْتَ الَّذِي أَبْدَى الوِدَادَ تَكَرُّمًا وَمِثْلُكَ مَن يَرْعَى وَمِثْلِي مَن يَجْفُو

---

(١) مِن ديوان «عمر بهاء الدين الأميري» «مع الله».

وَمَا طَابَ عَيْشٌ لَمْ تكُن فِيهِ وَاصِلًا ... وَلَمْ يَصِفُ، لَا وَاللَّه، أَنَّى لَهُ يَصْفُو
عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَتْرَكَ الكَونَ كُلَّهُ ... وَأَقْفُو سَبِيلَ الحُبِّ، وَالمُجْتَبَى يَقْفُو
فَأَيُّ فُؤَادٍ عَنْ وِدَادِكَ يَنْثَنِي ... وَأَيَّةُ عَيْنٍ بَعْدَ قُرْبِك لَنْ تَغْفُو
وَأَيَّةُ نَفْسٍ لَمْ يُـمِلْهَا هَوَاكُمُ ... عَلَى حُبِّكُمْ طُرًّا نُفُوس الوَرَى وَقفُ

* * *

غريبٌ على باب الرجاءِ طريحُ

غَرِيبٌ عَلَى بَابِ الرَّجَاءِ طَرِيحُ ... يُنَادِيكَ مَوْصُولَ الجَوَى وَيَنُوحُ
يَهُونُ عَذَابُ الجِسْمِ وَالرُّوحُ سَالِمٌ ... فَكَيْفَ وَرُوحُ المُسْتَهَامِ جُروحُ؟!
وَلَيسَ الَّذِي يَشْكُو الصَّبَابَةَ[(١)] عَاشِقًا ... وَمَا كُلُّ بَاكٍ فِي الغَرَامِ قَرِيحُ
يَقُولُون لِـيَ غَنِّ وَبِالْقَلْبِ لَوْعَةٌ ... أُغَنِّي بِهَا فِي خَلْوتي وَأَنُوحُ
وَلِي فِي طَرِيقِ الشَّوقِ وَاللَّيلُ هَائِمٌ ... مَعَالِمُ تَخْفَى تَارَةً وَتَلُوحُ
وَلِي فِي مَقَامِ الوَجدِ حَالٌ وَلُوعَةٌ ... وَدَمْعٌ أُدَارِي فِي الهَوَى وَيَبُوحُ
وَأَنْتَ (حَبِيبِي) فِي شُهُودِي وَغَيْبَتِي ... حُبُّكَ نُور النُّور أَوْ هُوَ رُوحُ
وَمَا دَخَلَتْ إِلَّا إِلَيْكَ مُواجِدِي ... وَدَاعِي الهَوَى بِالوَالِهِينَ يَصِيحُ
بِسِرِّ الهَوَى يَغْدُو وَفِيهِ يَرُوحُ ... غَرِيبٌ عَلَى بَابِ الرَّجَاءَ طَرِيحُ[(٢)]

* * *

---

(١) الصبابة: رقّة في الشوق.

(٢) لطاهر أبو فاشا.. «وما بين القوسين بتصرّف».

أُحِبُّك حُبَّيْن

عَرفْتُ الهَوَى مُذْ عَرفْتُ هَوَاكَا وَأَغْلَقْتُ قَلْبِي عَمَّنْ سِوَاكَا
وَقُمْتُ أُنَاجِيكَ، يَا مَنْ يَرَى خَفَايَا القُلُوبِ وَلَسْنَا نَرَاكَا
(أُحِبُّكَ حُبَّيْن: حُبَّ الهَوَى وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَا)
(فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الهَوَى فَشُغلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَا)
(وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ لِيَ الحُجُبَ حَتَّى أَرَاكَا)
(فَلَا الحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَا)[1]
وَأَشْتَاقُ شَوْقَيْنِ شَوْقَ النَّوَى وَشَوْقًا لِقُرْبِ الخُطَا مِنْ حِمَاكَا
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ شَوْقُ النَّوَى فَمَسْرَى الدُّمُوعِ لِطُولِ نَوَاكَا
وَأَمَّا اشْتِيَاقِي لِقُرْبِ الحِمَى فَنَارُ حَيَاةٍ خَبَتْ فِي ضِيَاكَا
وَلَسْتُ عَلَى الشَّجْوِ أَشْكُو الهَوَى رَضِيتُ بِمَا شِئْتَ لِي فِي هَوَاكَا

على قلبي وضعتُ يدي

عَلَى قَلْبِي وَضَعْتُ يَدَا ونحوكَ قَدْ مَدَدتُ يَدَا
سَرَى لَيْلِي بِغَيْرِ هُدَى وَلَا أَدْرِي لأَيِّ مَدَى
يُطَارِدُنِي الأَسَى أَبَدَا وَيَرْعَانِي الجوَى أَبَدَا
وَأَطْوِي البِيدَ طَاوِيَةً كَأَنِّي فِي الفَضَاءِ صَدَى
نَهَارِي وَالهَجِيرُ لَظًى وَلَيلِي وَالظَّلَامُ رَدَى
فَوَاكَبِدَا إِذَا أُضْحِي وَإِنْ أُمسِي فَوَاكَبِدَا

---

(١) الأبيات الأربعة التي بين الأقواس من شعر «رابعة العدوية - رحمها الله -».

وَلَيْسَ سِوَاكَ لِي سَنَدٌ فَقَدْتُ الأَهْلَ وَالسَّنَدَا

* * *

عَلَى عَيْنِي بَكَتْ عَيْنِي عَلَى رُوحِي جَنَتْ رُوحِي
هَوَاكَ وَبُعْدُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ سِرُّ تَبْرِيحِي

* * *

صَحَا مِنْ شَجْوِهِ كَأْسِي وَقَدْ نَامَ الخَلِيُّونَا
فَكَيْفَ أَفِرُّ مِنْ نَفْسِي إِذَا هَامَ المحِبُّونَا

* * *

حَيَائِي مِنْكَ يُبْعِدُنِي وَدَاعِي الشَّوْقِ يُدْنِينِي
وَوَجْهُ الصَّفْحِ يُخْجِلُنِي وَيَقْتُلُنِي وَيُحْيِينِي

* * *

خَلَوْتُ إِلَيْكَ يَا رَبِّي وَقُلْتُ عَسَاكَ تَقْبَلُنِي

* * *

يا إِلَهِي

بِكُلِّ الشَّوْقِ فِي قَلْبِي طَرَقْتُ البَابَ يَا رَبِّي
وَفِي شَفَتِي ضَرَاعَاتٌ لِقَلْبٍ ذَابَ فِي جَنْبِي
دُعَاءٌ فِي تَأَلُّقِهِ ضِيَاءٌ غَيْرُ ذِي لَهَبِ
يَسِيلُ الطُّهْرُ فِي دَمْعِي لِيَغْسِلَ صِدْقُهُ ذَنْبِي
وَحَسْبِي أَنَّكَ الرَّحْمَـ ـنُ فِي رِضْوَانِهِ حَسْبِي
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِي إِلَيْنَا نِعْمَةَ الحُبِّ

وَأَنْ يَسْقِي ظِمَاءَ الرُّو ... حِ مِنْ تَيَّارِهِ العَذْبِ
وَأَنْ يَسْرِي رَحِيقَ الحُبِّ ... مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبِ[١]

* * *

حديث الروح

لِلّه ما أحلاهُ من حديث.. حديث مفعم بالشوق إلى الودود.. من عبد صحب الدنيا ببدنٍ قلبه معلَّق بالملأ الأعلى.. هَمُّه ما هناك.. ما عند الملأ الأعلى.. وما فوق سدرة المنتهى.. يترجمه إقبال ـ لله دره ـ شعرًا فيقول: ـ

حَدِيثُ الرُّوحِ لِلأَرْوَاحِ يَسْرِي ... وتُدْرِكُهُ القُلُوبُ بِلَا عَنَاءِ
هَتَفْتُ بِهِ فَطَارَ بِلَا جَنَاحٍ ... وَشَقَّ أَنِينُه صَدْرُ الفَضَاءِ
وَمَعْدِنُه تُرَابِيٌّ وَلَكِنْ ... جَرَتْ فِي لَفظِهِ لُغةُ السَّمَاءِ
لَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعُ العِشْقِ فِيهِ ... حَدِيثًا كَانَ عُلْوِيَّ النِّدَاء
فَحَلَّقَ فِي رُبَا الأَفْلَاكِ حَتَّى ... أَهَاجَ العَالَمَ الأَعْلَى بُكَائِي

* * *

تَحَاوَرَتِ النُّجُومُ وَقُلنَ صَوتٌ ... بِقُرْبِ العَرْشِ مَوصُولُ الدُّعاءِ
وَجَاوَبَتْ المَجَرَّةُ علَّ طَيفًا ... سَرَى بَيْنَ الكَوَاكِب فِي خَفَاءِ
وَقَالَ البَدْرُ هَذَا قَلْبُ شَاكٍ ... يُواصِلُ شَدْوُه عِنْدَ المَسَاءِ
وَلَمْ يَعْرِفْ سِوَى رِضْوَانَ صَوْتِي ... وَمَا أَحْرَاهُ عِنْدِي بِالوفَاءِ

* * *

شَكْوَايَ أَمْ نَجْوَايَ فِي هَذَا الدُّجَى ... وَنُجُومُ لَيْلِي حَسَّدِي أَمْ عُوَّدِي

---

(١) من قصيدة: «دعائي في ليلة القدر» لمحمد التهامي مِن ديوانه «يا إلهي» ـ دار البشير.

أَمْسَيْتُ فِي المَاضِي أَعِيشُ كَأَنَنِي قَطَعَ الزَّمَانَ طَرِيقَ أَمْسِي عَنْ غَدِي

وَالطَّيرُ صَادِحَةٌ عَلَى أَغْصَانِهَا تُبْكِي الرُّبَا بِأَنِينِهَا المُتَجَدِّدِ

قَدْ طَالَ تَسْهِيدِي وَطَالَ نَشِيدُهَا وَمَدَامِعِي كَالطَّلِ فِي الغَصْنِ النَّدِي

فَإِلَى مَتَى صَمْتِي كَأَنِّي زَهْرَةٌ خَرْسَاءُ لَمْ تُرْزَقْ بَرَاعَةَ مُنْشِدِ

* * *

قَيْثَارَتِي مُلِئَتْ بِأَنَّاتِ الجَوَى لَا بُدَّ لِلْمَكْبُوتِ مِنْ فَيَضَانِ

صَعَدَتْ إِلَى شَفَتِي خَوَاطِرُ مُهجَتِي لِيَبِينَ عَنْهَا مَنْطِقِي وَلِسَانِي

أَنَا مَا تَعَدَّيْتُ القَنَاعَةَ وَالرِّضَا لَكِنَّمَا هِيَ قِصَّةُ الأَشْجَانِ

يَشْكُو لَكَ اللَّهُمَّ قَلْبٌ لَمْ يَعِشْ إِلَّا لِحَمْدِ عُلَاكَ فِي الأَكْوَانِ

* * *

إشراق

يَا إِلَهِي! جَاوِزْ بِي الآفَاقَا

فَمَدَاهَا عَنْ حُلْمِ رُوحِي ضَاقَا

وَالصَّدَى اشْتَدَّ وَاسْتَبَدَّ وَعَاقَا

وَالمُنَى وَالمَنُونُ تَعْدُو سِبَاقَا

فَاحْبُنِي مِنْ إِسَارِ جِسْمِي انعِتَاقَا

وَارْقَ بِي فِي السَّمَاءِ سَبْعًا طِبَاقَا

وَانِخْ لِي مِنَ الهُيَامِ بُرَاقَا

وارْضَ عَنِّي لأَبْلُغَ الإِشْرَاقَا(١)

---

(١) من ديوان «إشراق» لعمر بهاء الدين الأميري.

نعم يا أميري نعم..

طَبِيعَةُ رُوحٍ سَمَاوِيَّةٍ نَسِيمٌ لَهُ فِي الأَعَالِي هُبُوبْ

* ولله در القائل:-

سَهَرِي عَلَيْكَ أَلَذُّ مِن سِنَةِ الكَرَى وَيَلَذُّ فِيكِي تَهَتُّكِي بَيـنَ الوَرَى
وَسِوَى جَمَالِكَ لَا يَرُوقُ لِنَاظِرِي وَعَلَى لِسَانِي غَيْرُ ذِكْرِكَ مَا جَرَى
قَسَمًا بِذَاتِكَ لَوْ بَذَلْتُ حَشَاشَتِي لِمُبَشِّرِي بِرِضَاكَ كُنْتُ مُقَصِّرًا
أَنَا عَبْدُ ذَاتِكَ لَا أَحُولُ عَنِ الهَوَى يَوْمًا وَإِنْ لَاحَ العَذُولُ وَأَكْثَرَا

* * *

* وما أحلى قول القائل: -

تَصَاعُدُ أَنْفَاسِي إِلَيْكَ جَوَابُ وَكُلُّ إِشَارَاتِي إِلَيْكَ خِطَابُ
فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ العَالَمِينَ خَرَابُ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
فَيَالَيْتَ شُرْبِي مِن وِرَادِكَ صَافِيًا وَشُرْبِيَ مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ سَرَابُ
مَتَى لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رِيبَةٌ فَكُلُّ نَعِيمٍ صَدَّ عَنْكَ عَذَابُ
فَكَيْفَ تَوَانَى الخَلْقُ عَنْكَ وَقَدْ بَدَا جَمَالٌ بِهِ قَدْ هَامَتِ الأَلْبَابُ
أَقُولُ لِعُذَّالِي مَدَى الدَّهْرِ أَقْصِرُوا فَكُلُّ الَّذِي يَهْوَى سِوَاهُ يُعَابُ

* * *

* ولله درُّ من قال: -

أَتَيتُ إِلَيْكَ يَا رَبَّ العِبَادِ بِأَشْوَاقِي وَذُلِّي وَانْفِرَادِي

فَأَنْتَ ذَخِيرَتِي وَبِكَ انتصَارِي وَفِيكَ تَأَلُّهِي وَبِكَ اعْتِمَادِي

وَعَنْكَ إِشَارَتِي وَإِلَيْكَ قَصْدِي وَمِنكَ مَسَرَّتِي وَلَكَ انْقِيَادِي

* * *

● مُحِبُّ اللهِ في الدنيا عليلُ

مُحِبُّ اللَّهِ فِي الدُّنيَا عَلِيلُ
تَطَاوَلَ سُقْمُهُ فَدَوَاهُ دَاهُ

كَذَا مَنْ كَانَ لِلبَارِي مُحِبًّا
يَهِيمُ بِذِكْرِهِ حَتَّى يَرَاهُ

وَيَزْهَدُ فِي قُصُورٍ مَعْ نَعِيمٍ
وَفِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى عَنْ هَوَاهُ

وَفِي سُعْدَى وَفِي سَلْمَى وَلَيْلَى
وَلَا يَرْضَى بِصُحبَةِ مَنْ سِواهُ

مِنَ الشَّوْقِ يَحِنُّ حَنِينَ ثكْلَى
تَرِقُّ لَهُ الحِجَارةُ لَوْ تَرَاهُ

وَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَبْدَى عِتَابًا
فَلَمَّا ذَاقَ مَا ذَاقَ اشْتَهَاهُ

فَسَلِّمْ لِلرِّجَالِ وَلَا تُكَابِرْ
فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ لِمَنْ رَآهُ

* * *

له في كُلِّ يوم ألفُ عِيْدِ

المحبُّ للَّه ﷻ له في كل يوم ألف عيد، فالعاقل إنما يفرح بسيّده ومولاه، والغافل إنما يفرحُ بلهوه وهواه، وكل يوم لا يُعصى اللَّه فيه فهو عيد.

قَرِيبُ الوَجْدِ ذُو مَرْمًى بَعِيدِ ... عَنِ الأَحْرَارِ مِنْهُم وَالعَبِيدِ
غَرِيبُ الوَصْفِ ذُو عَلمٍ غَرِيبٍ ... كَأَنَّ فُؤَادَه زُبَرُ الحَدِيدِ
لَقَدْ عَزَّتْ مَعَانِيهِ وَجَلَّتْ ... عَنِ الأَبْصَارِ إلّا لِلشَّهِيدِ
يَرَى الأَعْيَادَ فِي الأَوْقَاتِ تَجْرِي ... لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ عِيدِ[١]

عِرَاصًا بقرب اللَّه في ظلِّ قُدسه

ولله در الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ إذ يقول:

سَرَتْ بِأُنَاسٍ فِي الغُيُوبِ قُلُوبُهم ... فَحلُّوا بِقُربِ المَاجِدِ المُتَفَضِّلُ
عِرَاصًا بِقُرْبِ اللَّهِ فِي ظِلِّ قُدْسِهِ ... تَجُولُ بِهِم أَرْوَاحُهُم وتَنَقَّلُ
مَوَارِدُهُم فِيهَا عَلَى العِزِّ وَالنُّهَى ... وَمَصْدرُهُم عَنْهَا لِمَا هُوَ أَكْمَلُ
تَرُوحُ بِعِزٍّ مُفْرِدٍ مِنْ صِفَاتِهِ ... وَفي حُلَلِ التَّوْحِيدِ تَمْشِي وَتَرْفُلُ
وَمِنْ بَعْدِ هَذَا مَا تَدِقُّ صِفَاتُهَ ... وَمَا كَتْمُه أَوْلَى لَدَيهِ وَأَعْدَلُ
سَأَكْتُمُ عَنْ عِلْمِي بِهِ مَا يَصُونُهُ ... وَأَبْذُلُ مِنْهُ مَا أَرَى الحَقَّ يَبْذُلُ
وَأُعطِي عِبَادَ اللَّهِ مِنْهُ حُقُوقَهمُ ... وَأَمْنَحُ مِنْهُ مَا أَرَى المَنْحَ يَفْضُلُ
عَلَى أَنَّ لِلرَّحْمَنِ سِرًّا يَصُونُه ... إِلَى أَهْلِه فِي السِّرِّ والصَّونِ أَجْمَلُ[٢]

* * *

(١) ، (٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٥٤).

* ولله درّ القائل: -

سَاكِنٌ فِي القَلْبِ يَعْمُرُه ... لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ
غَابَ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي ... فَسُوَيدَا[١] القَلْبِ تُبْصِرُهُ

* ويقول آخر: -

حَبِيبٌ لَيسَ يَعدِلُهُ حَبِيبٌ ... وَلَا لِسَوَاهُ فِي قَلْبِي نَصِيبُ
حَبِيبٌ غَابَ عَنْ بَصَرِي وَشَخْصِي ... وَلَكِنْ عَنْ فُؤادِي لَا يَغِيبُ

* وقال محب مشتاق:-

مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِتَقْوَاهُ ... وَكَانَ فِي الخَلْوَةِ يَرْعَاهُ
سَقَاهُ كَأْسًا مِنْ صَفَا حُبِّهِ ... يُسْلِيهِ عَنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ
فَأَبعَدَ الخَلْقَ وَأَقْصَاهُمْ ... وَانْفَرَدَ العَبْدُ بِمَوْلَاهُ

* وقال بعضهم: -

أَبَى الحُبُّ أَنْ يَخْفَى وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ ... فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنَّبَا[٢]
إِذَا اشْتَدَّ شَوْقِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ ... وَإِنْ رُمْتُ قُربًا مِنْ حَبِيبِي تَقَرَّبَا
وَيَبْدُو فَأَفْنَى ثُمَّ أَحْيَا بِقُرْبِه ... فَيُسْعِدُنِي حَتَّى أَلَذَّ وأَطْرَبَا

* * *

كُلِّي قلوبٌ

لله درُّ القائل:

إِذَا ذَكَرْتُكَ كَادَ الشَّوْقُ يُتْلِفُنِي ... وَغَفْلَتِي عَنْكَ أَحزَانٌ وَأَوْجَاعُ
وَصَارَ كُلِّي قُلُوبًا فِيكَ وَاعِيةً ... لِلسُّقْمِ فِيهَا وَلِلآلَامِ إِسْرَاعُ

---

(١) سويداء القلب: حبَّتُه.

(٢) طنَّب: أقام.

فَإِنْ نَطَقْتُ فَكُلِّي فِيكَ أَلسِنَةٌ وَإِنْ سِمِعْتُ فَكُلِّي فِيكَ أَسْمَاعُ

* * *

قلوب العاشقين

قُلُوبُ العَاشِقِينَ لَهَا عُيونٌ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ النَّاظِرُونَا

وَأَلْسِنَةٌ بِأَسْرَارٍ تُنَاجِي تَغِيبُ عَنِ الكِرَامِ الكَاتِبِينَا

وَأَجْنِحَةٌ تَطِيرُ بِغَيْرِ رِيشٍ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّ العَالَمِينَا

وَتَرْتَعُ فِي رِيَاضِ القُدْسِ طَوْرًا وَتَشْرَبُ مِنْ بِحَارِ العَارِفِينَا

* ولله ما أحلى قول القائل:-

نَفْسُ المُحِبِّ مِنَ الأَشْوَاقِ هَائِمَةٌ
لَعَلَّ مَعْبُودَهَا يَوْمًا يُدَاوِيهَا

فَنَظْرَةٌ[1] مِنْكَ يَا سُؤلِي وَيَا أَمَلِي
أَشْهَى إِلَى مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي النَّفْسِ جَارِحَةٌ
إِلَّا وَذِكْرُكَ فِيهَا قَبْلَ مَا فِيهَا

وَلَا تَنَفّستُ إِلَّا كُنْتَ فِي نَفَسِي
تَجْرِي بِكَ الرُّوحُ مِنِّي فِي مَجَارِيهَا

إِنْ كُنْتُ أَضْمَرْتُ نَقْصًا[2] أَوْ هَمَمْتُ بِهِ
سِوَاكَ فَاحْتَكَمَتْ فِيهَا أَعَادِيهَا

---

(١) نظرة من الإله العظيم لعبده في دار الدنيا يتبدّل بها حاله، أو نظرة من العبد لربه في يوم المزيد أفضل من الدنيا وما عليها.

(٢) أيك نقضًا للعهد بينه وبين الله على الوفاء بأمره وترك نهيه.

حَاشَا فَذِكْرُك نُورُ النُّورِ فِي مُهَجٍ
تَجْرِي بِكَ النَّفْسِ مِنِّي فِي مَجَارِيهَا

بنَبْض فؤادي قصدتُ حِماكا

بِنَبْضِ فُؤَادِي قصدتُ حِمَاكَا ... وَلَا نُورَ لِلْقَلْبِ إِلَّا هُدَاكَا
بَطَنْتَ بِذَاتِكَ يَا رَبَّنَا ... وَفِي ذَاتِ ذَاتِي رُوحِي تَرَاكَا
رَأَيتُكَ فِي مُهْجَتِي مُؤنِسِي ... فَأَعْمَيتُ عَيْنِي عَمَّنْ سِوَاكَا
فَدَعْنِي أَذُبْ فِيكَ شَوْقًا وَدَعْ ... عُيُونِي غَرْقَى بِبَحْرِ هُدَاكَا
فَإِنْ مِتُّ شَوقًا فَذَاكَ حَيَاتِي ... وَإِنْ عِشْتُ صَبًّا كَفَانِيَ ذَاكَا
فَأَمْلأُ أَرْضَكَ شَوقًا كَمَا ... أَجُوبُ بِوَجدِي رُبُوعَ سَمَاكَا
أُحِبُّكَ يَا سَيِّدِي وَالجَوَى ... بِهِ القَلْبُ بَيْنَ الضُّلُوعِ تَحَاكَى
سَهِرْتُ فَأَضْنَيتُ جِسْمِي بِهِ ... وَلَيْسَ تَرَى النَّاسُ مِنِّي حِرَاكَا
أَلَا أَيُّهَا القَلْبُ قُمْ وَاصحَبِ الرُّو ... حَ وَانْفَضْ بِبَحْرِ الصَّفَاءِ كَرَاكَا
وَرُمْ فِي ضَجِيجِ النَّهَارِ هُدَاهُ ... وَغَنِّ بِصَمْتِ اللَّيَالِي بُكَاكَا
وَصِدْ عَفْوَه وَاتَّخِذ حُبَّه ... وَشَوْقًا إِلَيْهِ لِذَاكَ شِبَاكَا



قَلْبٌ مُجنَّحٌ فوق السماء

قَلْبِي وَمَا قَدْ بَثَّ قَلْـ ... ـبِي فِي الجِنَانِ وَفِي الكِيَانْ
مِنْ لَهْفَةِ الشَّوقِ الجَمِـ ... ـيلِ لِلوَدُودِ مَدَى الزَّمَانْ
هُوَ فِي الجَلَالِ وَفِي الجَمَا ... لِ مَعًا وَفِي قَاصٍ وَدَانْ

كَمْ ذَا اشْرَأَبَّ[١] يُجَاوِزُ — الآفَاقَ يَسْبَحُ فِي الجِنَانْ
فِي سَرْحَةِ الأَمَلِ العَظِيـ — ـمِ رِحَابِه فِي اللامَكَانْ
يَشْتَاقُ لِلْوَجْهِ الكَرِيمِ — يَوْمَ المَزِيدِ فِي كُلِّ آنْ
قَلْبِي وَبَثُّ القَلْبِ يَعْـ — ـجَزُ أَنْ يُصَوِّرَه البَيَانْ
يَعْدُ وَالمُنَى يَحْدُو السَّنَا — فَكَأَنَّ قَلْبِي فَرْقَدَان
حَلَّقْتُ مِلءَ سَكِينَتِي — وَتَرَكْتُ لِلرُّوحِ العَنَانْ
وَسَمَوْتُ أَدْعُو مُطْمَئِنَّ — النَّفْس .. مُشْتَاقَ الجَنَانْ
أَدْعُو دُعَاءَ مُجَنَّحٍ — فَوْقَ السَّمَاءِ لَهُ يَدَانْ
وَالقَلْبُ وَهوَ أَبُو القلُو — بِ وَكلُّ مَا فِي الكَونِ فَانْ
أَودَعْتُهُ رَبًّا بَرَ — اهُ وَرُحْتُ أَغفُو فِي أَمَان

سجدةُ مشتاق

كُنْ مَعَ اللَّهِ، وَابْتَغِ اللَّهَ وَحْدَه — لَيْسَ إِلَّاه فِي العَوالِمِ عُدَّهْ
وَاجْعَلِ اللَّهَ خَفقَ قَلْبِكَ حَمْدًا — وَرجَاءً وَخَشْيَةً وَمَوَدَّهْ
وَافْنَ فِي حُبِّه إِنِ اسْتَطَعْتَ تَحْيَى — فَوْقَ عُمْرِ الحَيَاةِ ـ مَا شَاءَ ـ خُلْدَهْ
كَابِدِ الوجْد بِالَّذِي لَا تَرَاهُ الـ — ـعَيْنُ وَاجْعَلِ سَبِيلَ قُرْبِكَ سَجْدَهْ
هُوَ نُورُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ — فَاقْبِسْ مِنْه واقْدَحْ بِهِ لِرُوحِكَ زَنْدَه[٢]

---

(١) اشرَأَبَّ: مَدَّ عنقه، وارتفع لينظر.

(٢) أَقْدَحَ زَنْدَه، قدح بالزند: ضربه الحجر؛ لتخرج النار منه.

وَتَنَفَّسْ بِذِكْرِهِ تَجَمَّلْ ... بِالشَّوْقِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ نَبْضِهْ
ذِرْوَةُ العِزِّ والسُّمُوِّ وأَوْجُ الـ ... ـسَّعدِ وَالمجْدِ أَنْ تُرَامِقَ[1] مَجْدَهْ
وَعُلَاكَ الأَرْقَى - أَيَا حُرُّ - أَنَّ ... اللَّهَ سَوَّاكَ مُنذُ سَوَّاكَ عَبْدَهْ

* * *

غريبٌ

قَالُوا: مَرِيضٌ مُذْنَفٌ ... أَوَ لَيْسَ حُبُّ اللهِ طِبَّهْ
قَالُوا: عَظِيمٌ شَوْقُه ... طَاغٍ وَخَلْفَ الأُفْقِ دَرْبُهْ
قَالُوا: شَرِيدُ الدَّارِ يَحْـ ... ـيَا وَحْدَه وجَفَاهُ صَحْبُهْ!
لَا بَأْسَ فَلْيَجِفُ الَّذِي ... يَجْفُو فَإِنَّ اللَّهَ حَسْبُهْ
قَالُوا: نَفَتْهُ الأَرْضُ مُذْ ... عَشِقَ السَّمَا، وَالذَّنْبُ ذَنْبُهْ
لَا الشَّرْقُ - مَنْبِتُهُ - لَهُ ... شَرْقٌ وَلَيْسِ الغَرْبُ غَرْبُهْ
لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ انْتِمَا ... ءٌ كَوْنُهُ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهْ!
قَصُرَتْ مَدَارِكُهُم وَرَا ... ءَ الأَرْضِ يَرْبُضُ ثَمَّ شَهْبُهْ[2]
يَرْقَى المَعَارِجَ مِنْ ذُرَا ... هُ يَسِيرُ وَالأَفْلَاكُ رَكْبُهْ
قَالُوا: غَرِيبٌ بُورِكَ الْـ ... ـغُرَبَاءُ لِلْغُرَبَاءِ حُبُّهْ
هِيَ غُرْبَةُ الأَشْوَاقِ ... فِي مَلَكُوتِهَا يَرْتَاحُ قَلْبُهْ

---

(١) رامَقَهُ: تتبّعه بنظره وبصره.
(٢) شَهْبُه: الشَّهْبُ: الجبل المرتفع يعْلُوهُ الثَّلْج

صَبٌّ مشتاق إلى ربِّهِ يتحدَّث عنْ نفسِه

قَتَلتُ هَوَى نَفْسِي فَعِشْتُ بِلَا نفْسِ
وَجَافَيْتُ أُنْسِي فانْحَدَرْتُ إِلَى الأُنسِ

وَلَمْ أَبْدِ أَمْرِي لِلعِبَادِ فَطَالمَا
كَتَمْتُ الَّذِي أَلْقَى عَن الجِنِّ وَالإِنسِ

فَأَدْرَكتُ بِالوِجْدَانِ سِرَّ أَحبَّتِي
وَعَانَيْتُ آيَاتِ اليَقِينِ بِلَا لَبْسِ

وَعِشْتُ زَمَانِي لَستُ أَحْفَلُ بِالوَرَى
وَكَيْفَ وَقَلْبِي هَامَ فِي مَشْهَدِ القُدْسِ

وَهَلْ غَيْرُ ذَاتِ اللَّهِ لِلنَّفْسِ مَطلَبٌ
حَرَامٌ سِوَى الرَّحْمَنِ يَدْخُلُ فِي نَفْسِي

وَمَا اتَّخذَتْ رُوحِي سِوَى اللَّهِ غَايَةً
فَتَمَّ الهُدَى لِلرُّوحِ وَالقَلْبِ وَالحِسِّ

وَأَحبَبْتُ نُورَ اللَّهِ وَهُوَ بَصِيرَتِي
وَقَدْ وَضَحَ البُرْهَانُ مِنْ آيَةِ الكُرْسِي

وَمُذْ شَاهَدتْ رُوحِي جَلالَكَ وَارْتَقَتْ
تَجَرَّدْتُ عَنْ مَعنَايَ فِي عَالَمِ الحِسِّ

أُحِبُّكَ يَا رَبِّي مَحَبَّةَ مُوقِنٍ
وَفِي لَهْفَةِ الأَشْوَاقِ أُصْبِحُ أَوْ أُمسِي

فُؤَادِيَ قَدْ أَبْعَدتُ عَنْ مَشْهَدِ الوَرَى
فَطُهِّرَ فِي نَجْوَاكَ مِنْ ظُلْمَةِ الرِّجْسِ
أَطُوفُ عَلَى الأَبْوَابِ قلبِيَ مُوجَعٌ
وَلَيْسَ سِوَى رُحْمَاكَ لِلْقَلْبِ مِن نطْسِ[1]
لِقَاؤُكَ يَا رَحْمَنُ عِيدِي وعُدَّتِي
وَنُورُكَ غَيْثِي وَهُوَ لِي فِي الوَرَى أُنْسِي
وَبَحْرُكَ مِنْهُ قَدْ لَقِيتُ جَوَاهِرِي
بِشَاطِئِهِ سُفُنِي عَلَى لُجِّه غَطسِي
وَطِيبُ الوَرَى وَرْسٌ ومِسْكٌ وعنبرٌ
وَطِيبِيَ مِن مَحْيَاكَ أَسْمَى مِنَ الوَرْسِ[2]
أُمتِّعُ أَعضَائِي بِذِكْرِك دَائِمًا
وَهَلْ غَيْرُ ذِكْرُ اللَّهِ يَسْكُنُ فِي نَفْسِي
وَكُلِّي رَجَائِي أَنْ أُحِبَّكَ صَادِقًا
إِذْ الصِّدْقُ فِي الأَشْوَاقِ مَرْتَبَةُ القدْسِ
تَخَلّ وَلَا تَحفَلْ بِجنٍّ وَلَا إِنْسِ
وِعِشْ فِي ظِلَالِ الشَّوْقِ تَسْعَدُ بِالأُنْسِ

---

(١) النَّطْس: الطُّهر. ورَجُل نَطْس ونِطاسي: عالم بالأمور حاذق بالطب وغيره.. ومعناها هنا: ليس سوى رحماك للقلب من طب وطُهر.

(٢) الوَرْس: بوَزْن الفَلْس نبت أصفر يكون باليمن تُتَّخَذُ منه الغُمرة للوجه. وورّس الثوب توريسًا صبغه بالوَرْس.

وَخُذْ لَكَ لِلرَّحْمَنِ أَصْدَقُ وِجْهَةٍ
وَطَهِّر بِهَا نَفْسًا عَنِ الغَيِّ وَالرِّجْسِ

تَجَرَّدْ تَجِدْ مَولَاكَ أَكْبَرَ نَاصِرٍ
وَفَوِّض لَهُ مَا كَانَ فِي الغَدِ وَالأَمْسِ

حَيَاةُ الوَرَى حُلْوٌ وَمُرٌّ وَإِنَّمَا
حَلَا المَرْءُ بِالتَّوحِيدِ مِن رِقَّةِ الحِسِّ

وَمَنْ لَا يَرَى إِلَّا الإِلَهَ مُرَادَهُ
حَرَامٌ عَلَيْهِ الخَوْضُ فِي الجِنِّ وَالإِنْسِ

وَمَنْ مُبْتَغَاهُ نُورُه وَجَلَالُه
فَلَيْسَ لَهُ التَّشْبِيبُ بِالبَدْرِ وَالشَّمْسِ

إِذَا قِيلَ لِي اطْلُب قُلتُ رَبِّيَ مَطْلَبِي
وَإِنْ قِيلَ لِي اشْرَبْ قُلتُ أَنْوَارُه كَأْسِي

وَحُلْوُ الهَوَى عِندِي لِقَاءُ أَحِبَّتِي
وَمُرُّ الهَوَى عِنْدِي وَفِي هَجْرِهِم تَعْسِي

وَإِنّ حِبَالَ الوَجْدِ تَرْبُطُ مُهْجَتِي
وَقَلْبِي بِحُبِّ اللَّهِ يَعْبَقُ بِالأُنْسِ

فَقُلْ لِلَّذِي يُزجِي الشِّرَاعَ دَعِ الكَرَى
تَجِدْ سُفْنَ الإِحْسَانِ تَجْرِي عَلَى اليَبْسِ

وَسِرْ مُوقِنًا أَنَّ الصَّبَابَةَ مَغْنَمٌ
إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِي وَلَا تَكُ فِي حَدْسِ

حَسِبْتُ الهَوَى سَهْلًا فَخُضتُ عبابَهُ
فَطَوْرًا بِهِ أَطْفُو وَطَوْرًا بِهِ غَطْسِي
إِلَى أَنْ أَتَتْنِي مِنْ لَدُنْهُ عِنَايَةٌ
فَصِرْت حَلِيفَ الشَّوْقِ وَالطُّهرِ والأنُس

* ولله درّ القائل: -

أُمْسِي وَأُصبحُ مِنْ تَذْكَارِكُمْ قَلِقًا ... يَرْثى لِيَ المُشْفِقَانِ الأَهْلُ وَالوَلَدُ
قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِنْ تَذَكُّرِكُمْ ... وَاعْتَادَنِي المُضْنِيَانِ الشَّوقُ وَالكَمِدُ
وَغَابَ عَنْ مُقْلَتَيَّ نَوْمِي فَنَافَرَهَا ... وَخَانَنِي المُسْعِدَانِ الصَّبْرُ وَالجَلَدُ
لَا غَرْو لِلدَّمعِ أَنْ تَجْرِي غَوَارِبَهُ ... وَتَحتَهُ الخَافِقَانِ القَلْبُ وَالكَبِدُ
كَأَنَّمَا مُهْجَتِي نِضْوٌ بِبَلْقَعةٍ ... يَعْتَادُهُ الضَّارِيَانِ الذِّئْبُ وَالأَسَدُ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا خَفِيُّ الرُّوحِ مِن جَسَدٍ ... فِدَاؤُكَ البَاقِيَانِ الرُّوحُ وَالجَسَدُ

لا أُوَفِّي القَلْبَ حَقَّهُ

قال الشاعر:

غَضَبِي عَلَى نَفْسِي لأَنِّي ... لَا أُوفِّي القَلْبَ حَقَّهْ
أَرْضَى الخُمُولَ وَأُهْمِلُ ... شَوْقَهُ وَأَعُقُّ ذَوْقَهْ
أَحْيَا، كَأَنْ لَا قَلْبَ لِي ... يَهْوَى الجَمَالَ يَذُوبُ رِقَّهْ
وَالقَلْبُ خَلْقُ الرَّبِّ صَا ... غَ مِن السَّنَا وَالعِشْقِ خَفْقَهْ
فَلَو انْطَلَقْتُ بِهِ لحَلَّقَ ... بِي وَحَلَّقَ دُونَ رِبْقَهْ

فَسَمَوتُ عَنْ أُفُقِ الثَرَى وعَدَوْتُ مِعرَاجِي وَأُفْقَهْ
وَالقَلبُ إنْ حَرَّرْتَهُ للَّهِ تَنْجُ مِنَ المَعَقَّهْ
طَهِّرْهُ بِالتَّقْوَى وَدَعْـ ـهُ بِوَجْدِه لِيَبَرَّ عِشْقَهْ
أَطْلِقْه يُطْلِق عَن خُطَا كَ قُيودَهَا فَتُفِذُّ طَلْقَهْ
هُوَ مضعَةٌ لِكنْ صَلا حُكَ فِيهِ إنْ أَدْرَكتَ عُمْقَه
وَجَلْوتَ جَوْهَره فَأَشْـ ـرقَ بِالسَّنا وَاشْتَقْتَ شَوْقَهْ
دَقَّاتُه ذِكْرٌ صَمُو تٌ نَاطِقٌ فِي كُلِّ دَقَّهْ[1]

بِكُلِّ الشَّوْقِ فِي قَلْبِي

بِكُلِّ الشَّوْقِ فِي قَلْبِي طَرَقْتُ البَابَ يَا رَبِّي
وَفِي شَفَتِي ضَرَاعَاتٌ لِقَلْبٍ ذَابَ فِي جَنْبِي
دُعَاءٌ فِي تَأَلُّقِه ضِيَاءٌ غَيرُ ذِي لَهَبِ
يَسِيلُ الطُّهْرُ فِي دَمعِي لِيَغْسِلَ صِدْقُه ذَنْبِي

لله ما أرقّها من قلوب.. رقّتْ فراقتْ، وحنَّتْ واشتاقت.. لسان أحدهم يقول:

وَلَكِنْ بِرُوحِيَ شَوْقِي بَكَى وَذَوْقِي زَكَا وَقَصِيدِي شَدَا

* * *

* ولله درّ القائل: -

أَيُّ سِرٍّ يُؤدِي بِدُنيَا حُدُودِي كُلَّمَا هِمتُ بِالشَّوقِ لِلْمَعْبُودِ
كَيْفَ تَذْرُوا الأَشْوَاقُ كُل قُيودِي كَيفَ تَجْتَازُ بِي وَرَاءَ السُّدُودِ

---

(١) من قصيدة «عافية الكيان» من ديوان «قلب ورب» للأميري.

كَيفَ تَسْمُو بِفِطْرَتِي وَوُجُودِي عَنْ مَفَاهِيمِ كَوْنِي المَعْهُودِ
كَيفَ تَرْقَى بِطِينَتِي وَجُمُودِي فِي سَمَاوَاتِ عَالَمٍ مِنْ خُلُودِ
أَتُرَاهُ وُدٌّ مِنَ المَعْبُودِ قَدْ جَلَا طِيبَه شَذًا فِي الوجُودِ

ذُرَا الشَّوْق

إِذَا لَمْ يَصْنَعِ الحُرَّ المَعَالِي فَإِنَّ حَيَاتَه زَيغٌ وَوَهْمُ
فَيَمِّمْ شَطْرَ نُورِ النُّورِ واصْعَدْ فَأَوَّلُ دَرْبِكَ المَنْشُودِ نَجْمُ
وَمَرْمَاهُ مَعَارِجُ فِي ذُرَاهَا وَمِيضُ سَنَا السَّنَا يَدْنُو وَيَسْمُو
تَعَرَّضْ مِنْه للنَّفَحَاتِ وَاهْنَأْ بِشَوْقِ الرُّوحِ إِنْ أَعْيَاكَ جِسْمُ

في عالمِ الأنوار

فِي كُلِّ لَحْظَةِ شَوْقٍ كُنْتُ أَحْيَاهَا قَدْ كُنْتُ أَشْعُرُ أَنِّي مُطلقٌ بَدَنِي
مِنَ الكَثَافَةِ مِنْ أَسْدَافِ حَلْكَتِهَا مِنَ الكُدُورَةِ فِي جِسْمِي وَمِنْ عَفَنِي
وَأَنَّنِي كُلَّمَا اشتَدَّ الوجِيبُ عَلَى قَلبِي وَفِي سَبَحَاتِ الوَجْدِ قَلَّبَنِي
سَمَا دُعَائِي بِرُوحِي فَارْتَقَى وَرَنَا وَزَادَ حَتَّى ادَّنى فَاجْتَزْتُ مُرْتَهَنِي
وَهَمَمْتُ فِي عَالَمِ الأَنْوَارِ مُنبلِجًا مُحَرَّرًا مِن حُدُودِ الأَرْضِ وَالزَّمَنِ

* * *

وَأمَّا أنا

وَأَمَّا أَنَا فَالشَّوْقُ للَّهِ مَشرِبِي وَأَكْرِمْ بِهِ بَيْنَ المَعَارِجِ مَشْرَبَا
تُصَلِّي بِهِ ذَرَّاتُ قَلبِيَ خَافِقًا وَيَحْيَا جَنَانِي بَلْ كَيَانِي مُؤَوِّبا
أُنَاجِي بِهِ رَبِّيَ الحَبِيبَ مُوَلَّهًا وَأَرْفَعُ رَأْسِي خَاشِعًا مُتَأَدِّبًا

مناجاةُ مُشتاق

أَتَيْتُكَ أُعْلِنُ ذُلِّي وَفَقْرِي وَأَسْفَحُ فَوْقَ رِياضِكَ زَهْرِي
أَتَيْتُكَ أَنْتَ حَبِيبِي وَرَبِّي وَأَنْتَ مُحَيِّرُ قَلْبِي وَفِكْرِي
جَمَالُكَ أَيُّ جَمَالٍ عَجِيبٍ تَذُوبُ بِهِ مُهْجَتِي أَيَّ سِحْرِ
جَلالُكَ أَيُّ جَلالٍ مَهِيبٍ يُبَارِكُ خَيْرِي وَيُلْجِمُ شَرِّي
أَطِيرُ إِلَيْكَ هزار هُيَامٍ وَأَحْمِلُ شَوْقِي الرَّقِيقَ وَطُهْرِي
أَسِيرُ إِلَيْكَ سَفِينَةَ شَوْقٍ يُدَافِعُهَا المَوْجُ فِي كُلِّ بَحْرِ
وَأَرْكُضُ نَحْوَكَ رَاهِبَ لَيْلٍ وَأَجْرِي وَحَوْلِي العَوَاصِفُ تَجْرِي
أَتَيْتُكَ هَلْ مِنْ إِلَهٍ سِوَاكَ فَأَسْرِي إِلَيْهِ وأَيَّانَ أَسْرِي

* * *

أَتَيْتُكَ وَالشَّوْقُ يَحْدُو رِكَابِي وَتَحْلُو المُنَاجَاةُ دَوْمًا بِثَغْرِي
فَلِي أَلْفُ نَجْوى وَلِي أَلْفُ شَكْوَى وعِنْدِيَ أَلْفُ قَصِيدَةِ شِعْرِ
تَلاشَتْ جَمِيعًا سِوَى خَاطِرٍ شَرُودِ الخُطَا فِي خَيَالِي الأَغَرِّ
يَجُوبُ حُقُولَ الرِّضَى وَالأَمَانِ وَيُنْشِدُ كَالطَّيرِ فِي كُلِّ بَرِّ
عَرِفْتُ الحَيَاةَ مَمَرًّا إِلَيْكَ وَلَيْسَتْ مُنَايَ وَلَا مُسْتَقَرِّي
وَأَفْرَحُ أَنِّي مِلْكُ يَدَيْكَ وَأَنِّي إِلَيْكَ أُفَوِّضُ أَمْرِي

- ولله درّ القائل:-

فَلا وَاللَّهِ مَا طَابَتْ حَيَاةٌ سِوَى بِالقُربِ مِن كَنَفِ الحَبِيبِ
فَلا تَخْتَرْ سِوَى أَعْلَى الجِنَانِ وَعَدِّ عَنِ الأَجَارِعِ والكَثِيبِ

وَمَا لَاقى الأَحِبَّةُ مِثْلَ بُعْدٍ تَفتَّتُ مِنهُ حَبَّاتُ القُلُوبِ
وَلَا تَقْنعْ بِغيرِ الشَّوْقِ مَرْقًى وَوَجِّه نَحوه نَبضَ القُلُوبِ
وَلَا تَرْكَنْ لِغَيْرِ اللَّهِ دَوْمًا فَتَقْطعُ عَنْكَ نَفْحَاتِ الغُيوبِ

أَبَى القلبُ إلا أنتَ

أَبَى القَلْبُ إِلَّا أَنْتَ فِي كُلِّ حَالَةٍ حَبِيبًا وَلَوْ دَارَتْ عَلِيهِ يَدُ الكَرْبِ
فَلَا تَبْتَلِيهِ بِالبِعَادِ فَإِنَّمَا تَلَذُّذُ أَنفَاسِ المُحِبِّينَ بِالقُرْبِ
أَزِيدُ عَلَى عَذْلِ العَذُولِ تَشَوُّقًا وَوَجْدًا على وَجْدٍ وَحُبًّا إِلَى حُبِّ

بَلَانِي الشوقُ

بَلَانِي الشَّوقُ فِيكَ بِمَا بَلَانِي فَشأْنِي أَنْ تفيضَ غُرُوبَ شَانِي
أَبِيتُ اللَّيلَ مُرْتَفِقًا أُنَاجِي بِصِدْقِ الوَجْدِ عَاطِرَة الأَمَانِي
فتَشهدُ لِي عَلَى الأَرَقِ الثُّرَيَّا وَيَعْلَمُ مَا أَجِنُّ الفَرْقَدَانِ
فَيَا وَلَع العَوَاذِلَ خَلِّ عَنِّي وَيَا كَفَّ الغَرَامِ خُذِي عَنَانِي

رِحْلَةٌ فِي موكب الجلال

قال الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ـ حفظه الله ـ:

قَرِّبُوا رِيشَتِي وَهَاتُوا دَوَاتِي وَاتْرُكُونِي مِنَ الَّتِي وَاللَّوَاتِي
لَمْ يَعُدْ فِي فُؤَادِي مِثْلِي مَكان لِلتَّغَنِّي بِالحُب وَالغَانِيَاتِ
كَمْ تَأَملتُ مِن أَعَاجِيب حُبٍّ وَغَرَامٍ فِي الأَعْصُرِ الخَالِيَاتِ
لأنَاس ذَابُوا هُيَامًا وَشَوْقًا وَافتِتَانًا بِروْعَة الفَاتِنَاتِ
كَمْ فُؤَادٍ بِلوعَةِ الحُبِّ يَكْوِى وَصَرِيع لِلأَعيُنِ القَاتِلَاتِ

فَإِذَا بِالغَرَامِ يغدُو حَدِيثًا وَالمُحِبُّون كَومَةً مِن رُفاتِ
قَصَص فِي مَجَالِسِ الأُنسِ تُروَى ثُمَّ تُلْقَى فِي حَيِّزِ المُهْمَلاتِ
فَتعَاليتُ عَنْ غَرام بئيس دنيويٍّ مَآله لانبتَاتِ
وَسقيتُ الفُؤادَ مِن نَهْرِ حُبٍّ يُوقِظُ القلبَ مِن عَمِيقِ السُّبَاتِ
كَم شَفَى الحبُّ غلَّة مِن نُفوس وَسقَاهَا مِن سِلْسَبِيل فُرَاتِ
فَاسْتَمِع يَا زَمَان هَذَا مُحبٌّ سَوْفَ يَتلُو أنشودَة لِلرُّواةِ
يَا خَلَايَا الفُؤادِ يَا كُلَّ نَبضٍ هَات مَا عِندَكم مِن الحُبِّ هَاتِ
حَدِّثِينا عَن الهَوى حَدِّثينا وَأبِينى بأصدَق البيِّناتِ
أَشْعِلِي جَذوة الهَوَى فِي نُفوسٍ عَن مَرَاقِي سعودهَا لَاهِيَاتِ
هَذهِ بَاقةٌ مِن الوردِ نَشْوَى مِن أَزَاهِير قَلْبِي العَاطِرَات
هَذِهِ قِصَّة مِن الحُبِّ تُتلَى فِي حُرُوفٍ فتَّانة سَاحِرَاتِ
وَمَعَانِ الجَوَى بِمحرَابِ رُوحِي ذَاكِرَاتٍ لِربِّهَا سَاجِدَاتِ
هَذِهِ غُرفةٌ مِن الحُبِّ تُسقَى بَرُواهَا ضَمَائرًا صَاديَات
هَذِهِ نسمة شذَاهَا تجلَى فِي سَمَاءِ الهَوَى بِمسْك فُتاتِ
وَسُلَاف البَيَانِ يَحْلُو مَذَاقًا لِقُلُوبِ شَفَّافَةٍ مُرهَفَاتِ
بعتُ ذَاتِي عَلَى حَبِيبِ قَرِيبٍ مِن فُؤَادِي وَمِنهُ حُبِّي وَذَاتِي
تَاهَ لُبِّي وَذَابَ قَلْبِي لِرَبِّي فَهُوَ حبِّي وَسَلْوَتِي فِي حَيَاتِي
وَلَهُ كُلُّ ذَرَّةٍ فِي كَيَانِي وَمَمَاتِي وَمَنسكِي وَصَلَاتِي
يَا مُرَادِي هَذِي تَرَانِيمُ حُبٍّ مِنْ فُيُوضِ المَشَاعِرِ الخَاشِعَاتِ

* * *

يَا أَنِيسِي وَعُدَّتِي وَاعْتِمَادِي وَمَلَاذِي فِي ظُلْمَةِ النائِبَاتِ
وَسُرُورِي وبَهجَتِي وَرَجَائِي وَضِيَائِي فِي مُدْلج الكَائِنَاتِ
هَذِهِ لَوْعَتِي وَهَذِي دُمُوعِي وَاشْتِيَاقِي وَقِصَّتِي وَشِكَاتِي

مسائل في الشوق

● **المسألة الأولى: الفرق بين الشوق والاشتياق:**

قال ابن قيم الجوزية: «الفرق بين الشوق والاشتياق، فقال أبو عبدالرحمن السلمي: سمعت النصر أبادي يقول: للخلق كلهم مقام الشوق، وليس لهم مقام الاشتياق، ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار، وهذا يدلُّ على أن الاشتياق عنده غير الشوق.

ولا ريب أن الاشتياق مصدر اشتاق يشتاق اشتياقًا، كما أن التشوّق مصدر تشوّق تشوّقًا، والشوق في الأصل اسم مصدر شاقه يشوقه شوْقًا مثل شاقه شوقًا إذا دعاه إلى الاشتياق، فالاشتياق مطاوع شاقه، يُقال شاقني فاشتقت إليه، ثم صار الشوق اسم مصدر الاشتياق وغلب عليه حتى لا يُفهم عند الإطلاق إلا الاشتياق القائم بالشوق، والمشوق هو الصّبُّ المشتاق. والشائق: هو الذي قام به وادّعى الشوق.

* فهنا ألفاظ: الشوق، والاشتياق، والتشوّق، والشائق، والمشوق، والشيّق فهذه ستة ألفاظ.

أحدها: الشوق: وهو في الأصل مصدر الفعل المتعدي شاقه يشوقه. ثم صار اسم مصدر الاشتياق.

اللفظ الثاني: الاشتياق: وهو مصدر اشتاق اشتياقًا، والفرق بينه وبين الشوق هو الفرق بين المصدر واسم المصدر.

اللفظ الثالث: التشوّق، وهو مصدر تشوّق إذا اشتاق مرّة بعد مرة، كما يُقال: تجرّع، وتعلّم، وتفهّم. وهذا البناء مشعر بالتكلّف وتناول الشيء على مهلةَ.

اللفظ الرابع: الشائق: وهو الداعي للمشوق إلى الاشتياق.

اللفظ الخامس: المشوق: وهو المشتاق الذي قد حصل له الشوق.

اللفظ السادس: الشيّق: وهو فيعل بمنزلة: هيِّن، وليِّن، وهو المشتاق.

فهذه فروق ما بين هذه الألفاظ، وأما كون الاشتياق أبلغ من الشوق، فهذا قد يُقال فيه أنه الأصل، وهو أكثر حروفًا من الشوق، وهو يدل على المصدر والفاعل، أما الشوق ففرعُ عليه لأنه اسم مصدر وأقلّ حروفًا، وهو إنما يدلّ على المصدر المجرّد، فهذه ثلاثة فروق منها، واللَّه أعلم» (١).

وقال ابن القيم: «قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدّقاق يفرّق بين الشوق والاشتياق ويقول: الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق لا يزول باللقاء. قال: وفي معناه أنشدوا:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته　　حتى يعود إليه الطرف مشتاقًا (٢)

وقال ابن القيم في «**روضة المحبين**»: «واختُلِف في الفرق بين الشوق والاشتياق أيهما أقوى؟:-

* فقالت طائفة: الشوق أقوى فإنه صفة لازمة، والاشتياق فيه نوع افتعال كما يدلّ عليه بناؤه كالاكتساب ونحوه.

* وقالت فرقة: الاشتياق أقوى لكثرة حروفه، وكلما قوي المعنى وزادوا فيه زادوا حروفه.

* وحكمت فرقة ثالثة بين القولينْ، وقالت: الاشتياق يكون إلى غائب، وأمّا الشوق فإنه يكون للحاضر والغائب.

* **والصواب أن يُقال**: الشوق مصدر شاقه يشوقه إذا دعاه إلى الاشتياق إليه، فالشوق داعية الاشتياق ومبداه، والاشتياق مُوجبه وغايته، فإنه يُقال: شاقني فاشتقت، فالاشتياق فعل مطاوع لشاقني» (٣).

---

(١) طريق الهجرتين ص: (٣٣٤).

(٢) مدارج السالكين: (٣/ ٥٤).

(٣) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم ص: (٤٧).

● المسألة الثانية: هل يجوز إطلاقه على الله؟

قال ابن القيم: «فهذا مما لم يرد به القرآن ولا السُّنَّة بصريح لفظه.

قال صاحب «منازل السائرين» وغيره: وسبب ذلك أن الشوق إنما يكون لغائب، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة. ولهذا السبب عندهم لم يجيء في حق الله ولا في حق العبد.

*وجوّزت طائفة إطلاقه كما يطلق عليه ـ سبحانه ـ، وَرَوَوْا في أثر أنه يقول: «طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشوق».

قالوا: وهذا الذي تقتضيه الحقيقة، وإن لم يرد به لفظ صريح. فالمعنى حق فإن كل محبوب فهو مشتاق إلى لقاء محبوبه.

قالوا: وأما قولكم إن الشوق إنما يكون إلى غائب، وهو ـ سبحانه ـ لا يغيب عن عبده، ولا يغيب العبد عنه، فهذا حضور العلم، وأما اللقاء والقرب فأمر آخر، فالشوق يقع بالاعتبار الثاني وهو قرب الحبيب ولقاؤه والدنو منه.

والصَّواب: أن يُقال: إطلاقه متوقِّفٌ على السمع، ولم يرد به، فلا ينبغي إطلاقه، وهذا كلفظ العشق أيضًا، فإنه لمّا لم يرد به سمع فإنه يمتنع إطلاقه عليه ـ سبحانه ـ» (١).

● المسألة الثالثة: هل يزول الشوق باللقاء، أم يقوى؟

قال ابن القيم: «اختلف أرباب الشوق هل يزول بالوصال أو يزيد؟ فقالت طائفة: يزول، فإن الشوق سفر القلب إلى المحبوب، فإذا وصل إليه انتهى السفر.

قالوا: ولأن الشوق إنما يكون لغائب فلا معنى له مع الحضور، ولهذا إنما يُقال للغائب: أنا إليك مشتاق، وأمّا من لم يزل حاضرًا مع المحب فلا يوصف بالشوق إليه.

وقالت طائفة: بل يزيد بالقرب واللقاء، واستدلوا بقول الشاعر:

---

(١) طريق الهجرتين ص: (٣٢٨).

وأعظم ما يكون الشوق يوما   إذا دنت الخيام من الخيام

قالوا: ولأن الشوق هو حُرقة المحبّة والتهاب نارها في قلب المحبّ، وذلك مما يزيده في القرب والمواصلة.

والصواب أن الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيْبة عن المحب»[١].

● وقال في «طريق الهجرتيْن»:

«قالت طائفة: الشوق يزول باللقاء؛ لأنه طلب، فإذا حصل المطلوب زال الطلب، لأن تحصيل الحاصل محال، ولا معنى للشوق إلى شيء حاصل، وإنما يكون الشوق إلى شيء مراد الحصول محبوب الإدراك.

وقالت طائفة اخرى: ليس كذلك، بل الشوق يزيد بالوصل واللقاء ويتضاعف بالدنو، ولهذا قال القائل:

وأعظم ما يكون الشوق يومًا   إذا دنت الديارُ مِن الديار

ولهذا قال بعضهم: شوق أهل القرب أتمّ من شوق المحبوبين، واحتجّت هذه الطائفة بأن الشوق من آثار الحب ولوازمه، فكما أن الحب لا يزول باللقاء فهكذا الشوق الذي لا يفارقه. قالوا: ولهذا لا يزول الرضى والحمد والإجلال والمهابة التي هي من آثار المحبّة باللقاء، فهكذا الشوق يتضاعف ولا يزول. والقولان حق.

وفصل الخطاب في المسألة:

أن المحب إذا اشتاق إلى لقاء محبوبه فإذا حصل له اللقاء زال ذلك الشوق الذي كان متعلِّقًا بلقائه، وخَلَفَه شوق آخر أعظم منه وأبلغ إلى ما يزيد قربه والحظوة عنده.

وأما إذا قدر أنه لقيه ثم احتجب عنه ازداد شوقه إلى لقاء آخر ولا يزال يحصل له الشوق كلما احتجب عنه، فهذا لا ينقطع شوقه أبدًا، فهو إذا رآه بلّ شوقه

---

(١) «روضة المحبين» ص: (٤٧، ٤٨).

برؤيته، وإذا زال عنه الطرف عاوده الشوق كما قيل:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

وإنما الشأن في دوام الشوق حال الوصول واللقاء فاعلم أن الشوق نوعان:

* شوق إلى اللقاء، فهذا يزول باللقاء.

* وشوق في حال اللقاء، وهو تعلّق الروح بالمحبوب تعلّقا لا ينقطع أبدًا، فلا تزال الروح مشتاقة إلى مزيد من هذا التعلق وقوته اشتياقًا لا يهدأ.

فالشوق في حال الوصل والقرب إلى مزيد من النعيم واللذة لا ينقطع، والشوق في حال السير إلى اللقاء ينقطع ونستغفر اللَّه من الكلام فيما لسنا بأهل له:-

الخوف أولى بالمسي ء إذا تألَّه والحَزَنْ
والحب يجمل بالتقى وبالنقاء مِنَ الدَّرَنْ
لكن إذا ما لم يحبـ ـكمُ المسيء إذن فمنْ؟
وإذا تخوّن فعلنا فعل المحبة مؤتَمَنْ
أيحَبُّ شيء غيركم؟ وحياتُكم كَلّا ولنْ
أيحَبُّ من تأتي محبـ ـته بأنواع المحَنْ
والسَّعْدُ فيها ذابحٌ والقلبُ فيها ممتحَنْ
دون الذي في حُبِّه نيل السعادة والمِنَنْ
ومحل بدر كمالها سعد السعود هو الوطنْ
والقلب حين يحلّ في تلك المنازل والدِّمَنْ
يمسى ويصبح من رضا ه ومِنْ مُناهُ في وطنْ
أيحبهم قلب ويخـ ـشى أن يضام؟ فلا إِذَنْ[1]

(١) طريق الهجرتين ص: (٣٣٢ - ٣٣٣).

قال الحافظ ابن رجب: «ويُقال إن أوّل من أظهر الكلام في المحبة والشوق وجمع الهمّة، وصفاء الفكر، وتكلّم به على رءوس الناس أبو حمزة الصوفي، وكان من أعيان العارفين أيضًا، وكان يجتمع بالإمام أحمد كثيرًا، وكان أحمد يسأله ويقول له: ما تقول يا صوفي» (١).

ويروى عن إبراهيم بن أدهم قال: أعلا الدرجات: أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك، وعقلك، وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر عليها شيئًا فإذا كنت كذلك لم تبال في بر كنت أو في بحر، أو في سهل أو في جبل.

وكان شوقك بلقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماء البارد، وشوق الجائع إلى الطّعام الطيِّب، ويكون ذكر الله ﷻ عندك أحلى من العسل وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف (٢).

* * *

(١) استنشاق نسيم الأنس ص: (١٣٢).
(٢) المصدر السابق ص: (٧٨).



الفصل الخامس

وجه الله الكريم



الفصل الخامس

وجه الله الكريم

أطيب الوجوه وأكرمها وجه ربنا.. وصفة الوجه من الصفات الخبرية التي أُشكلت على الخلق على الرغم من ثبوتها بصريح القرآن وصحيح السنة، والعقل تابع ومصدق وغير رافض.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: «أما بعد؛ فمن سألنا فقال: أتقولون: إن للَّه سبحانه وجهًا؟

قيل له: نقول ذلك خلافًا لما قاله المبتدعون، وقد دلّ على ذلك قوله عز وجل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

- وانظر إلى كلام ملك الملوك، وكلام الملوك ملوك الكلام:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، وقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩ ـ ٢٠].

ما ورد في السنة المطهرة من إثبات صفة الوجه لله ـ تبارك وتعالى

(١) عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لما نزل على رسول الله ﷺ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال هاتان أهون وأيسر»(١)

(٢) وعن جابر بن عبدالله قال: «لما نزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال هاتان أهون أو هذ أيسر»(٢)

(٣) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب: آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربِّهم عز وجل إلَّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ١٣/ ٢٩٥، ٢٩٦، أحمد (٣/ ٣٠٩) والترمذي رقم (٣٠٦٥)، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٣٦٢، ٣٦٣، والحميدي ٢/ ٥٣٠، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٤٦) (٢/ ٨١) وابن جرير في تفسيره ٧/ ٢٢٢، ٢٢٣. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (٤٦٢٨) وفي الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٣)، وفي التوحيد (٧٤٠٦)، والنسائي في تفسيره رقم (١٨٤)، وأبو يعلى (٣/ ٤٧٠، ٤٧١)، والدارمي في «الرد على المريسي» ص١٦٠ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٤٧).

(٣) أخرجه البخاري ٨/ ٦٢٣، ٦٢٤ و١٣/ ٤٢٣، ومسلم ح(١٨٠).

(٤) وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد حرّم الله على النار أن تأكل من قال لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله»[(١)].

(٥) وعن عتبان بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن يُوافي عبد يوم القيامة وهو يقول: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل إلا حرّم الله عليه النار»[(٢)].

(٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك لن تُخلَّف بعدي، فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت رفعة ودرجة»[(٣)].

(٧) وعن حذيفة رضي الله عنه قال: أسندت النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدري فقال: «من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن صلى صلاةً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله خُتِم له به دخل الجنة، ومن تصدّق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتِم له بها دخل الجنة»[(٤)].

(٨) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٤١٩، ٣/ ٦٠، ٦١ و٩/ ٥٤٢، ٥٤٣ و١١/ ٢٤١ و١٢/ ٣٠٣، ومسلم ح(٣٣)، وأحمد ٥/ ٤٤٩، ٤/ ٤٣، ٤٤، والنسائي (٢/ ٨٠ و١٥٠ و٣/ ٦٤، ٦٥ وفي «اليوم والليلة» (١١٠٨)، وابن ماجه (٧٥٤)، وابن حبان ١/ ٣٨٩ رقم ٢٢٣، والطيالسي ص١٧٤ رقم (١٢٤١)، وأخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده ٣/ ٧٤ و٦/ ٨٤.

(٣) رواه البخاري ٣/ ١٦٤، ومسلم رقم (١٦٢٨)، وأحمد، وأبو داود، والترمذي عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٣٩١، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٢١٥: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عثمان بن مسلم البتي وهو ثقة» ا. هـ، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١/ ٢١٨، ٢١٩.

نفر، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك ولا يجترئون علينا، وكنت أنا وعبدالله بن مسعود ـ أظنه قال: وبلال ورجل من هُذيل ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله وحدّث به نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية، ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾[1] [الأنعام: ٥٢، ٥٣].

(٩) وعن الحارث الأشعري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهنَّ، فأوحى الله إلى عيسى: إما أن يُبَلِّغهن أو تُبَلِّغهن، فأتاه عيسى فقال له: إنك أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أنْ أبلغهن، فقال له: يا رُوح الله إني أخشى إن سبقتني أن أُعذَّب أو يُخسف بي، فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرفات[2]، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنَّ الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن:

* «وأَوَّلُهُنّ أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا، فإنَّ مَثَلَ من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِق، ثم أسكنه دارًا، فقال: اعمل وارفع إليّ، فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيُّكم يرضى أن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٣)، وابن ماجة (٤١٢٨)، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ٣١٩ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن جرير في تفسيره ٧/ ٢٠٢، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) الأماكن المرتفعة.

يكون عبده كذلك؟ وإن اللَّه خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا.
* وأمركم بالصلاة وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يُقبِلُ بوجهه على عبده ما لم يلتفت.
* وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل معه صُرّةُ مسكٍ في عصابةٍ كلهم يجد ريح المسك وأن خلوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك.
* وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدُّوا يديه إلى عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فكّ نفسه.
* وأمركم بذكر اللَّه كثيرًا. ومثل ذلك كمثل رجلٍ طلبه العدو سِرَاعًا في أثره فأتى حِصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر اللَّه تعالى.
* وأنا آمركم بخمس أمرني اللَّه بِهِنَّ: الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله، فإنه من فارق الجماعة قَيْدَ شِبْرٍ فقد خلع ربقَة[1] الإسلام مِن عُنُقه إلّا أن يُراجِع، ومَن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جُثاء[2] جَهنم وإنْ صام وصلّى وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة اللَّه التي سمّاكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله»[3].

---

(١) ربقة: عروة.
(٢) الشيء المجموع من جماعات جهنم.
(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ١/ ٢٦٠، والترمذي رقم (٢٨٦٣، و٢٨٦٤)، والنسائي في «السنن الكبرى»، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦٤)، وابن حبان في صحيحه ٨/ ٤٣، ٤٤، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٢٣٦ وصححه الطبراني في «الكبير» ٣/ ٣٢٦، ٣٢٧، والبيهقي في «السنن» ٨/ ١٥٧، و«الأسماء والصفات» (٦٥٤)، والطيالسي (١١٦١) و(١١٦٢)، وأبو يعلى في مسنده =

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله عز وجل أوحى إلى يحيى ابن زكريا عليه السلام فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «إنَّ اللَّه تعالى أمركم بالصلاة، فإن العبد إذا قام يصلي استقبله اللَّه تعالى بوجهه، فلا يصرف وجهه عنه حتى يكون العبد هو الذي يصرف وجهه عنه» (١).

وعن الأعمش عن أبي وائل أنه قال: كنا في بيت حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقام شبث بن رِبْعِي فصلَّى فتفل بين يديه قال: فقال له حذيفة رضي الله عنه لا تتفل بين يديك ولا عن يمينك فإن عن يمينك كاتب الحسنات فإن الرجل إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلَّى أقبل اللَّهُ تعالى إليه بوجهه يناجيه فلا يصرفه عنه حتى ينصرف أو يحدث حدث سوء» (٢).

= ٣/ ١٤٠ - ١٤٢ ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» ١/ ١٧٩، ١٨٠، والآجريّ في «الشريعة» ص٨ والبيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٣٢٦، وابن عساكر في «الأربعين في الجهاد» وحسنه ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ١/ ٢٦٠، والترمذي رقم (٢٨٦٣، و٢٨٦٤)، والنسائي في «السنن الكبرى»، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦٤)، وابن حبان في صحيحه ٨/ ٤٣، ٤٤، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٢٣٦ وصححه الطبراني في «الكبير» ٣/ ٣٢٦، ٣٢٧، والبيهقي في «السنن» ٨/ ١٥٧، و«الأسماء والصفات» (٦٥٤)، والطيالسي (١١٦١) و(١١٦٢)، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ١٤٠ - ١٤٢ ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» ١/ ١٧٩، ١٨٠، والآجريّ في «الشريعة» ص٨ والبيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٣٢٦، وابن عساكر في «الأربعين في الجهاد» وحسنه ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

(٢) صحيح موقوف على حذيفة: أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١/ ٤٣٢، ٤٣٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٥، ٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٣٦٤، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٥٥)، (٢/ ٨٨).

(١٠) عن خباب ﷺ قال: «هُجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله تعالى فوجب أجرنا على الله عَزَّ وَجَلَّ، فمنا من ذهب لم يأكل من أجره شيئًا: كان منهم مصعب ابن عمير ﷺ قُتِل يوم أحد، ولم يكن له إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجله خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر، ومنَّا مَنْ أينعت له ثمرته فهو يهدي بها»[1].

(١١) وعن أبي مسعودَ ﷺ أنه كان يضرب غلامًا له فقال له النبيَ ﷺ: «أما واللَّهِ لَلَّهُ أقدرُ عليكَ منك عليه، فقال: يا نبي الله فإنِّي أعتقته لوجه الله»[2].

(١٢) وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفَع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، وحجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيءٍ أدركه بصره»[3].

* وعن أبي موسى ﷺ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع فقال: إن الله

---

(١) أخرجه البخاري ٣/ ١٤٢ و٧/ ٢٢٦ و٢٥٣ و٣٧٥ و١١/ ٢٧٣، ومسلم (٩٤٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٦٨) (٢/ ١٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٦٩) (٢/ ١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٩)، وأحمد (٤/ ٤٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص١٩، ٢٠، وابن ماجة (١٩٥) وعبدالله بن أحمد في «السنة» ص١٤٥، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٩٦و ١١٧)، وفي «الرد على المريسي» ص١٦٠، ١٧٢، والآجري في «الشريعة» ص٣٠٤، والطبراني في «الأوسط» ٢/ ٣٠٧ (١٥٣٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٧٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» ٢/ ٤٢٣ - ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٣١.
وأخرجه أيضًا مسلم وأحمد ٤/ ٣٩٥ و٤٠١، وابن حبان في صحيحه (٢٦٦) والطيالسي في مسنده (٤٩١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٩) (٢/ ٤٦٤).

لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره»، ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٨][(١)].

* وعن عمرو بن مُرة قال: قلتُ لسعيد بن المسيب: علمني كلماتٍ أقولهنَّ عند المساء قال قل: أعوذ بوجهك الكريم، وباسمك العظيم، وبكلماتك التَّامَّة من شر السَّامة والعامَّة، ومِنْ شر ما خلقت أي رب، ومن شر ما أنت آخذ بناصيته، ومن شر هذه الليلة ومن شر ما بعدها، ومن شر الدنيا وأهلها»[(٢)].

* وعن حميد بن هلال قال، قال رجل: رحم اللَّه رجلًا أتى على هذه الآية: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] فيسأل اللَّه تبارك وتعالى بذاك الوجه الباقي الجميل»[(٣)].

● لله در الدارمي في ردّه على بشر المريسي:

قال الدارمي في رده على بشر المريسي الضَّال العنيد: «لما فرغت من اليدين وَنَفيْتَهما عن الله، أقبلت قِبَل وَجهِ اللَّهِ ذي الجلال والإكرام لتنفيه عنه بمثل هذه العمايات، كما نَفَيْتَ عنه اليديْن. لم تَدَع غايةً في إنكار وجه اللَّه ذي الجلالِ والإكرام والجحود به وبآياته التي تنطق بالوجه، قد ادّعيت أنَّ وجه اللَّه الذي وصفه ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ مخلوق، لأنك ادعيت أنها أعمال مخلوقة يُتوجه بها إليها ونعم وإحسان، والأعمال كلها مخلوقة لا شك فيها، فوجه ربك ذي الجلال والإكرام في دعواك مخلوق، وزعمت أيضًا أنه قبلة الله، والقبلة أيضًا

(١) تخريجه: هو نفس التخريج السابق.
(٢) إسناده صحيح إلى سعيد: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٧٥) (٢/ ١١٢).
(٣) إسناده صحيح: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٧٧).

مخلوقة، فادَّعيْتَ أن كل ما ذكره اللَّه في كتابه من ذكر وجهه؛ وجه مخلوق. ليس لله منها وجه صفة، ولا هو ذي وجه في دعواك، وكتاب اللَّه المكذب لك في دعواك، وهو ما تلوت أيها المعارض من هذه الآيات التي كلها ناقضة لمذهبك، وآخذة بحلقك، أو تأثر تفسير هذا عن رسول اللَّه ﷺ بأثر مأثور منصوص مشهور.

ولن تفعله أبدًا. لما قد روى عنه خلافه وهو قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: (النظر إلى وجه الله) أفيجوز أن يتأول هذا: أنه قال: الزيادة النظر إلى الكعبة، أو إلى أعمال المخلوقين وكان يدعو «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم» فيجوز في تأويلك أن يقول: اللهم أني أسألك لذة النظر إلى الأعمال الصالحة من أعمال خلقك، أم القبلة؟

ويلكم، ما سبقكم إلى هذه الفرية على اللَّه إنس ولا جان، ولا فرعون من الفراعنة، ولا شيطان.

وأعظم من ذلك: دعواك أن وجه اللَّه كوجه الثوب والحائط الميت، الذي لا يوقف منها على وجه ولا ظهر، ما تركتم من الكفر بوجه اللَّه غاية، ولو قد تكلم بهذا رجل بالمغرب لوجب على أهل المشرق أن يغزوه، حتى يقتلوه غضبًا وإجلالًا لوجه اللَّه ذي الجلال والإكرام.

أرأيتك أيها الجاهل، إن كان وجه اللَّه عندك قبلة، والأعمال التي ابتغى بها وجهه، وكوجه الثوب والحائط، أفيجوز أن يقال للقبلة وأعمال العباد: ذو الجلال والإكرام؟ فقد علم المؤمنون من خلق اللَّه أنه لا يقدس وجه بذي الجلال والإكرام غير وجه اللَّه تعالى.

وأما تكريرك وتهويلك علينا بالأعضاء والجوارح. فهذا ما لا يقول مسلم، غير أنا نقول كما قال الله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ أنه عنى به الوجه الذي هو الوجه عند المؤمنين. لا الأعمال الصالحة، ولا القبلة، ولا ما حكيته من الخرافات كاللاعب بوجه الله، وكذلك قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يقول كل وجه هالك إلا وجه نفسه تعالى، الذي هو أحسن

الوجوه، وأجمل الوجوه، وأنور الوجوه، الموصوف بذي الجلال والإكرام، الذي لا يستحق هذه الصفة غير وجهه، وأن الوجه منه غير اليدين، واليدين منه غير الوجه، على رغم الزنادقة والجهمية.

وسنذكر في ذكر الوجه آيات وآثارًا مسندة. ليعرضها أهل المعرفة على تفسيرك هذا، هل يحتمل شيء منها شيئًا منه؟ فإن كنت لا تؤمن بها فخير منك وأطيب من عباد الله من قد آمن بها.

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ فالخيبة لمن كفر بهذه الآيات كلها أنها ليست بوجه الله نفسه، وأنها وجوه مخلوقة»[1].

ثم ساق الكلام في الرّد عليه الإمام ابن القيم يرد على من ادعى المجاز في الوجه وإبطاله من ستة وعشرين وجهًا:ـ

لقد أجاد الإمام ابن قيم الجوزية في الرد على من ادّعى المجاز في الوجه وأبطل ذلك من ستة وعشرين وجها في كتابه «الصواعق المرسلة».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجه الرب جلّ جلاله حيث ورد في الكتاب والسُّنّة فليس بمجاز بل على حقيقته:ـ

واختلف المعطلون في جهة التجوز في هذا، فقالت طائفة: لفظ الوجه زائد، والتقدير: ويبقى ربك[2]، إلا ابتغاء ربه الأعلى[3]، ويريدون ربّهم. وقالت فرقة أخرى منهم: الوجه بمعنى الذات، وهذا قول أولئك وإن اختلفوا في التعبير عنه؛ وقالت فرقة: ثوابه وجزاؤه، فجعله هؤلاء مخلوقًا منفصلًا، قالوا لأن الذي يراد

---

(١) انظر: «رد الدارمي على المريسي» ص١٥٩ ـ ١٦١.

(٢) أي في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ الآية (٢٧) من سورة الرحمن.

(٣) أي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ الآية (٢٠) من سورة الليل.

هو الثواب. وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم أن يجعلنا من أهلها»[١].

قال عثمان بن سعيد الدارمي وقد حكى قول بشر المريسي أنه قال في قول النبي ﷺ «إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه»[٢]

---

(١) انظر أقوال المتكلمين في تأويلهم لهذه الصفة: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٦٥ - ٢٦٦) و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٢٦٣ - ٢٦٤) و«متشابه القرآن» (٢/ ٦٣٧ - ٦٣٨) و«شرح الأصول الخمسة» (ص٢٢٧) و«أصول الدين» (ص١١٠) و«الفصل» (٢/ ٣٤٧ - ٣٤٨) و«المعتمد في أصول الدين» (ص٥٢) و«الإرشاد» للجويني (ص١٥٧) و«دفع شبه التشبيه» (ص١١٣) و«أساس التقديس» (ص١٥١ - ١٥٦) «وغاية المرام» (ص١٤٠) و«أبكار الأفكار» (ق١١٥/ ب) و«إيضاح الدليل» لابن جماعة (ص١٢٠ - ١٢٢) و«شرح المواقف» (ص١٧٤ - ١٧٥) و«أقاويل الثقات» (ص١٤١) وما بعدها.

(٢) هو جزء من حديث أخرجه ابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ح ١٠٣٣ (١/ ٣٢٧) وفيه قصة، وأخرجه ابن خزيمة في كتابه «التوحيد» مطولا (١/ ٣٤ - ٢٦) بإسنادين قال في أحدهما: حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا الأعمش، قال ثنا شقيق قال: كنا عند حذيفة فقام شبث بن ربعي فصلى فبصق بين يديه، فقال له حذيفة: يا شبث لا تبصق بين يديك ولا عن يمينك فإن عن يمينك كاتب الحسنات ولكن عن يسارك أو من ورائكم، فإن العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه فيناجيه فلا ينصرف عنه حتى ينصرف أو يحدث حدث سوء». وفي صحيحه رقم ٩٢٤ (١/ ٦٢) وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» رقم ١٦٨٩ (١/ ٤٣٢ - ٤٣٣) وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٦٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم ٦٥٥ (٢/ ٨٨) وهو صحيح عن حذيفة، كما أنه صح نحوه من حديث الحارث الأشعري يرفعه أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم ٦٥٤ وقال بعده: «وروي في مثل هذا عن حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم من قولهما» ثم ساقهما. وقال البوصيري في زوائد ابن ماجة (١/ ٣٤٤): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وله شاهد في الصحيحين والموطأ من حديث ابن عمر» ا هـ. وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» ح٨٤٥ (١/ ٣٠٤) وفي الصحيحة ح١٥٩٦ (٤/ ١٢٧) وفي التعليق على صحيح ابن خزيمة رقم ٩٢٤ (٢/ ٦٢).

يحتمل أن يقبل الله عليه بنعمته وإحسانه (وإفضاله) وما أوجب للمصلي من الثواب. فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ١١٥] أي قبلة الله.

قال الدارمي: (لما فرغ) المريسي من إنكار اليدين ونفيهما عن الله أقبل قِبَل وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه كما نفى عنه اليدين، فلم يدع غاية في إنكار وجه الله ذي الجلال والإكرام (والجحود به) حتى ادعى أن وجه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق، لأنه ادَّعى أنه أعمال مخلوقة يتوجه بها إليه، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل، وزعم أنه قبلة الله، وقبلة الله لا شك مخلوقة.

❑ **والقول بأن لفظ الوجه مجاز باطل من وجوه:**

- **أحدها**: أن المجاز لا يمتنع نفيه، فعلى هذا لا يمتنع أن يقال: ليس لله وجه ولا حقيقة لوجهه.

وهذا تكذيب صريح لما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه (رسوله) ﷺ.

- **الثاني**: أنه خروج عن الأصل والظاهر بلا موجب.
- **الثالث**: أن ذلك يستلزم كون حياته وسمعه وبصره وقدرته وكلامه وإرادته وسائر صفاته مجازًا لا حقيقة كما تقدم تقريره.
- **الرابع**: أن دعوى المُعطِّل أن الوجه صلة[١] كذب على الله وعلى رسوله. وعلى اللغة، فإن هذه الكلمة ليست مما عهد زيادتها.
- **الخامس**: أنه لو ساغ ذلك لساغ لمعطل آخر أن يدَّعي الزيادة في قوله: (أعوذ بعزة الله وقدرته)[٢]، ويكون التقدير: أعوذ بالله. ويدعي معطل آخر الزيادة

---

(١) أي أنه صلة زائدة: فيكون معنى قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فثمّ الله، قالوا: وهذا كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي إلا هو.
قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/ ٨٢) بعد ذكره لهذا القول: «وليس بشيء».انظر تفسير الرازي (٤/ ٢١) وتفسير القرطبي (٢/ ٨٤)، وتفسير البحر المحيط (١/ ٣٦١).

(٢) هو جزء من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أخرجه مسلم في السلام ح ٦٧=

في سمعه وبصره وغير ذلك.

- **السادس:** أن هذا يتضمن إلغاء وجهه الكريم لفظا ومعنى، وأن لفظه زائد ومعناه منتف.

- **السابع:** ما ذكره الخطابي والبيهقي وغيرهما قالوا: لما أضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صفة للوجه وأن الوجه صفة للذات[1].

قلت: فتأمل رفع قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ عند ذكر الوجه، وجره في قوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾، فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام لما كان القصد الإخبار عنه، وذي المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة لما كان القصد عين المسمى دون الاسم فتأمله.

- **الثامن:** أنه لا يعرف في لغةٍ من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ما شبَّه به المُعطِّل وَجْهَ الرَّبِّ أنْ قال: هُو كقوله: «وجه الحائط»، و«وجه الثوب»، و«وجه النهار»، و«وجه الأمر». فيقال لهذا المعطل المشبه: ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات، بل هذا مبطل لقولك، فإنَّ وجه الحائط أحد جانبيه فهو مقابل لدبره، ومِن هذا وجه الكعبة ودبرها، فهو وجه حقيقة، ولكنه بحسب المضاف إليه، فلما كان المضاف إليه بناء كان وجهه

= (٤/ ١٧٢٨) وهو فيه بلفظ: «أعوذ بالله وقدرته..»، وأخرجه باللفظ المذكور: «أعوذ بعزة الله وقدرته»: أبو داود في الطب ح٣٨٩١ (٤/ ٢١٧ - ٢١٨) والترمذي في الطب ح٢٠٨٠ (٤/ ٤٠٨) وابن ماجه في الطب ح ٣٥٢٢ (٢/ ١١٦٣ - ١١٦٤) ومالك في كتاب العين من الموطأ ح٩ (٢/ ٧١٨).

(١) انظر الاعتقاد للبيهقي ص٦٩، وهذا النقل عنه وعن الخطابي ذكره عنهما القرطبي في «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (٢/ ٨٥ - ٨٧)، ومرعى بن يوسف الكرمي في «أقاويل الثقات» ص١٤٣.

من جنسه، وكذلك وجه الثوب أحد جانبيه وهو من جنسه، وكذلك وجه النهار أوله ولا يقال لجميع النهار، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «وجه النهار أوله»، ومنه قولهم: «صار النهار»، قال (ابن الأعرابي): «أتيته بوجه نهار وصدر نهار»، وأنشد للربيع ابن زياد:

من كان مسرورًا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

والوجه في اللغة مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه، ووجه الرأي والأمر ما يظهر أنه صوابه، وهو في كل محل بحسب ما يضاف إليه، فإن أضيف إلى زمن كان الوجه زمنا، وإن أضيف إلى [حيوان كان بحسبه، وإن أضيف إلى ثوب أو حائط كان بحسبه، وإن أضيف إلى] مَنْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ كان وجهه تعالى كذلك.

- **التاسع**: أن حَمَلَه على الثواب المنفصل من أبطل الباطل، فإن اللغة (لا تحتمل) ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهًا للمُجازِي.
- **العاشر**: أن الثواب مخلوق، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال: «أعوذ بوجهك الكريم أن تضلَّني لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون» رواه أبو داود وغيره[1]. ومن دعائه يوم الطائف[2]: «أعوذ (بنور وجهك) الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا

---

(١) لم أقف عليه عند أبي دواد في السنن، وقد أخرجه البخاري مختصرًا في التوحيد ح ٧٣٨٣ (ص١٥٤٧) ومسلم في الذكر والدعاء ح٦٧ (٤/ ٢٠٨٦) جميعها من حديث عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -، وفيهما: «أعوذ بعزتك» بدل «أعوذ بوجهك»، ولفظه عند مسلم: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون».

(٢) يعني يوم ذهابه - عليه الصلاة والسلام - إلى الطائف لدعوة ثقيف والتماس النصر منهم والمنفعة.

والآخرة»(١)، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعيذ بمخلوق.

- **الحادي عشر**: أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك»(٢) ولم يكن ليسأل لذة النظر إلى الثواب

---

(١) هو جزء من دعاءٍ طويل أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٤٤ - ٤٤٦) بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظي مرسلا في قصة ذهابه ﷺ إلى الطائف دون بقيته، وفيه الدعاء المذكور فذاك مما يسنده ابن إسحاق، وقد أخرجه من طريقه ابن جرير في التاريخ (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٦) والطبراني في «الكبير» من حديث عبدالله بن جعفر مختصرًا رقم ١٨١ (قطعة من الجزء ١٣/ ٧٣) و(٢٥/ ٣٤٦) وفي الدعاء له رقم ١٠٣٦ (٢/ ١٢٨٠) وذكره ابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٩٩).
قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٨): «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات» قلت: وقد عنعنه هنا فلم يصرح فيه بالسماع، فاستوجب الضعف.
وانظر: «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» للألباني (ص١٩) وتعليقه على «فقه السيرة» للغزالي (ص١٣٧) تعليق (١)، و«ضعيف الجامع» رقم ١١٨٢ (ص١٦٦ - ١٦٧).

(٢) هو جزء من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه في دعاء طويل سمعه من رسول الله ﷺ ورد من طرق مختصرًا ومطولا، فأخرجه النسائي في السهو رقم ١٣٠٥ و١٣٠٦ (٣/ ٥٤ - ٥٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» رقم ٩٣٩٥ (١٠/ ٢٦٤ - ٢٦٥)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٤) والدارمي في «الرد على الجهمية» (مختصرًا ومطولًا) رقم ١٨٨، ١٩٧ (ص١٩٨، ١٠١)، وابن أبي عاصم في «السُّنة» مختصـرًا رقم ٤٣٣، ٤٣٤ (١/ ٣٠٢ - ٣٠٣) وعبدالله بن الإمام أحمد في «السُّنة» رقم ٤٦٦ و٤٦٧ (١/ ٢٥٤/ ٢٥٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» رقم ١٣ (١/ ٢٩ - ٣٠)، والدارقطني في «الرؤية» رقم ١٥٨، ١٥٩ (ص ٢٥٦ - ٢٥٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم ٨٦ (ص٩٦) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٤ - ٥٢٥) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم ٨٤٥ (٣/ ٥٤١ - ٥٤٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» مطولا ومختصرا رقم ٢٢٧ (١/ ٣٠٢ - ٣٠٣) ورقم ٦٥٨ (٢/ ٩١ - ٩٢) وابن حبان في صحيحه رقم ١٩٧١ (٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥).
وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني في تخريج «أحاديث الرد على الجهمية» للدارمي (ص٦٠) إسناد صحيح، وكذا صححه في «ظلال الجنة» تحت رقم ٤٢٤، ٤٢٥ (ص١٨٥).

المخلوق، ولا يُعرف تسمية ذلك وجهًا لله لغةً، ولا عُرْفًا، ولا شرعًا.

- **الثاني عشر**: أن النبي ﷺ قال: «من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه» (١)، وفي السنن من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي لأحد أن يسأل بوجه الله إلا الجنة» (٢) فكان طاووس يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله (٣).

---

(١) هو من حديث عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه أبو داود في الأدب ح ٥١٠٨ (٥/ ٣٣٤) وفيه عنده: «ومن سألكم بالله»، وأحمد في المسند (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) وكذا أبو يعلى في «المسند» رقم ٢٥٣٦ (٤/ ٤١٢) و٢٧٥٥ (٥/ ١٤٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم ٦٦٠ (٢/ ٩٣) وهو صحيح.

وانظر: «السلسلة الصحيحة» ح٢٥٣ (١/ قسم ١/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) و«صحيح سنن أبي داود» ح٤٢٦٠ (٣/ ٩٦١ ـ ٩٦٢).

(٢) هو من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه أبو داود في الزكاة ح ١٦٧١ (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) ومن طريقه أخرجه البيهقي في الكبرى (٤/ ١٩٩) وبلفظه المذكور أخرجه في الأسماء والصفات رقم ٦٦١ (٢/ ٩٣ ـ ٩٤) وكذا أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٥٧) في ترجمة سليمان بن قرم، وابن منده في الرد على الجهمية رقم ٨٩ (ص٩٨) ونسبه السيوطي في «الجامع الصغير» (٦/ ٤٥١) لأبي داود والضياء في «المختارة»، ولم أجده في مطبوعة الأخير وهو غير كامل.

وإسناده ضعيف فيه سليمان بن معاذ التميمي الضبي النحوي البصري أبو داود، وهو سليمان بن قرم بن معاذ منسوب لجده كما في ترجمته من تهذيب الكمال (١٢/ ٥١) وغيره، وقد تكلم فيه غير واحد وكان يفرط في التشيع، فقد ضعفه النسائي وابن معين، وقال أبو زرعة: «ليس بذاك» وقال أبو حاتم: «ليس بالمتين»، وقال ابن حجر في التقريب (ص١٩٣ ـ ١٩٤): «سيء الحفظ يتشيع..».

وينظر: الكامل لابن عدي (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧) و«الجرح والتعديل» (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧) وفيض القدير للمناوي (٦/ ٤٥١) وضعيف الجامع رقم ٦٣٥١ (ص٩١٦) و«ضعيف سنن أبي دواد» رقم ٣٦٨ (ص١٦٨ ـ ١٦٩) و«مشكاة المصابيح» بتحقيق الألباني رقم ١٩٤٤ (١/ ٦٠٥).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات رقم ٦٦٢ (٢/ ٩٥) مع آثار أخرى، فقال رحمه الله: «وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو العباس هو الأصم حدثنا الصاغاني حدثنا حجاج =

وجاء رجل إلى عمر بن عبدالعزيز فرفع إليه حاجته ثم قال: أسألك بوجه الله، فقال عمر: «قد سألت بوجه الله» فلم يُسْأَل شيئًا إلَّا أعطاه إياه، ثم قال عمر: «ويحك ألا سألت بوجهه الجنة» ولو كان المراد بوجهه مخلوقًا من مخلوقاته لما جاز أن يقسم عليه ويسأل به، ولا كان ذلك أعظم من السؤال به سبحانه. وهذه الآثار صريحة في أن السؤال بوجهه أبلغُ وأعظم من السؤال به فقد قال رسول اللَّه ﷺ «**لا يسأل بوجه اللَّه إلا الجنة**»، فدل على بطلان قول من قال: «إن وجه اللَّه هو مخلوق من مخلوقاته» وبطلان قول من قال «هو ذاته».

- **الثالث عشر**: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**إن اللَّه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**[1]». فإضافة السبحات التي هي الجلال والنور إلى الوجه وإضافة البصر

= ابن محمد قال: قال ابن جريج: قال عطاء: بلغنا أنه يكره أن يسأل الله تعالى شيئًا من الدنيا بوجهه، قال: وقال ابن جريج: أخبرني ابن طاووس عن أبيه أنه كان يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله، قال: وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار قال: بلغنا ذلك، قال: وقال ابن جريج أخبرني عبدالكريم بن مالك قال: إن رجلا جاء إلى عمر بن عبدالعزيز فرفع إليه حاجته ثم قال: أسألك بوجه الله ـ تعالى ـ، فقال عمر رضي الله عنه: قد سألت بوجهه فلم يسأل شيئا إلا أعطاه إياه، ثم قال عمر رضي الله عنه ويحك ألا سألت بوجهه الجنة».

إسناده صحيح، شيخ البيهقي أبو عبدالله الحافظ هو محمد بن عبدالله الحاكم صاحب المستدرك على الصحيحين، إمام حافظ ناقد، وشيخه أبو العباس الأصم هو محمد بن يعقوب بن يوسف محدث عصره بلا مدافعة، لم يختلف في صدقه وصحة سماعه، وشيخه الصاغاني هو محمد بن إسحاق بن جعفر أبو بكر أحد الحفاظ ثقة ثبت، وشيخه حجاج بن محمد هو أبو محمد المصيصي الأعور مولى سليمان بن مجالد ثقة ثبت، لكنه اختلط قبل موته في آخر عمره، أخرج حديثه الجماعة.

(١) قال الإمام الدارمي في رده على المريسي ص١٦١: «أفيستقيم أيها المعارض أن يتأول هذا أنه أحرقت سبحات وجهه الأعمال الصالحة ووجه القبلة، كل شيء أدركه بصره؟ =

إليه تبطل كل مجاز وتبيّن أن المراد وجهه.

- **الرابع عشر**: ما قاله عبدالله بن مسعود: «ليس عند ربِّكم لَيْل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه»[1]. فهل يصح أن يحمل الوجه في هذا على مخلوق أو يكون صلة لا معنى له، أو يكون بمعنى القبلة والجهة، وهذا مطابق لقوله: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات»، فأضاف النور إلى الوجه والوجه إلى الذات واستعاذ بنور الوجه الكريم، فعلم أن نوره صفة له كما أن الوجه صفة ذاتية، وهذا الذي قاله ابن مسعود رضي الله عنه هو تفسير قوله

= ما يشك مسلم في بطلانه واستحالته.

(١) هو جزء من أثر طويل عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه الدارمي (مختصرًا) في النقض على المريسي (١/ ٤٧٥ - ٤٧٦) و(٢/ ٧٤١ - ٨٢٩) والطبراني في الكبير رقم ٨٨٨٦ (٩/ ١٧٩) وعنه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٧ - ١٣٨) وكذا أخرجه أبو الشيخ في العظمة مختصرًا ومطولا رقم ١١١ (١/ ٤٠٥ - ٤٠٦) ورقم ١٤٧ (٢/ ٤٧٧ - ٤٧٨) وابن منده في الرد على الجهمية رقم ٩٠ (ص٩٩) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم ٦٧٤ (٢/ ١١١ - ١١٢)، وذكره ابن تيمية مختصرًا في الحموية (ص٤٤) والمؤلف ابن القيم في مصنفه روضة المحبين بأطول مما هنا (ص٣٦٠) وفي اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٥ - ٤٦) وقال في نونيته (٢/ ١١٢) بشرح الهراس:

قال ابن مسعود قد حكاه الدارمي عنه بلا نكران
ما عنده ليل يكون ولا نهار قلت تحت الفلك يوجد ذان

وكذا ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٠١) عند قوله - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بلفظ: «إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه» وقد سبق له إيراده في سورة المؤمنون (٣/ ٢٦٣) عند قوله - تعالى -: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾، ونسبه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٧/ ٣٣٩) مطولا لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم ممن ذكرت.

قال البيهقي بعد أن ساقه: «هذا موقوف وراويه غير معروف». قال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٦٠): «رواه الطبراني في الكبير وفيه عبدالسلام قال أبو حاتم: مجهول، وقد ذكره ابن حبان في الثقات»، وعبدالله بن مِكرز أو عبيدالله على الشك لم أر من ذكره».

تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥] فلا تشتغل بأقوال المتأخرين الذين غشيت بصائرهم عن معرفة ذلك فخذ العلم عن أهله، فهذا تفسير الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

- **الخامس عشر:** أن من تدبر سياق الآيات والأحاديث والآثار التي فيها ذكر وجه الله الأعلى ذي الجلال والإكرام قطع ببطلان قول من حملها على المجاز، وأنه الثواب والجزاء لو كان اللفظ صالحا لذلك في اللغة، فكيف واللفظ لا يصلح لذلك لغــة؟ فمنها: قوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾ [الليل: ١٩ - ٢٠].

- **الوجه السادس عشر:** أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربِّهم ـ تعالى ـ في الجنة، وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ فروى مسلم في صحيحه بإسناده عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ قال: «النظر إلى وجه الله تعالى»[١] فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو، فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد، وإن أحسن العبارة قال: هو معنى يقوم بالقلب نسبته إليه لنسبة النظر إلى العين».

وليس في الحقيقة عنده نظر ولا وجه ولا لذة تحصل للناظر.

- **الوجه السابع عشر:** أن الوجه حيث ورد فإنما مضافا إلى الذات في جميع موارده، والمضاف إلى الرب تعالى نوعان:

الأول: أعيان قائمة بنفسها كبيت الله، وناقة الله، وروح الله، وعبدالله ورسوله، فهذه إضافة تشريف وتخصيص، وهي إضافة مملوك إلى مالكه.

---

(١) انظر صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ح٢٩٧، ٢٩٨ (١/ ١٦٣).

الثاني: صفات لا تقوم بنفسها كعلم الله وحياته وقدرته وعزته وسمعه وبصره ونوره وكلامه، فهذا إذا وردت مضافة إليه فهي إضافة صفة إلى الموصوف بها.

إذا عرف ذلك فوجهه الكريم وسمعه وبصره إذا أُضيف إليه وجب أن يكون إضافة وصف لا إضافة خلق وهذه الإضافة تنفي أن يكون الوجه مخلوقًا وأن يكون حشوًا في الكلام، وفي سنن أبي داود عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم ووجه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[(١)]، فتأمل كيف فرق في الاستعاذة بين استعاذة بالذات وبين استعاذته بالوجه الكريم، وهذا صريح في إبطال قول من قال إنه الذات نفسها وقول من قال إنه مخلوق.

- **الوجه الثامن عشر:** أن تفسير وجه الله بقبلة الله وإن قاله بعض السلف كمجاهد[(٢)] وتبعه الشافعي[(٣)] فإنما قالوه في موضع واحد لا غير وهو قوله

---

(١) صحيح رواه في كتاب الصلاة من السنن ح٤٦٦ (١/ ٣١٨) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، وقد قال عنه النووي في الأذكار (ص٨٥): «حديث حسن رواه أبو داود بإسناد جيد» ا هـ. وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (١/ ٢٨١): «هذا حديث حسن غريب ورجاله موثوقون وهم من رجال الصحيح إلا إسماعيل وعقبة» ا هـ. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح٤٤١ (١/ ٩٣).

(٢) تفسيره المذكور أخرجه الترمذي في التفسير من كتاب السنن (٥/ ٢٠٦) قائلا: «ويروى عن مجاهد في هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قال: «فثم قبلة الله»، حدثنا بذلك أبو كريب حدثنا وكيع عن النضر بن عربي عن مجاهد بهذا» ا هـ وأخرجه ابن جرير في التفسير (طبعة شاكر) رقم ١٨٤٥ (٢/ ٥٣٤) ورقم ١٨٤٨ (٢/ ٣٥٦) والبيهقي في الكبرى (٢/ ١٣) وفي الأسماء والصفات رقم ٦٧٠ (٢/ ١٠٧). وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٣) والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٤١٤).

(٣) الشافعي قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه أحكام القرآن من جمع الإمام البيهقي (١/ ٦٤) ـ عند الآية المذكورة ـ: «يعني والله أعلم فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه» ا هـ. وذكره البيهقي أيضًا في الكبرى (٢/ ١٣) وفي الأسماء والصفات تحت رقم ٦٦٩ (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، =

تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ فهب أن هذا كذلك في هذا الموضع فهل يصح أن يقال ذلك في غيره في المواضع التي ذكر الله ـ تعالى ـ فيها الوجه؟ فما يفيد كم هذا في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، وقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، على أن الصحيح في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ أنه كسائر الآيات التي ذكر فيها الوجه، فإنه قد اطرد مجيئُه في القرآن والسنة مضافا إلى الرب ـ تعالى ـ على طريقة واحدة ومعنى واحد فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع غير الموضع الذي ذُكر في سورة البقرة وهو قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ وهذا لا يتعين حمله على القبلة والجهة ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقة، فحمله على موارده ونظائره كلها أولى، يوضحه:

- **الوجه التاسع عشر**: أنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعا ولا عرفا، بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه، فلا يدخل أحدهما على الآخر [ولا يستعار اسمه له، نعم القبلة تسمى وجهه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ﴾ وقد تسمى جهة وأصلها وجهة ولكن أُعلت بحذف فائها كزنة وعدة، وإنما سميت قبلة ووجهة لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه، وأما تسميتها وجهًا فلا عَهْدَ به، فكيف إذا أُضيف إلى الله ـ تعالى ـ؟ مع أنه لا يعرف تسمية القبلة «وجهة الله» في شيء من الكلام مع أنها تُسمى وجهة، فكيف يطلق عليها وجه الله ولا يعرف تسميتها وجها؟ وأيضًا فمن المعلوم أن قبلة الله التي نصبها لعباده هي قبلة واحدة، وهي القبلة التي أمر الله عباده أن يتوجهوا إليها حيث كانوا لا كل جهة يولي الرجل

= وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٣) والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٤١٤).

وجهه إليها، فإنه يولي وجهه إلى (المشرق والمغرب) والشمال وما بين ذلك، وليست تلك الجهات قبلة الله، فكيف يقال: أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها فهي قبلة الله؟

فإن قيل: هذا عند اشتباه القبلة على المصلي وعند صلاته النافلة في السفر، قيل: اللفظ لا إشعار له بذلك البتة، بل هو عام مطلق في الحضر والسفر وحال العلم والاشتباه والقدرة والعجز، يوضحه: أن إخراج الاستقبال المفروض والاستقبال في الحضر وعند العلم والقدرة وهو أكثر أحوال المستقبل، وحمل الآية على استقبال المسافر في التنفل على الراحلة أو على حال الغيم ونحوه بعيد جدا عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها وما قصد بها، فإن «أين» من أدوات العموم [(١)]، وقد أكد عمومها بما أراده لتحقيق العموم كقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[البقرة: ١٤٤]، فالآية صريحة في أنه أينما ولى العبد فثم وجه اللَّه من حضرٍ أو سفرٍ في صلاة أو غير صلاة، وذلك أن الآية لا تعرض فيها للقبلة (ولا لحكم) الاستقبال، بل سياقها لمعنى آخر وهو بيان عظمة الرب - تعالى - وسعته وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه وأنه محيط بالعالم العُلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ مُنبهًا بذلك على ملكه لما بينهما، ثم ذكر عظمته سبحانه وأنه أكبر وأعظم من كل شيء فأينما ولى

---

(١) ذهب جمهور الأصوليين إلى أن أدوات الشرط ومنها «أين» من صيغ وألفاظ العموم قال ابن السبكي في جمع الجوامع (ضمن مجموع مهمات المتون) (ص١٤٥): «مسألة: كل والذي، والتي، وأي، وما، ومتى، وأين، وحيثما، ونحوها للعموم حقيقة...».
وينظر: المعتمد في أصول الفقه (١/ ٢٠٦) والعدة لأبي يعلى (٢/ ٤٨٤ - ٤٨٥) وشرح اللمع (١/ ٣١٥ - ٣١٧) وقواطع الأدلة (١/ ٣١٧) والإحكام للآمدي (٢/ ٢١٩ - ٢٢٠) وشرح مختصر الروضة (٢/ ٤٦٧) والمسودة (ص١٠١) وشرح الكوكب المنير (٣/ ١٢١) ومراقي السعود إلى مراقي السعود (ص١٩٤).

العبد وجهه فثم وجه الله، ثم ختم باسمين دالين على السعة والإحاطة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فذكر اسمه الواسع عقب قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ كالتفسير والبيان والتقرير له فتأمله، فهذا السياق لم يقصد به الاستقبال في الصلاة بخصوصه وإن دخل في عموم الخطاب حضرا وسفرا بالنسبة إلى الفرض والنفل. والقدرة والعجز. وعلى هذا فالآية باقيةٌ على عمومها وإحكامها ليست منسوخة ولا مخصوصة، بل لا يصح دخولُ النسخ فيها لأنها خبر عن ملكه للمشرق والمغرب وأنه أينما ولى الرجل وجهه فثم وجه الله (وعن سعته وعلمه) فكيف يمكن دخول النسخ والتخصيص في ذلك؟ وأيضًا هذه الآية ذُكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الربِّ والردِّ على من جعل له عدلًا من خلقه أشركه معه في العبادة، ولهذا ذكر بعدها الرد على من جعل له ولدًا فقال - تعالى -:
﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٦ - ١١٧]، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة ولا سِيقَ الكلامُ لأجلها، وإنما سيق لذكر عظمة الرب وبيان سعة علمه ومُلكِه وحلمه والواسع من أسمائه، فكيف تجعلون له شريكًا بسببه تمنعون بيوته ومساجده أن يذكر فيها اسمه، وتسعون في خرابها؟ فهذا للمشركين ثم ذكر ما نسبه إليه النصارى من اتخاذ الولد، ووسط بين كفر هؤلاء قوله - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين، ولا مقام فرع مُعين جُزئي، يوضحه: أن الله - تعالى - لما ذكر قبلته التي شرعها عيّنها دون سائر الجهات بأنها شَطرَ المَسْجِد الحرام، وأكد ذكرها مرة بعد مرة تعيينًا لها دون غيرها من الجهات بأنها القبلة التي رضيها وشرعها وأحبها لعباده ولم يذكر أنها كل جهة، بل أخبر أنها قبلة يرضاها رسوله ﷺ وجعل استقبالها من أعلام نبوة رسوله ﷺ فقال -

تعالى -: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤] أي ذلك الاستقبال، وأكد أمر هذه القبلة تأكيدًا أزال به استقبال غيرها وأن تكون قبلة شرعها.

- **الوجه العشرون:** أنه سبحانه أخبر عن الجهات التي تستقبلها الأمم منكرة مطلقة غير مضافة إليه، وأن المستقبل لها هو موليها وجهه لا أن الله شرعها له وأمره بها، ثم أمر أهل قبلته بالمبادرة والمسابقة إلى الخير الذي ادخره لهم وخصهم به، ومن جملته هذه القبلة التي خصهم دون سائر الأمم فقال - تعالى -: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨]. فتأمل هذا السياق في ذكر الوجهات المختلفة التي توليها الأمم وجوههم، ونزل عليه قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١١٥]، وانظر هل يُلائم السياق السياق والمعنى المعنى ويطابقه، أم هما سياقان دلَّ كلٌّ منهما على معنًى غير المعنى الآخر، فالألفاظ غير الألفاظ والمعنى غير المعنى.

- **الوجه الحادي والعشرون:** أنه لو كان المراد بوجه الله قبلة الله لكان قد أضاف إلى نفسه القبلة كلها ومعلوم أن هذا إضافة تخصيص وتشريف إلى الهيئة ومحبته لا إضافة عامة إلى ربوبيته ومشيئته، وما هذا شأنها لا يكون المضاف إلا خاصًا كبيت الله، وناقة الله، وروح الله، فإن البيوت والنوق والأرواح كلها لله، ولكن المضاف إليه بعضها، فقبلة الله منها هي قبلة بيته لا كل قبلة، كما أن بيته هو البيت المخصوص لا كل بيت.

- **الوجه الثاني والعشرون:** أن يقال: حمل الوجه في الآية على الجهة والقبلة إما أن يكون هو ظاهر الآية أو يكون خلاف الظاهر ويكون المراد بالوجه وجه الله حقيقة، لأن الوجه إنما يراد به الجهة والقبلة إذا جاء مطلقا غير مضافٍ إلى الله - تعالى - كما في حديث الاستسقاء: «فلم يتقدم أحد من وجه من

الوجوه إلا أخبر بالجَوْد»[١] أو يكون ظاهر الآية الأمرين كليهما ولا تنافي بينهما، فأينما ولَّى العبد وجهه في صلاته توليةً مأمورًا بها فهي قبلة اللَّه وثم وجه اللَّه فهو مستقبل قبلته ووجهه، أو تكون الآية مجملة محتملة للأمرين، فإن كان الأول هو ظاهرها لم يكن حملها عليه مجازًا وكان ذلك حقيقتها، ومن يقول هذا يقول وجه اللَّه في هذه الآية قبلته وَجِهَتَهُ التي أمر باستقبالها بخلاف وجهه في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ وتلك النصوص التي ذكرناها.

وغاية ذلك أن يكون الوجه لفظًا مشتركًا قد استعمل في هذا تارة وفي هذا تارة، فمن أين يلزم من ذلك أن يكون وجه الرب ذو الجلال والإكرام مجازًا وألا يكون له وجه حقيقة؟ لولا التلبيس والترويج بالباطل. وإن كان الثاني فالأمر ظاهر. وإن كان الثالث فلا تنافي بين الأمرين فأينما ولَّى المُصَلِّي وجهه فهي قبلة اللَّه وهو مستقبل وجه ربه لأنه واسع، والعبد إذا قام إلى الصلاة فإنه يستقبل ربه ـ تبارك وتعالى ـ واللَّه مقبل على كل مصلٍ إلى جهة من الجهات المأمور بها بوجهه كما تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ مثل قوله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُم إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّه قِبَلَ وَجْهِه»[٢]، وفي لفظ: «فَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَة». فقد أخبر أنه حيثما

---

(١) يشير المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه المتفق عليه، وفي آخره: «...ولم يجيء أحد من ناحية إلا أخبر بِجَوْد» وفي رواية: «..إلا حدث بالجَوْد». أخرجه البخاري في الجمعة ح٩٣٣ (ص١٨٤) وفي الاستسقاء ح١٠٣٣، ومسلم في الاستسقاء ح٩ (٢/ ٦١٤). ورواه غيرهما باللفظ المذكور، ولم أقف عليه بمثل ما قاله المؤلف، والجود هو المطر الشديد السريع.

(٢) هما من حديث ابن عمر وأنس ـ رضي الله عنهم ـ، انظر كتاب الصلاة من صحيح البخاري ح٤٠٥، ٤٠٦ (ص٨٨) وح٤١٧ وكتاب الأذان ح٧٥٣ والعمل في الصلاة ح١٢١٣، ١٢١٤ والأدب ح٦١١١، وكتاب المساجد ومواضع الصلاة في صحيح مسلم ح٥٠، ٥١، ٥٤ (١/ ٣٨٨، ٣٩٠).

توجه العبد فإنه مستقبل وجه الله، فإنه قد دل العقل والفطرة وجميع كتب اللَّه السماوية على أن اللَّه ـ تعالى ـ عالٍ على خلقه فوق جميع المخلوقات وهو مستوٍ على عرشه [وعرشه] فوق السموات كلها، فهو سبحانه محيط بالعالم كله فأينما ولَّى العبد فإن اللَّه مستقبله بل هذا شأن مخلوقه المحيط بما دونه، فإن كل خط يخرج من المركز إلى المحيط فإنه يستقبل وجه المحيط ويواجهه والمركز يستقبل وجه المحيط.

وإذا كان عالي المخلوقات المحيط يستقبل سافلها المحيط به بوجهه من جميع الجهات والجوانب فكيف بشأن من هو بكل شيء محيط؟ وهو محيط ولا يحاط به كيف يمتنع أن يستقبل العبد وجهه ـ تعالى ـ حيث كان وأين كان؟.

وقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى مكانٍ موجود، واللَّه ـ تعالى ـ فوق الأمكنة كلها ليس في جوفها، وإن كانت الآية مجملة محتملة للأمرين لم يصح دعوى المجاز فيها ولا في وجه اللَّه حيث ورد، فبطلت دعواهم أن وجه اللَّه على المجاز لا على الحقيقة، يوضحه:

- **الوجه الثالث والعشرون**: أنه لو أُرِيدَ بالوجه في الآية الجهة والقبلة لكان وجه الكلام أن يقال: «فأينما تولوا فهو وجه الله»، لأنه إذا كان المراد بالوجه الجهة فهي التي تولي نفسها، وإنما يقال: ثَمَّ كذا إذا كان هناك أمران كقوله ـ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠] فالنعيم والملك ثَمَّ (لا أنه) نفس الظرف، والوجهُ لو كان المراد به الجهة نفسها لم يكن ظرفًا لنفسها، فإن الشيء لا يكون ظرفًا لنفسه فتأمله. ألا ترى أنك إذا أشرت إلى جهة (الغرب أو الشرق) لا يصح أن تقول: ثَمَّ جهة الغرب وثَمَّ جهة الشرق بل تقول: (هذه جهة الغرب وهذه جهة الشرق)، ولو قلت: هناك جهة الشرق والغرب لكان ذكر اللفظ لغوا، وذلك لأن ثَمَّ إشارة إلى المكان البعيد فلا يشار بها إلى قريب، والجهة والوجهة مما يُحاذيك إلى آخرها، فجهة الشرق والغرب وجهة القبلة مما يتصل بك إلى حيث ينتهي، فكيف يقال فيها

ثم إشارة إلى البعيد بخلاف الإشارة إلى وجه الرب - تبارك وتعالى -، فإنه يشار إلى حيث يشار إلى ذاته، ولهذا قال غير واحد من السلف: فثم الله تحقيقا لأن المراد وجهه الذي هو من صفات ذاته، والإشارة إليه بأنه ثَمَّ كالإشارة إليه بأنه فوق السموات وعلى العرش وفوق العالم.

- **الوجه الرابع والعشرون**: أن تفسير القرآن بعضه ببعض هو أولى التفاسير ما وجد إليه السبيل، ولهذا كان يعتمده الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعون والأئمة بعدهم، والله - تعالى - ذكر في القرآن القبلة باسم القبلة والوجهة، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف إليه، فتفسيره في هذه الآية بنظائره، وهو المتعين.

- **الوجه الخامس والعشرون**: أن الآية لو احتملت كل واحدٍ من الأمرين لكان الأولى بها إرادة وجهه الكريم ذي الجلال والإكرام، لأن المصلي مقصوده التوجه إلى ربه، فكان من المناسب أن يذكر أنه إلى أي الجهات صليت فأنت متوجه إلى ربك، ليس في اختلاف الجهات ما يمنع التوجه إلى ربك. فجاءت الآية وافية بالمقصود فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، فأخبر أن الجميع ملكه وقد خلقه، وقد عُلم بالفطرة والشرع أن الله - تعالى - فوق العالم المحيط بالمخلوقات عالٍ عليها بكل اعتبار، فمن استقبل جهة من الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال أو بين ذلك فإنه متوجه إلى ربه حقيقة، والله - تعالى - قبل وجهه إلى أي جهة صلى، وهو مع ذلك فوق سماواته على عرشه، ولا يتوهم تنافي هذين الأمرين، بل اجتماعهما هو الواقع، ولهذا عامة أهل الإثبات جعل هذه الآية من آيات الصفات وذكرها مع نصوص الوجه مع قولهم بأن الله فوق سماواته على عرشه[1].

---

(١) انظر: نقض المريسي للإمام الدارمي (١/ ٢١٦ - ٢١٧)، (٢/ ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٥١) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٣٨)، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة (١/ ١٩٩).

- **الوجه السادس والعشرون**: أنك إذا تأملت الأحاديث الصحيحة وجدتها مفسرة للآية مشتقة منها، كقوله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه»[(١)]، وقوله: «**فَإِنَّ اللَّهَ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِوجْهِه مَا لَمْ يَصْرِف وَجْهَه عَنْه**»[(٢)]، وقوله: «**إذا قَامَ أَحَدُكم إلى الصَّلَاة فَلَا يَبْصقَنَّ قِبَلَ وَجْهِه**»[(٣)]، وقوله: «**فَإِنَّ اللَّهَ بَيْنَهُ وَبَيْـنَ القِبلَة**»[(٤)]، وقوله: «**وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكم بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُم فَلَا تَلتفتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِه فِي صَلَاتِه مَا لَمْ يَلْتَفِت**» رواه ابن حبان في صحيحه والترمذي[(٥)] وقال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحسَنَ

---

(١) هو جزء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه أبو داود في الصلاة ح٤٨٠ (١/ ٣٢٣ - ٣٢٤)، وأصله في الصحيحين من غير اللفظ المذكور وله شواهد عند الشيخين وغيرهما تقدم بعضها وتأتي أخرى فيما يذكره المؤلف ابن القيم.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد صح معناه في نصوص حديثية أخرى يأتي بعضها قريبًا.

(٣) من حديث ابن عمر وأنس - رضي الله عنهم.

(٤) من حديث ابن عمر وأنس - رضي الله عنهم.

(٥) الترمذي في الأمثال من سننه ح٢٨٦٣، و٢٨٦٤ (٥/ ١٤٨ - ١٤٩) وابن حبان في صحيحه ح٦٢٣٣ (١٤/ ١٢٤ - ١٢٦)، وهو جزء من نص طويل في حديث قدسي عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بن زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَل بِهَا ويأمر بني إسرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا..» الحديث أخرجه النسائي في السير من الكبرى ح٨٨٦٦ (٥/ ٢٧٢)، وفي التفسير من الكبرى أيضًا ح١١٣٤٩ (٦/ ٤١٢) وأحمد في المسند (٤/ ١٣٠ و٢٠٢) و(٥/ ٣٤٤)، والطيالسي في المسند رقم ١١٦١ و١١٦٢ (ص١٥٩، ١٦٠)، وعبدالرزاق في المصنف رقم ٢٠٧٠٩ (١١/ ٣٣٩ - ٣٤١)، والبخاري في الكبير رقم ٢٣٩١ (٢/ ٢٦٠)، وأبو يعلى في المسند رقم ١٥٧١ (٣/ ١٤٠ - ١٤٢)، وابن خزيمة في التوحيد رقم ١٠ (١/ ٣٦ - ٣٧)، وفي الصحيح رقم ٩٣٠ (٢/ ٦٤ - ٦٥)، و١٨٩٥ (٣/ ١٩٥ - ١٩٦)، والآجري في الشريعة رقم ٧ (١/ ٢٨٦)، والطبراني في الكبير رقم (٣٢٢٧ - ٣٤٣١ (٣/ ٢٨٥ - ٢٨٩)، وابن بطة في الإبانة رقم ١٢٤، ١٢٥ (١/ ٢٩١ - ٢٩٢) والحاكم في المستدرك (١/ ١٧١، ١١٨، ٤٢١ - ٤٢٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم =

الوضوءَ ثُمَّ قَامَ إِلى الصَّلاَةِ أَقْبَلَ اللَّه عَلَيْه بِوَجهِه فَلاَ يَنْصَرِفُ عَنْه حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِث حَدَث سُوءٍ»[1]، وقال جابر ﷺ عن النبي ﷺ: «إِذَا قَامَ العَبْدُ يُصلِّي أَقْبَل اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِه، فَإِذَا التَفَتَ أَعْرَضَ اللَّهُ ـ تعالى ـ عَنْهُ وَقَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا خَيْرٌ مِمن تَلْتَفِتُ إِلَيْه، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِه أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْه فَإِذَا التَفَتَ أَعْرَضَ عَنْهُ»[2].

= ١٥٧ (١/ ١٢٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم ٦٥٤ (٢/ ٨٧ ـ ٨٨) وفي الكبرى (٨/ ١٥٧).

وإسناده صحيح، وقد أورده بعض من خرجه مطولًا وبعضهم مقتصِرًا على آخره من قول النبي ﷺ، وبعضهم على قول يحيى عليه السلام فيما أمره به ربه سبحانه وتعالى: قال الحاكم في المستدرك (١/ ١١٨): «هذا حديث صحيح على ما أصلناه في الصحابة إذا لم نجد له إلا راويًا واحدًا، فإن الحارث الأشعري صحابي معروف، سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت الدوري يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: الحارث الأشعري له صحبة» ا هـ. وقال في الموضع الأخير (١/ ٤٢٢): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وقد حسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٦١) عند قوله ـ تعالى ـ من سورة البقرة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح٢٢٩٨ (٢/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم ٥٥٣ (١/ ٢١٩ ـ ٢٢١) وفي صحيح الجامع رقم ١٧٢٤ (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦) وفي تخريج أحاديث المشكاة رقم ٣٦٩٤ (٢/ ١٠٩١ ـ ١٠٩٢) وفي التعليق على صحيح ابن خزيمة (٣/ ٦٤) رقم ٩٣٠.

(١) عن حذيفة بن اليمان.

(٢) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار ح٥٥٢ (١/ ٢٦٧): حدثنا محمد بن مرداس الأنصاري حدثنا سالم بن نوح حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال.. فذكره مع اختلاف وزيادة في بعض ألفاظه.

وهو ضعيف، قال البزار عقبه: «لا نعلم رواه إلا جابر، ولا عنه إلا ابن المنكدر، ولا عنه إلا الفضل، والفضل خال المعتمر بن سليمان، بصري قصاص، وأحسب أنه كان يذهب إلى القدر ولا نكتب عنه إلا ما لم نجده عند غيره» ا هـ، وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٣٢): «رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وقد أجمعوا على ضعفه» ا هـ. وكذا ضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم ٦٢١ (ص٨٩) وفي السلسلة الضعيفة رقم ٢٦٩٤ (٦/ ٢١٨).

وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحدكُم فَلَا يَتَنَخَّمَنَّ تِجَاهَ الرَّحْمن»[(١)].

وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا قَامَ إِلى الصَّلَاةِ فإِنَّه بَيْنَ عَيْنَي الرَّحْمَن، فَإِذَا التفَتَ قَالَ لَهُ: يَا ابْنَ آدَم إِلى مَن تَلْتَفِت؟ إِلى خَيْر لَكَ مِنِّي تَلْتَفت؟»[(٢)].

رد طيب جميل للإمام الدارمي على المريسيّ

قال الدارمي رحمه الله في رده على المريسي بعد ذكره للآثار التي تثبت صفة الوجه لله عز وجل: ـ

«وعلى تصديق هذه الآثار والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والعلم. ولو لم يكن إلا ما رويت أيها المعارض عن وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة «أن العبد إذا قام يصلي أقبل اللّه عليه بوجهه، فادعيت أنه يقبل عليه بنعمته وثوابه،

---

(١) أخرجه البخاري بألفاظ متقاربة من حديث ابن عمر كقوله: «إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة» كتاب الأدب ح٦١١١ (ص١٢٩٦) وانظر منه كتاب الصلاة ح٤٠٦ والأذان ح٧٥٣ والعمل في الصلاة ح١٢١٣، وكذا ينظر كتاب المساجد ومواضع الصلاة من صحيح مسلم ح٥٠، ٥١ (١/ ٣٨٨).

(٢) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار ح٥٥٣ (١/ ٢٦٨): «حدثنا يوسف بن موسى حدثنا إسحاق بن سليمان عن إبراهيم بن يزيد عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا قام إلى الصلاة ـ أحسبه قال ـ قائما هو بين يدي الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ...» الحديث، وهو فيه: «بين يدي الرحمن» بدل «بين عيني الرحمن»، وقد ذكره القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات (٢/ ٣٤٧) باللفظ الأخير كما قال ابن القيم وكذا ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه (ص٢١٩).

قال البزار عقبه: «رواه طلحة بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة موقوفًا»، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٣٣): «رواه البزار، وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو ضعيف».

وأنه قد يقال: وجه اللَّه في المجاز، كما يقال: وجه الحائط، ووجه الثوب.

ويلك. فهذا مع ما فيه من الكفر محال في الكلام. فإنه لا يقال لشيء ليس من ذوي الوجوه: أقبل بوجهه على إنسان أو غيره إلا والمقبل بوجهه من ذوي الوجوه وقد يجوز أن يقال: للثوب وجه، وللحائط. ولا يجوز أن يقال: أقبل الثوب بوجهه على شيء أو على المشتري؛ وأقبل الحائط بوجهه على فلان. ولا يقال أقبل بوجهه على شيء إلا من له القدرة على الإقبال. ولك قادر على الإقبال ذو وجه.

هذا معقول مفهوم في كلام العرب. فإن جهلته فسم شيئًا من الأشياء ليس من ذوي الأوجه يجوز لك أن تقول، أقبل بوجهه على فلان. فإنك لا تأتي به. فأفهم.

وما أراك ولا إمامك تفهمان هذا وما أشبهه ولولا كثرة من يستنكر الحق ويستحسن الباطل ما اشتغلنا كل هذا الاشتغال بتثبيت وجه اللَّه ذي الجلال والإكرام.

ولو لم يكن فيه إلا اجتماع الكلمة من العالمين «أعوذ بوجه اللَّه العظيم، وأعوذ بوجهك يا رب، وجاهدت ابتغاء وجه الله، وأعتقت لوجه الله، لكان كافيا مما ذكرنا. إذ عقلته النساء والصبيان، والبر والفاجر، والعربي والعجمي، غير هذه العصابة الزائغة الملحدة في أسماء الله، المعطلة لوجه اللَّه ولجميع صفاته عز وجل وجهه، وتقدست أسماؤه.

لقد سببتم اللَّه بأقبح مما سبته اليهود ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وقلتم أنتم: يد اللَّه مخلوقة كلها ولما ادعيتم أنها نعمته ورزقه، لأن النعمة والأرزاق مخلوقة كلها، ثم زدتم عليها فادعيتم أن وجه اللَّه مخلوق.

إذ ادعيتم أن وجهه وجه القبلة ووجوه الأعمال الصالحة، وكوجه الثوب والحائط. وهذه كلها مخلوقة فادعيتم أن علمه وكلامه وأسماءه محدثة مخلوقة.

فما بقي لكم إلا أن تقولوا. هو بكماله مخلوق. فلذلك قلنا إنكم سببتم اللَّه

بأقبح مما سبته اليهود»[1].

● حديث لا يصح

قال الدارمي: «وروى المعارض عن شاذان عن حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «دخلتُ علَى ربِّي فِي جَنَّة عدن شابًا جعدًا فِي ثَوْبينِ أَخْضَرينِ» وليس هذا من الأحاديث التي يجب على العلماء نشرها في أيدي الصبيان، فإن كان منكرا عند المعارض، فكيف يستنكره مرة ثم يثبته أخرى، فيفسره تفسيرا أنكر من الحديث؟ واللَّه أعلم بهذا الحديث وبعلته. وغير أني أستنكره جدا لأنه يعارضه حديث أبي ذر أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: «هل رأيْتَ رَبَّك؟ فَقَال: نُورٌ أَنَّى أَرَّاه؟» ويعارضه قول عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: (من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على اللَّه الفرية وتلت: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَـٰرُ﴾ فهذا هو الوجه عندنا فيه.

والتأويل ـ واللَّه أعلم ـ لا ما ادَّعيت أيها المعارض أن تفسيره: إني دخلت على ربي في جنة عدن. كقول الناس: أتيناك ربنا شُعثًا غُبرًا من كل فج عميق لتغفر لنا ذنوبنا، وهذا تفسير محال لا يشبهه ما شبهت لأن في روايتك أنه قال: (رأيته شابا جعدًا في ثوبين أخضرين) ويقول أولئك. أتيناك شعثًا غبرًا أي قصدنا إليك نرجو عفوك ومغفرتك. ولم يقولوا أتيناك فرأيناك شابا جعدا في ثوبين أخضرين لتغفر لنا. هؤلاء قصدوا قصد الثواب والمغفرة، ولم يصفوا الذي قصدوا إليه بها والرجوع عنه»[2].

* **قال الدارمي:**

«وروى المعارض أيضًا عن عبداللَّه بن صالح عن معاوية بن صالح عن أبي يحيى عن أبي يزيد عن سلام عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسن

---

(١) رد الدارامي على المريسي ص١٦٤.

(٢) المصدر السابق ص١٦٥.

صُورة فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، فِيمَ يَخْتصمُ الملأُ الأَعلَى؟ فَقُلتُ: يَا رَبِّ لَا علمَ لِي، فَوضعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتفيَّ، حَتَّى وَجدتُ بَرْدَ أنَامِله فِي صَدْرِي. فَتَجَلَّى لِي مَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْض».

فادعى المعارض أن هذا يحتمل أن يقال: أتاني ربي من خلقه بأحسن صورة فانتفت تلك الصورة، وهي غير الله. والله فيها مدبر. فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري، يعني تلك الصورة التي هي من خلقه. والأنامل لتلك الصورة منسوبة إلى اللَّه على معنى أن الخلق كله لله.

فيقال لهذا المعارض: كم تدحض في قولك وترتطم فيه ليس لك به علم. أرأيتك إذا ادعيت أن هذه كانت صورة من خلق اللَّه سوى اللَّه أتته، فقالت له: هل تدري يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى، أفتتأول على رسول اللَّه ﷺ أنه أجاب صورة غير اللَّه فقال لها: «يا رب لا أدري» فدعاها ربًا، دون الله، أم أتته صورة مخلوقة فقال النبي ﷺ «أتاني ربي» إن هذا كفر عظيم ادَّعيته على رسول اللَّه ﷺ وأية صورة تضع أناملها وكفيها في كتف النبي ﷺ أنه أقر بالربوبية لصورة مخلوقة غير اللَّه؛ لأن في روَايتك: أن الصورة قالت له «هَلْ تَدرِي يَا مُحَمَّد» فقال لها: «لا يا رب» وهل يمكن أن تكون صورة مخلوقة تضع أناملها في كتف نبي مثل محمد، فينجلي في ذلك ما بين السماء والأرض أمور لم يكن يعرفها من قبل أن تضع تلك الصورة كفها بين كتفيه؟ ويحك لا يمكن هذا لجبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل. ولا يمكن هذا لغير الله، فلم تجلب على نفسك من الجهل والخطأ، وتتقلد من تفاسير الأحاديث الضعيفة ما لم يرزقك اللَّه معرفتها، ولا تأمن من أن يجرك اللَّه بذلك إلى كفر بالذي تأولت على رسول اللَّه ﷺ أن صورة مخلوقة كلمته فأجابها محمد: «يا رب» أم لله صورة لم يعرفها، فقال: «أتاني ربي» لما أن اللَّه في تلك الصورة مدبر؟ ففي دعواك يجوز لك، كلما رأيت كلبًا أو حمارًا أو خنزيرًا قلت: هذا ربي. لما أن اللَّه مدبر في صورهم في دعواك. وجاز لفرعون في دعواك أن يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ لما أن اللَّه مدبر في

صورته بزعمك، هذا أبطل باطل لا ينجع إلا في أجهل جاهل.

ويلك إن تأويل هذا الحديث على غير ما ذهبت إليه لما أن رسول الله ﷺ قال في حديث أبي ذر إنه لم ير ربه. وقال رسول الله ﷺ «لَنْ تَرَوا رَبَّكم حَتَّى تَمُوتُوا»، وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ «من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» وأجمع المسلمون على ذلك، مع قول الله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ يعنون أبصار أهل الدنيا. وإنما هذه الرؤية كانت في المنام.

وفي المنام يمكن رؤية الله على كل حال وفي كل صورة.

كذلك روى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «صلَّيتُ مَا شَاءَ الله مِنَ اللَّيل، ثمَّ وضعتُ جنبي، فَأتاني رَبِّي في أحسن صُورَة» فحين وجد هذا لمعاذ ابن جبل كذلك صرفت الروايات التي فيها إلى ما قال معاذ.

فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم.

لا ما ذهبت إليه من الجنون والخرافات.

فزعمت أن الله بعث إلى النبي ﷺ صورة في اليقظة كلمته فقال لها النبي ﷺ: يا رب، غير أني أظنك لو دريت أنه يخرجك تأويلك إلى مثل هذه الضلالات لأمسكت عن كثير منها.

غير أنك تكلمت على حد الجواز أمنا من الجواب، غارًّا أن ينتقد عليك» اهـ[1].

● غفر الله للشيخ صديق حسن خان: ـ

الشيخ صديق حسن خان كثيرا ما يثبت مذهب السلف وينصره في تفسيره «فتح البيان» ولكنه وقع في تأويل بعض الصفات كما في صفة الوجه، والرحمة والغضب والحياء وغيرها.

وذكره الشيخ محمد المغراوي مع المفسرين السلفيين يقول: «لأن الذي ترجح لدينا أن مذهبه سلفي في الصفات، وما وقع فيه من التأويل تبع فيه غيره،

---

(١) المصدر السابق ص١٦٥ ـ ١٦٧.

وقد ينقل الإنسان في بعض الأحيان عبارات غيره ويسكت عنها، وكان الأجدر به أن يتعقّب الخطأ بإظهار الصواب كما هي طريقة المحققين ولا سيما في هذا الباب، فإن ذِكر الخطأ وإقراره ليس بالأمر السهل، فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم واجبة في حق كل مسلم»[(١)].

قال الشيخ صديق حسن خان عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

«الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده: وقد تقدم في سورة البقرة بيان معنى هذا وقيل المعنى: وتبقى حجته التي يتقرب بها إليه والأول أولى والخطاب للنبي ﷺ أو لكل من يصلح له»[(٢)].

قال الشيخ المغراوي معلقًا: «وهذا الذي ذكره الشيخ في تفسير صفة الوجه هو قول المعطلة والصواب ما عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات صفة الوجه اللائقة بالله ـ تعالى ـ»[(٣)].

ونختم «صفة الوجه» بما قاله ابن القيم في نونيته:

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَدْ حَكَا ... هُ الدَّارِمِي عَنْهُ بِلَا نُكْرَانِ

مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ وَلَا نَهَا ... رٌ قُلتُ تَحْتَ الفُلْكِ يُوجَدُ زَانِ

نُورُ السَّمَاوَاتِ العُلَى مِنْ نُورِهِ ... وَالأَرْضُ كَيْفَ النَّجْمُ وَالقَمَرَانِ

مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَكَذَا حَكَاهُ الحَافِظُ الطَّبَرَانِي

فَبِهِ اسْتَنَارَ العَرْشُ وَالكُرْسِيُّ مَعْ ... سَبْعِ الطِّبَاقِ وسائِرِ الأغوارِ

---

(١) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للدكتور محمد المغراوي ـ دار طيبة ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ص٢٠٤.

(٢) تفسير صديق حسن خان ٩/ ٢٢٧.

(٣) المفسرون بين التأويل والإثبات ص٢٠٨.

الحُجُب

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

فالله عز وجل بائن من خلقه محتجب عنهم...

وقد مرّ حديث أبي موسى الأشعري وفيه: «حِجَابُه النُّورِ لَوْ كَشَفَه لأَحْرَقَتْ سَبَحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُه» وبلفظ آخر «حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره» حجابه النور أو النار. وسبحات وجهه: قال ابن تيمية: جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد»[١].

قال ابن تيمية: «فإن تردد الراوي في لفظ النار والنور لا يمنع ذلك، فإن مثل هذه النار الصافية التي كلم بها موسى يقال لها نار ونور، كما سمّى الله نار المصباح نورا، بخلاف النار المظلمة كنار جهنم لا تُسمى نورًا[٢].

وقال رحمه الله: «هي حجب تَحجِبُ العبادَ عن الإدراك، كما قد يحجب الغمام والسقوف عنهم الشمس والقمر، فإذا زالت تجلّت الشمس والقمر.

وأما حجبها لله عن أن يرى ويدرك فهذا لا يقوله مسلم؛ فإن الله لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وهو يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة السوداء، ولكن يحجب أن تصل أنواره إلى مخلوقاته كما قال: «لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه» فالبصر يدرك الخلق كلهم، وأما السبحات فهي محجوبة بحجابه النور أو النار.

* والجَهْمِيَّة لا تثبت له حُجُبًا أصلًا؛ لأنه عندهم ليس فوق العرش... وعند

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٧٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٣٨٧.

من أثبت الرؤية من الجهمية أن حجاب كل أحد معه، وكشفه خلق الإدراك فيه لأنه حجاب منفصل»[١].

* عن مجاهد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «احتجبَ اللَّهُ مِن خَلْقه بِأَربعِ: بِنَار وظُلْمَة، وَنُور وَظُلْمَة»[٢].

* وعن يونس بن عبيد عن مجاهد قال: «بيْنَ المَلائِكة وَبَيْنَ العَرْش سَبْعُونَ حِجَابًا مِن نَار، وَسَبْعُون حجَابًا مِنْ ظُلْمَة، وَحِجَاب مِنْ نُور، وَحِجَاب مِنْ ظُلْمَة»[٣].

قال أبو سعيد الدارمي: «من يقدِّر قدر هذه الحجب التي احتجب الجبار بها؟ ومن يعلم كيف هي غير الذي أحاط بكل شيء علما؟ ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

ففي هذا أيضًا دليل أنه بائن من خلقه، محتجب عنهم، لا يستطيع جبريل مع قربه إليه الدنّو من تلك الحجب، وليس كما يقول هؤلاء الزائغة: أنه معهم في كل مكان، ولو كان كذلك ما كان للحجب هناك معنى، لأن الذي هو في كل مكان لا يحتجب بشيء من شيء، فكيف يحتجب من هو خارج الحجاب كما هو من ورائه؟ فليس لقول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ عند القوم مصداق»[٤].

(١) المصدر السابق ٦/ ١٠، ١١.

(٢) صحيح موقوف: أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١١٨) ص٦١ وإسناده حسن - و«الرد على بشر المريسي» ص١٧٢، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٧٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٢٦٨).

(٣) صحيح عن مجاهد: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ رقم ٣٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٨٥٥، ٨٥٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٢٨١، ٢٨٦).
قال الذهبي في «العلو» ص١٣٢ - مختصره) «هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير».
وقال الألباني في «مختصر العلو» (١٣٢): «وأخرجه أبو الشيخ ...بإسناد صحيح رجاله ثقات كلهم».

(٤) الرد على الجهمية (١٢٠، ١٢١، ١٢٢ ص٦٢).

● **وقال الإمام الدارمي في رده على المريسي تحت عنوان: الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه: ـ**

«ثم طعن المعارض في الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه. فقال: روى وكيع، عن سفيان، عن عبيد المكتب، عن مجاهد، عن عمر: (احتجب الله عن خلقه بأربع: بنار، وظلمة، ونور) ففسره المعارض تفسيرا يضحك منه فقال: يحتمل أن تكون تلك الحجب آيات يعرفونها، ودلائل على معرفته أنه الواحد المعروف. إذ عرفهم بدلالاته، فهي آيات لو ظهرت للخلق لكانت معرفتهم كالعيان بها.

فيقال لهذا المعارض: عمن رويت هذا التفسير؟ ومن أي شيطان تلقيته؟ ومن ادعى قبلك أن حجب الله آياته التي احتجب بها؟ فما معنى قول الله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾؟ أمعناه ـ عندك ـ: من وراء الدلالات والعلامات؟ أم قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ أهو عندك ألا يروا يومئذ أنه الواحد المعروف بالوحدانية، وأنه ليس أحد يوم القيامة في دعواك عنه محجوب؛ لما أن كلًا يرى يومئذٍ دلالاته وعلاماته وآياته. وكل يعرف يومئذ أنه الواحد الأحد. فما موضع الحجاب يومئذ؟ وكيف صارت تلك الدلالات من نار، ونور، وظلمة؟ وما يصنع بذكر النار والنور والظلمة ها هنا في الدلالات والعلامات؟

قلت: وكذلك حديث أبي موسى عن النبي ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام: حجابه النار. لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره» ثم **قلت:** فتأويل الحجاب في هذا الحديث مثله في الحديث الأول: هي الدلالات التي ذكرها، وعلى أن الدلالات كشف عن الشيء لا حجاب ولا غطاء.

ثم قلت: فتأويل قوله: «لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه» لو كشف تلك النار لأحرقت سبحات وجهه ذلك العلم الدال عليه.

قلت: ويحتمل قوله: «سبحات وجهه» ذلك العلم. وذلك العلم وجه يتوجه برؤيته إلى معرفة الله. كقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قلت قبلة الله.

فيقال لهذا المعارض: نراك أكثرت لحاجتك في رد هذا الحديث، إنكارًا منك لوجه الله، إذ تجعل ما أخبر رسول الله ﷺ بلسان عربي مبين معقول في سياق اللفظ أنه وجه الله نفسه، فجعلته أنت وجه العلم. ووجه القبلة، وإلا قال رسول الله ﷺ: «حجب الله النار، لو كشفها عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره: فإن لم تتحول العربية عن معقولها إنه لوجه الله حقا كما أخبر رسول الله ﷺ. ولو كانت سبحات وجوه الأعلام لقال النبي ﷺ: «حجابه النار لو كشفها لأحرقت النار سبحات وجوه الخلق». والخلق كلها. وما بال تلك النار تحرق من العلم سبحاته، وتترك سائره؟ وإنما تفسير السبحات الجلال والنور فأي نور لوجوه الخلق حتى تحرقها النار منهم؟

وما للنار تحرق منهم سبحاتهم بعد أن يكشفها الله عن وجهه. ولاتحرقها قبل الكشف؟ فلو قد أرسل الله منها حجابًا واحدًا لاحترقت الدنيا كلها. فكيف سبحات وجوه الخلق؟ ويحك إن تأويل هذا بين، لا يحتاج إلى تفسير، وإنما تقول احتجب الله بهذه النار عن خلقه بقدرته وسلطانه، لو كشفها لأحرق نور وجه الرب وجلاله كل ما أدركه بصره وبصره مدرك كل شيء، غير أنه يصيب ما يشاء، ويصرفه عما يشاء.

كما أنه حين تجلَّى للجبل تجلَّى لذلك الجبل خاصةً من بين الجبال. ولو قد تجلَّى لجميع جبال الأرض لصارت كلها دكًا. كما صار جبل موسى. ولو قد تجلى لموسى كما تجلى للجبل لجعله دكًا. وإنما خرَّ موسى صعقًا مما هاله من الجبل، مما رأى من صوته حين دك فصار في الأرض.

وحدثنا موسى بن إسماعيل، عن وهب، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ في كسوف الشمس والقمر فقال: «إِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِذَا تَجَلَّى لِشَيءٍ مِنْ خَلَقِهِ خَشَعَ لَه».

وإنما كانت تحرق سبحات وجهه لو كشفها كل شيء في الدنيا، لأن الله كتب الفناء عليها، وركب ما ركب من جوارح الخلق للفناء، فلا يحتمل نور البقاء. فتحترق به أو تُدَكَّ كَمَا دُكَّ الجبل. فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار والجوارح للبقاء، فاحتملت النظر إلى وجهه، وإلى سبحاته ونور وجهه من غير أن يحرق أحدا.

كما لو أن جسم رجل وَأَعظمه وَكُلُّه لو ألقى في الدنيا في تنور مَسْجُور لصار رمادًا في ساعةٍ فهو يحترق في نار جَهنَّم ألف عام وأكثر، ونارها أشد حرًا من نار الدنيا سبعين ضعفا، ولا يصير فيها رمادا، ولا يموت ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ لأن أجسامهم وأبصارهم وأسماعهم تركبت يومئذ للبقاء فاحتملت من عذاب جهنم ما لم تكن تحتمل جزءا من ألف جزء من عذاب الدنيا.

وكذلك أولياء اللَّه ـ تعالى ـ تحتمل أبصارهم النظر إلى وجه الله. ولو قد أدركهم شيء من سبحات وجهه في الدنيا لاحترقوا. كما قال رسول اللَّه ﷺ، ولم تحتملها أبصارهم. فهذا تأويل حديث رسول اللَّه ﷺ الذي تدل عليه ألفاظه، لا ما تأولت له من التفسير المقلوب، الذي لا ينقاس للفظ الحديث، إلا أن ينقلب لفظه كما قلبت تفسيره. فاربح العناء، إن ظاهر ألفاظه تشهد عليك بالتكذيب بالتوحيد»[١].

● **غفر اللَّه للإمام القرطبي صاحب التفسير: ـ**

قال الإمام القرطبي في «التذكرة»:

«يكشف الحجاب معناه أن يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والكمال، والرفعة والجمال، لا إله إلا هو سبحانه عما يقول الزائغون.

---

(١) رد الدرامي على المريسي ص١٧٠ ـ ١٧٣.

فذكر الحجاب إنما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق، فهم المحجوبون، والباري جل اسمه وتقدست أسماؤه، منزه عما يحجب إذ الحجب إنما يحيط بقدر محسوس، وذلك من نعوتنا، ولكن حجبه عن أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء.

وروى في صحيح الأحاديث أن اللّه ـ تعالى ـ إذا تجلّى لعباده ورُفعت الحجب عن أعينهم، فإذا رأوه تدفقت الأنهار واصطفت الأشجار، وتجاوبت السرر والغرف بالصرير والأعين المتدفقات بالخرير، واسترسلت الريح المثيرة، وبثت في الدور والقصور المسك الأذفر، والكافور، وغرّدت الطيور، وأشرقت الحور العين»[1].

ما ذكره الإمام القرطبي من التأويل في حجاب اللّه ـ تعالى ـ باطل، والصواب إثبات الحجاب لله ـ تعالى ـ كما أثبته له رسول اللّه ﷺ، وما ذكره من الشبهة، فذاك شيء يقع في نفس كل مؤول فيحمله على التأويل».

وقفة هامة:

اعلم يا أخي أن البيهقي مع مخالفته للسلف في كثير من الصفات الخبرية، فإنه في صفة الوجه موافق لمذهب السلف كما يظهر ذلك فيما نقله الحافظ ابن حجر عنه وانظر لذلك كتاب «البيهقي وموقفه من الإلهيات» ص٢٣٢.

أما الحافظ ابن حجر وكذا ابن بطّال فإنهما خالفا المنهج السلفي في كثير من الصفات غفر اللّه لهما..

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]

عند كلام ابن حجر على هذه الآية في أول فتح الباري بيّن أنَّ في تفسيرها قولين للعلماء:

---

(١) «التذكرة» للقرطبي ص٥٩٠ ـ ٥٩١.

أحدهما: أن المراد ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: جلاله، وقيل: إلا إياه. تقول: أكرم الله وجهك أي: أكرمك الله.

والثاني: أن المراد به: إلا ما ابتغي به وجه الله من الأعمال الصالحة.

قال الحافظ: «ويتخرّج هذان القولان على الخلاف في جواز إطلاق «شيء» على الله، فمن أجازه، قال: الاستثناء متصل، والمراد بالوجه الذات، والعرب تعبِّر بالأشرف عن الجملة. ومن لم يجز إطلاق «شيء» على الله، قال: هو منقطع، أي: لكن هو تعالى لم يهلك، أو متصل، والمراد بالوجه ما عمل لأجله»(١).

وقد ذكر كُلًّا من القولينْ في تفسير الآية الإمام الطبري في تفسيره(٢)، وزاد بألا منافاة بين القولين، فالقول الأخير إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أُريد به وجه اللّه تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة.

والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية إلّا ذاته ـ تعالى ـ وتقدس، فإنه الأول والآخِر الذي هو قبل كل شيءٍ، وبعد كل شيءٍ(٣).

ولشيخ الإسلامِ ابن تيمية كلام على هذه الآية يُرجِّح فيه الوجه الثاني في تفسير الآية، مستدِلًّا بسياق الآية، حيث جاء ذكر قوله ـ تعالى ـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ بعد قوله ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

قال شيخ الإسلام: «فإن ذكره ذلك بعد نهيه عن الإشراك، وأن يدعو معه إلهًا آخر، وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقتضي أظهر الوجهين، وهو أن كل شيءٍ هالك إلّا ما كان لوجهه من الأعيان والأعمال وغيرهما»(٤).

وهذا القول مبني على أن لفظ «الوجه» في الآية مصدر بمعنى التوجّه،

---

(١) فتح الباري (٨/ ٥٠٥).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٩).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٤٢٧.

والقصد، كما قال الشاعر:

اسْتَغْفِرُ اللَّه ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيه   رَب العبَاد إِلَيْه الوَجه وَالعَمَل[١]

أي: إليه أوجِّه عملي[٢].

ثم إنه يُسمَّى به المفعول، وهو المقصود المتوجِّه إليه، كما في اسم الخلق، ويسمى به الفاعل المتوجِّه، كوجه الحيوان، يُقال: أردت هذا الوجه، أي: هذه الجهة والناحية[٣].

* وأما القول الأوّل فهو مبنيّ على أن لفظ «الوجه» في الآية يراد به ما هو معلوم من معناه في اللغة، وإذا كان كذلك يكون ما ذكره الحافظ من أن المراد بالوجه الذات تأويلًا للآية على خلاف ظاهرها، وليس فيه إثبات للوجه على حقيقته، فإنه «لا يُعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه»[٤].

فالواجب إثبات الوجه على حقيقته كما يليق باللَّه ـ تعالى ـ، وأن يُقال: «إنه أسند البقاء إلى الوجه[٥]، ويلزم منه بقاء الذات، بدلًا من أن يُقال: أطلق الوجه وأراد الذات»[٦].

قال ابن خزيمة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «نحن نقول، وعلماؤنا جميعًا في جميع الأقطار: إن لمعبودنا ـ عز وجل ـ وجهًا، كما أعلمنا في محكم تنزيله، فذَوَّاه[٧]

---

(١) هذا البيت من أبيات سيبويه التي لا يُعرف قائلها. انظر «كتاب سيبويْه» بتحقيق عبدالسلام محمد هارون (١/ ٣٧) طبع ونشر عالم الكتب ـ بيروت.

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٧٤).

(٣) «مجمع الفتاوى» (٢/ ٤٢٨).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٣٧).

(٥) وذلك صريح في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

(٦) شرح العقيدة الواسطية للهراسي ص١٤.

(٧) وَصَفَه.

بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك.

ونقول: إن لوجه ربنا عز وجل من النور، والضياء، والبهاء، ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، محجوب عن أبصار أهل الدنيا، لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية»[1].

* * *

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ٥٣.

إثبات وَصْف اللَّه ـ تعالى ـ بالصُّورَة

ثبت وصف اللَّه ـ تعالى ـ بالصورة في عدة أحاديث[١]، أخرج البخاري منها ثلاثة أحاديث في صحيحه.

- **الحديث الأول**: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق اللَّه آدم على صورته، طوله ستون ذراعا..... .....» الحديث[٢].
- **الحديث الثاني**: حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وفيه: «وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّة فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِم اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَة التِي يَعْرِفُون، فَيَقُولُ: أَنَا رَبّكُم، فَيَقُولونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرفْنَاهُ، فَيَأْتِيهُم اللَّه فِي الصُّورَة الَّتِي يَعرِفُون، فَيقُول: أَنَا رَبُّكُم، فَيَقُولُون: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبعُونَهُ»[٣].
- **الحديث الثالث**: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو مثل حديث أبي هريرة السابق طولًا وموضوعًا، وفيه: «**فَيَأْتِيهُمْ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرَ صُورتِهِ التِي رَأَوْه فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمه إلا الأَنبِيَاءُ**»[٤].

فجمهور السلف قد أثبتوا صفة الصورة لله استدلالًا بهذه الأحاديث وما في معناها من الأحاديث، ولكنّ بعض العلماء من أهل السُّنّة خالف في وصف اللَّه ـ تعالى ـ بالصورة، وأشهر من خالف في ذلك من الأئمة الإمام ابن خزيمة رحمه الله[٥]،

---

(١) اعتنى فضيلة الشيخ عبدالله الغنيمان بإيراد هذه الأحاديث، واستقصاء طرقها في كتابه «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (٢/ ٢٩ ـ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري ـ مع الفتح: (١١/ ٣) برقم (٦٢٢٧)، كتاب الاستئذان ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٨).

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح (١١/٤٤٤ ـ ٤٤٥)، برقم (٦٥٧٤)، كتاب الرقاق.

(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢) برقم (٧٤٣٩) كتاب التوحيد.

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٨٤ ـ ٩٤).

والإمام أبو عبدة ابن منده ـ رحمه الله [١] ـ، والشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في هذا الحديث [٢] عائد إلى اللَّه ـ تعالى ـ، فإنه مستفيض، عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها تدلُّ على ذلك...» إلى أن قال: «ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة، جعل طائفة الضمير فيه عائدا إلى غير اللَّه ـ تعالى ـ حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسُّنَّة في عامة أمورهم، كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني، وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة» [٣].

أما الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد تعرّض لهذه المسألة في خمسة مواضع من «الفتح»، فتكلّم فيها على أحاديث الصّورة، وذكر أقوال الناس في تفسيرها، وأكثرها تأويلات للأحاديث لنفي صفة الصورة عن اللَّه ـ تعالى ـ، على خلاف مذهب السّلف في إثباتها على ظاهرها كما يليق باللَّه ـ تعالى ـ وبيان ذلك فيما يلي:

- **أ ـ أخرج البخاري حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه»** [٤].

وفي شرح هذا الحديث بيّن الحافظ أنّ مسلمًا أخرجه من حديث أبي هريرة ـ أيضًا ـ وزاد: «فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» [٥]، ثم قال الحافظ: «واختلف في

---

(١) كتاب التوحيد لابن منده (١/٢٢٢ ـ ٢٢٤).

(٢) حديث أبي هريرة: «خلق الله آدم على صورته».

(٣) نقل هذا الكلام الشيخ الغنيمان في كتابه «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (٢/ ٦٠ ـ ٦٨) ونسبه إلى كتاب «نقض التأسيس» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٠٢) فيما بعد.

(٤) فتح الباري (٥/ ١٨٢) برقم (٢٥٥٩).

(٥) انظر: «صحيح مسلم» ـ بشرح النووي ـ: (١٦/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه.

الضّمير على من يعود؟».

* فالأكثر على أنّه يعود على المضروب، لما تقدّم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها.

* وقال القرطبي: أعاد بعضهم الضمير على اللّه متمسّكًا بما ورد في بعض طرقه: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»[1]، قال: وكأنَّ مَنْ رَوَاه أورده بالمعنى متمسكًا بما توهّمه فغلط في ذلك.

* وقد أنكر المازريّ ومن تبعه صحّة هذه الزيادة، ثم قال: وعلى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى.

* قلت[2]: الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في «السنّة»[3]، والطبراني[4] من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات، وأخرجها ابن أبي عاصم ـ أيضًا ـ من طريق أبي يونس[5] عن أبي هريرة بلفظ يردّ التأويل.

- **الأوّل**[6]، قال: «من قاتل فليجتنب الوجه، فإنّ صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن»[7].

فتعيّن إجراء ما في ذلك على ما تقرّر بين أهل السّنّة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن ـ جلَّ جلاله ـ.

---

(١) سيذكر الحافظ تخريجه فيما يأتي قريبًا.

(٢) القائل هو الحافظ.

(٣) «السنة»، لابن أبي عاصم، (ص٢٣٠)، رقم (٥١٧).

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني: (١٣/ ٤٣٠)، وأخرجه ـ أيضًا ـ ابن خزيمة في «التوحيد»: (١/ ٨٤ ـ ٨٥)، وأعلّه بثلاث علل.

(٥) هو سليم بن جبير الدّوسيّ، أبو يونس المصريّ، مولى أبي هريرة، ثقة، توفي سنة (١٢٣هـ). «تقريب التهذيب»: (١/ ٣٢٠).

(٦) يعني ما تقدّم ذكره من قول من قال: إن الضمير في قوله: «على صورته» يعود على المضروب.

(٧) «السنة»، لابن أبي عاصم، (ص ٢٣٠)، برقم (٥١٢).

* وسيأتي في أوّل كتاب الاستئذان(١) من طريق همام(٢)، عن أبي هريرة رفعه: «خلق اللَّه آدم على صورته...». الحديث(٣)، وزعم بعضهم أنّ الضمير يعود على آدم، أي: على صفته، أي: خلقه موصوفًا بالعلم الذي فضل به الحيوان، وهذا محتمل.

* وقد قال المازري: غلط ابن قتيبة فأجرى هذا الحديث على ظاهره، وقال: صورة لا كالصورة. انتهى.

* وقال حرب الكرماني في «كتاب السنة»: سمعت إسحاق بن راهوية يقول: صحّ أنّ اللَّه خلق آدم على صورة الرحمن.

وقال إسحاق الكوسج(٤): سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح.

* وقال الطبراني - في «كتاب السنّة» -: حدثنا عبداللَّه بن أحمد بن حنبل. قال: قال رجل لأبي: إن رجلًا قال: خلق اللَّه آدم على صورته، أي صورة الرجل، فقال: كذب، هو قول الجهميّة. انتهى(٥).

* وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد من طريق ابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة مرفوعًا: «لَا تَقُولَنّ قَبّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَه وَجْهَكَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدمَ عَلَى صُورَتِهِ»(٦)، وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك. وكذلك أخرجه ابن أبي عاصم أيضًا من طريق أبي رافع، عن أبي هريرة بلفظ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإنّ اللَّه خلق آدم على صورة

---

(١) هو الموضع الثالث الذي تعرض فيه للكلام على صفة الصورة، كما سيأتي.
(٢) هو همام بن منبّه.
(٣) سبق ذكر هذا الحديث.
(٤) هو إسحاق بن منصور بن بَهرام الكوسج، أبو يعقوب التميمي، المروزي، ثقة ثبت.
(٥) انظر «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة» ص٣٥٨.
(٦) «الأدب المفرد» للبخاري ص٧١ برقم (١٧٣)، ط٢ نشر المطبعة السلفية بالقاهرة، و«مسند أحمد» (٢/ ٤٣٤، ٥٢١).

وجهه[1]»[2].

هذا ما ذكره الحافظ في الموضع الأوّل، وأهمّ ما جاء فيه:

أوّلًا: تصحيح رواية: «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، وبيان من صحّحه - أيضًا - من الأئمة، كالإمام أحمد، وإسحاق بن راهوية. وفي ذلك ردّ على من ضعف هذه الروّاية[3]؛ فإن هؤلاء الأئمة الذي صحّحوها أجلُّ ممَّن ضعَّفوها.

ثانيًا: بيان أنّ إعادة الضمير في حديث: «خلق الله آدم على صورته» على غير الله - تعالى - هو قول الجهمية، كما قال الإمام أحمد بن حنبل. وفي ذلك ردّ على جميع التأويلات التي حكاها الحافظ من أقوال الذين جعلوا الضمير عائدًا على آدم، أو على المضروب، أو على المقول له ذلك، فإنّ هذه الأقوال مخالفة لما ذهب إليه جمهور السّلف من أنّ الضمير فيه عائد على الله ﷻ، كما تَقَدّم في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية[4].

ثالثًا: إقرار الحافظ بتعينّ إجراء ما في هذا الحديث على ما تقرّر بين أهل السنّة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جلّ جلاله.

والصواب هو تعينّ إجرائه على ظاهره كما يليق بالله - تعالى - من غير تشبيه

---

(١) «السنة»، لابن أبي عاصم، (ص٢٢٧ - ٢٢٨)، برقم (٥١٦).

(٢) «فتح الباري»: (٥/ ١٨٣).

(٣) كابن خزيمة من المتقدّمين وكذا المازري، والقرطبي - كما حكى الحافظ عنهما في شرحه -، ومن المعاصرين الشيخ الألباني، كما في تعليقه على الحديث في «السنة»، لابن أبي عاصم، (ص٢٢٩).

(٤) انظر (ص٨٢٠)، ولشيخ الإسلام - أيضًا - كلام طويل في ردّ هذه التأويلات بحجج قويّة مقنعة، نقله الشيخ الغنيمان في كتابه «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»: (٢/ ٦٧ - ٩٨).

ولا تأويل، فإنّ التّأويل ليس من منهج أهل السنة المتمسكين بما كان عليه السّلف الصالح، كما أنّ التّشبيه ليس من منهجهم ـ أيضًا ـ.

فليس لأهل السنة والجماعة في نصوص الصفات إلا منهج واحد، هو إجراؤها على ظاهرها من غير تشبيه ولا تكييف، ومن غير تأويل ولا تعطيل، كما سبق بيان ذلك مرارًا.

وأما قول المازري: «غلط ابن قتيبة فأجرى هذا الحديث على ظاهره، وقال: صورة لا كالصور». انتهى.

فما جعله غلطًا هو الصّواب، فإنّ ابن قتيبة حكى أقوال أهل التأويل في الحديث، ثم قال: «والذي عندي ـ والله تعالى أعلم ـ أنّ الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلفُ لتلك؛ لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن. ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفيّةٍ ولا حدّ»[1] وهذا هو الحقّ الذي يتحتّم على المؤمن أن يتمسّك به، ويسير عليه في حديث الصورة وغيرها من أحاديث الصفات.

فالغلط إذًا هو قول من نفى ما أطلقه الله على نفسه في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ[2].

● ب ـ وفي شرح (باب خلق آدم وذرّيّته)

من كتاب أحاديث الأنبياء، أشار الحافظ إلى حديث: «خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعًا»، ثم قال: «وهذه الرواية تؤيّد قول من قال: إنّ الضّمير لآدم، والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ أوجده كاملًا سويًا من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقّب ذلك بقوله: «وطوله ستّون ذراعًا» فعاد الضّمير ـ أيضًا ـ على آدم».

---

(١) «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، (ص١٩٩)، ط١ سنة (١٤٠٢هـ)، دار الكتب الإسلامية، القاهرة.

(٢) انظر: «التعليق على فتح الباري»، للشيخ عبدالله الدويش، (ص ٦ - ٧).

وقيل: معنى قوله: «على صورته» أي لم يشاركه في خلقه أحد، إبطالًا لقول أهل الطبائع. وخصّ بالذّكر تنبيهًا بالأعلى على الأدنى، والله أعلم[(١)].

وما ذكره الحافظ في هذا الموضع - وإن ذهب إليه بعض الأئمة من أهل السنة - فقد سبق أنّه مخالف لما ذهب إليه السّلف في القرون المفضّلة، وأنّه من التأويلات التي أحدثها الجهميّة لنفي صفات الله - تعالى -.

وقد ردّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا التّأويل المذكور هنا، حيث قال: «من قال: إنّ الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهميّ، وأيُّ صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه»[(٢)].

* جـ - وفي شرح كتاب الاستئذان، حيث أخرج البخاريّ حديث:

«خلق الله آدم على صورته، طوله ستّون ذراعًا...» الحديث.

قال الحافظ: «قوله: «خلق الله آدم على صورته» تقدم بيانه في بدء الخلق[(٣)]، واختلف إلى ماذا يعود الضمير؟

* **قيل:** إلى آدم، أي خلقه على صورته التي استمرّ عليها إلى أن أُهبط، وإلى أن مات، دفعًا لتوهّم من يظنّ أنّه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى، أو ابتدأ خلقه كما وجد لم ينتقل في النّشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة.

وقيل: للردّ على الدّهريّة أنّه لم يكن إنسانًا إلّا من نطفة، ولا تكون نطفة إنسانًا إلّا من إنسان، ولا أوّل لذلك.

فبيَّن أنّه خلق من أوّل الأمر على هذه الصورة.

وقيل: للرّدّ على الطبائعيّين الزاعمين أنّ الإنسان قد يكون من فعل الطبع

---

(١) «فتح الباري»: (٦/ ٣٦٦).

(٢) «المسائل والرسائل المرويّة عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة»، (ص ٣٥٧)، برقم (٣٣٤). وانظر أيضًا: (ص٣٥٨)، رقم (٣٣٦).

(٣) قلت: سبق بيانه في كتاب أحاديث الأنبياء، وهو الموضع الثاني المتقدم قريبًا، وليس في كتاب بدء الخلق.

وتأثيره.

وقيل: للرّدّ على القدريّة الزاعمين أنّ الإنسان يخلق فعل نفسه.

وقيل: إنّ لهذا الحديث سببًا حذف من هذه الرواية، وأن أوّله قصّة الذي ضرب عبده، فنهاه النبيﷺ عن ذلك، وقال له: «إن اللَّه خلق آدم على صورته»، وقد تقدّم بيان ذلك في كتاب العتق[1].

وقيل: الضمير لله، وتمسّك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه: (على صورة الرحمن)[2]، والمراد بالصورة الصّفة، والمعنى: أن اللَّه خلقه على صفته من العلم، والحياة، والسّمع، والبصر، وغير ذلك، وإن كانت صفات اللَّه ـ تعالى ـ لا يشبهها شيء»[3].

وما ذكره الحافظ في هذا الموضع من عود الضمير إلى آدم تقدّم بيان ما عليه، وأنّه خلاف قول السّلف.

وما قيل في ذلك من العلل من كون الحديث ورد لدفع التّوهّم، أو للرّدّ على الدهريّة، أو الطبائعيّين، أو القدريّة، ليس على شيء من ذلك دليل، كما أنّ دلالة الحديث على بطلان هذه الأمور ليست ظاهرة، بل أدلّة بطلانها ظاهرة معلومة في الكتاب والسّنّة»[4].

وأما قول الحافظ: «والمراد بالصورة: الصفة.....إلخ». فهو من التأويل الفاسد، وذلك أن الصّورة: هي الصّورة الموجودة في الخارج، ولفظ «صَوَرَ» يدل على ذلك، وما من موجود من الموجودات إلّا له صورة في الخارج.

وأمّا الصّفة: فهي ـ في الأصل ـ مصدر وَصَفْتُ الشيءَ، أَصِفُهُ، وَصْفًا، ثم يُسمُّونَ المفعول باسم المصدر صفةً.

---

(١) هو الموضع الأول المتقدم.

(٢) قد تقدّم في الموضع الأول تصحيح الحافظ لهذه الرواية، وبيان من صحّحها من الأئمة.

(٣) «فتح الباري»: (١١/ ٣).

(٤) انظر: «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للشيخ الغنيمان: (٢/ ٨٢).

فتفسير الصورة بمجرّد الصِّفة التي تقوم بالأعيان، كالعلم، والقدرة، فاسد؛ لأنَّه لا يوجد في الكلام أنَّ قول القائل ـ مثلًا ـ: صورة فلان، يراد بها مجرّد الصفات القائمة به من العلم، والقدرة، ونحو ذلك. بل هذا من البهتان على اللغة وأهلها.

وأيضًا فحيث دلّ لفظ الصُّورة على صفة قائمة بالموصوف، أو على صفة قائمة بالذّهن واللّسان، فلا بدّ مع ذلك أن يدلّ على الصّورة الخارجيّة[١].

ومما يبيّن بطلان هذا التأويل ـ أيضًا ـ «أنْ يقال: المشاركة في بعض الصفات، واللوازم البعيدة، إمّا أن يصحّح قول القائل: إنّ اللَّه خلق آدم على صورة الله، أو لا يصحّح ذلك، فإن لم يصحّح ذلك؛ بطل قولك.

وإن كانت تلك المشاركة تصحّح هذا الإطلاق، جاز أن يقال: إن اللَّه خلق كلّ ملك من الملائكة على صورته، بل خلق كلّ حيّ على صورته، إذ ما من شيء من الأشياء إلّا وهو يشاركه في بعض اللوازم البعيدة، كالوجود، والقيام بالنفس، وحمل الصفات.

فعلى هذا يصحُ أن يقال في كل جسم، وجوهر: إنّ اللَّه خلقه على صورته. فبطل هذا التّأويل على التقديرين»[٢].

● **د ـ وفي شرح حديث: «فيأتيهم اللَّه في صورته التي يعرفونها»**.

نقل الحافظ عن القاضي عياض أنّ المراد بالصورة: الصّفة. قال: «والمعنى فيتجلّى لهم بالصّفة التي يعلمونه بها، وإنما عرفوه بالصفة، وإن لم تكن تقدّمت لهم رؤيته؛ لأنّهم يرون ـ حينئذ ـ شيئًا لا يشبه المخلوقين، وقد علموا أنه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، فيعلمون أنّه ربّهم، فيقولون: أنت ربّنا.

---

(١) هذا الرّدّ مأخوذ ـ بتصرف واختصار ـ من كلام شيخ الإسلام الذي نقله الشيخ الغنيمان في كتابه «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (٢/ ٦١، ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٨٧).

وعبّر عن الصفة بالصورة لمجانسة الكلام لتقدّم ذكر الصورة»[1].

ونقل عن ابن الجوزي قال: «معنى الخبر: يأتيهم الله بأهوال يوم القيامة، ومن صور الملائكة بما لم يعهدوا مثله في الدنيا، فيستعيذون من تلك الحال، ويقولون: إذا جاء ربنا عرفناه، أي إذا أتانا بالمعرفة من لطفه، وهي الصورة التي عبّر عنها بقوله: «يكشف عن ساق»[2]، أي عن شدّة»[3].

وقد تضمن ما ذكره الحافظ في هذا الموضع تأويل الصّورة بالصفة[4]، كما هو قول القاضي عياض. وتأويلها بالشدّة والأهوال، أو بصور الملائكة، كما هو قول ابن الجوزي.

فأمّا تأويلها بالصفة، فتقدّم أن تفسير الصورة بمجرّد الصفة فاسد.

وأمّا تأويلها بأهوال يوم القيامة فسياق الحديث يأبى هذا التّأويل ويردّه، وهو تحكّم باطل في النصّ[5].

وكذلك تأويلها بصور الملائكة من أبطل الباطل؛ لأنّه فوق كونه بعيدًا عن ظاهر النصّ يتضمّن شركًا بالله ـ تعالى ـ، حيث جعلوا الملك هو الذي يدّعي الربوبيّة، ويحاسب العباد، ويسجدون له، وأيّ شرك بعد هذا؟! وإنما وقع هؤلاء في هذا لانحرافهم عن منهج السّلف، ومحاولتهم صرف النصّ عن ظاهره ليوافق ما اعتقدوه من انتفاء صفة الصورة عن الله تعالى، وسبحان الله عما يصفون.

هـ ـ وشرح الحافظ الحديث السابق في كتاب التوحيد، فقال: «وقوله فيه: «فيأتيهم الله في صورة» استدل ابن قتيبة بذكر الصورة على أن لله صورة لا كالصور، كما ثبت أنّه شيء لا كالأشياء، وتعقّبوه.

---

(١) سبق ذكره في (ص ٨٢٠).

(٢) «فتح الباري»: (١١/ ٤٥٠).

(٣) هذا اللفظ وارد في نفس الحديث.

(٤) «فتح الباري»: (١١/ ٤٥١).

(٥) انظر: «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان: (٢/ ٦١ - ٦٣).

وقال ابن بطال: تمسّك به المجسّمة فأثبتوا لله صورة، ولا حُجّة لهم فيه، لاحتمال أن يكون بمعنى العلامة وضعها اللّه لهم دليلًا على معرفته، كما يسمّى الدليل والعلامة صورة، وكما تقول: صورة حديثك كذا، وصورة الأمر كذا، والحديث والأمر لا صورة لهما حقيقةً.

وأجاز غيره أنّ المراد بالصورة الصفة، وإليه ميل البيهقي، ونقل ابن التين أنّ معناه صورة الاعتقاد.

وأجاز الخطابي أن يكون الكلام خرج على وجه المشاكلة لما تقدم ذكر الشمس والقمر والطواغيت،....

وقال غيره: في قوله: «في الصورة التي يعرفونها» يحتمل أن يشير بذلك إلى ما عرفوه حين أخرجّ ذريّة آدم من صلبه، ثم أنساهم ذلك في الدنيا، ثم يذكرهم بها في الآخرة.

وقوله: «فإذا رأينا ربنا عرفناه»، قال ابن بطال عن المهلب: إن اللّه يبعث لهم ملكًا ليختبرهم في اعتقاد صفات ربّهم الذي ليس كمثله شيء، فإذا قال لهم: أنا ربكم، رَدّوا عليه، لما رأوا عليه من صفة المخلوق. فقوله: «فإذا جاء ربنا عرفناه»، أي: إذا ظهر لنا في مُلْك لا ينبغي لغيره، وعظمة لا تشبه شيئًا من مخلوقاته، فحينئذ يقولون: أنت ربّنا»[(١)].

هذا ما ذكره الحافظ في آخر موضع تعرّض فيه للكلام على صفة الصّورة[(٢)]، ومعظم ما ذكر في هذا الموضع مما سبق نحوه في المواضع المتقدّمة.

* فقد تقدّم بيان قول ابن قتيبة، وأنّ ما قاله هو الصحيح في هذا الباب، لأنّه مذهب السّلف الصالح في القرون المفضّلة قبل نشأة بدعة التّأويل.

فقول الحافظ هنا: «وتعقّبُوه»، هذا التعقّب باطل، لأنه معارض للحقّ،

---

(١) انظر: المرجع نفسه (٢/ ٦٥).

(٢) «فتح الباري»: (١٣/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨).

مخالف لمذهب السّلف.

* وبهذا يُعلَم بطلان ما قاله ابن بطال، حيث وصف من أثبت الصورة لله - تعالى - بالمجسّمة، كدأب غيره من المؤوّلة والنّفاة في نبذ أهل السنة المثبتين لصفات اللّه - تعالى - بما هم بريئون منه.

والاحتمالات التي أبداها في معنى الصورة هي من جنس تفسير الصورة بالصفة، وقد تقدّم بيان فساده، وأنّ الصورة لا تكون إلا حقيقية موجودة في الخارج، وقولهم حديثك كذا، وصورة الأمر كذا، يعني أنّ له صورة موجودة في الخارج، ثم تلك الصور الموجودة ترتسم في النفس صورة ذهنية تكون مطابقة للصور الخارجيّة. وإذا كان ما في النفس من العلم بالشيء يسمّى مثلًا له، وصفة.

فالصورة الذهنيّة: هي المثل الذي يسمّى - أيضًا - صفة، ومثلًا.

ولهذا يقال: تصوّرت الشيء، وتمثلت الشيء، وتخيّلته، إذا صار في نفسك صورته ومثاله وخياله. كما يسمّى مثاله الخارجيّ صورة[1]، فبطل قول ابن بطال: «والحديث والأمر لا صورة لهما حقيقة»[2].

* وما أجازه الخطابيّ من أنّ الكلام خرج على وجه المشاكلة، بعيد عن الصّواب، لأن صورة المشاكلة لا توجد في الحديث[3]، بل هذا تكلّف لنفي صفة الصورة عن اللّه تعالى.

---

(١) وهذا مطابق لمعنى الصورة في اللغة. انظر: «القاموس المحيط» - مادة «صور» -، (ص٥٤٨). و«لسان العرب» (٤/ ٤٧٣).

(٢) انظر: «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان: (٢/ ٨٣ - ٨٤).

(٣) وذلك أن المشاكلة - عند أهل البلاغة -: هي «ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا» «الإيضاح في علوم البلاغة»، للخطيب القزويني، بتعليق الدكتور عبدالمنعم خفاجي، (ص٤٩٣)، ط٤ سنة ١٣٩٥هـ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سورة الشورى - الآية (٤٠)، سمّى الجزاء سيئة للمشاكلة اللفظية انظر: تفسير القرطبي: (١٦/ ٤٠). ولا نجد في الحديث المذكور ما يطابق هذا المثال.

* وأما احتمال أنّ يكون قوله: «في الصورة التي يعرفونها» إشارة إلى ما عرفوه حين أخرج ذريّة آدم من صلبه، فمما يحتاج إلى دليل؛ إذ لا يُتكلّم في مثل هذه الأمور بمجرّد الاحتمال، وليس في الخبر الوارد في إخراج ذريّة آدم من صلبه أنّهم عرفوا اللَّه تعالى في صورته، وإنما فيه أنّ اللَّه تعالى استخرجهم أمثال الذّرّ، واستنطقهم: ألست بربّكم؟ فأقروا له بالربوبية[(١)].

* وما نقله الحافظ هنا من قول ابن بطال عن المهلب: «إنّ اللَّه يبعث لهم ملكًا ليختبرهم..إلخ» باطل.

وبالجملة، فهذه التأويلات التي ذكرها الحافظ ابن حجر في المواضع السابقة كلها، «تارة يكون المعنى المحمول عليه النصّ فيها باطلًا، وتارة يكون غير دالّ عليه، وتارة يكون النّصّ دالًا على نقيض ما يقوله المؤوّل، ومضادًّا له، وتارة يجمع من ذلك ما يجمع، وهذا شأن أهل التّحريف، والإلحاد»[(٢)].

*ومن أغرب ما نقله الحافظ في هذا الموضوع، ما جاء في شرحه لحديث عبداللَّه بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ»[(٣)].

قال الحافظ: «واستدلّ به أبو علي الفارسي[(٤)] في «التذكرة» على تكفير المشبهة، فحمل الحديث عليهم، وأنّهم المراد بقوله: «المصوّرون»، أي الذين يعتقدون أنّ لله صورة. وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ: «إنّ الذين

(١) وردت أحاديث مرفوعة تدلّ على أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ أخرج ذريّة آدم في الأزل، واستنطقهم: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى، وهو المعبر عنه بالميثاق الأزليّ، وقد جمع هذه الأحاديث، ودرس أسانيدها، وعرض أقوال العلماء فيها شيخنا الدكتور أحمد بن سعد الغامدي، في كتابه «فطريّة المعرفة وموقف المتكلمين منها» (ص١٣٧ - ١٣٨).

(٢) ما بين علامتي التّنصيص من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، نقله الشيخ الغنيمان في «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (٢/ ٨٤ - ٨٥).

(٣) أخرجه البخاري - مع «الفتح» -: (١٠/ ٣٨٢)، برقم (٥٩٥٠).

(٤) هو الحسن بن علي، أبو علي الفارسي النحوي، صاحب الإيضاح وغيره من المصنفات، وقد اتهمه قوم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). «البداية والنهاية»: (١١/ ٣٢٦).

يصنعون هذه الصور يعذّبون»[1].

وبحديث عائشة الآتي بعد بابين، بلفظ: «إنّ أصحاب هذه الصور يعذّبون»[2]، وغير ذلك»[3].

فانظر كيف وصل الضلال بهذا القائل إلى تكفير من أثبت ما أثبته اللّٰه تعالى لنفسه على لسان رسوله ﷺ من صفة الصورة، ولو يعلم هذا القائل أنّ صفوة هذه الأمّة من الصحابة والتابعين هم أوّل من يشملهم حكمه بالتكفير، لكونهم أوّل من اعتقد أنّ لله صورة، وآمن بما ورد في ذلك من النصوص، لأشفق على نفسه من تحمل تبعة هذا الحكم الجائر.

ولقد أحسن الحافظ إذ ذكر ما تعقّب به هذا القول الباطل، وإن كان المقام يحتاج إلى ردّ أقوى وأردع مما ذكر، واللّٰه تعالى المستعان.

قول الإمام أحمد في الحديث المروي عن النبي ﷺ: أن اللّٰه خلق آدم على صورته

ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة:

- عن إسحاق الكوسج أنه قال لأحمد: «لا تقبحوا الوجه فإن اللّٰه خلق آدم على صورته» أليس تقول بهذه الأحاديث. قال أحمد: صحيح. وقال ابن راهويه: صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي[4].

- وذكر - أيضًا - عن يعقوب بن بختان أن أبا عبداللّٰه أحمد بن حنبل سئل عن حديث النبي ﷺ خلق اللّٰه آدم على صورته فقال: لا تفسره، ما لنا أن نفسره،

---

(١) أخرجه البخاري - بعد الحديث السابق - من حديث عبدالله بن عمر، برقم (٥٩٥١).

(٢) هو جزء من حديث أخرجه البخاري (١٠/ ٣٨٩) برقم (٥٩٥٧).

(٣) فتح الباري: (١٠/ ٣٨٤).

(٤) أخرجها ابن بطال في «الإبانة الكبرى»، ونقلها أبو يعلى في إبطال التأويلات وابن حجر في الفتح ٥/ ١٨٣.

كما جاء الحديث(١).

ـ وقال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله كيف تقول في حديث النبي ﷺ خلق الله آدم على صورته. قال: الأعمش يقول عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر، قال: وقد رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ على صورته فنقول كما جاء الحديث.

ـ قال: وسمعت أبا عبدالله يقول: لقد سمعت الحميدي يحضره سفيان بن عيينة فذكر هذا الحديث: خلق الله آدم على صورته فقال: من لا يقول بهذا فهو كذا وكذا يعني من الشتم وسفيان ساكت لا يرد عليه شيئًا.

ـ قال المروذي: أظن أني ذكرت لأبي عبدالله عن بعض المحدثين بالبصرة أنه قال قول النبي ﷺ: خلق الله آدم على صورته.

قال: على صورة الطين. قال: هذا جهمي. وقال: نسلم الخبر كما جاء.

ـوعن أبي الطالب قال: سمعت أبا عبدالله يعني أحمد بن حنبل يقول: من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه.

ـ وقال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبدالله قيل له: أي شيء أنكر على بشر بن السرى وأي شيء كانت قصته بمكة. قال: تكلم بشيء من كلام الجهمية فقال: إن قوما يحدون. قيل له: التشبيه فأومأ برأسه نعم. فقال: فقام به مؤمل حتى جلس فتكلم ابن عيينة في أمره حتى أُخْرِج وأراه كان صاحب كلام(٢).

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء:

ـ وقد ذكر عبدالرحمن بن منده في كتاب الإسلام فقال: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس في كتابه عن حمدان بن علي(٣) قال: سمعت أحمد بن حنبل

(١) نقلها القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات.

(٢) هذه الروايات نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية نقلًا عن كتاب السنة، انظر «نقد أساس التقديس» ٣/ ٢٢١.

(٣) انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٣٣.

يقول: وسأله رجل فقال: يا أبا عبدالله الحديث الذي روى عن النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» على صورة آدم قال: فقال أحمد بن حنبل: فأين الذي يروى: عن النبي ﷺ إن الله ـ تعالى ـ خلق آدم على صورة الرحمن ﷻ وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق.

ـ قال: على بن يحيى بن جعفر الإمام: أن الطبراني[1] قال: سمعت عبدالله بن أحمد يقول: قال رجل لأبي أن فلانا يقول في حديث رسول الله: إن الله خلق آدم على صورته فقال: على صورة الرجل.

قال أبي: كذب هذا قول الجهمية وأي فائدة في هذا.

ـ قال: وروى إسماعيل بن أحمد بن أسعد في كتاب السنة عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: كنا بالبصرة عند شيخ فحدثنا بحديث النبي: «إن الله ﷻ خلق آدم على صورته» فقال الشيخ: تفسيره خلقه على صورة الطين. فحدثت بذلك أبي ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: هذا جهمي وقال هذا كلام الجهمية.

- **ونختم بما قال العالم الرباني الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ـ**

ـ قال النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» والصورة مماثلة للأُخرى، ولا يعقل صورة إلا مماثلة للأُخرى، ولهذا أكتب لك رسالة، ثم تدخلها الآلة الفوتوغرافية، وتخرج الرسالة، فيقال: هذه صورة هذه، ولا فرق بين الحروف والكلمات؛ فالصورة مطابقة للصورة، والقائل: «إن الله خلق آدم على صورته»: الرسول عليه الصلاة والسلام أعلم وأصدق وأنصح وأفصح الخلق.

والجواب المجمل أن نقول: لا يمكن أن يناقض هذا الحديث قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، فإن يسر الله لك الجمع؛ فاجمع، وإن لم يتيسر؛ فقل: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧]، وعقيدتنا أن الله لا مثيل له؛ فبهذا تسلم أمام الله ﷻ.

---

(١) انظر: «فتح الباري» ٥/ ١٨٣، وطبقات الحنابلة ١/ ٩٣.

هذا كلام الله، وهذا كلام رسوله، والكل حق، ولا يمكن أن يكذِّب بعضه بعضًا؛ لأنه كله خبر وليس حكمًا كي ينسخ؛ فأقول: هذا نفي للمماثلة، وهذا إثبات للصورة؛ فقل: إن اللَّه ليس كمثله شيء، وإن اللَّه خلق آدم على صورته؛ فهذا كلام الله، وهذا كلام رسوله، والكل حق نؤمن به، ونقول: كل من عند ربنا، ونسكت، وهذا هو غاية ما تستطيع.

وأما الجواب المفصل؛ فنقول: إن الذي قال: «إن اللَّه خلق آدم على صورته»: رسول الذي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، والرسول لا يمكن أن ينطق بما يكذب المرسِل، والذي قال: «خلق آدم على صورته»: هو الذي قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمرةٍ تدْخُل الجنَّةَ عَلَى صُورَة القَمَر»؛ فهل أنت تعتقد أن هؤلاء الذين يدخلون الجنة على صورة القمر من كل وجه، أو تعتقد أنهم على صورة البشر، لكن في الوضاءة والحسن والجمال واستدارة الوجه وما أشبه ذلك على صورة القمر، لا من كل وجه؟! فإن قلت بالأول؛ فمقتضاه أنهم دخلوا وليس لهم أعين وليس لهم آناف وليس لهم أفواه! وإن شئنا قلنا: دخلوا وهم أحجار! وإن قلت بالثاني؛ زال الإشكال، وتبين أنه لا يلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلًا له من كل وجه.

فإن أبى فهمك، وتقاصر عن هذا، وقال: أنا لا أفهم إلا أنه مماثل.

قلنا: هناك جواب آخر، وهو أن الإضافة هنا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه؛ فقوله: «على صورته»؛ مثل قوله عَزَّ وَجَلَّ في آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧٢]، ولا يمكن أن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أعطى آدم جزءًا من ورحه، بل المراد الروح التي خلقها اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، لكن إضافتها إلى اللَّه بخصوصها من باب التشريف؛ كما نقول: عباد الله؛ يشمل الكافر والمسلم والمؤمن والشهيد والصديق والنبي، لكننا لو قلنا: محمد عبدالله؛ هذه إضافة خاصة، ليست كالعبودية السابقة.

فقوله: «خلق آدم على صورته»؛ يعني: صورة من الصور التي خلقها اللَّه وصورها؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ

ﭐسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [الأعراف: ١١] والمصوَّر آدم، إذًا؛ فآدم على صورة الله؛ يعني: أن اللَّه هو الذي صوره على هذه الصورة التي تعد أحسن صورة في المخلوقات، ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين: ٤]؛ فإضافة اللَّه الصورة إليه من باب التشريف، كأنه عَزَّ وَجَلَّ اعتنى بهذه الصورة، ومن أجل ذلك؛ لا تضرب الوجه، فتعيبه حسًّا، ولا تقبحه فتقول: قبح اللَّه وجهك ووجه من أشبه وجهك؛ فتعيبه معنىً؛ فمن أجل أنه الصورة التي صورها اللَّه وأضافها إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا؛ لا تقبِّحها بعيبٍ حسي ولا بعيب معنوي.

ثم هل يعتبر هذا الجواب تحريفًا أم له نظير؟

نقول: له نظير، كما في: بيت الله، وناقة الله، وعبدالله، لأن هذه الصورة (أي: صورة آدم) منفصلة بائنة من الله، وكل شيء أضافه اللَّه إلى نفسه وهو منفصل بائن عنه؛ فهو من المخلوقات؛ فحينئذٍ يزول الإشكال.

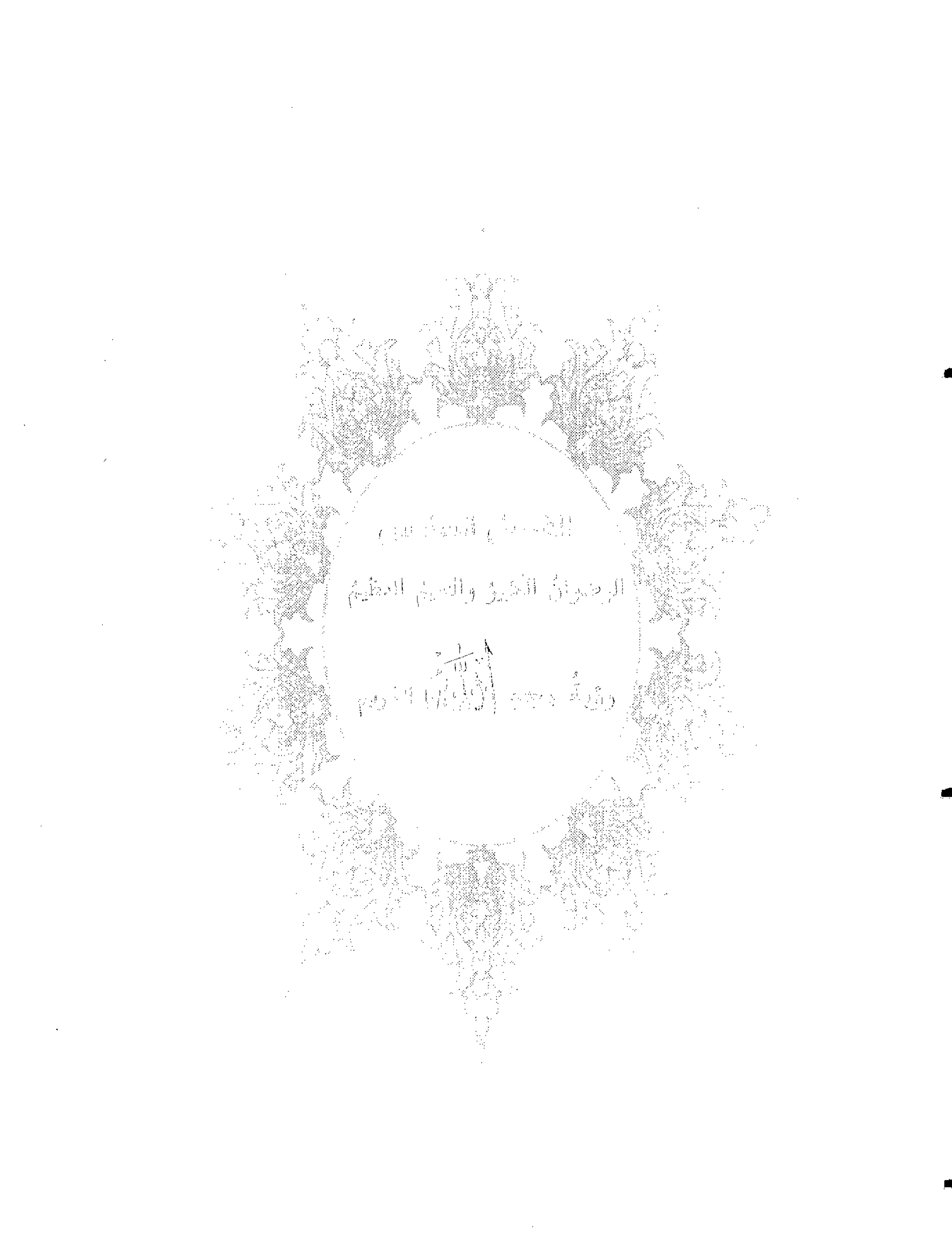
ولكن إذا قال قائل: أيما أسلم المعنى الأول أو الثاني؟ قلنا: المعنى الأول أسلم، ما دمنا نجد أن لظاهر اللفظ مساغًا في اللغة العربية وإمكانًا في العقل؛ فالواجب حمل الكلام عليه، ونحن وجدنا أن الصورة لا يلزم منها مماثلة الصورة الأخرى، وحينئذ يكون الأسلم أن نحمله على ظاهره.

فإذا قلت: ما هي الصورة التي تكون لله ويكون آدم عليها؟

قلنا: إن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ له وجه وله عين وله يد وله رجل عَزَّ وَجَلَّ، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان؛ فهناك شيء من الشبه، لكن ليس على سبيل المماثلة؛ كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر، لكن بدون مماثلة، وبهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السُّنّة والجماعة؛ من أن جميع صفات اللَّه - سبحانه وتعالى - ليست مماثلة لصفات المخلوقين؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل»[1].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية للشيخ محمد الصالح العثيمين ١/ ١٠٧ - ١١١ دار ابن الجوزي.



الفصل السادس

الرضوان الأكبر والنعيم العظيم

رؤية وجه الله الكريم



الفصل السادس

الرضوان الكبير والنعيم العظيم

رؤية وجه الله الكريم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والفرقة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون. إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من التنعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفراعنة المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مَسَبَّة أصحاب رسول الله ﷺ عاكفون. وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون. أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللعين، وأعداء الرسول وحزبه»(١).

• رؤية الله أعلى مراتب النعيم في الجنة:

«**ورؤيته سبحانه**» هي أعلى مراتب نعيم الجنة، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين؛ وإن كانوا في الرؤية على درجات على حسب قربهم من الله ومعرفتهم به»(٢).

---

(١) «حادي الأرواح» ص: (٢٤٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٦/ ٤٨٥).

* ذهب أهل السُّنّة والجماعة إلى رؤية المؤمنين ربهم في الجنة رؤية بصرية منزَّهًا عن صفات المحدثين.

وقالت المعتزلة والجهمية ومن تبعهم من الخوارج والشيعة الإمامية وطوائف من المرجئة، وطوائف من الزيدية: إن اللَّه ـ تعالى ـ لا يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة، ولا يجوز ذلك عليه[1].

* «**والذي عليه الجمهور** «**السلف**» أن من جحد رؤية اللَّه في الدار الآخرة فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عرف ذلك، كما يُعرّف من لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر[2]».

ولقد أفرد العلماء المصنفات في الرؤية منها «**كتاب الرؤية للدارقطني**»، وكتاب الرؤية لأبي نُعَيْم، وكتاب «**التصديق بالنظر إلى اللَّه ـ تعالى ـ في الآخرة**» للآجري الحنبلي، وذكرها المصنفون في السُّنَّة كابن بطة، واللالكائي، وابن شاهين، وقبلهم عبداللَّه بن أحمد بن حنبل، وحنبل بن إسحاق، والخلال، والطبراني، وغيرهم، وخرّج أحاديث الرؤية أصحاب الصحيح والمسانيد والسنن، وكتاب الرد على الجهمية للدارمي.



(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص: (١٣٥)، ومقالات الإسلاميين للأشعري ص/ ٢١٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٦/ ٤٨٦).

أدلة أهل السنة والجماعة المثبتين للنظر إلى الله في الآخرة

مثل الشمس في رابعة النهار، والبدر ليلة التمام.. ونور الصباح جاءت الأدلة سافرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَوْ يَبْغُونَ رُؤْيَتَهُ ... هَيْهَاتَ يُبْصِرُ مَنْ فِي نَاظِرَيْه عَمَى

وَصَرْخَةُ الحَقِّ تَأْبَاهَا مَسَامِعُهِمْ ... مَنْ يَسْمَعُ الحَقَّ مِنْهُم يَشْتَكِي الصَّمَمَا

الرؤية ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، ثابتة بالأدلة السمعية من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة، والأدلة العقلية.. وسنورد هنا الأدلة على رؤية الله ـ تعالى ـ بالأبصار، ووقوعها للمؤمنين في الآخرة.

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم

الدليل الأول

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنى هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، كذلك فسّرها رسول الله ﷺ الذي أُنزل عليه القرآن، والصحابة من بعده والتابعين، منهم أبو بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وعبدالرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحّاك، والحسن، وقتادة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم [١].

---

(١) انظر تفسير الطبري: (١٥/ ٦٢)، وابن كثير: (٢/ ٤١٤)، وكتاب التسهيل لابن جزى: (٢/ ١٦٨)، واللالكائي (٤٥٤)، وما بعدها، والرد للدرامي: (٦١).

* فعن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَةِ الجَنَةَ، يَقُولُ اللَّهُ - تَبارَك وَتعَالَى -: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدَكُم، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّض وجُوهنَا؟، أَلَمْ تُدْخلنَا الجَنَة وَتُنجنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَاب فَمَا أُعطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِنَ النَّظرِ إِلَى رَبِّهم عَزَّ وَجَلَّ...**»

ورواه حماد بن سلمة بهذا الإسناد، وزاد ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1].

قال ابن حجر بعد أن ساق هذا الحديث أخرجه مسلم عقب حديث أبي موسى[2]، ولعله أشار إلى تأويله به.

* وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَة الجَنَة، وَدَخلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهلَ الجَنَة إِنَّ لكم عِندَ اللَّهَ مَوْعدًا يُرِيد أَنْ يُنْجزكُمُوه**» قَالَ: **فَيُقَال: مَا هُوَ؟! أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، ويُثَقِّل مَوَازِيننَا، وَأَدخَلنَا الجَنَة، وَأَجَارنَا مِنَ النَارِ؟**» قال: «**فَيَكْشِفُ الحِجَابُ فَيَتَجلَّى لَهُم - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -**» قَالَ: رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ، مَا أَعطَاهُم شَيْئًا هُوَ أَحَبَّ إِلَيهِم، وَلَا أَقرَّ لأَعينهم، مِنَ النَّظرِ إِلَى وَجْهِ الرَّب - تَبارَكَ وَتَعَالَى -**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم - سبحانه وتعالى - (١/ ١٦٣)، وانظر سنن ابن ماجه (١/ ٦٧).

(٢) أخرجه مسلم: باب في قوله - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله لا ينام»، وفي قوله «حجابه النور» (١/ ١٦٢). وفيه: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» بلفظه، والطيالسي (٢٨٤٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣)، (٦/ ١٥ - ١٦)، وفي «السُّنَّة» ص: (٤٥، ٤٨)، ومسلم: (١/ ١٦٣)، والنسائي كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ١٩٨)، والترمذي (٢٥٥٢، ٣١٠٥)، وابن ماجه (١٨٧)، وابن أبي عاصم (٤٧٢)، وعبدالله بن أحمد ص: (٤٥ - ٤٦)، وابن جرير: (١١/ ١٠٦)، وابن خزيمة ص: (١٨٠)، واللالكائي، وأبي نعيم: (١/ ١٥٥)، والبيهقي في =

عن سعيد قال في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾
قال: أحسنوا شهادة أن لا إله إلا الله، والحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله.

وقال الحسن: الحسنى دخول الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله[1].

* وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى: الزيادة: النظر إلى وجه ربهم - تبارك وتعالى - ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ بعد النظر إلى ربهم عز وجل[2].

وعن أبي إسحاق: النظر إلى وجه الرحمن[3].

وعن ابن سابط قال: والزيادة: النظر إلى وجه ربهم[4].

وقال مجاهد: الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى الرب.

وتفسير «**الزيادة**» بالنظر إلى الله - تبارك وتعالى - قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ومثله لا يُقال إلا بتوقيف. ذكر ذلك الإمام البيهقي في كتاب «**الرؤية**»[5].

الدليل الثاني

قوله - تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: هو النظر إلى الله عز وجل.

= «الاعتقاد» ص: (٤٨، والخطيب (١/ ٤٠٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥/ ٢٣٠ - ٢٣١)، وفي تفسيره (٣/ ١٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٣٠٥) إلى هنّاد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبي الشيخ، والدارقطني في الرؤية.

(١) انظر «التوحيد» لابن خزيمة (١٢٠) وسنده صحيح.

(٢) انظر تفسير الطبري: (١١/ ١٠٠٦).

(٣) تفسير الطبري: (١١/ ١٠٥).

(٤) الطبري: (١١/ ١٠٧).

(٥) انظر: «مختصر لوامع الأنوار البهية» لابن سلوم ص: (٤٤٣).

وهو قول ابن عباس، ومن التابعين قال به: الحسن وعكرمة ومجاهد ومحمد بن علي بن الحسين، وزيد بن علي بن حسين، وقتادة، والضحاك بن مزاحم. ومن الفقهاء: مالك والشافعي واستدلا على جواز الرؤية بهذه الآية. وقد صرح الأئمة الذين ألّفوا في أصول الدين بأن هذه الآية من أصرح الأدلة على المراد.

قال ابن عباس: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾.

قال: إلى ربها ناظرة: تنظر إلى ربها.

وقال الحسن: النضرة: الحسن، نظرت إلى ربها عز وجل فنضرت بنوره ـ عز وجل ـ.

وقال مجاهد: حسنة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ قال: تنظر إلى ربها ـ تبارك وتعالى ـ.

«قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢)﴾: من النضارة أيْ حسنة بهيّة مشرقة مسرورة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ أي تراه عيانا كما روى البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه «**إنّكم ستَرَونَ ربَّكم عيَانًا**»[(١)].

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أهل الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها»[(٢)].

قال ابن القيم إذا أنت أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحًا، أن الله سبحانه يُرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة، وإنْ أَبَيْتَ إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلًا، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطل

---

(١) باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ عن جرير بن عبدالله: (٨/ ١٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤٥)، وزاد المسير لابن الجوزي: (٨/ ٤٢٢)، و«أضواء البيان» للشنقيطي: (٢/ ٣٣٢)، والتفسير الكبير للرازي: (٣٠/ ٢٢٦).

على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص.

وهذا الذي أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المتعدى بإلى خلاف حقيقته.

وموضوعه صريح في أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أراد بذلك نظر العين التي في الوجه، إلى نفس الرب جل جلاله.

فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، وإن عدى بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]. فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟!»[١].

وعن مجاهد قال: تنتظر ثواب ربها[٢].

قال الدارمي في «**الرد على الجهمية**»:

«قلنا: نعم تنتظر ثواب ربها، ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجهه ـ تبارك وتعالى ـ. فإن أبيتم إلا تعلّقًا بحديث مجاهد هذا، واحتجاجًا به دون ما سواه من الآثار، فهذا آية شذوذكم عن الحق، واتباعكم الباطل، لأن دعواكم هذه لو صحّت عن مجاهد على المعنى الذي تذهبون إليه كان مدحوضًا القول إليه، مع هذه الآثار التي قد صحّت فيه عن رسول الله ﷺ وأصحابه وجماعة التابعين، أولستم قد زعمتم أنكم لا تقبلون هذه الآثار، ولا تحتجون بها، فكيف تحتجّون

---

(١) حادي الأرواح ص: (٢٥٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٩/ ١٩٢) بعدّة أسانيد صحيحة.

بالأثر عن مجاهد إذا وجدتم سبيلًا إلى التعلق به لباطلكم على غير بيان؟! وتركتم آثار رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين إذا خالفت مذهبكم! فأما إذا أقررتم بقبول الأثر عن مجاهد، فقد حكمتم على أنفسكم بقبول آثار رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين وبعدهم، لأنكم لم تسمعوا هذا عن مجاهد، بل تأثرونه عنه بإسناد؛ وتأثرون بأسانيد مثلها أو أجود منها عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين ما هو خلافه عندكم. فكيف ألزمتم أنفسكم اتباع المشتبه من آثار مجاهد وحده وتركتم الصحيح المنصوص عن آثار رسول الله ﷺ وأصحابه ونظراء مجاهد من التابعين، إلّا من ريبة وشذوذ عن الحق.

إن الذي يريد الشذوذ عن الحق يتَّبع الشاذ من قول العلماء، ويتعلّق بزلّاتهم، والذي يؤم الحق في نفسه، يتّبع المشهور من قول جماعتهم، وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان بيّنتان يستدلُّ بها على اتباع الرجل وعلى ابتداعه»[(١)].

قال ابن القيم: «يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار الثواب، فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محله وعدّاه بحرف «**إلى**» التي إذا اتّصل بها فعل النظر كان من نظر العين ليس إلّا.

ووصف الوجوه بالنضرة التي لا تحصل إلا مع حضور ما يتنعم به لا مع التنغيص بانتظاره، ويستحيل مع هذا التركيب تأويل النظر بغير الرؤية، وإنْ كان النظر بمعنى الانتظار قد استُعمل في قوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[(٢)] [النمل: ٣٥].

* انظر يا أخي كيف أنه «**سبحانه جمع فيها لأوليائه بين جمال الظاهر والباطن، فزيّن وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالنظر إليه، فلا أجمل لبواطنهم، ولا**

---

(١) «الرد على الجهمية» للدارمي ص: (١٠٨ ـ ١٠٩) ـ تحقيق بدر البدر ـ الدار السلفية ـ الكويت.

(٢) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

أنعم، ولا أحلى من النظر إليه، ولا أجمل لظواهرهم من نضرة الوجه، وهي إشراقه وبهجته، وهذا كما قال في موضع آخر ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]»[1].

* عن محمد بن كعب القرظي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: نضّر اللَّه تلك الوجوه وحسّنها للنظر إليه[2].

الدليل الثالث

* قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

قال الطبراني: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه اللَّه عز وجل وقال زيد بن وهب: يتجلّى لهم كل جمعة.

وقال أنس بن مالك: يظهر لهم الرَب عز وجل يوم القيامة.

الدليل الرابع

قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٤ ـ ١٥]

عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي وإبراهيم الصانع: إنه النظر إلى الله عز وجل.

ومن الفقهاء: مالك، والماجشون، والشافعي، ووكيع، ومحمد بن عبدالله بن الحكم.

وقال الحسن، ومالك، وابن عبدالحكم: أنه لا يراه إلا المؤمنون والكفّار لا يرونه.

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن».

(٢) التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة ص: (٤٨).

قال الحسن في ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾: «**إذا كان يوم القيامة برز ربنا ـ تبارك وتعالى ـ فيراه الخلق ويحجب الكفّار فلا يرونه**»[1].

وعن الحسن: في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ قال: «**عن النظر إلى الله يوم القيامة لقوله** ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٦ - ١٧].

* وقال إبراهيم الصايغ: «ما يسرّني أن لي نصف الجنة بالرؤية ثم تلا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ قال: بالرؤية.

* وعن أشهب بن عبدالعزيز صاحب مالك قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبدالله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: لو لم يرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يُعيّر الله الكفّار بالحجاب فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فقال له: يا أبا عبدالله فإن قوما يزعمون أن الله لا يُرى؟ قال مالك: السيف السيف[2].

* قال الدارمي في «**الرد على الجهمية**»: «لم يقل للكفار ﴿محجوبون﴾ إلا وأن المؤمنين لا يُحجبون عنه، فإن كان المؤمنون عندكم محجوبون عن الله كالكفّار، فأي توبيخ للكفار في هذه الآية إذا كانوا هم والمؤمنون جميعًا عن الله يومئذ محجوبون»[3].

قال ابن القيم: قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ووجه الاستدلال بها أنه ـ سبحانه وتعالى ـ جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه فلو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه: كانوا أيضًا محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من

---

(١) انظر الدارقطني في «الرؤية»، واللالكائي (٤/ ٤٦٧)، والطبراني (٣٠/ ١٠٠).

(٢) اللالكائي (٨٠٨) (٤/ ٤٦٨).

(٣) الرد على الجهمية (٢٠٥) ص: (١٠٤).

الأئمة، فذكره الطبري وغيره عن المزني، قال: سمعت الشافعي يقول في قوله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ قال: فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد ابن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥]، فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، قال الربيع: فقلت: يا أبا عبدالله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين الله، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله ﷻ.

ورواه الطبري في شرح السنة من طريق الأصم أيضًا، وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد ابن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبدالله بن الحكم، هل يرى الخلق كلهم ربَّهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد: ليس يراه إلا المؤمنون. قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله ﷻ»[1].

وتخصيص الكفار بالحجب يدل على أن المؤمنين لا يكونون محجوبون عن رؤية الله ﷻ، وإلّا لما كان لهذه الآية فائدة[2].

الدليل الخامس

قوله ـ تعالى ـ حكاية عن موسى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

---

(١) حادي الأرواح ص: (٢٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٥)، والجامع للقرطبي (١٩/ ٢٦١)، و التفسير الكبير للرازي (١٣/ ١٣٨).

قال ابن القيم:

«**وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:**

أحدها: أن لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال، وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى اللَّه عنه، فياللَّه العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم باللَّه - تعالى - من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهًا له منه؟

الوجه الثاني: أن اللَّه - سبحانه وتعالى - لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالًا لأنكره عليه ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه - تبارك وتعالى - أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٦ - ٤٧].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل إني لا أُرى، ولا إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله.

وهذا يدل على أنه - سبحانه وتعالى - مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته - تعالى -، يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: أن اللَّه - سبحانه وتعالى - قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالًا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤية محالًا لكان ذلك

نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته ـ تبارك وتعالى ـ، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله ولأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه، وأعلم ـ سبحانه وتعالى ـ موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذا الدار، فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه ـ سبحانه وتعالى ـ قد كلمه منه إليه، وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يُسمَع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكاره الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحدًا أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه[1].

الدليل السادس

• آيات لقاء الله في القرآن الكريم:ـ

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَامٌ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله ـ تعالى

(١) «حادي الأرواح» ص: (٢٤٢ ـ ٢٤٣)، وانظر «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري (٣٥، ٣٦)، و«شرح العقيدة الطحاوية» ص: (١٣٨).

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه ـ تعالى ـ في عرصات القيامة، بل والكفار أيضًا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة، وسيمر بك عن قريب إن شاء الله ـ تعالى ـ، وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

والثاني: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه، ولشيخنا في ذلك مصنف مفرد، حكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها، وكذا قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الإنشقاق: ٦]. إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورًا مثبتًا. وإن عاد على الرب ـ سبحانه وتعالى ـ فهو لقاؤه الذي وعد به»[1].

* لقاء الله الذي وُصف بالثقة به الخاشعون بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾، وأمر بعلمه المتقون في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾، وبشر بالأقرار به عند المصيبة الصابرين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ هو المعاينة والشهود.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمّن المعاينة والشهود بعد السلوك والمسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضمّن رؤيته سبحانه واحتجوا بآيات «**اللقاء**» على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية

---

(١) حادي الأرواح ص: (٢٤٤).

كالمعتزلة وغيرهم.

وجعلوا اللقاء يتضمّن معنيينْ:

أحدهما: السير إلى الملك.

والثاني: معاينته ـ كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦﴾ فذكر أنه يكدح إلى اللَّه فيلاقيه، والكدح إليه يتضمّن السلوك والسير إليه، واللقاء يعقبهما.

وأما المعاينة من غير مسير إليه ـ كمعاينته الشمس والقمر ـ فلا يسمى لقاء. وقد يرادُ باللقاء الوصول إلى الشيء، والوصول إلى الشيء بحسبه»[١].

قال: «**ويُستعمل** «**اللقاء**» في لقاء العدو، ولقاء الولي، ولقاء المحبوب، ولقاء المكروه.

ومن نحو هذا قوله: ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ وقوله: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝٧٥﴾. وقد يقال: إن «**اللقاء**» في مثل هذا يتضمّن معنى المشاهدة.

وقد جاء في الكتاب والسنة ألفاظ من نحو «**لقاء اللَّه**» كقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨﴾ وقوله: (إليه المصير) وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾.

ولقد فسّر «**اللقاء**» في كتاب اللَّه «بالرؤية طائفة من أهل السنة منهم أبو عبداللَّه بن بطة الإمام، وقالوا في قول اللَّه: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ وفي قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ وفي قوله اللَّه: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾، وفي قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ﴾ وفي قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥).

ٱللَّهِ﴾، وقالوا: إن اللقاء يدل على الرؤية والمعاينة.

ومن أهل السُّنَّة من قال: «**اللقاء**» إذا قُرِن بالتحية فهو من الرؤية، وقال ابن بطة: سمعت أبا عمر الزاهد اللغوي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول في قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾: أجمع أهل اللغة أن اللقاء ـ ههنا ـ لا يكون إلا معاينة ونظرة بالأبصار»[1].

الدليل السابع

• قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

• استدل أهل السنة على الرؤية من وجوه:

الوجه الأول: أنه ـ تعالى ـ تمدح بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ولو لم يكن ـ تعالى ـ جائز الرؤية لما حصل التمدح، ألا ترى أن المعدوم لا تصح رؤيته. والشيء إذا كان في نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذٍ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم، أما إذا كان في نفسه جائز الرؤية ثم إنه قدر على حجب الأبصار على رؤيته وعن إدراكه كانت هذه القدرة الكاملة دالة على المدح والعظمة فثبت أن هذه الآية دالة على أنه ـ تعالى ـ جائز الرؤية بحسب ذاته.

الوجه الثاني: أن يقال: المراد بالأبصار في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ليس هو نفس الأبصار فإن البصر لا يدرك ـ شيئًا ـ البته في موضع من المواضع بل المدرك هو المبصر فوجب القطع بأن المراد من قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ هو أنه لا يدركه المبصرون وإذا كان كذلك.

كان قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ المراد منه وهو يدرك المبصرين، وهذا يقتضي كونه مبصرًا لنفسه. وإذا كان كذلك كان ـ تعالى ـ جائز الرؤية في ذاته،

(١) المصدر السابق: (٦/ ٤٦٥)، وما بعدها (٤٨٨، ٤٨٩).

وكان - تعالى - يرى نفسه، وكل من قال: إنه - تعالى - جائز الرؤية في نفسه قال: إن المؤمنين يرونه يوم القيامة فصارت هذه الآية دالة على أنه جائز الرؤية وعلى أن المؤمنين يرونه يوم القيامة.

الوجه الثالث: أن لفظ الأبصار صيغة جمع دخل عليا الألف واللام فهي تفيد الاستغراق فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يفيد أنه لا يراه جميع الأبصار فهذا يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب. وتخصيص السلب بالمجموع يدل على ثبوت الحكم في بعض أفراد المجموع ألا ترى أن الرجل إذا قال: إن زيدًا ما ضربه كل الناس فإنه يفيد أنه ضربه بعضهم.

الوجه الرابع: دلت الآية على تخصيص نفي إدراك اللَّه - تعالى - بالبصر، وتخصيص الحكم بالشيء يدل على أن الحال في غيره بخلافه، فوجب أن يكون إدراك اللَّه بغير البصر جائزًا في الجملة، ولما ثبت أن سائر الحواس الموجودة الآن لا تصلح لذلك ثبت أن يقال: إنه - تعالى - يخلق يوم القيامة حاسة سادسة بها تحصل رؤية اللَّه - تعالى - وإدراكه[(١)].

* وقال ابن القيم: «والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة. وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقدير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله، فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها.

فإن اللَّه - سبحانه وتعالى - إنما ذكرها في سياق التمدح. ومعلوم أن المدح به إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح وإنما يمدح الرب - تبارك وتعالى - بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوديًا كتمدحه بنفي السِّنَة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب،

---

(١) انظر «التفسير الكبير» للفخر الرازي (١٣/ ١٣٠ - ١٣٢) مع شيء من الاختصار والتصرف.

والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن لكمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن عمله المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًا. فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أنه لا يُرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال، لمشاركة المعدوم له في ذلك. فإن العدم الصرف لا يُرى ولا تدركه الأبصار، والرب ـ جل جلاله ـ يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذًا: المعنى أنه يُرى ولا يُدرك ولا يُحاط به، كما كان المعنى في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أنه يعلم كل شيء وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أنه كامل القدرة وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أنه كامل العدل، وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أنه كامل القيومية.

فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فلم ينف موسى الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ إنا لمرئيون. فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كَلَّآ﴾ وأخبر الله ـ سبحانه ـ أنه لا يخالف إدراكهم بقوله:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧]، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب ـ تعالى ـ يُرى ولا يُدرك كما يُعلم ولا يُحاط به، وهذا

هو الذي فهمته الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تحيط به الأبصار، وقال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار.

وقال عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم، فلذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ فالمؤمنون يرون ربهم ـ تبارك وتعالى ـ بأبصارهم عيانًا ولا تدركه أبصارهم، بمعنى أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئًا يحيط به وهو بكل شيء محيط، وهكذا يُسمِع كلامه من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه.

وتأمّل حسن هذه المقابلة لفظًا ومعنى بين قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ فإنه ـ سبحانه ـ لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣][1].

الدليل الثامن

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠].

وعلى قراءة (مَلِكًا) بفتح الميم وكسر اللام، حيث أجمع المسلمون على أن ذلك «المَلِك» ليس إلا الله تعالى»[2].

---

(١) حادي الأرواح ص: (٢٤٨ ـ ٢٥٠).

(٢) «التفسير الكبير» للفخر الرازي (١٣/ ١٣٨).

الدليل التاسع

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]

وجه الاستدلال أن القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله ـ تعالى ـ على أكمل الوجوه، وأكمل طرق المعرفة هو الرؤية، فرؤية الله مطلوبة لكل أحد. وإذا ثبت هذا وجب القطع بحصولها لهذه الآية(١).

الدليل العاشر

* قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٣].

قال الفخر الرازي بعد أن ذكر ثلاثة أوجه في تفسير الآية: ويخطر ببالي تفسير رابع وهو أشرف من الكل وهو أنهم ينظرون إلى ربهم ويتأكد هذا التأويل بما أنه قال بعد هذه الآية ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ والنظر المقرون بالنضرة هو رؤية الله ـ تعالى ـ على ما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ومما يؤكد هذا التأويل أنه يجب الابتداء بذكر أعظم اللذات وما هو إلا رؤية الله ـ تعالى ـ(٢).

* وقال ابن القيم بعد ذكره ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٥ ـ ١٦].

«فجمع عليهم نوعي العذاب: عذاب النار، وعذاب الحجاب عنه سبحانه، كما جمع لأوليائه نوعي النعيم: نعيم التمتع بما في الجنة، ونعيم التمتع برؤيته. وذكر ـ سبحانه ـ هذه الأنواع الأربعة في هذه السورة فقال في حق الأبرار: ﴿إِنَّ

---

(١) المصدر السابق: (١٣/ ١٣٨).

(٢) التفسير الكبير (٣١/ ٩٩).

ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٣]. وقد هضم معنى الآية مَن قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، أو ينظرون إلى قصورهم وبساتينهم، أو ينظر بعضهم إلى بعض، كل هذا عُدُول عن المقصود إلى غيره. وإنما المعنى ينظرون إلى وجه ربهم، ضد حال الكفار الذين هم عن ربهم لمحجوبون ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾.

وتأمل كيف قابل ـ سبحانه ـ ما قاله الكفار في أعدائهم في الدنيا وسخروا به منهم، بضده في القيامة؛ فإن الكفّار كانوا إذا مَرّ بهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين: ٣٢] فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ مقابلةً لتغامزهم وضحكهم منهم، ثم قال: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فأطلق النظر، ولم يقيّده بمنظور دون منظور، وأعلى ما نظروا إليه وأجلّه وأعظمه: هو اللَّه ـ سبحانه ـ، والنظر إليه أجل أنواع النظر وأفضلها وهو أعلى مراتب الهداية، فقابل بذلك قولهم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾، فالنظر إلى الرب ـ سبحانه ـ مراد من هذين الموضعين، ولا بد، إما بخصوصه، وإما بالعموم والإطلاق، ومن تأمّل السياق لم يجد الآيتينْ تحتملان غير إرادة ذلك خصوصًا أو عمومًا»[1].

* * *

---

(١) إغاثة اللهفان (٣٢ - ٣٣).

ثانيًا: الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم في الجنة من السُّنَّة المطهَّرة

قد بلغت أحاديث الرؤية حد التواتر.

قال اللالكائي بعد سرده لأحاديث الرؤية: «فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا.

منهم علي وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس (وابن عمر)(١) وأنس وعمار بن ياسر وأبي بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة وعبادة وأبو أمامة وعدي بن حاتم وأبو رزين العقيلي وكعب بن عجره وفضالة بن عبيد وبريدة ورجل من أصحاب النبي ﷺ»(٢).

قال يحيى بن معين: «عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية كلها صحاح».

وسنسرد هنا ما صح من حديث من الرؤية أو حسن، فتلقّها يا أخي بالقبول والتسليم وانشراح الصدر، لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن، ولا تكذّب بها، فمن كذّب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من

---

(١) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (٤/ ٤٩٥).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤ ـ ٥) (١٥)، وأبو عوانة (١/ ١٧٥ ـ ١٧٨)، وابن أبي عاصم (٨٢١)، وابن خزيمة (ص ٣١٠ ـ ٣١١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٨١)، وابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠)، وأخرجه ابن أبي عاصم مختصرًا (٧٥١)، وأخرجه ابن حبان (٢٥٩٠ ـ موارد)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) وعزاه إلى أحمد وأبي يعلى والبزار وقال: «رجالهم ثقات» ا . هـ.

وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تخريج المسند. وقد علّقه البخاري مختصرًا في «خلق أفعال العباد» (٩٨). وقال ابن حبّان: «قال إسحاق: هذا من أشرف الحديث، وقد روى هذا الحديث عدّة عن النبي ﷺ ومنهم حذيفة وأبو مسعود وأبو هريرة وغيرهم.

المحجوبين:-

(١) حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه:-

فأما حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحق الطالقاني، قال: حدثنا النضر بن شميل المازني، قال: حدثني أبو نعامة قال: حدثني أبو هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق قال: «**أصبح رسول الله** صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه؟ صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط، قال: فسأله، فقال: «نعم عرض عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، ففظع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك، قال: لقد لقيت مثل الذي لقيتمن انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

قال: فينطلقون إلى نوح عليه السلام، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارًا، فيقول: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام فإن الله اتخذه خليلًا، فينطلقون إلى إبراهيم، فيقول: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلى موسى عليه السلام فإن الله عز وجل كلمه تكليمًا، فيقول موسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فيقول عيسى: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل، قال: فينطلق فيأتي جبريل ربه - تبارك وتعالى - فيقول الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة، فينطلق به جبريل عليه السلام فيخر ساجدًا قدر جمعة، ويقول الله عز وجل:

ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجدًا قدر جمعة أخرى، فيقول اللهﷻ : ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجدًا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح اللهﷻ عليه من الدعاء شيئًا لم يفتح على بشر قط، فيقول: أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليَرد على الحوض أكثر ما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعو الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء قال فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة. والنبي وليس معه أحد. ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول اللهﷻ : أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئًا، قال: فيدخلون الجنة، ثم يقول اللهﷻ: انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيرًا قط؟ قال: فيجدون في النار رجلا، فيقول له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول اللهﷻ : اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي، ثم يُخرجون من النار رجلًا يقول له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني أمرت ولدي إذا مت، فأحرقوني بالنار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح، فوالله لا يقدر على رب العالمين أبدًا. فقال اللهﷻ له: لم فعلت ذلك؟ قال: من مخافتك، قال، فيقول اللهﷻ: انظر إلى مُلْك أعظم ملك، فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك، قال: وذلك الذي ضحكت منه من الضحى»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤)، والبخاري (١٣/ ٤١٩ - ٤٢٠)، ومسلم (١/ ١٦٣ - ١٦٤)، والبخاري (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣)، (١١/ ٤٤٤ - ٤٤٥) ومسلم (١٨٢) وابن خزيمة ص: (١٥٦)، واللالكائي (ق ١٠٧/ ١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص: (٢٩١ - ٢٩٤) عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد.

❁ (٢) حديث صُهَيب رضي الله عنه:

وقد سبق ذكره.

❁ (٣) و(٤) حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما:

وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد[١]: ففي الصحيحين عن أبي هريرة: «أن ناسًا قالوا يا رسول اللَّه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول اللَّه؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع اللَّه الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم اللَّه - تبارك وتعالى - في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ باللَّه منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم اللَّه عز وجل في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللَّهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول اللَّه، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجو، حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئًا ممن أراد اللَّه أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا اللَّه، فيعرفونهم بأثر السجود، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، وحرم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٢).

كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ اللَّه من القضاء بين العباد،ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو اللَّه ما شاء أن يدعوه، ثم يقول ـ تبارك وتعالى ـ: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره. فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف اللَّه وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء اللَّه أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول اللَّه: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك: لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!! فيقول أي رب فيدعو اللَّه حتى يقول له: فهل إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفقهت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء اللَّه أن يسكت، ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة، فيقول اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت؟ ويلك يا ابن آدم ما إغدرك! فيقول: ادخل الجنة، فإذا دخلها، قال اللَّه له: تمن، فيسأل ربه وينتهي حتى إن اللَّه ليذكره فيقول: تمن من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني، قال اللَّه ﷻ: لك ذلك ومثله معه».

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة: لا يرد عليه من حديثه شيئًا حتى إذا حدث أبو هريرة إن اللَّه ﷻ قال لذلك الرجل: ومثله معه. قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: ذلك لك ومثله معه. قال أبو سعيد: أشهد أني حفظت من رسول اللَّه ﷺ قوله: ذلك لك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولًا الجنة»[١].

*وفي الصحيحين أيضًا عن أبي سعيد الخدري: «أن ناسًا في زمن رسول اللَّه ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

قالوا: يا رسول اللَّه، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول اللَّه ﷺ: «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول اللَّه. قال: «ما تضارون في رؤية اللَّه - تبارك وتعالى - يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير اللَّه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار؛ حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر، وغبَّر أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن اللَّه، فيقال: كذبتم ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنت تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد، فيقال: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين - سبحانه وتعالى - في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليها ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك لا نشرك باللَّه شيئًا مرتين أو ثلاثًا، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟

فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللَّه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل اللَّه ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه. ثم يرفعون رءوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللَّهم سلم سلم، قيل: يا

رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب ومسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والركاب فناج مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله ـ تعالى ـ يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، فيقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقًا كثيرًا، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون: ربنا، لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقول: ربنا لم نذر فيها خيرًا قط، وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حُممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم.

فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١).

● **(٥) حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه:** -

وأما حديث جرير بن عبدالله ففي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩](٢).

قال علي بن المديني: هي عند صلاة العصر، وصلاة الصبح إن شاء الله - تعالى -(٣).

شهد جرير بن عبدالله على رسول الله ﷺ فكأنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقول: ويبلغ لأمته ولا شيء أقر لأعينهم منهن وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسُّنّة وأهلها،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤) مواقيت الصلاة، (٤٧٣٥) (١٣/ ٤١٩ في التوحيد)، ومسلم (٦٣٣)، وابن خزيمة، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٠١)، وابن الجوزي في «مشيخته» ص (١٠١ - ١٠٢). وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٢٧) أن زيد بن أبي أنيسة تابع أبا شهاب على لفظه «عيانا».

(٢) «الرد على الجهمية» للدارمي (١٧٣) ص: (٨٨).

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٣)، حديث رقم (٩٧٦٣)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: «رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من طرق أحدها صحيح واللفظ له والحاكم وقال: صحيح الإسناد»، وصححه الألباني - أيضًا - في «صحيح الترغيب» (٣٥٩١).

والله - تعالى - ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون.

● **(٦) حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: -**

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قيامًا أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فصل القضاء، قال: وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلًا من ربكم؟ قالوا: بلى، قال: فلينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا، قال: فينطلقون، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون. فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير، ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فيأتيهم الرب عز وجل فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلهًا ما رأيناه بعد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقهن فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجدًا ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نورًا مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نورًا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلًا يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة. فإذا أضاء قدم قدمه فمشى، وإذا طفيء قام، والرب - تبارك وتعالى - أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف دحض مزلة قال: ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر

كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب. ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد للَّه لقد أعطاني اللَّه ما لم يعط أحدًا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها قال: فينطلق به إلى غدير باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول: رب أدخلني الجنة، فيقول اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟! فيقول: يا رب اجعل بيني وبينها حجابًا لا أسمع حسيسها. قال: فيدخل الجنة قال: ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك، كأنما الذي هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل فيقول: فعلك إن أعطيتكه تسأل غيره! فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال فيعطاه فينزله، ويرى أمام ذلك منزلًا كأنما الذي هو فيه إليه حلم. قال: أي رب أعطني ذلك المنزل فيقول اللَّه ﷻ: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطى فينزله قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل فيقول اللَّه ـ جل جلاله ـ: فعلك إن أعطيتك تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره. وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله ثم يسكت، فيقول اللَّه ﷻ: مالك لا تسأل؟ فيقول: رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول اللَّه ﷻ: ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أتستهزئ بي وأنت رب العزة، فيضحك الرب ﷻ من قوله. قال: فرأيت عبداللَّه بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك. فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن قد سمعتك تحدث هذا الحديث مرارًا، كلما بلغت هذا المكان ضحكت.

فقال: إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يحدث هذا الحديث مرارًا كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه، قال: فيقول الرب ﷻ: لا، ولكني على ذلك قادر سَلْ، فيقول: ألحقني بالناس فيقول: الحق بالناس قال: فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجدًا فيقال له: ارفع رأسك مالك؟ فيقول: رأيت ربي أو تراءى لي ربي، فيقال له: إنما هو منزل من منازلك. قال: ثم يلقى رجلًا فيتهيأ للسجود، فيقال له: مه ما لك؟ فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له: إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه، قال: فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال: وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة فيها سبعون بابًا كلٌّ يفضي إلى جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللِّها، كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفًا عما كانت من قبل ذلك، فيقول لها: واللَّه لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا، وتقول: واللَّه وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا. فيقال له: أشرف قال: فيشرف، فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره، قال فقال عمر: ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب، عن أدنى أهل الجنة منزلًا فكيف أعلاهم؟

قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت إن اللَّه ﷻ جعل دارًا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧] قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد؛ حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج

فيسير في ملكه فما تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واهًا لهذه الريح هذا رجل من أهل عليين، قد خرج ليسير في ملكه، فقال: ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب: والذي نفسي بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول: «رب نفسي نفسي لو كان لك عمل سبعين نبيًا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو»[1].

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبدالله بن أحمد والطبراني والدارقطني في كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد، حدثنا محمد بن أبي عبدالرحمن المقرئ قال: حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمرن حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدالله عن عبدالله ورواه من طريق عبدالسلام بن حرب، حدثنا الدالاني، حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به، ورواه من طريق أحمد بن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة.

(٧) حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: -

وأما حديث أبي موسى: ففي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم - تبارك وتعالى - إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٨) في تفسير القرآن، ومسلم في الإيمان (١٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٩٥٤٤) (٤/ ٤٠٧ك - ٤٠٨، ٤٠٨)، وعبد بن حُميد في «مسنده» (٥٤٠) والآجري ص: (٢٦٣)، وابن خزيمة ص: (٢٣٦) مختصرًا. وقال الألباني رحمه الله : «وهذا إسناد ضعيف، عمارة هذا لم أعرفه، وقوله: «بدا لله» منكر، وعلي بن زيد - وهو ابن جدعان - ضعيف الحفظ، لكن الحديث صحيح في الجملة، فإن له شاهدًا من حديث جابر بن عبدالله، من رواية أبي الزبير». وانظر الصحيحة للألباني (٧٥٥).

* وعن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله عز وجل الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا الله أن يصدع بين خلقه، مُثِّل لكل قوم ما كانوا يعبدون، فيتبعونهم حتى يقتحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا عز وجل قال: فيقولون: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه، فيقولون: نعم، إنه لا عدْل له، فيتجلى لنا ضاحكًا فيقول: أبشروا يا أيها المسلمون. فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيًا»[1].

وعن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يتجلّى لنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ضاحكًا يوم القيامة**»[2].

* (٨) حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ:

عن أبي الزبير أنه سمع جابرًا يسأل عن الورود فقال: «يجيء يوم القيامة على كذا وكذا، أي فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك فيتجلى لهم ـ تبارك وتعالى ـ يضحك قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٩٥٤٤) (٤/٤٠٧ ـ ٤٠٨، ٤٠٨)، وعبد بن حُميد في مسنده (٥٤٠) ، الآجري (ص٢٦٣)، وابن خزيمة (ص٢٣٦) مختصرا. وقال الألباني رحمه الله: «وهذا إسناد ضعيف، عمارة هذا لم أعرفه، وقوله: «بدا لله» منكر، وعلي بن زيد ـ وهو ابن جدعان ـ ضعيف الحفظ، لكن الحديث صحيح في الجملة، فإن له شاهدًا من حديث جابر بن عبدالله، من رواية أبي الزبير». وانظر الصحيحة للألباني (٧٥٥).

(٢) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٥٣)، والطبراني في «الكبير»، وأحمد، والآجري في «الشريعة». والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٧٥٥).

ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار مَنْ قال لا إله إلا اللّٰه وكان في قلبه من خير ما يزن شعيرة. فيُجْعلون بفناء الجنة ويَجْعل أهلَ الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى يجعل اللّٰه له الدنيا وعشرة أمثالها معها»[١].

* وعن أبي الزبير عن جابر بن عبداللّٰه ـ رضي اللّٰه عنهما ـ قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**يتجلّى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكًا**»[٢].

* (٩) حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه:

عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه «بينا نحن عند النبي ﷺ إذْ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عديّ هل رأيت الحيرة؟**» قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها قال: «**فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا اللّٰه**» ـ قلت: فيما بيني وبين نفسي فأين ديار طيئ الذين سعروا البلاد ـ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «**كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك الحياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقين اللّٰه أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٣)، وفي «السُّنَّة» ص: (٤٧ ـ ٤٨)، ومسلم (١٩١) (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨) ولفظه عندها: «نجيء نحن يوم القيامة من كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس» وقال النووي (٣/ ٤٦): «هكذا وقع هذا اللفظ في جميع الأصول من صحيح مسلم، واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف وتغيير واختلاف في اللفظ.

(٢) صحيح: رواه الدارقطني، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٧٥١).

فلا يرى إلا جهنم».

قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة**»، قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ»[(١)].

واللقاء يتضمن الرؤية والمشاهدة

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلّا ما قدّم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار، ولو بكلمة طيبة**»[(٢)].

* (٤١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: -

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظ فيلهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله عز وجل، قال: فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٩٥).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٥٦، ٣٧٧)، والبخاري (٧٥١٢)، ومسلم، والترمذي (٢٤١٥)، وابن ماجه (١٨٥).

فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ، عبدًا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد ارفع رأسك قل تسمع، وسل تعطَ، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي، بتحميد يعلمنيه ربي، فأشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود، فأقع ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة. قال: فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود**»[1].

* ورؤية النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتًا يقطع به أهل العلم بالحديث والسّنة.

* (١١) حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه: -

عن أبي رزين رضي الله عنه قال: «قلنا يا رسول الله أَكُلُّنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال: «**نعم**»، قال: قلت: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟» قلنا: نعم. قال: «**الله أكبر وأعظم**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (٣٢٣)، وأحمد (٣/ ١١٦)، وابن ماجه (٤٣١٢).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٥٧٥٣) (٤/ ١١، ١٢)، وفي «السُّنَّة» ص/ (٤٧)، وأبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجه (١٨٠)، وابن أبي عاصم (٤٥٩)، وابن خزيمة (١١٧) ص: (١٧٩، ٣٨٢)، وابن حبان (٣٩ - موارد)، والآجري ص: (٢٦٢)، والدارقطني في «الرؤية» (١١٧ - أ - ١٨٨ - أ) وصححه الحاكم وفيه: وكيع بن مدس فيه جهالة. وقال الألباني في تحقيق «المشكاة» (٣/ ٩٨) «إسناده ضعيف، وبعضهم يُحسّنه، ولكنه حسّنه في «ظلال الجنة ح ٤٥٩ - ٤٦٠).

وأبو رزين العَقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف: وهو لقيط بن عامر ويقال: لقيط بن صبرة، هكذا قال البخاري، وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل: هما اثنان، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة. والصحيح الأول. وقال ابن عبدالبر: من قال لقيط بن صبرة نسبه إلى جده وهو لقيط بن عامر بن صبرة.

وفي حديث لقيط بن عامر عند ابن خزيمة (ص ١٨٨): «... قال: قلت: يا رسول الله كيف وهو شخص واحد ونحن ملء الأرض ننظر إليه وينظر إلينا؟ قال: «**أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها في ساعة واحدة وتريانكم فلا تضامون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو على أن يراكم وترونه أقدر منهما على أن يريانكم وترونهما....**».

ولقد أورد هذا الحديث بطوله ابن القيم في كتابه «**زاد المعاد في هدي خير العباد**»، ثم بيّن من أخرجه من أئمة أهل الحديث فقال: «هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يُعرف إلا من حديث عبدالرحمن بن المغيرة بن عبدالرحمن المدني رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم وتلقّوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته، فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه، وفي كتاب «**السُّنّة**» له، وقال: كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبتُ إليك بهذا الحديث، وقد عرضته وسمعته على ما كتبتُ به إليك فحدِّثْ به عنِّي، ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد من عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب «السنة» له، ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن إبراهيم بن سليمان العسال في كتاب «**المعرفة**»، ومنهم حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في كثير من كتبه، ومنهم الحافظ أبو محمد عبدالله بن محمد بن يحيى بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب

«السنة»، ومنهم الحافظ بن الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده حافظ أصبهان، ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن إسحاق الأصبهاني، وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم.

وقال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبدالله بن أحمد بن حنبل وغيرهما، وقد رواه بالعراق بجمع من العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم: أبو زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ولم ينكره أحد، ولم يُتكلَّم في إسناده، بل رووه على سبيل القبول والتسليم، ولا ينكر هذا إلا جاحدٌ أو جاهلٌ مخالفٌ للكتاب والسنة هذا كلام ابن منده» اهـ.

* (١٢) حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: -

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»(١).

* (١٣) حديث فضالة بن عُبيد رضي الله عنه: -

عن أم الدرداء أن فضالة بن عُبيد كان يدعو يقول: **«اللَّهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»** وزعم أنها دعوات كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم(٢).

* (١٤) حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: -

عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي عاصم في «السُّنّة» وصحح إسناده الألباني.

(٢) إسناده صحيح: رواه ابن أبي عاصم في «السُّنّة» ح ٤٢٧، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٨٤٧) (٤/ ٤٩١)، والدارقطني في الرؤية، وقال الألباني: إسناده صحيح.

قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء. فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»(١).

وعند الدارمي في الرد على الجهمية: «أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**».

وعند اللالكائي: «**قد حدّثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا فإن أُشكل عليكم منه شيء فاعلموا أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور، وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**».

* (١٥) عبدالله بن عمر ورجل من أصحاب النبي ﷺ: -

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قام للناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «**لا أدري أتدركونه، ما من نبي إلا وقد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكني أقول لكم قولًا لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور**».

قال الزهري: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ قال يوم حذّر الناس: «**إنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه من كَرِه عمله**» أو «**يقرأه كل مؤمن**»، وقال: «**تعلمن أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت**»(٢).

---

(١) سنده جيد رجاله ثقات: أخرجه أحمد (٢٢٦٦٣) (٥/ ٣٢٤)، وأبو داود (٤٣٢٠)، وابن أبي عاصم في «السُّنّة» ح: ٤٢٨، واللاكائي (٨٤٨) (٤/ ٤٩١) والدارمي في الرد على الجهمية (١٨٢)، والآجري ص: (٣٧٥)، وقال الألباني: إسناده جيد رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٧١ - ١٧٢) (١٠/ ٥٦٠ - ٥٦١)، (١٣/ ٩٠)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٥)، وأبو داود (٤٦٥٧) من طرق عن الزهري به دون قوله: «لا أدري أتدركونه». وكذلك أخرجه البخاري (٦/ ٣٧٠) دون الشطر المذكور، وأخرجه بشطريه مسلم (٤/ ٢٢٤٥) والترمذي (٢٢٣٥) وصححه يعني مع قوله أخبرني عمر بن ثابت. وأخرجه الفسوي (١/ ٣٨٣) الشطر الثاني فقط. وأخرجه الدارمي واللفظ له (١٨٧) ص: (٩٧ - ٩٨) في «الرد على الجهمية».

● (١٦) حديث أبي أمامة رضي الله عنه: -

عن عمرو بن عبدالله - يعني الحضرمي من أهل حمص - قال: حدثني أبو أمامة قال: نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الصلاة جامعة**» فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه فما كان خطبته حتى نزل إلا في الدجّال، ثم قال: «**يا أيها الناس إنه يبدأ فيقول إنه نبي ولا نبي بعدي، ثم يثنى فيقول أنا ربكم وليس ربكم بأعور ولا ترون ربكم حتى تموتوا**»(١).

● (١٧) حديث عمارة بن رويبة رضي الله عنه: -

عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه رضي الله عنه قال: «نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا»(٢).

* عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: «نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون الله ربكم - تبارك وتعالى - كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها، فافعلوا»(٣).

● (١٨) حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: -

عن سلمان الفارسي قال: «يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون: يا نبي الله إن الله فتح

---

(١) سنده ثقات:

ذكره اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٨٥١) (٤/ ٤٩٢ - ٤٩٣)، واللفظ له، وذكر أبو داود سنده وأشار إلى حديث قبله وقال: نحوه، وليس فيه لفظ المؤلف ح (٤٣٢٢)، وأخرجه ابن ماجة بلفظ أصول ح (٤٠٧٧)، وعبدالله بن أحمد في «السُّنّة» (١٣٨ - ١٣٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٢١ - ١٢٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» ح (٤٢٩)، وقال الشيخ الألباني: «حديث صحيح رجاله ثقات» انظر «ظلال الجنة» ح: (٤٢٩).

(٢)، (٣) رواه أبو داود (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١)، وسنن ابن ماجة (١٧٧)، وابن بطة في «الإبانة» واللفظ لهن وصححه الألباني.

بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: «**نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة، فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد. قال: فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له**»[1]. الحديث.

- (١٩) حديث كبير عظيم الشأن لأنس بن مالك رضي الله عنه: -

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أتاني جبريل وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ فقال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير كثير، قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيدًا لك ولقومك من بعدك، وتكون اليهود والنصارى تبعًا لكم، قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئًا هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ادخر له في آخرته ما هو أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة التي هي فيها؟ قال: هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد، قلت: وما ذاك يا جبريل؟ قال: إن ربك اتخذ في الجنة واديًا أفيح فيه كثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين عز وجل على كرسيه فيحف الكراسي بكراسي من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي وتحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم، حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي فاسألوني. فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة. ثم يرتفع على كرسيه عز وجل

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٣)، وقال الألباني «إسناده صحيح على شرط الشيخين، ولكنه موقوف على سلمان وهو فارسي إلا أنه في حكم المرفوع، لأنه أمر غيبي».

ويرتفع معه النبيون والصديقون، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء أو زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها منها، وأنهارها مطردة فيها، وأزواجها وخدامها وثمارها متدلية فيها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا نظرًا إلى ربهم، ويزدادوا منه كرامة»(١).

• **(٢٠) حديث آخر لجابر بن عبدالله - رضي الله عنهما -:** -

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قال: بلى. قال: ما كلم الله عز وجل أحدًا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحًا. فقال: يا عبدي تمن عليَّ أعطك. قال: يا رب تحييني، فأقتل فيك ثانية، قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي. فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩]»(٢).

هذا حديث كبير عظيم الشأن، رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعي مسنده، فرواه عن إبراهيم بن محمد قال: حدثني موسى بن عبيدة، قال: حدثني أبو الأزهر عن عبيدالله ابن عبد أنه سمع أنس بن مالك فذكره بنحوه وقد تقدم لفظه. ثم قال الشافعي: أنبأنا إبراهيم قال: حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيهًا به وزاد فيه أشياء. ورواه محمد بن إسحاق قال: حدثني ليث بن أسلم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه: «**ثم يتجلى لهم ربهم** عز وجل

---

(١) حسن لغيره: رواه الشافعي في مسنده (١/ ٧٠)، وقال ابن القيم في حادي الأرواح ص: (٢٦٤ - ٢٦٥).

* وهو بهذا اللفظ في مسند الحارث «زوائد الهيثمي» (١/ ٣٠١) عن أنس.

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب: وحسّنه الألباني في «ظلال الجنة» (٦٠٢) وصححه ابن القيم في «حادي الأرواح» ص: (٢٧١) وقال الألباني في تحقيق الترغيب والترهيب «حسن لغيره» انظر «الترغيب والترهيب» تحقيق مشهور حسن سليمان رقم (١٣٨٨).

حتى ينظروا إلى وجهه الكريم» وذكر باقي الحديث. ورواه عمرو بن أبي قيس عن أبي ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس وجوّده وفيه: «**فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب، قال: ثم يتجلى لهم ربهم ـ تبارك وتعالى ـ، فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي. وهذا محل كرامتي سلوني. فيسألونه الرضى، قال: رضاى أنزلكم داري. وأنالكم كرامتي. سلوني فيسألونه الرضى، قال: فيشهدهم بالرضا ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم**» * وذكر الحديث.

* (٢١) حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ـ

وأما حديث عائشة: ففي صحيح الحاكم من حديث الزهري عن عروة عنها قالت: قال رسول اله ﷺ لجابر: «**يا جابر ألا أبشرك؟**» قال: بلى بشرك الله بخير، قال: «**شعرت أن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال: تمن عليَّ عبدي ما شئت أعطكه قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك، فأقتل فيك مرة أخرى! قال: إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجع**»(١).

* (٢٢) حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: ـ

عن عطاء بن السائب عن أبيه أن عمار بن ياسر رضي الله عنه صلَّى بأصحابه صلاةً أوجز فيها. فقيل له: خفَّفت! فقال: ما إني دعوت فيها بدعاء سمعته من رسول الله ﷺ ومضى، فتبعه رجل فسأله عن الدعاء، ثم رجع إلى القوم فأخبرهم به «اللّهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء،

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٣)، وصححه، وصححه ابن القيم في «حادي الأرواح» ص: (٢٧١).

وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضرَّاء مضرة ولا فتنة مضلّة، اللَّهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»(١).

وهو الذي جمَّلنا كتابنا هذا بشرح النعيمين اللذين في هذا الحديث المبارك الشوق إلى اللَّه في الدنيا، والنظر إليه في الآخرة.

* (٢٣) حديث تفرّد به زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه عن علي بن أبي طالب

عن الزهري عن علي بن الحسين أن رجلًا من أهل العلم أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «تُمَدُّ الأرض يوم القيامة مدّ الأديم، فأكون أول من أدعى، فأخرُّ ساجدًا حتى يأذن اللَّه لي برفع رأسي، فأرفع، ثم أقوم وجبريل عن يمين الرحمن، لم ير الرحمن - تبارك وتعالى اسمه - قبل ذلك»(٢).

---

(١) إسناده صحيح: وراه النسائي (٣/ ٥٤ - ٥٥) وابن نصر في قيام الليل ص: (٢٤٦)، وعبدالله بن أحمد في «السُّنّة» ص: (٥٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص: (١٢)، وابن حبان (٥٠٩ - موارد) وابن منده (٨٦)، والحاكم (١/ ٥٢٤ - ٥٢٥) وصححه، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٨٨) ص: (٨٩) واللفظ لهن واللالكائي (٨٤٤، ٨٥٥)، والنسائي (٣/ ٥٥) عن قيس بن عباد عن عمار. وعند أحمد «صلى بنا». وقيس بن عباد غير موجود في رواية المسند بل موجود بدل منه قول أبي مجلز - وأخرجه أحمد ص (٥١) مختصرًا بإسناد ثالث.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد، وابن جرير (١٥/ ١٤٦)، والحاكم (٤/ ٥٧١)، وأبو نعيم (٣/ ١٤٥) والحارث في مسنده، وقال أبو نعيم: «صحيح، تفرّد بهذه الألفاظ على بن الحسين، لم يروه عنه إلا الزهري، ولا عنه إلا إبراهيم بن سعد، وعلي بن الحسين هو أفضل وأتقى من أن يروه عن رجل لا يعتمده فينسبه إلى العلم ويطلق القول به» ا هـ، وقال ابن حجر عقبه في «المطلب»: «صححه الحاكم» نقل المعلق علي البوصيري أنه قال: «رواته ثقات».

ورواه الحاكم (٤/ ٥٧٠ - ٥٧١) عن إبراهيم بن حمزة الزبيري عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن علي عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا به. ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أرسله يونس بن يزيد ومعمر بن راشد عن الزهري ا هـ.

● **(٢٤) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: -**

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قُبّة وقال لهم: «**اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض**»[(١)].

● **(٢٥) حديث أبي بكرة رضي الله عنه: -**

عن أبي بكـرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حُرُم.......**» وساق الحديث وفيه: «وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم»[(٢)].

وتعقّبه الذهبي بقوله: «لكن أرسله عن ابن شهاب عن علي بن الحسين بنحوه» ا . هـ. ولم يذكر من أرسله. ورواه عن إبراهيم بن سعد كذلك البيهقي في الشعب (١/ ٢٠٨) إلا أنه قال: عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان الزهري عن علي عن صحابي به. وفي الطريق إليه محمد بن يونس الكديمي وهو ضعيف، وفيه كذلك محمد بن خالد بن عثمة وهو صدوق يُخطيء كما في التقريب، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في فتح الباري (٨/ ٤٠٠)، وقال ابن حجر: «رجاله ثقات، وهو صحيح إن كان الرجل صحابيًا». وعزاه السيوطي (٤/ ١٩٧) إلى عبد بن حميد وابن مردويه.

«ومما سبق يتبيّن لنا أن الحديث روى مرة بذكر الرجل الذي روى عنه الحسين بن علي ومرة بدون ذكرهن ويترجح مرة وحذفه مرة أخرى، وذكر ابن حجر للحديث من طريق علي بن الحسين عن الرجل المبهم يوحى أنه يرى رجحان جهالة هذا الرجل لذلك قال في الإسناد ذاته: «رجاله ثقات، وهو صحيح إن كان الرجل صحابيًا».

وأما ما ورد في رواية الحاكم أنه ذكر «جابرًا» بدلًا من الرجل المبهم فهو لا شك شذوذ من رواية إبراهيم بن سعد حيث أنه وافق معمرًا ويونس بإبهام الراوي كما تقدم، وخالفهما هنا بذكر «جابر»، ولا سيما أن إبراهيم قد تُكلِّم فيه بمثال يسير يقدح في روايته إذا خولف، فيراجع بذلك ترجمته من التهذيب والميزان» ا هـ قاله بدر البدر في تعليقه على «الرد على الجهمية للدارمي» ص: (٩٤ - ٩٥) هامش».

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري - باب قول الله - تعالى - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (٨/ ١٧٩ - ١٨٦).

(٢٦) حديث ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ في دعاء الاستفتاح ليلاً: ـ

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومَنْ فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض [ومن فيهن]، ولك الحمد أنت مَلِك السموات والأرض [ومن فيهن]، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللَّهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبْت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، [أنت ربنا وإليك المصير]، أنت المقدم وأنت المؤخر [أنت إلهي]، لا إله إلا أنت، ولا إله غيرك، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه»(١).

قال الحافظ في «الفتح»:

«قوله: (إذا قام من الليل يتهجد): ظاهر السياق أنه كان يقول أول ما يقوم إلى الصلاة، وترجم عليه ابن خزيمة: الدليل على أن النبي ﷺ كان يقول هذا التحميد بعد أن يكبر، ثم ساقه عن ابن عباس.

(٢٧) بعض روايات حديث جبريل: ـ

استدلّ الحافظ ابن حجر على إثبات الرؤية في الآخرة بما ورد من الإيمان بلقاء اللَّه ـ تعالى ـ، كما في بعض روايات حديث جبريل الطويل أنّه قال لرسول اللَّه ﷺ: «ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث...»(٢).

---

(١) رواه البخاري واللفظ له [ما عدا ما بين الأقواس]، ومسلم، وأبو عوانة وأبو داود، وابن نصر والدارمي.
قيم السموات والأرض: حافظهما أنت نور السموات والأرض: أي منورهما وبك يهتدى من فيهما.

(٢) أخرجه البخاري ـ مع «الفتح» ـ: «(١/ ١١٤)»، برقم (٥٠).

قال الحافظ:

«وقيل: المراد باللقاء رؤية اللَّه، وذكره الخطابي. وتعقبه النووي بأنّ أحدًا لا يقطع لنفسه برؤية اللَّه، فإنّها مختصّة بمن مات مؤمنًا، والمرء لا يدري بم يختم له، فكيف يكون من شروط الإيمان؟ وأجيب بأن المراد الإيمان بأن ذلك حقّ في الأمر نفسه».

قال الحافظ:

«وهذا من الأدلة القويّة لأهل السنّة في إثبات رؤية اللَّه - تعالى - في الآخرة، إذ جعلت من قواعد الإيمان»(١).

قلت:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ طائفة من أهل السنة فسّروا اللقاء الوارد في النّصوص بالرؤية، وقالوا: إن اللّقاء على الرؤية والمعاينة(٢).

(٢٨) حديث آخر لأبي هريرة رضي الله عنه: -

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول اللَّه أكُلُّنا نرى ربنا يوم القيامة؟

قال: «**أكلكم يرى الشمس بنصف النهار وليس في السماء سحابة؟**».

قالوا: نعم.

قال: «**فوالذي نفسي بيده لترون ربكم يوم القيامة لا تضارون في رؤيته كما لا تضارون في رؤيتها**»(٣).

---

(١) «فتح الباري»: (١/ ١١٨).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٦/ ٤٨٨)، وانظر: كلام ابن القيم في ذلك، في كتابه «حادي الأرواح»، ص: (٣٢٩)، وانظر في ذلك أيضًا: (فتح الباري ١٣/ ٤٣٠).

(٣) سنده لا بأس به: رواه الدارقطني في الرؤية، وابن مندة، واللالكائي (٨٢٤) وابن أبي عاصم في السنة بطريق آخر ح (٤٤٥) وقال الألباني في سنده: إسناده جيد.

أقوال الصحابة في الرؤية

* عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ﴾: الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلى وجه الله[١].

* وهو قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[٢].

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله ـ تبارك وتعالى في جنته**»[٣].

* وقال ابن مسعود رضي الله عنه في مسجد الكوفة ـ يبدأ باليمين قبل أن يحدث ـ: «**والله إن منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر. فيقول: ما غرّك يا ابن آدم ـ ثلاث مرات؟ ماذا أجبت المرسلين ثلاثًا؟ كيف عملت فيما علمت؟**»[٤].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: **هل تُنكرون أن تكون الخُلّة لإبراهيم؟ والكلام لموسى؟ والرؤية لمحمد** صلى الله عليه وسلم[٥].

---

(١)، (٢) رجاله ثقات: رواه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٥١، ٥٢)، والطبري (١١/ ١٠٤ ـ ١٠٥)، واللالكائي (٧٨٣) (٤/ ٤٥٨)، والآجري في «الشريعة» (٢٥٧)، والدارقطني في «الرؤية» (١٢٠أ ـ ١٢٣ ـ أ)، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» ح (٤٧٣)، والدارمي في «الرد على الجهمية».

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (٨٥٩) (٤/ ٤٩٦).

(٤) المصدر السابق: (٨٦٠) (٤/ ٤٩٧).

(٥) سنده صحيح: رواه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٤٥)، والحاكم وصححه (١/ ٦٥)، وذكر ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٠٨) أنه أخرجه النسائي بسند صحيح، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٢٩ ـ ١٣٠)، والآجري في الشريعة (٣٢٤، ٣٢٥) وابن خزيمة واللالكائي (٨٦١) (٤/ ٤٩٧) وفي «التوحيد» (١٣٠)، والطبري في التفسير (٢٧/ ٤٨)، والدارقطني في الرؤية.

* وعن أبي مراية قال: جعل أبو موسى يعلِّم الناس سنتهم ودينهم قال: فشخصت أبصارهم - أو قال: حرفوها عنه. قال: فما حرف أبصاركم عني؟ قالوا: نعم. قال: فكيف بكم إذا رأيتم الله جهرة؟[1].

* وقال مقدام العلماء معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**يحبس الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر. فقال له أبو غفيف: مَنْ المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك، وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة فيمرّون إلى الجنة**»[2].

* وعن سالم مولى عمر بن عبيدالله القرشي أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يذكر: أنكم لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت[3].

* وعن معاوية رضي الله عنه قال: «**من أتاكم يزعم أنه ربكم فأعلموا أنكم لن ترَوْا ربكم عز وجل حتى تموتوا**»[4].

* وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها، ثم يأتون الجبّار عز وجل، فإذا تجلّى لهم خرّوا سجّدا، فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رءوسكم فقد رضيت عنكم لا سخط بعده**».

قال الطبري: فيحصل في الباب ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسًا منهم: علي، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجرير، وأبو موسى، وصهيب، وجابر، وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت،

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٥٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١١٨)، واللالكائي (٨٦٢) (٤/ ٤٩٨).

(٢) اللاكائي (٨٦٤)، (٤/ ٤٩٩).

(٣) اللاكائي (٨٦٥) (٤/ ٩٩٩).

(٤) شرح أصول الاعتقاد (٨٦٣) (٤/ ٩٩٨).

وعدي بن حاتم، وأبو رزين العقيلي، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وبريدة ابن الحصيب، ورجل من أصحاب النبي ﷺ.

وقال الدارقطني: أخبرنا محمد بن عبدالله، حدثنا جعفر بن محمد بن الأزهر، حدثنا مفضل ابن غسان قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية كلها صحاح.

وقال البيهقي: روينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأبي موسى وغيرهم، ولم يرووا عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم إلينا، كما أنهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نقل اختلافهم في ذلك إلينا، وكما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا، فلما نقلت رؤية الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالأبصار في الآخرة عنهم، ولم يُنقل عنهم في ذلك اختلاف، كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين.

* * *

أقوال الأئمة من سلف الأمة في رؤية الله في الآخرة

أما التابعون ونزل الإسلام وعصابة الإيمان، من أئمة الحديث والفقه والتفسير، فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلَّا الله عز وجل.

- قال سعيد بن المسيب: الزيادة: النظر إلى وجه الله.
- وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل، لا يصيبهم بَعْدَ النَّظَرِ إليه قَتَرٌ ولا ذِلَّة[1].
- وقال الحسن: الزيادة: النظر إلى وجه الله ـ تعالى ـ. وقال: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا»[2].
- وعن عامر بن سعد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الزيادة: النظر إلى وجه ربهم عز وجل[3].
- وعن عكرمة في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] قال: ينظرون إلى الله نظرًا[4].
- وقال هشام بن حسّان: «إن الله عز وجل لَيَتَجلَّى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة

---

(١) إسناده صحيح: رواه عبدالله بن أحمد (ص٤٥)، وابن جرير (١١/ ١٠٥)، وابن خزيمة (ص١٨١ ـ ١٨٢)، واللالكائي، وعزاه السيوطي إلى الدارقطني، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٢) ص (١٠٠).

(٢) السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (١٤٩، ١٦١).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن جرير (١١/ ١٠٥)، وابن خزيمة (١٨٣)، واللالكائي، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٤) ص (١٠١)، وعزاه السيوطي للدارقطني.

(٤) إسناده حسن: أخرجه ابن جرير (٢٩/ ١٩٢)، والآجري (ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧)، وعبدالله بن أحمد (ص٥٣) واللالكائي، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٠٠) ص ١٠٢، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر والبيهقي.

نسوا نعيم الجنة».

- وقال الأعمش وسعيد بن جُبير: إنَّ أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ غدوة وعشية.
- وقال كعب: إن الله قسَّم رؤيته بين محمد وموسى، فرآه محمد مرتين، وكلّمه موسى مرتين[1].
- وقال طاووس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية.
- وقال أبو إسحاق السُّبيعي: الزيادة: النظر إلى وجه الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ.
- وقال علي بن المديني: سألت عبدالله بن المبارك عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] قال عبدالله: من أراد النظر إلى وجه خالقه، فليعمل عملًا صالحًا، و لا يشرك به أحدا.
- وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

  قال: محمد بن سيرين: النظر إلى الله ـ تعالى ـ[2].
- قال شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك: «**إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية**».

وقال الدارمي في «**الرد على الجهمية**» بلفظ: «**لأَنْ أحكي كلام اليهود والنصارى أحبُّ إليّ من أن أحكي كلام الجهمية**».

وقال نعيم بن حمَّاد: سمعتُ ابن المبارك يقول: ما حَجَبَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أحدًا عنه إلّا عذّبه ثم قرأ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلى قوله تعالي: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٥ ـ ١٧] قال: بالرؤية.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٧٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٩)، والدارقطني في «الرؤية» واللالكائي (٨٦٧) (٤/ ٥٠٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٧٠).

وسُئل: كيف نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: بالعين.

- وقال عبَّاد بن العوَّام: قدم علينا شريك بن عبدالله منذ خمسين سنة فقلت له: يا أبا عبدالله إن عندنا قومًا من المعتزلة يُنكرون هذه الأحاديث «**إن الله ينزل إلى السَّماء الدنيا**» و«**إن أهل الجنة يرون رَّبهم**» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا؟.
- وقال شريك: إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسبق في الصلاة والزكاة والحج وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث.
- وقال قبيصة بن عقبة: أتينا أبا نعيم الفضل بن دكين - يومًا فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس في وسطها كأنه مُغْضَبْ، فقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح بن حي، وحدثنا شريك بن عبدالله النخعي - هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ: أن الله تبارك وتعالى يُرَى في الآخرة حتى جاء ابنُ يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يُرى - يعني: بشر المريسي.
- وقال سفيان بن عيينة: من لم يقل: إنَّ القرآن كلام الله، وأن الله يُرى في الجنة فهو جَهْمِيّ وقيل له: هذه الأحاديث في الرؤية ترويها؟ فقال: حق نرويها على ما سمعناها ممن نثق به ونرضى به.
- وقال: لا نصلي خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول: لا يرى ربه يوم القيامة[(١)].
- «**وقيل لسفيان بن عيينة:** إن بِشْرًا المريسي يقول: إن الله لا يرى يوم القيامة؟ فقال: قاتل الله الدُّويْبَة ألم يسمع إلى قوله - تعالى -: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ فإذا احتجب عن الأولياء والأعداء، فأيُّ فضلٍ

(١) إسناده صحيح: اللالكائي (٨٧٦)، (٨٧٧)، (٨٧٨) (٤/ ٥٠٤)، والتصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة للآجري ص (٤٣).

للأولياء على الأعداء؟![1].

- وقال عبدالوهاب الورّاق: قلت للأسود بن سالم[2]: هذه الآثار التي تروى في معنى النظر إلى وجه الله ونحوها من الأخبار فقال: هذه الأحاديث والله حق نحلف عليها بالطلاق[3].
- وعن المسيب بن واضح قال: حدثني بعض مشايخنا قال: قال لي الأوزاعي: إني لأرجو أن يَحْجُبَ اللَّه ﷻ جَهْمًا وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده أولياءه حين يقول ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي أعدّه لأوليائه[4].
- وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية؟ فقالوا: أَمرّوها بلا كيف[5].

❁ مالك بن أنس:

- قال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: الناظرون ينظرون إلى اللَّه ﷻ يوم القيامة بأعينهم.
- وقال أشهب: وسُئل مالك عن قوله ﷻ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أتنظرُ إلى اللَّه ﷻ؟ قال: نعم. فقلت: إن أقواما يقولون: تنظر ما عنده؟ قال: بل تنظر إليه نظرًا، وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فقال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وقال اللَّه ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) الحلية (٧/ ٢٩٦)، وتاريخ بغداد (٧/ ٦٥).
(٢) الأسود بن سالم: المتعبد روى عن سفيان بن عيينه.
(٣) الآجري (٥)، و«الإبانة» الكبرى لابن بطة.
(٤) اللالكائي (٨٧٤) (٤/ ٥٠٣).
(٥) شرح أصول الاعتقاد (٨٧٥) (٤/ ٥٠٣).

لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1]

- عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون:-

- قال أبو صالح - كاتب الليث - أملى علي عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون - وسألته فيما أحدثت الجهمية - فقال -: لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله عَزَّلَهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ فقالوا: لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابًا لينضر بها وجوههم دون المجرمين ويفلج بها حجتهم على الجاحدين وشيعتهم ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ لا يرونه كما زعموا: أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم.

وكيف لم يعتبر - ويله - بقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

أفيظن أن الله يقصيهم (ويغنيهم) ويعذبهم بأمر يزعم الفاسق أنه وأولياءه فيه سواء[2].

- جرير بن عبدالحميد:

- قال يحيى بن المغيرة: كنا عند جرير بن عبدالحميد فذكر له حديث ابن سابط ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الزيادة: النظر إلى وجه الله. قال: فحضره رجل فأنكره فصاح به وأخرجه من مجلسه.

- وكيع بن الجرّاح:

- قال وكيع رَحِمَهُ اللَّهُ: يراه المؤمنون في الجنة ولا يراه إلّا المؤمنون.

---

(١) شرح أصول الاعتقاد (٨٧٠ - ٨٧١).

(٢) المصدر السابق: (٨٧٣).

• الشافعي:

- قال الربيع بن سليمان: «حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾؟.
- قال الشافعي: فلما أن حجبوا هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا.
- قال الربيع: قلت: يا أبا عبدالله وبه تقول؟

قال: نعم وبه أدين الله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبدالله تعالى[1].

- وقال هشام بن عبيدالله الرازي في كتابه «**الرد على الجهمية**»: «**ورد علينا في تفسير القرآن ومحكم الحديث أن الله جل ثناؤه يُرى في الآخرة**» ثم ذكر الروايات في تفسير القرآن والأخبار عن رسول الله ﷺ.

• قتيبة بن سعيد:

- قال قتيبة رحمه الله: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسُّنَّة: الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية.

• سليمان بن حرب:

- وسأل سلمة بن شبيب ـ وهو المستملي ـ سليمان بن حرب فقال له: يا أبا أيوب اذكر حديث أبي موسى في الرؤية؟ فقال: دعه. فقال رجل ـ بالقرب من سليمان ـ خفيا: أي والله فدعه فسمعه سليمان فنظر إليه فقال: إذًا أحدّثه على رغم أنفك، خذها إليك فإني أراك ممن تركه ثم بدأ فحدثه به.

• إمام أهل السنة أحمد بن حنبل:

- قال عبدالله بن أحمد بن حنبل:

(١) اللالكائي (٨٨٣) (٤/٥٠٥ ـ ٥٢٦) وطبقات الشافعية للسبكي (٨١/٢).

ـ رأيت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في الرؤية ويذهب إليها، وجمعها أبي رَحِمَهُ اللَّهُ وحدثنا بها[1].

ـ وقال أبو بكر الخلال:

حدثنا ابو بكر المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سألت أبا عبدالله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية وقصة العرش فصححها أبو عبداللَّه وقال: وقد تلقتها العلماء بالقبول. نسلم الأخبار كما جاءت. قال: فقلت له: إن رجلا اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت فقال: يجفى وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع؟ يسلم الأخبار كما جاءت.

* النقول كثيرة عن الإمام أحمد في إثبات رؤية المؤمنين لله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة وممن نقل عنه:

ـ ابن هانيء قال: قيل له: وإن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يرى في الآخرة قال: نعم[2].

ـ عبدوس بن مالك قال: سمعت أحمد يقول: والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روى عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح[3].

ـ مسدد بن مسرهد كتب له أحمد... وإن أهل الجنة يرون ربَّهم لا محالة[4].

ومثله نقل محمد بن عوف الطائي[5] ـ وعنده عيانًا ـ ومحمد بن حبيب الأندراني[6] وأحمد بن جعفر الإصطخري[7].

ـ حنبل بن إسحاق قال: قلت لأبي عبداللَّه في الرؤية؟ قال: أحاديث صحاح نؤمن

---

(١) السُّنَّة ص ٤٤.

(٢) مسائل ابن هانيء (٢/ ١٥٦).

(٣) رسالة عبدوس (ق٢/أ).

(٤) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٤).

(٥) المصدر السابق: (١/ ٣١٢).

(٦) نفس المصدر (١/ ٢٩٥).

(٧) نفس المصدر : (١/ ٢٩).

بها ونقر وكل ما روى عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر[١].

- يوسف بن موسى: أن أبا عبدالله قيل له: أهل الجنة ينظرون إلى ربِّهم ويكلمونه ويكلمهم قال: نعم. ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاء[٢].

- قال أبو داود السجستاني:

سمعتُ أحمد وذُكِرَ له عن رجلٍ شيءٌ في الرؤية فغضب وقال: من قال إن الله لا يُرى فهو كافر[٣].

* ونقل نحو هذا:

- أبو بكر المروذي قال: سمعت أحمد يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر[٤].

- حنبل ابن إسحاق قال: سمعت أبا عبدالله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذَّب بالقرآن وردَّ على الله أمره والله تعالى لا يُرى في الدُّنيا ويُرى في الآخرة[٥].

- ابن هانيء قال: سمعت أبا عبدالله يقول: مَنْ لم يؤمنْ بالرؤية فهو جَهْمِيّ والجَهْمي كافر[٦].

- شاهين بن السميذع قال: سألت أبا عبدالله عمن يُبَطِّل الرؤية ويقول: إن الله - تبارك وتعالى - لا يرى في القيامة؟ فقال: هذا من الجهمية من زعم أن الله لا يرى في القيامة فقد أبطل حديث رسول الله ﷺ[٧].

---

(١) شرح أصول السنة للالكائي (٣/ ٥٠٧).
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٣ نقلًا من كتاب «السُّنَّة» للخلّال.
(٣) مسائل أبي داود ص (٢٦٣).
(٤) طبقات الحنابلة: (١/ ٩٥).
(٥) المصدر السابق: (١/ ١٤٥).
(٦) مسائل ابن هانيء: (٢/ ١٥٢).
(٧) طبقات الحنابلة: (١/ ١٣).

ـ الفضل بن زياد أنه: بلغه ـ أي أحمد ـ عن رجلٍ أنه قال: إن الله لا يرى في القيامة فقال: لَعَنَهُ الله من كان من الناس أليس الله يقول ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[1]

- **قال الإمام أحمد في كتابه «الرّد على الجهمية»**

باب بيان ما جحدت الجهمية من قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

قال أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: فقلنا لهم: لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم قالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى الله لأن المنظور إليه (معلوم موصوف لا يُرى إلّا شيءٌ يفعله).

فقلنا: أليس قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قالوا معناها: إلى ربها ناظرة «**ينتظرون**» الثواب من ربها وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته وتلوا آية من القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، (فقالوا): إنهم لم يروا ربهم ولكن معنى ذلك: ألم تر إلى فعل ربك.

فقلنا لهم: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه وإنما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ فقالوا: إنما ينتظرون الثواب من ربهم (ق ٢٠/ أ).

فقلنا لهم: إنها مع ما تنتظر الثواب من ربها هي ترى ربها.

فقالوا: إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وتلوا آية من المتشابه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

فقلنا: أخبرونا عن النبي ﷺ حين قال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر**» أليس النبي كان يعرف قول الله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وقال: سترون ربَّكم وإنما قال لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل لم أُرَى فإنما أولى أن يتبع النبي ﷺ حين قال: «**سترون ربكم**» أو قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم.

---

(١) المصدر السابق: (١/ ٢٥٣).

والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيه أهل العلم وهو من حديث سُفيان، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلى وجه اللَّه ـ تعالى ـ.

ومن حديث ثابت البناني، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن صُهَيْبٍ، عن النبي ﷺ قال: إذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى منادٍ يَا أهلَ الجنة إن اللَّه قد وعدكم الزيادة قال: فيكشف الحجاب فتيجلَّى لهم، وذكر الحديث.

قال أحمد ﵁ وأنا أرجو أن يكون الجهمي وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن اللَّه يقول للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ فإذا كان الكافر يحجب عن اللَّه والمؤمن يحجب عن اللَّه فما فضل المؤمن على الكافر فالحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع والحمد لله وحده.

وقال أيضًا: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا وكانوا يحدثون بها على الجملة يمروها على حالها غير منكرين ولا مرتابين. قال اللَّه ـ تعالى ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ولا يكون حجاب إلَّا لرؤية، أخبر اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ أن من شاء اللَّه ومن أراده يراه، والكفار لا يرونه.

قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبداللَّه وقيل له: تقول بالرؤية؟ فقال: مَن لم يقلْ بالرؤية فهو جَهْمِيّ.

قال أبو داود: وسمعتُ أحمدَ وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجلٍ عن أبي العطوف إنَّ اللَّه لا يُرى في الآخرة، فقال: لعَنَ اللَّهُ مَنْ يُحَدِّث بهذا الحديث اليوم، ثم قال: أَخزَى اللَّهُ هذا.

وقال أبو بكر المروزي: قيل لأبي عبدالله: تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر: إنْ استقر الجبل فسوف تراني، وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة، فغضب أبو عبداللَّه غضبًا شديدًا حتى تبين في وجهه وكان قاعدًا والناس حوله فأخذ نعله وانتقل، وقال: أخزى الله هذا. لا

ينبغي أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به، وقال هذا جهمي كافر خالف، ما قال الله عز وجل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ أخزى الله هذا الخَبِيثَ، قال أبو عبدالله: ومن زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كَفَرَ.

وقال أبو طالب: قال أبو عبدالله: قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] فمن قال: إن الله لا يرى فقد كفر.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء: سمعت أبا عبدالله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر.

وقال يوسف بن موسى القطَّان: قيل لأبي عبدالله: أهل الجنة ينظرون إلى ربِّهم ـ تبارك وتعالى ـ ويُكلِّمُونه ويُكلِّمُهم؟ قال: نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا.

وقال حنبل بن إسحق: سمعت أبا عبدالله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم. قال حنبل: وسمعت أبا عبدالله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد رد على الله وعلى الرسول، ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد كفر ورد على الله قوله، قال أبو عبدالله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونُمِرُّها كما جاءت.

وقال الأثرم: سمعت أبا عبدالله يقول: فأما من قال: إنه لا يرى في الآخرة فهو جهمي، قال أبو عبدالله: وإنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا. وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول: «**الرؤية من كذب بها فهو زنديق**».

وقال حنبل : سمعت أبا عبدالله يقول: «**أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا ـ أحاديث الرؤية ـ وكانوا يحدثون بها على الجملة يُمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين**». وقال أبو عبدالله: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا

كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥٦] فكلم الله موسى من وراء حجاب فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه، قال حنبل: وسمعت أبا عبدالله يقول: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله ـ تعالى ـ حديث جرير بن عبدالله وغيره «**وتنظرون إلى ربكم**» أحاديث صحاح وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ النظر إلى الله ـ تعالى ـ قال أبو عبدالله: نؤمن بها ونعلم أنها حقًّا أحاديثُ الرؤية ونؤمن بأن الله يُرى، نَرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب.

قال وسمعت أبا عبدالله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن، ورد على الله أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، قال حنبل: قلت لأبي عبدالله في أحاديث الرؤية فقال: هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبي ﷺ إسنادُه جيدٌ أقررنا به قال أبو عبدالله: إذا لم نُقِرّ بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

* المزني ـ إسماعيل بن يحيى ـ صاحب الشافعي: ـ

- قال إبراهيم بن أبي داود البرلّسي المصري: كنا عند نعيم بن حماد جُلُوسًا، فقال نعيم للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول إنه كلام الله. فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق.

قال: وتقول: إن الله يُرَى يوم القيامة؟ فقال: نعم.

قال: فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبدالله شهرتني على رءوس الناس!

فقال: إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أَنْ أَبْرِيك[١].

- الغطريف بن عطاء:

- كان الغطريف بن عطاء ـ والي خراسان ـ يخطب، فكان يُتِمُّ خُطْبَتَه ويقول: «**اللهم من كالي الدنيا فسلِّمنا، وحجّتنا يوم القيامة فَلَقِّنا، والنظر إلى وجهك فارزقنا**»[٢].

- أبو عبيد القاسم بن سلام:

- قال العباس بن محمد الدوري: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول:ـ وذُكِر عنده هذه الأحاديث في الرؤية ـ فقال: «**هذه عندنا حقٌّ نَقَلَهَا النَّاسُ بعضهم عن بعض**»[٣].

وقال «**هذه عندنا حق، رَوَاهَا الثّقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا إلَّا أنَّا إذا قيل لنا فسِّروها قلنا: لا نفسِّر فيها شيئًا ولكن نمضيها كما جاءت**»[٤].

- إسحاق بن راهوية:

- قال إسحاق بن منصور: قلتُ لأحمد بن حنبل: أليس رُّبنا ـ تبارك وتعالى ـ يراه أهل الجنة؟ أليس قول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح. قال ابن منصور: وقال إسحاق بن راهوية: صحيح ولا يدعه إلَّا مبتدع أو ضعيف الرأي.

- وذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أنَّ عبدالله بن طاهر أمير خراسان سأل فقال: يا أبا يعقوبَ هذه الأحاديث التي يَرْوُونَها في النزول والرؤية ما هن؟

---

(١) اللالكائي: (٤/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩).
(٢) المصدر السابق: (٤/ ٥١١).
(٣) «التصديق بالنظر إلى الله ـ تعالى ـ في الآخرة» للآجري ص(٤٦).
(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة.

فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياءً، فإنْ يكونوا في هؤلاءِ عُدُولًا، وإلّا فَقَدْ ارتفعتْ الأحكام وبطل الشَّرع فقال: شفاك اللَّه كما شفيتني أو كما قال(١).

● **نعيم بن حمّاد:.**

- قال رفيق نعيم بن حماد: لما صِرْنا إلى العراق وحُبِسَ نعيم بن حمّاد دخل عليه رجل في السجن من هؤلاء، فقال لنعيم: أليس اللَّه قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فقال نعيم: بلى، ذاك في الدُّنيا.

قال: وما دليلُك؟

فقال نعيم: إنَّ اللَّهَ هَو البقاء، وخلق الخلق للفناء، فلا يستطيعون أن ينظروا بأبصار الفناء، إلى البقاء، فإذا جدَّد لهم خَلْقَ البقاء فنظروا بأبصار البقاء إلى البقاء.

- **محمد بن إسحاق بن خزيمة:** «إن المؤمنين لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يروْن خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين».

- الآجريّ: قال محمد بن الحسين الآجريّ: «**فمن رَغِبَ عمّا كان عليه هؤلاءِ الأئمة الذين لا يُستوحَش من ذكرهم، وخالف الكتاب والسُّنّة. ورضي بقول جَهْم وبِشْر المريسي وأشباههما فهو كافر.**

● قول جميع أهل اللغة:

قال أبو عبداللَّه ابن بطة سمعت أبا عمر محمد بن عبدالواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبًا يقول في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣ ـ ٤٤] أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ـ هَهُنا ـ لا يكون إلَّا مُعَاينةً ونظرًا بالأبصار، وحَسْبُك بهذا

---

(١) حادي الأرواح ص (٢٨٥).

الإسناد صحةً، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم، وبالتواتر على النبي ﷺ وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة بئر معونة: «**إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا**»[١] وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود: «**من أحبَّ لقاء اللّهِ أحبَّ اللّهُ لقاءه**»[٢] وحديث أنس: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا اللّه ورسوله**»[٣] وحديث أبي ذر: «**لو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لقيتك بقرابها مغفرة**»[٤]، وحديث أبي موسى: «**من لقي اللّه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة**»[٥]، وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد[٦].

رد الإمام الدارمي «عثمان بن سعيد» على «المريسي» العنيد

قال الإمام الدارمي: «...ثم انتدب المريسي الضَّالُ لِرَدّ ما جاء عن رسول اللّه ﷺ في الرؤية في قوله: «**سترون ربَّكم يوم القيامة لا تُضامون في رؤيته كما لا تضامون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر**» فأقرَّ الجاهل بالحديث وصحّحه، وثبت روايته عن النبي ﷺ ثم تلطف لرده وإبطاله بأقبح تأويل، وأسمج تفسير، ولوْ قدْ ردَّ الحديث أصلًا كان أعذر له من تفاسيره هذه المقلوبة، التي لا يوافقه عليها أحد من أهل العلم، ولا من أهل العربية، فادَّعى الجاهلُ أَنَّ تفسير قول

---

(١) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١٣٨٥).

(٢) صحيح: آخرجه النسائي (١٨٣٤)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: انظر صحيح الجامع للألباني (٢٣٠٩).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢٠٨٠٨)، والحاكم (٤/٢٤١)، عن أبي ذر، والترمذي (٣٥٤٠) في الدعوات عن أنس، وصححه الألباني وانظر الصحيحة (١٢٧ ، ١٢٨).

(٥) صحيح: في الباب حديث أنس بهذا اللفظ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٣١)، ولم أصل إلى حديث أبي موسى.

(٦) حادي الأرواح ص ٢٨٦.

رسول اللَّه ﷺ «**سترون ربكم لا تُضامون في رؤيته**» تعلمون أن لكم ربًّا لا تَشُكُّونَ فيه كَمَا لا تَشُكُّونَ في القمر أنه قمر، لا على أن أبصار المؤمنين تدركه جهرة يوم القيامة لأنه نفي ذلك عن نفسه بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: وليس على معنى قول المشبهة، فقوله: (ترون ربكم) تعلمون أنَّ لكم ربًّا لا يعتريكم فيه الشُّكُوك والرِّيب أَلَا ترون أنَّ الأَعْمَى يجوز أن يُقال: ما أبصره أي ما أعلمه، وهو لا يُبصر شيئًا.

ويجوز أن يقول الرجل: قد نظرت في المسألة، وليس للمسألة جسم ينظر إليه فقوله: نظرت فيها، رأيت فيها، فتوهّمت المشبهة الرؤية جهرة وليس ذلك من جهة العيان.

* فيُقال لك أيها المريسي: أقررت بالحديث وثبّته عن رسول اللَّه ﷺ، فأخذ الحديث بحلقك، لما أن رسول اللَّه ﷺ قد قرن التفسير بالحديث، فأوضحه ولخّصه لجمعها جميعًا في إسنادٍ واحدٍ، حتى لم يَدَعْ لمتأولٍ فيه مقالًا. وأخبر أنه رؤية العيان نصًّا كما توهّم هؤلاء الذين تسمّيهم بجهلك مشبّهة.

فالتفسير فيه مأثور مع الحديث، وأنت تفسِّرُه بخلاف ما فسَّرَه الرسول، من غير أثر تأثره عمن هو أعلم منك، فأيُّ شقيٍّ من الأشقياء، وأيُّ غويٍّ من الأغوياء يترك تفسير رسول اللَّه ﷺ المقرون بحديثه، المعقول عند العلماء، الذي يصدِّقُه ناطق الكتاب؟ ثم يقبل تفسيرك المحال الذي لا تأثره إلّا عمن هو أجهل منك وأضلّ!!.

أليس قد أقررت أن النبيَّ ﷺ قال: «**ترون ربَّكم لا تُضامون فيه، كما لا تُضامون في رؤية الشمس والقمر**» وإنَّما قال النبي ﷺ لأصحابه: «**لا تشُّكون يوم القيامة في رؤيته**»، وهذا التفسير مع ما فيه من مُعَاندة الرسول ﷺ فهو مَحَال خارج المعقول؛ لأن الشك في ربوبية اللَّه زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة، فكل مؤمنٍ وكافرٍ يومئذٍ يعلم أنه ربُّهم، لا يعتريهم في ذلك شكٌّ، فيقبل اللَّه ذلك من المؤمنين، ولا يقبله من الكافرين، ولا يعذرهم بمعرفتهم ويَقِينِهم به في ذلك

اليوم، فَمَا فَضْلُ المؤمنِ على الكافر يوم القيامة عندك في معرفة الرب؟ إذ مؤمنهم وكافرهم لا يعتريه في ربوبيته شك.

* أو ما علمت أيها المريسي أنه من مات ولم يعرف قبل موته أن اللَّه ربه في حياته، حتى يعرفه بعد مماته فإنه يموت كافرًا، ومصيرُه النار أبدًا؟ ولن ينفعه الإيمان باللَّه يوم القيامة بما يرى من آياته، إن لم يكن آمن به من قبل؟ فما موضع بُشرى رسول اللَّه ﷺ المؤمنين برؤية ربهم يوم القيامة؟ إذ كل مؤمنٍ وكافرٍ في الرؤية يومئذٍ سواءُ عندك، إذْ كلٌّ لا يعتريه فيه شكٌّ ولا ريبةٌ.

أَوَلَمْ تسمع أيها المريسي قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٣٠].

فقد أخبر اللَّه عن الكفار أنهم يومئذ مُوقنون. فكيف المؤمنون من أصحاب رسول اللَّه ﷺ الذين سألوه (هل نرى ربنا؟) وقد علموا قبل أن يسألوه أن اللَّه ربَّهم لا يعتريهم في ذلك شكّ ولا ريبةُ.

أو لم تسمع ما قال الله: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [التوبة: ١٥٨]، يُقال في تفسيره إنه طلوع الشمس من مغربها. فإذا لم ينفع الرجل إيمانه عند الآيات في الدنيا، فكيف ينفعه يوم القيامة فيستحق به النظر إلى الله؟ فاعقل أيها المريسي ما يجلب عليك وكلامك من الحجج الآخذة بحلقك.

* وأما إدخالك على رسول اللَّه ﷺ فيما حقق من رؤية الربِّ يوم القيامة قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فإنما يدخل على من عليه نَزَلَ، وقد عرف ما أراد اللَّه ـ تعالى ـ به وعقل فَأَوْضَحَهُ تفسيرًا وعبّره تعبيرًا، ففسَّر الأمرين جميعًا تفسيرًا شافيًا كافيًا سأله أبوذر: (هل رأيت ربك)؟ ـ يعني في الدنيا ـ، فقال: «**نور أنّى أراه**»، فهذا معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في الحياة الدنيا، فحين سُئل عن رؤيته في المعاد قال: «**نَعَمْ، جَهْرَةً كَمَا تَرَى الشَّمْسَ والقَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ**»

ففسَّر رسول اللَّه ﷺ المعنيينْ خلاف ما ادّعيت.

* والعجب من جهلك بظاهر لفظ رسول اللَّه ﷺ، إذ تتوهّم في رؤية اللَّه جهرةً أنها كرؤية الشمس والقمر، ثم تدَّعي أنه من توهُّم من سمْيتهم مُشبِّهة، فرسول اللَّه ﷺ في دعواك أول المشبهة!! إذ شبّه رؤيته ـ تعالى ـ برؤية الشمس والقمر، كما شبّهه أولئك المشبهون في دعواك.

*وأما أغلوطتك التي غالطت بها جُهّال أصحابك في رؤية اللَّه يوم القيامة فقلت: ألا ترى أن قوم موسى حين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] أخذتهم الصاعقة، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فأخذتهم الصاعقة، وقالوا: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

فادعيت أن اللَّه أنكر عليهم ذلك وعابهم بسؤالهم الرؤية.

* فيُقال لهذا المريسي: تقرأ كتاب اللَّه وقلبك غافل عما يُتلى عليك فيه؟ ألا ترى أن أصحاب موسى سألوا موسى رؤية اللَّه ـ تعالى ـ في الدنيا إلحافًا؟ فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ولم يقولوا حتى نرى اللَّه في الآخرة، ولكن في الدنيا، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم ما حظره اللَّه على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد ﷺ لم تصبهم تلك الصاعقة، ولم يقل لهم إلَّا ما قال محمد ﷺ لأصحابه إذ سألوه (هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**نعم لا تُضامون في رؤيته**» فلم يعبهم اللَّه ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل حسَّنه لهم، وبشَّرهم ببشرى جميلة كما رُويت أيها المريسي عنه، وقد بشَّرهم اللَّه بها قبله في كتابه فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣].

وقال للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

فقوم موسى سألوا نبيهم ما قد حظر اللَّه على أهل الدنيا بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وسأل أصحاب محمد ﷺ نبيهم ما أخبر اللَّه أنه سيعطيهم

ويثيبهم به يوم القيامة، فصُعق قوم موسى بسؤالهم ما لا يكون، وسلم أصحاب محمد ﷺ بسؤاله ما يكون، ومتى عاب الله على قوم موسى سؤال الرؤية في الآخرة، فتفترى بذلك عليهم تكذِبُ على الله وعلى رسوله، والله لا يحب الكاذبين.

وقد فسّرنا أمر الرؤية، وَرَوَيْنَا ما جاء فيها من الآثار في الكتاب الأول الذي أمليناه في الجهمية[1] ورويناها منها صدرًا في هذا الكتاب أيضًا[2]، فالْتَمِسُوهَا هناكَ واعرضوا ألفاظها على قلوبكم وعقولكم تنكشف لكم عورة كلام هذا المريسي، وضلال تأويله، ودحوض ـ حجته إن شاء الله ـ»[3].

بين أبي يوسف رحمه الله وبشر المريسي

عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: أُخْبِرتُ عن بشر بن الوليد قال: كنتُ جالِسًا عند أبي يوسف القاضي فدخل عليه بشر المريسي، فقال له أبو يوسف: حَدَّثَنا إسماعيل عن قيس عن جرير عن النبي ﷺ فذكر حديث الرؤية ثم قال أبو يوسف: إنِّي والله مؤمن بهذا الحديث، وأصحابُك يُنْكِرونه، وكأني قد شغلت على الناس خشبة باب الجسر فاحذر»[4].

وفي رواية أخرى أنه قال له: يا بشر إمَّا أَنْ تَتُوبَ أو تُفسِدَ علينا خشبة.

- **عبيد الشوينزي وقوله الجميل يوم موت بشر المريسي:-**

لما مات بشر المريسي لم يشهد جنازته من أهل العلم والسَّنَة أحدٌ إلَّا عبيد

---

(١) هو كتاب: «الرد على الجهمية» للدارمي.

(٢) هو كتاب: «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد».

(٣) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ص (٥٧ ـ ٦١) ـ دار الفرقان ـ القاهرة.

(٤) تاريخ بغداد ٥٦/٧ وشذرات الذهب ٤٤/٢ والملل والنحل ١٤١/١، ٢٦٩، ٢٧١، والفرق بين الفرق ١٩٢، والفصل لابن حزم ٤٥/٤.

الشونيزي، فلما رجع من جنازة المريسي أقبل عليه أهل السُّنَّة والجماعة، وقالوا: يا عدو اللَّه تنتحل السُّنَّة والجماعة وتشهد جنازة المريسي؟! قال: أَنْظِرُونِي حتَّى أُخْبِرَكم، ما شهدت جنازةً رجوتُ فيها من الأجر ما رجوتُ في شهود جنازته، لما وُضِع في موضع الجنائز، قمتُ في الصَّفِ، فقلَتُ: اللهم عبدُك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، اللهم فاحجبه عن النظر إلى وجهك يومَ ينظر إليك المؤمنون. اللهم عبدُك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر، اللهم فعذِّبه اليوم في قبره عذابا لم تعذبه أحدًا من العالمين. اللهم عبدك هذا كان يُنكر الميزان، اللهم فخفف ميزانه يوم القيامة. اللهم عبدك هذا كان يُنكِر الشفاعة، اللهم فلا تُشفِّع فيه أحدًا من خلقك يوم القيامة»[1].

هذه آثار سلفنا.. فما أجملها...

هذه الآثار السابقة المروية عن نبينا ﷺ وعن سلفنا الصالح، «مأثورة عنهم، مستفيضة فيهم، يتوارثونها عن أعلام الناس وفقهائهم قرنًا بعد قرن. ويعلم القاصي والدَّاني أنه لا يستدرك سنن رسول اللَّه ﷺ وأصحابه وأحكامهم وقضاياهم إلَّا بهذه الآثار والأسانيد على ما فيها من الاختلاف، وهي السبب إلى ذلك، والنَّهجُ الذي دَرَجَ عليه المسلمون، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب اللَّه ﷻ منها يقتبسون العلم، وبها يقضون، وبها يقيمون، وعليها يعتمدون، وبها يتزيّنون، يَرِثُهَا الأول منهم الآخر، ويبلِّغها الشاهد منهم الغائب، احتجاجًا بها، واحتسابًا في أدائها إلى من لم يسمعها، يُسَمُّونها السنن والآثار والفقه والعلم، ويضربون في طلبها شرق الأرض وغربها، يُحلّون بها حلال الله، ويُحرِّمون بها حرامه، ويميّزون بها بين الحق والباطل والسنن والبدع، ويستدلون بها على نفس القرآن ومعانيه وأحكامه، ويعرفون بها ضلالة من ضلَّ عن الهُدَى، فمن رَغِبَ عَنْهَا فَإِنَّمَا يَرْغَبُ عن آثار السلف وهديهم، ويريد مخالفتهم ليتخذ

---

(١) «الرد على الجهمية» للدارمي ص (١٠٦ - ١٠٨).

دينه هواه، وليتأوَّل كتابَ اللّه برأيه خلاف ما عنى اللّه به.

* فإن كنتم من المؤمنين، وعلى منهاج أسلافهم، فاقتبسوا العلم من آثارهم، واقتبسوا الهُدى في سبيله، وارضوا بهذه الآثار إمامًا، كما رَضِيَ بها القوم لأنفسهم إمامًا، فلعمري ما أنتم أعلمُ بكتاب اللّه منهم ولا مثلهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلّا باتباع هذه الآثار على ما تروى، فمن لم يقبلها، فإنَّه يريد أن يتَّبع غير سبيل المؤمنين قال اللّه ـ تعالى ـ: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

* فإنْ قال قائل منهم: لا، بل نقولُ بالمعقول. قلنا: ها هنا ضللتم عن سواء السبيل، ووقعتم في تيهٍ لا مَخْرَج لكم منه، لأن المعقول ليس لشيءٍ واحدٍ موصوف بحدود عند جميع الناس فيقتصر عليه، ولو كان كذلك كان راحةً للناس، ولقُلنا به ولم نُعِد، ولم يقل اللّه ـ تبارك وتعالى ـ ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] فوجدنا المعقول عند كل حزب ما هم عليه، والمجهول عندهم ما خالفهم، فوجدنا فِرقكم ـ معشر الجهمية ـ في المعقول مختلفين، كل فرقة منكم تَّدعِي أن المعقول عندها ما تدعو إليه، والمجهول ما خالفها، فمن رأينا المعقول اختلَف منَّا ومنكم ومن جميع أهل الأهواء، ولم نقف له على حدٍّ بيِّنٍ في كل شيءٍ، رَأينا أَرْشَدَ الوجوه وأهداها أن نَرُدَّ المعقولات كلها إلى أمر رسول اللّه ﷺ وإلى المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم، لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتأويله منَّا ومنكم، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين، لم يفترقوا فيه، ولم تظهر فيهم البدع والأهواء الحائدة عن الطريق»(١).

ونقول لأفراخ الجهمية من المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، ما قال السُّنِّي لأصحاب المعقول الذين اتبعوا لسان أرسطو ومنهج اليونان من علم الكلام:

مَنْ أَنْتَ يَا رُسْطُوا وَمَنْ ... أَفْلَاطُ قَبْلِكَ يَا مُبَلِّدْ

(١) نفس المصدر السابق.

[illegible] ابْنُ سِينَا حِينَ قَرَّرَ مَا هُدِيتَ لَهُ وَأَرْشَدْ
هَلْ أَنْتُمُ إِلَّا الفَرَاشُ وَقَدْ رَأَى نَارًا تَوَهَّجْ؟!
فَدَنَا فَأَحْرَقَ نَفْسَهُ وَلَوِ اهْتَدَى رُشْدًا لَأَبْعَدْ

والشرع العظيم يُخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول. والعقول السليمة تُسَلِّم لمن هو أكمل، وأكمل الناس عقلًا من كان صلة بينهم وبين خالقهم ﷻ، فرسول اللَّه ﷺ أكمل الناس عقلًا .. والعقل كالدَّابةُ يُوصِّلك إلى باب المَلِك ثم تدخل عليه بعد ذلك بمطلق التسليم والإذعان والخضوع لأمره، فأمور الغيب يستحيل أن نقيسها بعقولنا التي تجهل كثير مما في ذواتنا وأجسامنا، فكيف تعقل بعقولها عالم الغيب الذي لا تقدر على تكييفه، فهو أكبر من العقول والخيال، ففيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. فسلِّم الأمر .. تجد العجب العُجَاب.. وترث علم اليقين ليقينك بمشكاة النبوة.

فَاكْحَلْ جُفُونَ القَلْبِ بِالوَحْيَيْنِ وَاحْذَرْ كُحْلَهُم يَا كَثْرَةَ العُمْيَانِ

لطيفة

«جميع الأمة تقول عن ربِّها: إنه لم يُرَ ولا يُرى في الدنيا، فأمَّا في الآخرة فما أكبر نعيم أهل الجنة إلَّا النظر إلى وجهه، والخيبة لمن حُرِمَهُ، وما تَعْجبون مِنْ أنْ كان اللَّهُ ولا شيءٍ من خلْقِه ثم خلَق الخلق ثم اسْتَوى على عَرْشه فوق سماواته، واحتجب من خلقه بُحجب النَّار والظُّلْمَة، كما جاءت به الآثارُ، ثُمَّ أرْسَل إليهم رُسُلَه يعرِّفهم نفسه بصفاته المقدَّسة، ليبلُوَ بذلك إيمانَهم أيُّهم يؤمن به ويعرفه بالغيب ولم يَره، وإنما يجزي العباد على إيمانهم باللَّه بالغيب، لأن اللَّه ﷻ لو تَبَدَّى لخلقه وتجلّى لهم في الدنيا لم يكن لإيمان الغيب هناك معنى، كما أنه لم يكفر به عندها كافرٌ، ولا عصاه عاصٍ، ولكنه احتجب عنهم في الدنيا، ودعاهم إلى الإيمان به بالغيب، وإلى معرفته، والإقرار بربوبيته، ليُؤمِنَ به من قد سبقت له

منه السعادة، ويحق القول على الكافرين.

ولو قد تجلّى لهم لآمن به مَن في الأرض كلهم جميعًا بغير رُسُل ولا كُتُبٍ ولا دُعاةٍ، ولم يعصوه طرفة عين.

فإذا كان يوم القيامة تجلَّى لمن آمن به وصدَّق رسله وكتبه وآمن برؤيته، وأقرّ بصفاته التي وصف بها نفسه، حتى يروْه عيانًا، مثوبة منه لهم وإكرامًا، ليزدادوا بالنظر إلى من عبدوه بالغيب نعيمًا، وبرؤيته فرحًا واغتباطًا، ولم يُحْرَمُوا رؤيته في الدنيا والآخرة جميعًا، وحجب عنه الكفار يؤمئذ إذْ حُرِموا رؤيته كما حُرِمُوها في الدنيا ليزدادوا حسرة وثبورا»[1].

* وقال ابن القيم رحمه الله: قد دل القرآن والسنة المتواترة واجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن اللَّه سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا كما يرى القمر ليلة البدر صَحْوًا وكما تُرى الشمسُ في الظهيرة. فإنْ كان لما أخبر اللَّه ورسوله عنه من ذلك حقيقة ـ وإنَّ له واللَّه حق الحقيقة ـ فلا يمكن أن يَرْوه إلَّا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو من خلفهم أو من أمامهم. أو عن يمينهم. أو عن شمائلهم، وإن لم يكن لما أخبر به، حقيقة كما يقول أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس، والفرعونيون بطل الشرع والقرآن. فإنَّ الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بَلَّغَهَا هو الذي بلَّغ الدِّين فلا يجوز أن يجعل كلام اللَّه ورسوله عِضِين بحيث يؤمنُ ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع في قلب العبد بعد ـ الإطلاع على هذه الأحاديث وَفِهْمِ معناها ـ إنكارُها والشهادةُ بأنَّ محمدًا رسول اللَّه أبدًا.

* وختم ابن القيم كلامه بجواب شريك بن عبداللَّه لمَّا سُئل عن قوم من المعتزلة يُنكرون النزول والرؤية فقال: أمَّا نَحْنُ فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن

---

(١) انظر الرد على الجهمية للدارمي ص١٠٥ ـ ١٠٦.

أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا؟ وقول أبي نعيم: هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله - تعالى - لا يُرى - يَعْنِي بشرًا المريسي -[(١)].

* وقال الآجري: (فهذه الأحاديث والأخبار كلها يصدق بعضها بعضًا مع ظاهر القرآن، وتبين أن المؤمنين يرون الله عز وجل، والإيمان بهذا واجب، فمن آمن بما ذكرنا فقد أصاب حظه من الخير - إن شاء الله - في الدنيا والآخرة. ومن كذّب بجميع ما ذكرنا وزعم أن الله عز وجل لا يُرى يوم القيامة فقد كفر.

ومن كفر بهذا كفر بأمور كثيرة مما يجب عليه الإيمان به)[(٢)].

* وقال الإمام أحمد: «**والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنّة يرون ربّهم لا يختلف فيها أهل العلم**»[(٣)].

وذكر شارح الطحاوية ما نصه: (وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها)[(٤)].

وعقد اللالكائي ترجمة في (سياق ما روى عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين في رؤية المؤمنين الرب عز وجل فذكر بالسند سبعة عشر من الصحابة وعشرين من التابعين واثنين وثلاثين من الفقهاء)[(٥)]. كلهم روي عنه ما يدل على جواز الرؤية ووقوعها للمؤمنين يوم القيامة. والله أعلم.

---

(١) حادي الأرواح ص٢٢٠ ومن ٢١١ - ٢١٥.

(٢) كتاب التصديق للآجري ص (٢٢٢).

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد: ٤٥.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: ١٤١، وانظر اللآليء البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية للمرداوي: ٥٧.

(٥) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣: ٤٧ وما بعدها، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ١٦٧ - ١٩٧. ولمعرفة طرق أحاديث الرؤية انظر فتح الباري لابن حجر ١٣: ٤٣٤، والنووي على مسلم ٣: ١٥.

الأدلة العقلية
على رؤية الله ـ تعالى ـ في الآخرة

- (الدليل الأول) دليل «**الوجود**» وهو عمدة أدلة العقل عند المتكلمين. وتقريره أن كل موجود يجوز أن يرى عقلًا، فوجودُ اللَّه ـ تعالى ـ علةٌ صالحة لصحة رؤيته، وإذا حصلت العلة حصل الحكمَ لا محالةَ. فوجبَ القول بصحة رؤيته. وقد أطال أهل الكلام في تقرير هذا الدليل وإيراد الاعتراضات عليه ومناقشته[1]. والأصرح دلالة على الجواز:
- (الدليل الثاني): وهو أن موسى عليه السلام سأل ربَّه أن يريه نفسه ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ وسؤاله مستلزم لجواز الرؤية عقلًا في الدنيا. لأن موسى لا يخفى عليه الجائز، والمستحيل في حق اللَّه ـ تعالى ـ[2] وإذا ثبت إمكان الرؤية في الدنيا ثبت في الآخرة إذ لا فرق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأكثر مُثَبِتي الرؤية لم يجعلوا مجرد الوجود هو المصحح للرؤية؛ بل قالوا إن المقتضى أمور وجودية؛ لا أن كل موجود تصح رؤيته، وبينْ الأمريْن فرق؛ فإن الثاني يستلزم رؤية كل موجود؛ بخلاف الأول؛ وإذا كان المصحح للرؤية هي أمور وجودية لا يشترط فيها أمور عدمية؛ فما كان أحق بالوجود وأبعد عن العدم كان أحق أن تجوز رؤيته»[3].

* وقال الشنقيطي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.

«حاصل هذا الجواب: أن الإدراك أخص من مطلق الرؤية، لأن الإدراك المراد به الإحاطة، والعرب تقول: رأيت الشيء وما أدركته، فمعنى لا تدركه الأبصار لا تحيط به، كما أنه ـ تعالى ـ يعلمه الخلق ولا يحيطون به علما.

(١) انظر كتاب الأربعين للرازي ص ١٩١، والمواقف للايجي ص ٣٠٢.
(٢) «أضواء البيان» للشنقيطي (٢/ ٢٩٧).
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ١٣٦).

وقد اتفق العقلاء على أن نفي الأخص لايستلزم نفي الأعم...

والحاصل أن رؤيته - تعالى - بالأبصار جائزة عقلًا في الدنيا والآخرة؛ لأن كل موجود يجوز أن يُرى عقلًا، ويدلُّ لجوازها عقلًا قول موسى ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ لأنه لا يجهل الجائز في حق اللَّه - تعالى - عقلًا»[1].

* وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**هذه الطريقة - وهي أن كل قائم بنفسه يمكن رؤيته - هي التي سلكها أئمة النُّظَّار: كابن كُلّاب وغيره، وسلكها ابن الزاغوني وغيره.**

وأما من قال: إنَّ كلَّ موجود يجوز رؤيته أو يجوز أن يُحس بسائر الحواس الخمس، كما يقوله الأشعري وموافقوه كالقاضي أبي يعلى، وأبي المعالي وغيرهما، فهذه الطريقة مردودة عند جماهير العقلاء، بل يقولون فسادها معلوم بالضرورة، بعد التصور التام كما بُسِط في موضعه»[2].

* [illegible] نفاة الرؤية.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله - تعالى -: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ بعد سرده للأقوال في تأويل الآية.

«والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب**» فالمؤمنون يرونه، والكافرون عنه يومئذ محجوبون، كما قال جل ثناؤه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ فأما ما اعتلّ به منكرو رؤية اللَّه يوم القيامة بالأبصار، لما كانت لا ترى إلَّا ما باينها وكان بينها وبينه فضاء وفرُجَة، وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية اللَّه بالأبصار كذلك؛ لأن في ذلك إثبات حد له ونهاية فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه.

---

(١) «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» للشنقيطي ص ١٢١، ١٢٢ - مطبعة المدني.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: (١٧/ ٣٤٠).

فإنه يُقال لهم: هل علمتم موصوفًا بالتدبير سوى صانعكم إلَّا مماسًّا لكم أو مباينًا، فإن زعموا أنهم يعلمون ذلك، كُلِّفُوا تَبْيِينهِ، ولا سبيل إلى ذلك. وإن قالوا: لا نعلم ذلك، قيل لهم: أوليس قد علمتموه لا مماسًا لكم ولا مباينًا، وهو موصوف بالتدبير والفعل، ولم يجد عندكم -إذ كنتم لم تعلموا موصوفًا بالتدبير والفعل غيره، إلَّا مماسًّا لكم أو مباينًا أن يكون مستحيلًا العلم به وهو موصوف بالتدبير والفعل لا مماسًا ولا مباينًا فإنْ قالوا: ذلك كذلك، قيل لهم: فما تنكرون أن تكون الأبصار كذلك لا ترى إلَّا ما باينها وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه، وهو غير مباين لها ولا فرجة بينها وبينه إلَّا فضاء كما لا تعلم القلوب موصوفًا بالتدبير إلَّا مماسًّا لها أو مباينًا وقد علمته عندكم لا كذلك، وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفًا برؤية الأبصار لا مماسًا لها ولا مباينًا للعالم به أو مباينًا أو أجاز أن يكون موصوفًا برؤية الأبصار لا مماسًا لها ولا مباينًا فرق، ثم يسألون الفرق بين ذلك، فلن يقولوا في شيء من ذلك قولًا إلَّا أُلزِمُوا في الآخر مثله، وكذلك يسألون فيما اعتلُّوا به في ذلك أنَّ مِنْ شأن الأبصار إدراك الألوان كما أن من شأن الأسماع إدراك الأصوات، ومن شأن المتنسم درك الأعراف، فمن الوجه الذي فسد أن يقتضي المسمع بغير الأصوات، فسد أن يقتضي للأبصار بغير درك كالألوان، فيُقال لهم: ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفًا بالتدبير والفعل إلَّا ذا لون وقد علمتموه موصوفًا بالتدبير لا ذا لون، فإن قالوا: نعم لا يجدون من الإقرار بذلك بُدًّ إلَّا أن يكذِّبوا فيرغموا أنَّهم قد رأوا وعاينوا موصوفًا بالتدبير والفعل غير ذي لون فيُكلفون ببيان ذلك ولا سبيل إليه، فيُقال لهم: فإذا كان كذلك، فما أنكرتم أن تكون الأبصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك إلَّا الألوان، كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفًا بالتدبير إلَّا ذا لون وقد وجدتموها علمته موصوفًا بالتدبير غير ذي لون، ثم يُسألون الفرق بين ذلك فلن يقولوا في أحدهما شيئًا إلَّا أُلِزموا في آخر مثله.

ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها وإطالة الكتاب بها

وبالجواب عنها إذا لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم، بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آي الفرقان ولكنا ذكرنا القدر الذي ذكرنا ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم إلَّا إلى ما لبَّسَ عليهم الشيطان، مما يسهل على أهل الحق البيان عن فساده وأنهم لا يرجعون في قولهم إلى آية من تنزيل محكمة، ولا رواية عن النبي ﷺ صحيحة ولا سقيمة، فهم في الظلمات يخبطون، وفي العمياء يتردّدون نعوذ باللَّه من الحيرة والضلالة»[(١)].

- قال الشيخ محمد رشيد رضا:

قال الشيخ محمد رشيد رضا عند قوله ـ تعالى ـ ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ الآية [الأعراف: ١٤٣] بعد أن ذكر مباحث متعددة في صفة الرؤية: «**الكلمة الجامعة الخاتمة في مسألة الرؤية .. خلاصة الخلاصة** أن رؤية العباد لربهم **في الآخرة حق وأنها أعلى وأكمل النعيم الروحاني الذي يرتقي إليه البشر في دار الكرامة والرضوان، وأنها أحق ما يصدق عليه قوله ـ تعالى ـ في كتابه المجيد:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

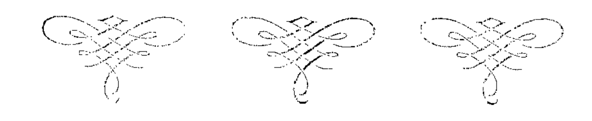
وقوله في الحديث القدسي الذي رواه عنه رسول اللَّه ﷺ: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[(٢)] وأنَّ هذا أو ذاك مما يدل على مذهب السلف الذي عبر عنه بعضهم بأوجز عبارة اتفق عليها جميعهم وهي أنها رؤية بلا كيف ويؤيد ذلك اضطراب جميع أصناف العلماء في النصوص الواردة في نفيها وإثباتها سواءً منهم أهل اللغة وأساطين البيان ونُظّار الفلسفة وعلم الكلام ورواة الأحاديث والآثار ومرتادو الصوفية وأولو الكشف والإلهام فلم تتفق طائفة من هؤلاء على قول فصل قطعي تضع به بقية الطوائف

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري: (١٢/ ١٣ ـ ٢٢).

(٢) رواه البخاري في التوحيد وبدأ الخلق، ومسلم في الإيمان حديث: ٣١٢.

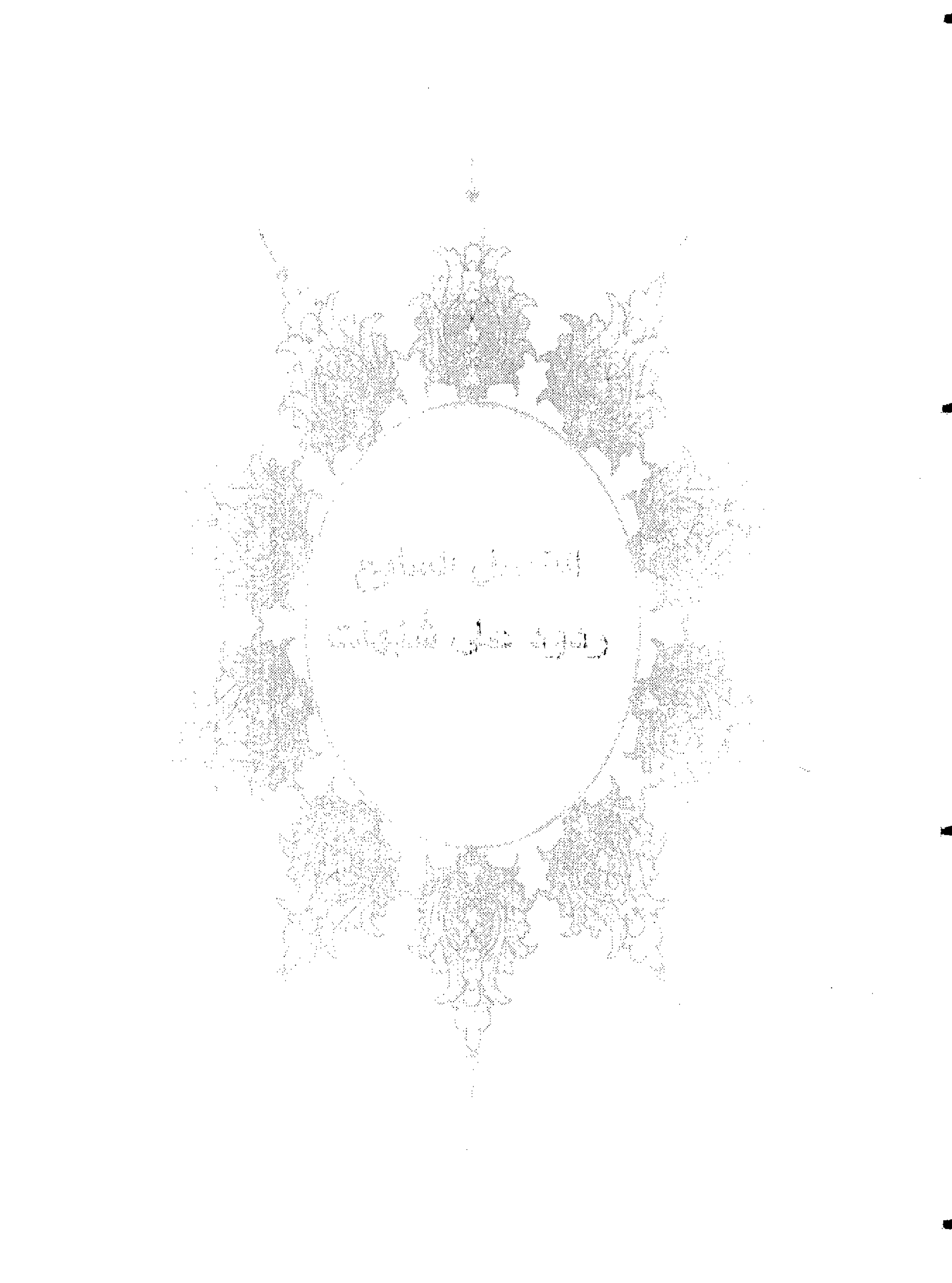
بدليلها اللغوي أو الأصولي أو العقلي أو فهم النص النقلي أو تسليم إلهامها الكشفي، ولكن من نظر في جميع ما قالوا نظرة استقلال وإنصاف يجزم بأن ما كان عليه عامة السلف من إثبات كل ما صحّ به النقل وتفويض تأويله[١] الذي يكون عليه في الآخرة إلى الله ﷻ هو الحق الذي يطمئن به القلب ويؤيده العلم والعقل وهو الأسلم والأحكم والأعلم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون»[٢].



---

(١) يقصد به تفويض الكيفية لا تفويض المعنى.. فالسلف كانوا يفوّضون في الكيفية لا في المعنى.

(٢) تفسير المنار (٩/ ١٧٧ - ١٧٨).



الفصل العاشر

ردود على شبهات



الفصل السابع

ردودٌ على شُبهات

للَّه در أهل السنة والجماعة الذين رزقهم اللَّه الفهم لِكِتَابِهِ باتباعهم وإخلاصهم وصدقهم بخلاف أهل البِدَع من الجهمية والمعتزلة الذين قدَّموا العقل على النقل، وتركوا منهج القرآن واتبعوا لسان أرسطوطاليس، وأحالوا الناس إلى قول الفلاسفة وشبه المتكلمين وهيهات هيهات.. أين هم من الجبال من رجال أهل السنة؟

يَا نَاطِحَ الجَبَلَ العَالِي لِتُكلِمَهُ   أَشْفِقْ عَلَى الرَّأْسِ لَا تُشْفِقَ عَلَى الجَبَلِ

* وها نحن نورد شبههم ورد أهل السنة عليهم:

فالشبهة الأولى: قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ الآية.

قال القاضي عبدالجبار[١]: فأما شيوخنا فقد استدلوا بهذه الآية على أنه - تعالى - لا يرى؛ لأنه - تعالى - قال: ﴿لَن تَرَانِي﴾ وذلك يوجب نفي رؤيته - تعالى - في المستقبل أبدًا فإذا صح ذلك من موسى وجب مثله في الأنبياء والمؤمنين[٢].

وقال: فإن قالوا: أليس أنه - تعالى - قال حاكيًا عن اليهود ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]، أي: لا يتمنون الموت ثم قال حاكيا عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]، فكيف يقال إن «**لن**» موضوعة للتأبيد؟

قلنا: إن «**لن**» موضوعة للتأبيد ثم ليس يجب ألَّا يصح استعمالها إلَّا حقيقة

---

(١) شيخ المعتزلة وكبيرهم وهو شيخ سوء: قاضي الرى وأعمالها، وكان شافعي المذهبي، وهو مع ذلك شيخ الاعتزال.

(٢) متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار ص (٢٩٦).

بل يمتنع أن تستعمل مجازًا، وصار الحال فيها كالحال في قولهم: أسد، وخنزير، وحمار، فكما أن موضوعها وحقيقتها لحيوانات مخصوصة ثم تستعمل في غيرها على سبيل المجاز والتوسع. واستعمالهم في غيرها لا يقدح في حقيقتها كذلك ههنا[١].

واستنبط الزمخشري من قوله - تعالى -: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ منافاة الرؤية لحال الباري عز وجل حيث قال: فإن قلت: ما معنى «**لن**» قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه «**لا**»، وذلك أن «**لا**» تنفي المستقبل تقول: لا أفعل غدًا فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدًا... فقوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ نفي الرؤية فيما يستقبل، ولن تراني تأكيد وبيان لأن النفي مناف لصفاته. فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ بما قبله؟ قلت: اتصل به على معنى أن النظر إليّ محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكًا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من علم أثره.

كأنه - عز وعلا - حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله: ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝﴾.

هذا ما قالوه في وجه الاستدلال على نفي الرؤية بالنسبة للنفي بـ«**لن**» وفي إفادتها الأبدية ومحاولات الرد على ما يورد عليه من اعتراضات.

وستعرف بطلان استدلالهم بهذا وغيره من خلال مناقشة المثتبين لأدلتهم.

الردّ على هذه الشبهة

- **الرد على ذلك من وجوه:**

الأول: القول بأن «**لن**» موضوعة للتأبيد دعوى باطلة لا يشهد بصحتها مصدر معتبر ولا نقل صحيح بل كتب اللغة وأئمتها تشهد بخلاف ما زعموه،

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص (٢٦٤، ٢٦٥).

وما حملهم على هذا الادعاء إلّا محاولة أن يسلم لهم استدلالهم بالآية على معتقدهم في نفي الرؤية، وهيهات لهم ذلك. وإليك ما قاله جمال الدين ابن هشام وجمال الدين ابن مالك وحسبك بكل منهما إمامًا وحجة.

يقول ابن هشام: ولا تفيد «**لن**» توكيد النفي خلافًا للزمخشري في كشافه ولا تأبيده خلافًا له في «**أنموذجه**» وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأبيد لم يقيّد منفيها باليوم في ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، ولكان ذكر الأبد في ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، تكرار والأصل عدمه[1].

ويقول ابن مالك في الكافية:

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِـ«لَنْ» مُؤَبِّدَا فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وخِلَافَه اعْضِدَا

ثم يقول في الشرح: ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأبيد النفي بـ«**لن**» وهو الزمخشري في «**أنموذجه**» وحامله على ذلك اعتقاد أن اللَّه ـ تعالى ـ لا يُرَى، وهو اعتقاد باطل بصحة ذلك عن رسول اللَّه ﷺ أعني ثُبُوت الرؤية جعلنا اللَّه من أهلها وأعاذنا من عدم الإيمان بها[2].

وهذا ما قرره شارح العقيدة الطحاوية حيث قال: وأما دعواهم تأبيد النفي بـ«**لن**» وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾. ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [يوسف: ٨٠].

فثبت أن «**لن**» لا تقتضي النفي المؤبد[3].

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٨٤).

(٢) شرح الكافية الشافية لابن مالك (٣/ ١٥١٥، ١٥٣١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص (١٣٩).

الثاني: نوافقكم أن «**لن**» تفيد توكيد النفي لكن نقول: إن «**لن**» لتأكيد نفي ما وقع السؤال عنه، والسؤال وقع عن تحصيل الرؤية في الحال، فكان قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ نفيًا لذلك المطلوب فأما أن يفيد النفي الدائم فلا[(١)].

قال الغزالي: «وأما قوله ـ سبحانه ـ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فهو دفع لما التمسه وإنما التمس في الدنيا فلو قال أرني أنظر إليك في الآخرة فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لكان دليلًا على نفي الرؤية ولكن في حق موسى صلوات الله سبحانه وسلامه عليه على الخصوص لا على العموم، وما كان أيضًا دليلا على الاستحالة فكيف وهو جواب عن السؤال في الحال[(٢)]؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلام له سبق:

وحينئذٍ فيكون الله ـ وله المثل الأعلى ـ أحق بأن تجوز رؤيته لكمال وجوده ولكن لم نره في الدنيا لعجزنا عن ذلك وضعفنا كما لا نستطيع التحديق في شعاع الشمس بل كما لا تطيق الخفاش أن تراها لا لامتناع رؤيتها بل لضعف بصره وعجزه، كما قد لا يستطاع سماع الأصوات العظيمة جدًا جدًا لا لكونها لا تسمع بل لضعف السامع وعجزه.

ولهذا يحصل لكثير من الناس عند سماع الأصوات العظيمة ورؤية الأشياء الجليلة ضعف أو رجفان أو نحو ذلك مما سببه ضعفه عن الرؤية والسماع لا لكون ذلك الأمر مما تمتنع رؤيته وسماعه؛ ولهذا وردت الأخبار في قصة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وغيره بأن الناس إنَّما لا يرون الله في الدنيا للضعف والعجز، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قادر على أن يُقَوِّيهم على ما عجزوا عنه[(٣)].

فالحاصل أن «**لن**» تفيد توكيد النفي الذي تدل عليه «**لا**» ولكنها لتأكيد نفي ما وقع السؤال عنه كما تقدم، وأما استنباط الزمخشري من ذلك منافاة الرؤية لله عز وجل

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٤/ ٢٤١، ٢٤٣).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص (٦٨).

(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية.

واستشهاده على أن «**لن**» تشعر باستحالة المنفي بها عقلًا فمردود بكثير من الآيات كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]، فذلك لا يحيل خروجهم عقلًا، و﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، و﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح: ١٥]، فهذه كلها جائزات عقلًا لولا أن الخبر منع من وقوعها. فالرؤية كذلك[١].

فدعوى الاستحالة العقلية باطلة لهذه الآيات وغيرها **والله أعلم**.

وأما دعوى المجاز في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فمردوده بأن المجاز خلاف الأصل فإن الأصل الحقيقة، وهذه دعوى لا تقف عند حد ويمكن أن يمتطيها كل من كان الدليل خلاف رأيه فيردّه بدعوى المجاز على أن اللفظ لا يحمل على المجاز إلَّا إذا قامت القرينة الدالة على أن المراد خلاف الحقيقة.

ولا قرينة هنا تسند الدعوى فتبقى الآية على حقيقتها.

الوجه الثالث: قول الزمخشري: الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ بما قبله على معنى أن النظر إليّ محال فلا تطلبه.... الجواب عليه أن المقصود منه تعظيم أمر الرؤية وأن أحدًا لا يقوى على رؤية الله ـ تعالى ـ إلَّا إذا قواه الله ـ تعالى ـ بمعونته وتأييده ألا ترى أنه لما ظهر أثر التجلي والرؤية للجبل اندك وتفرق فهذا من هذا الوجه يدل على تعظيم أمر الرؤية[٢].

قال الحافظ: «تعلّق بقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ نفاة رؤية الله تعالى مطلقًا من المعتزلة، فقالوا: لن لتأكيد النّفي الذي يدلّ عليه: «**لا**»، فيكون النفي على التأبيد.

وأجاب أهل السنة بأنَّ التَّعميم في الوقت مختلف فيه، سلَّمنا، لكن خصَّ

---

(١) انظر كتاب «الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري المالكي (٢/ ١١٤) بهامش الكشّاف.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي.

بحالة الدّنيا التي وقع فيها الخطاب، وجاز في الآخرة لأنّ أبصار المؤمنين فيها باقية، فلا استحالة أن يُرى الباقي بالباقي، بخلاف حالة الدنيا، فإنّ أبصارهم فيها فانية، فلا يرى الباقي بالفاني»[(١)].

وذكر الحافظ - في موضع آخر - في جواب عن هذا الاحتجاج «أنّ نفي الشيء لا يقتضي إحالته، مع ما جاء من الأحاديث الثابتة على وفق الآية[(٢)] وقد تلقّاها المسلمون بالقبول من لدن الصحابة، والتابعين، وحتى حدث من أنكر الرّؤية وخالف السّلف»[(٣)].

وهكذا دحض أهل السنة الأبرار الشبهة الأولى للجهمية والمعتزلة شر الخلق والخليقة.

☐ الشبهة الثانية: - ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ وفهم المعتزلة المعوّج لها - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -

قال القاضي عبدالجبار[(٤)]: «يدل على أنه - تعالى - لا يجوز أن يرى بالأبصار والعيون على وجه في كل وقت من غير تخصيص لأنه تعالى عم بالنفي وذكر ذلك على جهة التنزه والمدح، وما تمدح بنفيه مما يرجع إلى ذاته لم يقع إثباته إلّا ذمًّا فيجب أن يدلّ الظاهر على ما قلنا كما كان يدل لو قال: لا تراه الأبصار، لأن الإدراك إذا قرن بالبصر زال عنه الاحتمال، ولا يجوز في اللغة أن يراد به إلّا الرؤية بالبصر، ولذلك يجريان في النفي والإثبات على حد «واحد»[(٥)] وقد قرر القاضي نفسه هذا الدليل باطناب في «**شرح الأصول الخمسة**» وساق طائفة من الاعتراضات والإيرادات المفترضة عليه، ودفعها منتصرًا لمذهبه، وقد بلغت هذه

---

(١) فتح الباري (٨/ ٣٠٢).

(٢) يعني قوله - تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٢٦).

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٥٣٣).

(٥) متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار (١/ ٢٥٥).

الإيرادات نحوًا من اثنين وعشرين، ولكون هذا الدليل هو المحور الأساس الذي يعتمد عليه المفكرون نورد معظم ما قرنه القاضي به من اعتراضات ومدافعات دون أن نشتغل بمناقشتها وردها اكتفاءًا بما سنورده ـ إن شاء اللَّه ـ عند مناقشة هذا الدليل جملة. يقول القاضي: ـ

فإن قيل: ولم قلتم: إنَّ الإدراك إذا اقترن بالبصر لم يحتمل إلَّا الرؤية؟ قلنا: لأنَّ الرائي ليس يكون رائيًا حالة زائدة على كونه مدركًا، لأنه لو كان أمرًا زائدًا عليه لصح انفصال أحدهما عن الآخر إذ لا علاقة بينهما من وجه معقول.

والمعلوم خلافه، ثم ذكر أن الإدراك إذا أطلق يحتمل معاني كثيرة منها البلوغ ومنها النضج والاتباع.

فأما إذا قيد بالقصر فلا يحتمل إلَّا الرؤية يبين ذلك أنه لا فرق بين قولهم: أدركت ببصري هذا الشخص حتى لو قال: أدركت ببصري وما رأيت أو رأيت وما أدركت لعد مناقضًا......

فإن قيل: ولم قلتم: إن هذه الآية وردت مورد التمدح؟ قلنا: لأن سياق الآية يقتضي ذلك، وكذلك ما قبلها وما بعدها، لأن جميعه في مدائح اللَّه ـ تعالى ـ، وغير جائز من الحكيم أن يأتي بجملة مشتملة على المدح ثم يخلطها بما ليس بمدح البتة، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحدنا: فلان ورع تقي نقي الجيب مرضي الطريقة أسود يأكل الخبز، يصلي بالليل ويصوم النهار لما لم يكن لكونه أسود يأكل تأثير في المدح.

يبين ذلك أنه ـ تعالى ـ لما بين تميزه عما عداه من الأجناس بنفي الصاحبة والولد بين أنه يتميز عن غيره من الذوات بأن لا يُرى ويَرى. وبعد فإن الأمَّة اتفقوا على أن الآية واردة مورد التمدح فلا كلام في ذلك، وإنما الكلام في جهة المدح....

فإن قيل: وأي مدح في أنه لا يرى القديم تعالى وقد شاركه فيه المعدومات، وكثير من الموجودات؟ قلنا: لم يقع التمدح بمجرد ألَّا يرى وإنما يقع التمدح بكونه

رائيًا ولا يُرى، ولا يمتنع في الشيء أن لا يكون مدحًا ثم بانضمام شيء آخر إليه يصير مدحًا وهكذا، فلا مدح في نفي الصاحبة والولد مجردًا ثم إذا انضم إليه كونه حيًا لا آفة به صار مدحًا.

وهكذا فإنه لا مدح في أنه لا أول له فإن المعدومات تشاركه في ذلك ثم يصير مدحًا بانضمام شيءٍ آخر إليه وهو كونه قادرًا عالمًا حيًا سميعًا بصيرًا موجودًا. كذلك في مسألتنا.

فإن قيل: إن ما ليس بمدح إذا انضم إليه ما هو مدح كيف يصير مدحًا؟ قيل له: لا مانع من ذلك فمعلوم أن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بمجرده ليس بمدح ثم صار مدحًا لانضمامه إلى قوله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكذلك فقولنا في الله ـ تعالى ـ إنه موجود ليس بمدح ثم إذا ضممنا إليه القول بأنه لا ابتداء له صار مدحًا.

ونظائر ذلك أكثر من أن يذكر فالمنكِر له متجاهل.

فإن قيل: فلو جاز فيما ليس بمدح أن يصير مدحًا بانضمامه إلى غيره لكان لا يمتنع أن يصير الجهل مدحًا بانضمامه إلى الشجاعة وقوة القلب حتى يحسن أن يمدح الواحد الغير[1] بأنه جاهل قوي القلب شجاع.

---

(١) إدخال «أل» على «غير» لا يستعمل في الفصيح لأن «غير» ملازمة للإبهام فلا تكتسب التعريف بـ«أل» كما لا تتعرف بالإضافة بأمر خارج كوقوع «غير» بين ضدين كقوله ـ تعالى ـ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ لأن جهة المغايرة تتعين عندئذ فيرتفع الإبهام بخلاف قولك: مررت برجل غيرك.

على أن هناك من يدخل عليها «أل» لأنها لما شابهت المعرفة بإضافتها إلى المعرفة جاز أن يدخلها ما يعاقب الإضافة وهو الألف واللام.

ذكر ذلك الفيومي في «المصباح المنير» وقال: ولك أن تمنع الإستدلال وتقول: الإضافة هنا ليست للتعريف بل للتخصيص. والألف واللام لا تفيد تخصيصًا فلا تعاقب إضافة التخصيص مثل «سوى، وحسب...» ا هـ. انظر شرح الكافية لابن مالك ٢: ٩١٦، ٩١٧ والمصباح المنير مادة «غير».

قيل له: إن ما وضع لا ينقص من الأوصاف نحو قولنا: جاهل وعاجز وما شاكلها، لا تختلف فائدته ولا تتغير حاله لا بالانضمام ولا عدم أو لم يضم، وليس كذلك سبيل ما ليس بمدحٍ ولا نقص فإنَّ ذلك مما لا يمتنع أن يصير مدحًا بغيره على ما ذكرناه.

فإن قيل: فجوزوا أن يصير قولنا: أسود مدحًا بأن ينضم إليه قولنا عالم، ومعلوم أن ذلك لا يصير مدحًا لما لم يكن مدحًا في نفسه فإذا لم يجز أن يصير مدحًا فكذلك لا يجوز في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أن يصير مدحًا بأن ينضم إليه قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ قيل له: إنا لم نقل: إن ما ليس بمدحٍ إذا انضمَّ إلى ما هو مدح وحصل بمجموعهما البينونة صار مدحًا، ولم تحصل البينونة بانضمام قولنا: أسود إلى قولنا: عالم بخلاف مسألتنا؛ لأنه حصل ههنا بينونة على الوجه الذي ذكرناه. فإن قيل: هل جاز أن تكون من جهة التمدح هو كونه قادرًا على أن يمنعنا من رؤيته؟

قلنا: هذا تأويل بخلاف تأويل المفسرين، وما هذا سبيله من التأويلات يكون فاسدًا. وبعد: فإن هذا حمل خطاب اللَّه ـ تعالى ـ على غير ما تقتضيه حقيقة اللغة ومجازها فلا يجوز.

فإن قيل: ولم قلتم إن هذا المدح يرجع إلى الذات؟ قلنا: لأن المدح على قسمين أحدهما يرجع إلى الذات، والآخر يرجع إلى الفعل.

وما يرجع إلى الذات فعلى قسمين، أحدهما يرجع إلى الإثبات نحو قولنا قادر عالم حي. سميع. بصير. والثاني يرجع إلى النفي.

وذلك نحو قولنا: لا يحتاج ولا يتحرك ولا يسكن.

وأما ما يرجع إلى الفعل فعلى ضربين أيضًا؛

أحدهما: يرجع إلى الإثبات نحو قولنا: رازق ومحسن ومتفضل.

والثاني: يرجع إلى النفي وذلك نحو قولنا: لا يظلم ولا يكذب.

إذا ثبت هذا فالجواب أن ينظر في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ من أي

القبيلين هو لا يجوز أن يكون هذا من قبيل ما يرجع إلى الفعل لأنه تعالى لم يفعل فعلًا حتى لا يرى وليس يجب في الشيء إذا لم ير أن يحصل منه فعل حتى لا يرى.

فإن كثيرًا من الأشياء لا ترى. وإن لم تفعل أمرًا من الأمور كالمعدومات وككثير من الأعراض، والشيء إذا لم ير فإنما يُرى لما هو عليه في ذاته، لا لأنه يفعل أمرًا من الأمور.

وإذا كان الأمر كذلك صح أن هذا التمدح راجع إلى ذاته على ما نقوله.

فإن قيل: ولم قلتم: إن ما كان نفيه مدحًا راجعًا إلى ذاته كان إثباته نقصًا؟

قيل له: لأنه لو لم يكن إثباته نقصًا لم يكن نفيه مدحًا، ألا ترى أن نفي السنة والنوم لما كان مدحًا كان إثباته نقصًا.

حتى لو قال أحدنا: إنه تعالى ينام كان هذا أيضًا نقصًا.

وبعد: فإنه ـ تعالى ـ إذا لم يُرَ فإنما لم ير لما هو عليه في ذاته فلو رُئِيَ وجب أن يكون قد خرج عما هو عليه في ذاته فكان نقصًا.

فإن قيل: وأي نقص في أن يرى القديم ـ تعالى ـ، وما وجه النقص فيه؟ قلنا: لا يلزمنا أن نعلم ذلك مفصلًا، بل إذا علمنا على الجملة أنه ـ تعالى ـ يمدح بنفي الرؤية عن نفسه مدحًا راجعًا إلى ذاته وعلمنا أن ما كان نفيه مدحًا يرجع إلى الذات كان إثباته نقصًا وكفى. فإذا أردت التفصيل؛ فلأن فيه انقلابه وخروجه عما هو عليه في ذاته.

فإن قيل: وما أنكرتم أن المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي لا تحيط به الأبصار؟ ونحن هكذا نقول قلنا: الإِحاطة ليس هو بمعنى الإِدراك لا في حقيقة اللغة ولا في مجازها.

ألا ترى أنهم يقولون: السور أحاط بالمدينة ولا يقولون: أدركها أو أدرك بها.

وكذلك يقولون: عين الميت أحاطت بالكافور ولا يقولون: أدركته. وبعد، فإن هذا تأويل بخلاف تأويل المفسرين، فلا يقبل على أنه كما لا تحيط به الأبصار

فكذلك لا يحيط هو بالأبصار لأن المانع عن ذلك في الموضعين واحد فلا يجوز حمل الإدراك المذكور في الآية على الإحاطة لهذه الوجوه.

فإن قيل: لا تعلق لكم بالظاهر؛ لأن الذي يقتضيه الظاهر هو أن الأبصار لا تراه ونحن كذلك نقول؟

قيل له: إنه ـ تعالى ـ تمدح بنفي الرؤية عن نفسه فلا بد من أن يحمل على وجه يقع به البينونة بينه وبين غيره من الذوات بهذا الذي قد ذكرتموه لأن الأبصار كما لا تراه فكذلك لا ترى غيره.

وبعد: فإن المراد بالأبصار المبصرون، إلَّا أنه ـ تعالى ـ علق الإدراك بما هو آلة فيه وعنى به الجملة. ألا ترى أنهم يقولون: مشت رجلي، وكتبت يدي، وسمعت أذني ويريدون الجملة.

وعلى هذا المثل السائر، يداك أوكتا وفوك نفخ[1]...

فإن قيل: لو كان المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ المبصرين لوجب مثله في قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أن يكون المبصرين ليكون النفي مطابقًا للإثبات.

وهذا يقتضي أن يرى القديم نفسه لأنه من المبصرين وكل من قال: إنه ـ تعالى ـ يرى نفسه قال: إنه يراه غيره.

قيل له: إنه ـ تعالى ـ وإن كان مبصرًا فإنما يرى ما تصح رؤيته، ونفسه يستحيل أن ترى لما قد بينا أنه يمدح بنفي الرؤية مدحًا يرجع إلى ذاته، وما كان نفيه نفيًا راجعًا إلى ذاته فإن إثباته نقصًا. والنقص لا يجوز على اللّٰه ـ تعالى ـ.

وبعد: فإن المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ المبصرون بالأبصار

---

(١) أصل المثل أن رجلًا كان في جزيرة من جزائر البحر، فأراد أن يعبر على زورق نفخ فيه فلم يحسن إحكامه، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق، فلما غشيه الموت استغاث برجل. فقال: يداك... يضرب لمن يجني على نفسه الحينْ/ مجمع الأمثال للميداني ٢: ٤١٤.

فكذلك في قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ فيجب أن يكون هذا هو المراد ليكون النفي مطابقًا للإثبات والله ـ تعالى ـ ليس من المبصرين بالأبصار فلا يلزم ما ذكرتموه....

فإن قيل: قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ عام في دار الدنيا والآخرة وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ خاص في دار الآخرة، ومن حق العام أن يحمل على الخاص كما أن من حق المطلق أن يحمل على المقيد....

وجوابنا أن العام إنما يبني على الخاص إذا أمكن تخصيصه وهذه الآية لا تحتمل التخصيص لأنه ـ تعالى ـ يمدح بنفي الرؤية عن نفسه مدحًا راجعًا إلى ذاته. وما كان نفيه مدحا راجعًا إلى ذاته كان إثباته نقصًا، والنقص لا يجوز على الله ـ تعالى ـ على وجه.

وبعد: فإن هذه الآية إنما تخصص تلك الآية إذا أفادت أنه ـ تعالى ـ يرى في حال من الحالات، وليس في الآية ما يقتضي ذلك.

لأن النظر ليس هو بمعنى الرؤية[1].

الردُّ على هذه الشبهة

١) استدلوا بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾: والاستدلال بهذه الآية على منع جواز رؤية الله ـ تعالى ـ بالأبصار مدفوع؛ لأنه مبني على وجهة استدلال خاطئة؛ ذلك أن المعتزلة وَمَنْ وافقهم استدلوا بهذه الآية من ثلاثة أوجه:

❑ **الوجه الأول:** عموم النفي في كل وقت من غير تخصيص؛ لأن لفظ «الأبصار» صيغة جمع دخل عليها الألف واللام فهي تفيد العموم

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٢٣٣ ـ ٢٤٢) مع اختصار وتصرف.

والاستغراق.

❑ **الوجه الثاني:** أنه - تعالى - تمدح بكونه لا يُرَى - على حد زعمهم -، وما كان عدمه مدحًا كان وجوده نقصًا يجب تنزيه اللَّه عنه.

❑ **الوجه الثالث:** أن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلَّا الرؤية؛ ولذلك يجريان في النفي والإثبات على حد واحد، وقد نفي الإدراك فتنتفي الرؤية.

* **والجواب على ذلك أن دعوى عموم النفي غير مُسَلَّمٍ بها من وجوه:-**

- **الوجه الأول:** أن الآية الكريمة لا تدل على عموم النفي بل تفيد نفي العموم. ونفي العموم يوجب ثبوت الخصوص؛ أي أن تخصيص السلب بالمجموع يدل على ثبوت الحكم في بعض أفراد المجموع، ألا ترى أن الرجل إذا قال: إن زيدًا ما ضربه كل الناس فإنه يفيد أنه ضربه بعضهم، وإذا قيل: إن محمدًا ﷺ ما آمن به كل الناس أفاد أنه آمن به بعضهم. وكذا قوله - تعالى -: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ معناه أنه لا تدركه جميع الأبصار؛ فوجب أن يفيد أنه تدركه بعض الأبصار، أقصى ما في الباب أن يقال: هذا تمسك بدليل الخطاب فيقال: هب أنه كذلك إلَّا أنه دليل صحيح لأنه بتقدير أن لا يحصل الإدراك لأحد البتة يكون تخصيص هذا السلب بالمجموع من حيث هو مجموع عبثًا، وصون كلام اللَّه - تعالى - عن العبث واجب.

ولمزيد الإيضاح قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ نقيض لقولنا: (تدركه الأبصار) وقولنا: (تدركه الأبصار) يقتضي أن يدركه كل أحد؛ لأن الألف واللام إذا دخلا على اسم الجمع يفيد الاستغراق، ونقيض الموجبة الكلية السالبة الجزئية، فكان قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ معناه أنه لا يدركه جميع الأبصار.

ونحن نقول بموجبه؛ فإنه لا يراه جميع المبصرين، فإن الكافرين لا يرونه بل

يراه بعض الأبصار.

- **الوجه الثاني**: صيغة الجمع كما تُحْمَلُ على الاستغراق فقد تُحْمَلُ على المعهود السابق أيضًا، وإذا كان كذلك فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ يفيد أن الأبصار المعهودة في الدنيا لا تدركه، ونحن نقول بموجبه فإن هذه الأبصار وهذه الأحداق ما دامت تبقى على هذه الصفات التي هي موصوفة بها في الدنيا لا تدرك اللَّه ـ تعالى ـ، وإنما تدرك اللَّه ـ تعالى ـ إذا تبدلت صفاتها وتغيرت أحوالها.
- **الوجه الثالث**: هو قريب في المعنى من الثاني، سلمنا أن الأبصار البتة لا تدرك اللَّه ـ تعالى ـ أي لا تراه بناء على الزعم القائل بأن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلَّا الرؤية، لكن لِمَ لا يجوز رؤية اللَّه ـ تعالى ـ بحاسة سادسة مغايرة لهذه الحواس كما كان ضرار بن عمر الكوفي[1] يقول به واحتج له بالآية؟ فقال: دلت الآية على تخصيص نفي إدراك اللَّه ـ تعالى ـ بالبصر، وتخصيص الحكم بالشيء يدل على أن الحال في غيره بخلافه؛ فيكون إدراك اللَّه بغير البصر جائزًا في الجملة، ولما ثبت أن سائر الحواس الموجودة الآن لا تصلح لذلك ثبت أن يقال: إنه ـ تعالى ـ يخلق يوم القيامة حاسة سادسة بها تحصل رؤية اللَّه ـ تعالى ـ وإدراكه، وعلى هذا فلا يبقى في التمسك بهذه الآية فائدة.
- **الوجه الرابع**: سلمنا أن الآية عامة لكنها وإن عمت في الأشخاص فإنها لا تعم في الأزمان، ونحن نقول بموجبه؛ حيث لا يرى في الدنيا.
- **الوجه الخامس**: أن ظاهر هذه الآية يدل على نفي الرؤية عن جميع المبصرين إلَّا

---

(١) إليه تنسب «الضرارية» إحدى فرق الجبرية، وكان في بدء أمره تلميذًا لواصل بن عطاء ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر، ثم زعم أن الإمامة بغير القرشيين أَوْلَى منها بالقرشي. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي: (٦٩)، وفي الميزان للذهبي: ضرار بن عمرو القاضي معتزلي جلد، له مقالات خبيثة...قال ابن حزم: كان ضرار ينكر عذاب القبر (٢/ ٣٢٨، ٣٢٩).

أنه عام، والآيات الدالة على إثبات رؤية الله ـ تعالى ـ؛ كقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ خاصة، والخاص مقدم على العام. وحينئذٍ ينتقل الكلام من هذا المقام إلى بيان أن تلك الآيات هل تدل على حصول رؤية الله ـ تعالى ـ أو لا؟

- **الوجه السادس**: أن يقال: قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ مطلق، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ مقيدة النظر بالقيامة، والمطلق يحمل على المقيد كما هو مقرر؛ فيكون المنفي هو الرؤية في الدنيا.

وعلى ذلك تحمل آية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

- **الوجه السابع**: سلمنا بموجب الآية من أنه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فَلِمَ قلتم بأنه لا يدركه المبصرون؟ فإن قالوا: المراد من (الأبصار) في الآية المبصرون وإلا خرجت الآية عن أن تكون مفيدة فنقول: إذا حملنا (الأبصار) على المبصرين وجب أن يكون معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أنه يدرك جميع المبصرين، ولا نزاع في أنه ـ تعالى ـ مبصر، فيلزم بحكم هذه الآية أن يبصر نفسه وأنتم لا تقولون به.
- **الوجه الثامن**: ما قاله أبو الحسن الأشعري: إذا كان قول الله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر، فخبِّرونا أليست الأبصار والعيون لا تدركه رؤيةً ولا لمسًا ولا ذوقًا ولا على وجه من الوجوه؟ فإن قالوا: نعم. فيقال لهم: أخبرونا عن قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمسًا وذوقًا بأن يلمسها؟ فإن قالوا: لا ـ فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إن قوله ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ في العموم كقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.
- **الوجه التاسع**: سلمنا أن الآية تدل على أن الأبصار لا تراه، ولا يلزم منه أن المبصرين لا يرونه؛ لجواز أن يكون ذلك نفيًا للرؤية بالجارحة مواجهةً

وانطباعًا[(١)].

❑ **الوجه الثاني للمنكرين: أنه - تعالى - تمدح بكونه لا يُرَى، وما كان عدمه مدحًا كان وجوده نقصًا يجب تنزيه الله عنه.**

وجوابه: أن التمدح الذي تفيده الآية يدل على أنه جائز الرؤية كما تقدم بيانه عند تقرير الاستدلال بهذه الآية على جواز الرؤية.

ولبسط المقام في رد هذه الشبهة وبيان كيف أن الآية دليل على الجواز بأوسع مما تقدم راجع ما قاله ابن القيم رحمه الله عند الاستدلال بهذه الآية على الرؤية في الآخرة، وقد سبق ذكره.

وقال الفخر الرازي بعد أن ذكر نحوًا مما تقدم:

وتمام التحقيق فيه أن الشيء إذا كان في نفسه بحيث يمتنع رؤيته فحينئذٍ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم للشيء، أما إذا كان في نفسه جائز الرؤية ثم إنه قدر على حجب الأبصار عن رؤيته وعن إدراكه كانت هذه القدرة الكاملة دالة على المدح والعظمة، فثبت أن هذه الآية دالة على أنه - تعالى - جائز الرؤية بحسب ذاته[(٢)].

❑ **الوجه الثالث من وجوه استدلال المعتزلة المنكرين: أن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلَّا الرؤية، وقد نفى الإدراك فتنتفي الرؤية.**

وجوابه: أن هذا افتئات على اللغة ومجرد دعوى لا ينهض عليها دليل.

فالإدراك في اللغة يدور على معانٍ ليس منها مجرد الرؤية بالبصر.

فهو عند أهل اللغة: لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه.

---

(١) تفسير الرازي (١٣/ ١٣٢ - ١٣٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٩٨)، واللالكائي (٣/ ٥٢١)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٥٥٧).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٣: ١٣١)، وانظر كتاب الأربعين له: (٢١٤)، والمواقف للإيجي: (٣٠٩).

يقال: أدركت الشيء أدركه إدراكًا، ويقال: فرس دراك الطريدة، إذا كانت لا تفوته طريدة، ويقال: أدرك الغلام والجارية، إذا بلغا، وتدارك القوم لحق آخرهم أولهم، وتدارك الثريان، إذا أدرك الثري الثاني المطر الأول[1]...

وقال أبو بكر الآجري: فإن قال الجهمي: فما تأويل قوله - تعالى -: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؟ قيل له: معناها عند أهل العلم: أي لا تحيط به الأبصار ولا تحويه ﷻ، وهم يرونه من غير إدراك ولا يشكون في رؤيته؛ كما يقول الرجل: (رأيت السماء) وهو صادق، لم يحط بصره بكل السماء ولم يدركها، وكما يقول الرجل: (رأيت البحر) وهو صادق، ولم يدرك بصره كل البحر ولم يحط ببصره وهو صادق، هكذا فسره العلماء إن كنت تعقل.

وساق بالسند عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهم -: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ قال: إن النبي ﷺ رأى ربه ﷻ؛ فقال رجل عند ذلك: أليس قال الله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؟ فقال عكرمة: أليس ترى السماء؟ قال: بلى. قال: أَكُلَّهَا ترى؟[2].

وقال ابن حزم بعد كلام سبق: واحتجت المعتزلة بقول الله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال أبو محمد: هذا لا حجة لهم فيه؛ لأن الله - تعالى - إنما نفى الإدراك، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد عن النظر والرؤية؛ وهو: معنى الإحاطة.

ليس هذا المعنى في النظر والرؤية فالإدراك منفي عن الله - تعالى - على كل حال في الدنيا والآخرة. برهان ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ ففرق الله ﷻ بين الإدراك والرؤية فرقًا جليًا لأنه - تعالى - أثبت الرؤية بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس/ باب الدال والراء وما يثلثهما (٢: ٢٦٩)، وأساس البلاغة للزمخشري (د): ١٨٦.

(٢) كتاب التصديق بالنظر إلى الله - تعالى - في الآخرة (ص ٢٢٧، ٢٢٨).

ﵟٱلۡجَمۡعَانِﵞ، وأخبر - تعالى - أنه رأى بعضهم بعضًا؛ فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم: ﵟكَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِﵞ.

فأخبر - تعالى - أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله عز وجل فهو غير الذي أثبته؛ فالإدراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله - تعالى -: ﵟوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ﵞ[1] ولمزيد الإيضاح يقال: إن الإدراك هو الرؤية على نعت الإحاطة بجوانب المرئي؛ إذ حقيقته النيل والوصول، وإنا لمدركون؛ أي: ملحقون، ثم نقل إلى المحيطة، والرؤية المكيفة أخص من المطلقة فلا يلزم من نفيها نفيها، والقول بأنه لا يصح نفي أحدهما مع إثبات الآخر ممنوع؛ فيصح أن يقال: رأيته وما أدركه بصري أي لم يحط به[2].

وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله بعدما أشار إلى أن الآية توهم أن الله - تعالى - لا يُرَى بالأبصار: «الثالث وهو الحق أن المنفي في هذه الآية الإدراك المشعر بالإحاطة بالكنه. أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه، بل هو ثابت بهذه الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة، واتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك».

- **وحاصل الجواب**: أن الإدراك أخص من مطلق الرؤية؛ لأن الإدراك المراد به الإحاطة، والعرب تقول: رأيت الشيء وما أدركته.

فمعنى ﵟلَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُﵞ لا تحيط به كما أنه - تعالى - يعلمه الخلق ولا يحيطون به علمًا.

وقد اتفق العقلاء على أن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم؛ فانتفاء الإدراك لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية مع أن الله - تعالى - لا يدرك كنهه على الحقيقة أحد

(١) الفصل في المِلَلِ والأهواء والنِّحل لابن حزم (٢/ ٣٥٢).

(٢) المواقف للإيجي (ص ٣٠٩).

من الخلق(١).

وذهب الإمام عثمان بن سعيد الدارمي إلى أن المنفي إنما هو الرؤية في الدنيا وهو الأمر الذي استعظمته عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ عندما قالت جوابًا ـ لمن سألها: هل رأى محمد ربه؟ ـ : مَنْ زعم أن محمدًا رأى ربهﷻ فقد أَعْظَمَ على اللَّه الفرية، وتلت: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾(٢).

قال أبو سعيد مخاطبًا المنكرين: وأنتم وجميع الأمة تقولون به أنه لم يُرَ ولا يرى في الدنيا، فأما في الآخرة فما أكبر نعيم أهل الجنة إلَّا النظر إلى وجهه، والخيبة لمن حرمه....(٣).

وقال الحافظ ابن حجر في رده على النفاة: «إنه لا تدركه الأبصار في الدنيا جمعًا بين دليلي الآيتيْن، وبأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية؛ لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته»(٤).

فالإدراك هو الرؤية على جهة الإحاطة، فهو رؤية خاصة، ونفي الخاص لا يستلزم نفي مطلق الرؤية.

الشبهة الثالثة:

تمسكوا بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، قالوا: دلت هذه الآية على أن كل ما يكلم اللَّه ـ تعالى ـ فإنه لا يراه، وإذا ثبت عدم الرؤية في وقت الكلام ثبت عدم الرؤية في غير وقت الكلام ضرورة أنه لا قائل بالفرق(٥).

---

(١) دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي (ص ١٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧) باب (١/ ١٩٩).

(٣) انظر: الرد على الجهمية (ص ٦٤).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٢٦)، وانظر ما ذكره الحافظ في الفتح أيضًا حول الآية (٨/ ٦٠٧).

(٥) كتاب الأربعين في أصول الدين للرازي (ص ٢١١)، وانظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٦).

وجواب هذه الشبهة

تمسك القائلون بالمنع بالآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾.

وجوابه: أن يقال: الوحي هو أن يسمع ذلك الكلام بسرعة وليس فيه أن يكون محجوبًا عن رؤية الله - تعالى - أم لا؛ فأين الدليل فيه على نفي الرؤية[1]؟.

الشبهة الرابعة:

تمسكوا بأنه - تعالى - ما ذَكَرَ الرؤية في القرآن إلَّا وقد استعظمها؛ وذلك في ثلاث آيات.

- **أولها:** قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ٥٥].
- **وثانيها:** قوله - تعالى -: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].
- **وثالثها:** قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الفرقان: ٢١]. وهذا الاستعظام يدل على أن الرؤية ممتنعة[2].

جواب هذه الشبهة

أن الاستعظام إنما كان لطلبهم الرؤية تعنتًا وعنادًا؛ ولهذا استعظم إنزال الملائكة، واستكبر إنزال الكتاب مع إمكانهما، ولو كان لأجل الامتناع لمنعهم موسى عن ذلك كما فعله حين طلبوا أن يجعل لهم إلهًا إذ قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ

(١) كتاب الأربعين للرازي (ص ٢١٥).
(٢) كتاب الأربعين (ص: ٢١١، ٢١٢).

تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ولم يُقْدِمْ على طلب الرؤية الممتنعة بقولهم[١].

الشبهة الخامسة:

تفسيرهم المِعْوَجُ لآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

اعترض النفاة على استدلال المثبتين بالآية الكريمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ منكرين أن يكون النظر في الآية بمعنى الرؤية. قالوا: وكيف يكون كذلك ومعلوم أنهم يقولون: نظرتُ إلى الهلال فلم أرَهُ؟ فلو كان أحدهما هو الآخر لتناقض الكلام ونزل منزلة قول القائل: رأيت الهلال وما رأيت. وهذا مناقض فاسد. كما أن الرؤية غاية للنظر؛ إذ يقال: نظرت حتى رأيت. فلو كان أحدهما هو الآخر لكان أحدهما بمنزلة أن يجعل الشيء غاية لنفسه، وذلك لا يجوز؛ ولذلك لا يصح أن يقال: رأيت حتى رأيت.

كما أن النظر يعقب بالرؤية؛ فيقال نظرت فرأيت. فلو كان أحدهما هو الآخر لكان في ذلك تعقيب الشيء بنفسه، وينزل منزلة قولك: رأيت فرأيت.

وهذا لا يستقيم، ثم إنهم يقسمون النظر إلى أقسام؛ فيقولون: نظرت نظر راض، ونظرت نظر غضبان، ونظرت نظر شزر؛ ومنه قول الشاعر:

نظروا إليك بأعين مزورة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر[٢]

ثم إنه قد ينظر الجماعة إلى الهلال ولا يُعْلَمُ كونهم رائين له ضرورة.

ويدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨][٣] إلى ما هنالك من وجوه الاعتراض.

وبعد أن قرروا ـ بناء على زعمهم ـ أن النظر غير الرؤية أوَّلو الآية بأن «**النظر**» بمعنى الانتظار؛ قالوا: والنظر بمعنى الانتظار قد ورد؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ

---

(١) كتاب الأربعين للرازي (ص ٢١٥).

(٢) أورده القاضي في شرحه غير معزو.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص ٢٤٢) وما بعدها، وكتاب الأربعين للرازي (ص ٢٠٢) وما بعدها.

مَيْسَرَةٍ﴾؛ أي: فانتظار، وقال عَزَّ وَجَلَّ فيما حكى عن بلقيس: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]؛ أي: منتظرة.

وقال الشاعر(١):

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّى ... فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ

وقال آخر(٢):

وجوه يوم بدر ناظرات ... إلى الرحمن يأتي بالخلاص

والرَّد على هذه الشبهة

إن لفظ النظر المقرون بإلى يفيد الرؤية بدلالة القرآن وكلام العرب:

- أما القرآن: فقوله - تعالى -: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾.

- والاستدلال من وجهين:

- **الأول:** أنه لو كان النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى جهة المرئي لكان معنى الآية: أرني حتى أقلب حدقتي إليك. وليس هذا المقصود.
- **الثاني:** أنه رَتَّبَ النظر على الإراءة، وَالْمُرَتَّبُ على الإراءة هو الرؤية لا تقليب الحدقة؛ فيدل هذا على أن النظر هو الرؤية.

---

(١) نسبه القاضي في الشرح ص (٤٤) إلى المثقب العبدي أو الممزَّق.
والأول: عو عائذ بن محصن بن ثعلبة، والثاني شأس بن نهار بن الأسود. انظر: طبقات فحول الشعراء (ص ٢٧١ ، ٢٧٤) بتحقيق محمود شاكر - ط. جامعة الإمام.

(٢) أورده القاضي غير معزو، وعزاه المحقق إلى حسان رضي الله عنه ، وليس في ديوانه. قال الفخر الرازي: إنه موضوع، والرواية الصحيحة:

وجوه ناظرات يوم بكر ... إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

والمراد من هذا الرحمن: مسيلمة الكذاب؛ لأنهم كانوا يسمونه رحمن اليمامة. فأصحابه ينظرون إليه ويتوقعون منه التخلص من الأعداء. التفسير الكبير (٣٠:٢٢٩).

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية: ١٧]، والذي يفيد معرفة كيفية الخِلْقَةِ هو الرؤية لا تقليب الحدقة.

ـ وأما الشعر: فقول النابغة[1]:

وما رأيتك إلَّا نظرة عرضت يوم الإمارة والمأمور معذور

استثنى النظر من الرؤية؛ فوجب أن يكون النظر من جنس الرؤية.

وقال آخر[2]:

نظرت إلى من حسن اللَّه وجهه فيا نظرة كادت على وامق تقضي

ومعلوم أن الذي يقضي على الوامق هو رؤية المعشوق لا تقليب الحدقة، ونحوه[3].

وقالوا لهم: النظر يأتي لمعان عدة: الاعتبار، الانتظار، التعطف، الرؤية. ومعلوم أن الآخرة ليست بدار اعتبار، ولا يجوز أن يراد به في الآية الانتظار؛ لأن النظر إذا ذُكِرَ مع ذِكْرِ الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، وأيضًا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لما يكون معه من تنغيص وتكدير، وأهل الجنة لهم في الجنة «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت**»[4] من العيش السليم والنعيم المقيم.

وإذا كان هذا هكذا لم يَجُزْ أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خَطَرَ ببالهم شيء أُتوا به مع خطوره ببالهم.

وإذا كان كذلك فلا يجوز أن يكون اللَّه ﷻ أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صَحَّ القسم الرابع وهو أن معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا

(١) ديوان النابغة (ص: ٧١).

(٢) أورده الإيجي في «المواقف» (ص ٣٠٥).

(٣) انظر كتاب الأربعين للرازي (٢٠١، ٢٠٢).

(٤) أخرجه البخاري/ كتاب التوحيد ـ باب (٣٥/ ٨: ١٩٧) عن أبي هريرة ولفظه: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: أنها رائية ترى ربها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة: إن الله عز وجل أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ نظر الانتظار أنه قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ونظر الانتظار لا يكون مقرونًا بـ«**إلى**»؛ لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار: «**إلى**»؛ ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٤٩]، لم يقل: «**إلى**» إذ كان معناه الانتظار.

وقال عن بلقيس: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، فلما أرادت الانتظار لم تقل: «**إلى**»، وقال امرؤ القيس: -

فإنكما إن تنظراني ساعة   من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل: «**إلى**»، فلما قال عز وجل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية[(١)].

وما ساقوه من أمثلة وشواهد في استعمال النظر المعدى بـ«**إلى**» بمعنى الانتظار مردود؛ لعدم دلالتها على المراد أو لكونها معارضة بأقوى منها وأصح؛ كالشواهد المتقدمة قريبًا من القرآن، وقالوا: حمل «**إلى**» على واحد الآلاء أو على معنى «**عند**» ممنوع؛ لأنه يقتضي حمل قوله: «**ناظرة**» على الانتظار، وذلك غير جائز؛ لما تقدم من لزوم الغم والتكدير.

وقد قيل: الانتظار الموت الأحمر والبشارة بما يوجب الغم غير لائقة بالحكمة[(٢)].

* ونقل الحافظ ابن حجر عن البيهقي - في بيان وجه الدلالة - قال: «وجه الدليل من الآية أن لفظ (ناضرة) الأول بالضاد المعجمة الساقطة من النّضرة، بمعنى السرور.

ولفظ (ناظرة) بالظاء المعجمة المشالة يحتمل في كلام العرب أربعة أشياء:

---

(١) انظر: الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري: (٣١، ٣٢، ٣٣).

(٢) انظر: كتاب الأربعين للرازي (٢٠٩، ٢١٠).

نظر التَّفكُّر والاعتبار؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية: ١٧]، ونظر الانتظار؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٤٩]، ونظر التعطف والرحمة؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، ونظر الرؤية؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠]، والثلاثة الأُوَلُ غير مرادة؛ أما الأوَّل فلأن الآخرة ليست بدار استدلال، وأما الثاني فلأن في الانتظار تنغيصًا وتكديرًا، والآية خرجت مخرج الامتنان والبشارة، وأهل الجنة لا ينتظرون شيئًا؛ لأنَّه مهما خطر لهم أُتوا به، وأمَّا الثالث فلا يجوز؛ لأن المخلوق لا يتعطف على خالقه، فلم يبق إلَّا نظر الرُّؤية، وانضمَّ إلى ذلك أنَّ النظر إذا ذُكِرَ مع الوجه انصرف إلى نظر العينين اللتين في الوجه، ولأنَّه هو الذي يتعدَّى بإلى؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[(١)]».

الشبهة السادسة: تأوُّل لقاء الله على أنه لقاء الجزاء:

الذين ينفون الرؤية ينفون حقيقة اللقاء، ويتأوَّلون اللقاء على أن المراد به لقاء جزاء ربهم، ويقولون: إن الجزاء قد يُرى؛ كما في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾، فإن ضمير المفعول في (رأوه) عائد إلى الوعد، والمراد به الموعود؛ أي: فكما رأوا ما وُعِدُوا سيئت وجوه الذين كفروا.

ومن قال: (إن الضمير عائد هنا إلى اللَّه) قوله ضعيف.

والرد على هذه الشبهة

قال ابن تيمية: «وفساد قول الذين يجعلون المراد «**لقاء الجزاء**» دون لقاء اللَّه

---

(١) فتح الباري: (١٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦).

بالاضطراب، بعد تدبر الكتاب والسنة، يظهر فساده من وجوه:

- **أحدها**: أنه خلاف التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين.
- **الثاني**: إن حذف المضاف إليه يقارنه قرائن فلا بد أن يكون مع الكلام قرينة تبين ذلك؛ كما قيل في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾، ولو قال قائل: رأيت زيدًا، أو لقيته مطلقًا، وأراد بذلك لقاء أبيه أو غلامه، لم يَجُزْ ذلك في لغة العرب بلا نزاع، ولقاء اللَّه قد ذُكِرَ في كتاب اللَّه وسنة رسوله في مواضع كثيرة مطلقًا غير مقترن بما يدل على أنه أريد بلقاء اللَّه لقاء بعض مخلوقاته من جزاء أو غيره.
- **الثالث**: أن اللفظ إذا تكرر ذِكْرُهُ في الكتاب، ودار مرة بعد مرة على وجه واحد، وكان المراد به غير مفهومه ومقتضاه عند الإطلاق، ولم يُبَيَّنْ ذلك كان تدليسًا وتلبيسًا، يجب أن يُصَانَ كلام اللَّه عنه، الذي أخبر أنه شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، وأنه بيان للناس، وأخبر أن الرسول قد بَلَّغَهُ البلاغ المبين، وأنه بين للناس ما نزل إليهم، وأخبر أن عليه بيانه، ولا يجوز أن يقال: ما في العقل دلالة على امتناع إرادة هذا المعنى هو القرينة التي دل المخاطبين على الفهم بها؛ لوجهين:
- **أحدهما**: أن يقال: ليس في العقل ما ينافي ذلك؛ بل الضرورة العقلية والبراهين العقلية توافق ما دل عليه القرآن؛ كما قال: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ وما يُذْكَرُ من الحجج العقلية المخالفة لمدلول القرآن، فهو شبهات فاسدة عند مَنْ له خبرة جيدة بالمعقولات، دون مَنْ يقلد فيها بغير نظر تام.
- **الثاني**: أنه لو فرض أن هناك دليلًا عقليًا ينافي مدلول القرآن لكان خفيًا دقيقًا ذا مقدمات طويلة مشكلة متنازع فيها، ليس فيها مقدمة متفق عليها بين العقلاء؛ إذ ما يُذْكَرُ من الأدلة العقلية المخالفة لمدلول القرآن هي شبهات فاسدة كلها ليست من هذا الباب.

ومعلوم أن المُخَاطِبَ ـ الذي أَخْبَرَ أنه بين للناس، وأن كلامه بلاغ مبين وهدى للناس ـ إذا أراد بكلامه ما لا يدل عليه ولا يفهم منه إلَّا بمثل هذه القرينة لم يكن قد بَيَّنَ وَهَدَى؛ بل قد كان لَبَّسَ وَأَضَلَّ، وهذا مما اتفق المسلمون على وجوب تنزيه اللَّه ورسوله، بل وعامة الصحابة والأئمة من ذلك.

- الرابع: أن قول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق؛ اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وإليك حاكمت، وبك خاصمت، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت إلهي لا إله إلَّا أنت**».

وفي لفظ: «**أعوذ بك أن تضلني؛ أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**».

ففي الحديث فرق بين لقائه وبين الجنة والنار، والجنة والنار تتضمَّن جزاء المطيعين والعصاة؛ فَعُلِمَ أن لقاءَ ليس هو لقاء الجنة والنار.

- الخامس: أنه لو أُريد «**بلقاء الله**» بعض المخلوقات ـ إما جزاء وإما غير جزاء ـ لكان ذلك واقعًا في الدنيا والآخرة، فكان العبد لا يزال ملاقيًا ربه، ولما علم المسلمون بالاضطرار من دين الإسلام أن لقاء اللَّه لا يكون إلَّا بعد الموت عُلِمَ بطلان أن «**اللقاء**» لقاء بعض المخلوقات، ومعلوم أن اللَّه قد جازى خلقًا على أعمالهم في الدنيا بخير وشر، كما جازى قوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون؛ وكما جازى الأنبياء وأتباعهم، ولم يقل مسلم: إن لقاء هذه الأمور في الدنيا لقاء الله. ولو قال قائل: إن لقاء اللَّه جزاء مخصوص وهو الجنة مثلًا، أو النار، لقيل له: ليس في لفظ هذا [لقاء] مخصوص، ولا دليل [عليه]، وليس هو بأولى من أن يقال: لقاء اللَّه ـ تعالى ـ لقاء بعض ملائكته، أو بعض الشياطين،

وأمثال ذلك من التحكمات الموجودة في الدنيا والآخرة؛ إذ ليس دلالة اللفظ على تعيين هذا بأولى من دلالته على تعيين هذا؛ فبطل ذلك.

- **الوجه السادس**: أن «**لقاء الله**» لم يُسْتَعْمَلْ في لقاء غيره، ولا حقيقةً ولا مجازًا، ولا اسْتُعْمِلَ لقاء زيد في لقاء غيره أصلًا؛ بل حيث ذكر هذا اللفظ فإنما يراد به لقاء المذكور؛ إذ ما سواه لا يُشْعِرُ اللفظ به، فلا يدل عليه.

- **الوجه السابع**: أن قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ فلو كان «**اللقاء**» هو لقاء جزائه، لكان هو لقاء الأجر الكريم الذي أعد لهم، وإذا أخبر بأنهم يلقون ذلك لم يَحْسُنْ بعد ذلك الإخبار بإعداده؛ إذ الإعداد مقصوده الوصول، فكيف يخبر بالوسيلة بعد حصول المقصود؟! هذا نزاع بين العِيِّ الذي يُصَانُ عنه كلام أوسط الناس فضلًا عن كلام رب العالمين؛ لا سيما وقد قرن اللقاء بالتحية، وذلك لا يكون إلَّا في اللقاء بالمعروف لا في حصول شيء من النعيم المخلوق.

- **الوجه الثامن**: أن قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» أخبر فيه أن اللَّه يحب لقاء عبد، ويكره لقاء عبد، وهذا يمتنع حمله على الجزاء؛ لأن اللَّه لا يكره جزاء أحد، ولأن الجزاء لا يلقاه الله؛ ولأنه إن جاز أن يلقى بعض المخلوق كالجزاء أو غيره جاز أن يلقى العبد، فالمحذور الذي يذكر في لقاء العبد موجود في لقائه سائر المخلوقات، فهذا تعطيل النص، وإما أن يقال: بل هو لَاقٍ لبعضها؛ فيتناقض قول الجهمي ويبطل.

ودلائل بطلان هذا القول لا تكاد تحصى، يضيق هذا الاستفتاء عن ذكر كثير منها فضلًا عن أكثرها»[(١)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٤٧١ - ٤٧٥).

الشبهة السابعة:

«قال الحافظ ابن حجر: «وتمسكوا أيضًا بقوله ﷺ في حديث سؤال جبريل عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وفيه ـ: «أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»؛ قال بعضهم: فيه إشارة إلى انتفاء الرؤية. وتعقب بأنَّ المنفيَّ فيه رؤيته في الدنيا؛ لأنّ العبادة خاصَّة بها، فلو قال قائل: إنَّ فيه إشارةً إلى جواز الرؤية في الآخرة لما أبعد»[١].

الشبهة الثامنة: دليل المقابلة والردُّ عليها:

احتج نفاة الرؤية بأدلة عقلية؛ منها: دليل المقابلة: وتحويره أن الواحد منا رَاءٍ بحاسة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلَّا إذا كان مقابلًا أو حَالًّا في المقابل أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن اللَّه ـ تعالى ـ لا يجوز عليه أن يكون مقابلًا ولا حَالًّا في المقابل ولا في حكم المقابل[٢].

* والواقع أن اشتراط المقابلة أمر معقول؛ لأن رؤية ما لا يُعَايَنُ ولا يُوَاجَهُ غير متصور في العقل[٣].

* قال العلَّامة ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية: «ليس تشبيه رؤية اللَّه ـ تعالى ـ برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرْئِي بالمرْئي، ولكنْ فيه دليل على علوِّ اللَّه على خلقه، وإلَّا فهل تُعقل رؤية بلا مقابلة! ومَن قال: يُرَى لا في جهة، فَلْيُرَاجِعْ عقله!! فإما أن يكون مكابرًا لعقله، أو في عقله شيء، وإلَّا فإذا قال: يُرَى لا أمام الرائي ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره، ولا فوقه ولا تحته، ردَّ عليه كل مَنْ سمعه بفطرته السليمة؛ ولهذا ألزم المعتزلةُ مَنْ نَفَى العلوَّ بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تُعقَلُ رؤية بغير جهة؟!

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٢٥).

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص ٢٤٨ ـ ٢٥٣) باختصار.

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٦/ ٨٥).

وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلَّا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه، لكنَّ قول مَنْ أثبت موجودًا يُرَى لا في جهة، أقرب إلى العقل مَنْ قول من أثبت موجودًا قائمًا بنفسه لا يُرَى ولا في جهة.

ويُقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة: أتريدُ بالجهة أمرًا وجوديًّا؟ أوْ أمرًا عدميًّا؟ فإن أردتَ بها أمرًا وجوديًّا، كان التقدير: كل ما ليس في شيء موجود لا يُرَى، وهذه المقدمة ممنوعة، ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة؛ فإن سطح العالم يُمكن أن يُرى، وليس العالم في عالم آخر، وإن أردتَ بالجهة أمرًا عدميًّا، كانت المقدمة الثانية ممنوعة؛ فلا نُسلم أنه ليس في جهة بهذا الاعتبار»[١].

* الشبهة التاسعة: دليل الموانع:

دليل الموانع وهو: أن القديم[٢] ـ تعالى ـ لو جاز أن يُرَى في حال من الأحوال، لوجب أن نراه الآن، ومعلوم أنا لا نراه الآن. وتحرير هذه الدلالة هو أن الواحد منا حاصل على الصفة التي لو رئي المرئي لما رئي إلا لكونه عليها، والقديم ـ سبحانه وتعالى ـ حاصل على الصفة التي لو رئي لما رئي إلَّا لكونه عليها، والموانع المعقولة مرتفعة فيجب أن نراه الآن فمتى لم نره دل على استحالة كونه مرئيًّا. وقد استطرد القاضي كعادته في تقرير هذا الدليل وإيراد الاعتراضات عليه ودفعها[٣].

* والجواب من وجهين:

- **الأول**: لا نسلم وجوب الرؤية عند اجتماع الشرائط وانتفاء الموانع؛ لأنا نرى الجسم الكبير من البعيد صغيرًا، وما ذلك إلَّا لأنا نرى بعض أجزائه دون البعض مع تساوي الكل في حصول الشرائط.

---

(١) شرح الطحاوية (ص٢١٩ ـ ٢٢١).

(٢) من أسماء الله ـ تعالى ـ عندهم، وأهل السنة والجماعة يسمونه ـ تعالى ـ «الأول» كما سمَّى نفسه وسمَّاه رسول الله ﷺ.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار من (ص ٢٥٣ ـ ٢٦١) مختصرًا.

- **الوجه الثاني**: أننا إذا نظرنا إلى مجموع كف من التراب رأيناه، وذلك الكف من التراب عبارة عن مجموع تلك الذرات وتلك الأجزاء الصغيرة.

فإما أن يكون إدراك كل واحد من تلك الذرات مشروطًا بإدراك الآخر فيلزم الدور.

وإما أن لا يكون إدراك شيء منها مشروطًا بإدراك الآخر فحينئذٍ يكون إدراك كل واحد من تلك الذرات حالتي الانفراد والاجتماع على السوية مع أنا نراها حال الاجتماع ولا نراها حال الانفراد؛ وحينئذٍ لا يكون الإدراك واجب الحصول عند حصول تلك الشرائط.

وإما أن يكون إدراك البعض مشروطًا بإدراك الباقي ولا ينعكس، فهذا محال، ومع أنه محال فالمقصود حاصل.

أما أنه محال؛ فلأن الأجزاء متساوية؛ فيكون هذا مفتقرًا إلى ذلك مع أن ذلك غني عن هذا، وهو ترجيح من غير مرجح، وهو محال.

وأما المقصود حاصل؛ فلأن إدراك أحد تلك الأجزاء إذا كان غنيًا عن إدراك الآخر كان حاله عند الاجتماع وعند الانفراد في صحة الإدراك على السوية.

وحينئذٍ يعود المحذور، فهذان برهانان قويان في بيان أن عند حصول هذه الشرائط الإدراك غير واجب الحصول[1].



(١) كتاب الأربعين للرازي (ص ٢١٥، ٢١٦).

تناقض الأشاعرة

معلوم أن «**مذهب السلف**»: إثبات الرؤية، وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة كما دل على ذلك الكتاب والسنة والعقل والإِجماع، ووافقهم على ذلك الأشاعرة، خلافًا للمعتزلة وَمَنْ وافقهم.

ولكن الأشاعرة لما كانوا يؤولون الصفات الاختيارية القائمة بالله؛ ومنها: المحبة، والرضا، وأن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ، وكذلك لما كان متأخروهم ينفون صفة العلو والاستواء لله ـ تعالى ـ، لما كان الأشاعرة على هذا وهم يثبتون الرؤية، وقعوا في التناقض، وخالفوا مذهب السلف في أمرين:

- أحدهما:

قولهم: إن الله يُرَى لا في جهة؛ لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره، ولا فوقه، ولا تحته.

- وقالوا: ليس من شرط الرؤية المقابلة والجهة. واحتجوا بما ذكره الأشعري من أن كل موجود يصح أن يُرَى[1]، وقد يحتجون بالمرآة؛ فإن الإِنسان يَرَى نفسه فيها لا في جهة[2].
- **الثاني**: أن بعض الأشاعرة ـ مع إقرارهم بالرؤية ـ أنكروا أن يكون المؤمن ينعم بنفس رؤية ربه؛ لأنه لا مناسبة بين المحدث والقديم[3]، وهذا مخالف لمذهب جمهور السلف.

---

(١) انظر: «الإرشاد» للجويني (ص١٨٠ ـ ١٨١).

(٢) انظر: «الاقتصاد» للغزالي (ص ٤٢) ـ دار الكتب العلمية.

(٣) انظر: النظامية للجويني (ص: ٣٩ ـ ٤٠)، ومنهاج السنة (٣/ ٩٧) ط/ بولاق، والاستقامة (٢/ ٩٦ ـ ٩٧)، وهو أيضًا في مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٩٥).

● أما الأمر الثاني:

فهو مبني على إنكار هؤلاء أن اللَّه يُحِبُّ وَيُحِبُّ، ولا شك أن نصوص الرؤية المتواترة دلت على أن المؤمنين يتلذذون بالنظر إلى ربهم - تبارك وتعالى - في الجنة، وأن ما أعطاهم اللَّه شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، والنصوص التي دلت على الرؤية دلت في بعض رواياتها على ذلك(١).

وأما الأمر الأول: وهو قولهم بالرؤية بلا جهة، فقد ناقشه شيخ الإسلام طويلًا، وفي مناسبات متعددة.

ويمكن تلخيص ردوده عليهم كما يلي:

١ - أن النصوص الواردة في الرؤية - وهي كثيرة، وقد أفردها بعض علماء السنة بمؤلفات - دالة على أن رؤية المؤمنين لربهم إنما تكون في جهة، وإذا كانت نصوص الرؤية متواترة، فكذلك دلالتها على أنها في جهة، وتشبيه الرؤية برؤية الشمس ليس دونها سحاب، أو رؤية القمر ليلة البدر صحوًا، أو أن اللَّه يكشف الحجاب من فوقهم. وقد أورد شيخ الإسلام أربعة وجوه قاطعة تدل - من خلال حديث واحد فقط من أحاديث الرؤية - على أن الرؤية إنما تكون في جهة(٢).

٢ - أن كون اللَّه يُرَى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة ونصوصهم في ذلك متواترة(٣).

٣ - أن أئمة هؤلاء المتأخرين كالأشعري وغيره، هم ممن يثبت الرؤية والاحتجاب والعلو

---

(١) من ذلك رواية مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم ورقمه (١٨١)، ورواية النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، ورقمه (١٣٠٥) سنن النسائي (٣/ ٥٤ - ٥٥)، ومسند الإمام أحمد (٥/ ١٩١). وانظر: الاستقامة (٢/ ٩٨، ١٠٦).

(٢) انظر: نقض التأسيس - مطبوع - (٢/ ٤٠٩ - ٤١١)، وانظر: أدلة أخرى (ص: ٤١١ إلى ص: ٤١٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/٤١٥ - ٤٢١)، ومجموع الفتاوى (١٦/٨٢ - ٨٩).

وأن الله فوق العرش - وقد سبق بيان ذلك[١].

٤ - أن الأشاعرة مع كونهم أقرب إلى الحق من المعتزلة؛ لأنهم أقروا بالرؤية، وإن كانوا قد نفوا العلو - بخلاف المعتزلة الذين نفوا الأمرين - إلَّا أنهم متناقضون؛ لأن إثباتهم للرؤية يقتضي إثباتهم للعلو، كما أن نفيهم للعلو يقتضي نفيهم للرؤية أيضًا.

- **فيلزمهم أحد أمرين:**

إما نفي الرؤية، أو اللحاق بأهل السنة في إثباتها، وأحد الأمرين لازم لهم.

٥ - أن بعض محققي الأشاعرة كالرازي - والغزالي في بعض أقواله - رأوا أن الإلزام السابق لازم لهم؛ ومن ثَمَّ صرحوا بأن المقصود بالرؤية - التي أثبتوها - زيادة انكشاف بِخَلْقِ مزيد من الإدراك لهم؛ أي: أنهم فسروها بنوع من العلم؛ ومن ثَمَّ أقروا بأن الخلاف بينهم وبين المعتزلة لفظي أو قريب من اللفظي[٢].

ولا شك أن هذا اعتراف منهم بفشلهم في الجمع بين نفي العلو والزعم بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه، وبين إثبات الرؤية.

٦ - أما احتجاجهم بأن كل موجود يصح أن يُرَى، فهو دليل ضعيف؛ لأنه يلزم منه أن تُرَى الأصوات والروائح وهي موجودة، أما دليل المرآة فهو باطل؛ لأن الذي في المرآة الخيال والصورة وليس الذات.

وقد أورد شيخ الإسلام ردودًا أخرى عديدة[٣]، ولا شك أن قول الأشاعرة بالرؤية مع نفي العلو في غاية التناقض، وجميع إجاباتهم ومحاولاتهم لإزالة هذا

---

(١) انظر: نقض التأسيس - مطبوع - (٢/ ٤٢٠ - ٤٢٣)، ومنهاج السنة (٢/ ٢٥٠ - ٢٥٢) - ط/ دار العروبة المحققة، درء التعارض (١/ ٢٥٠).

(٢) انظر: نقض التأسيس - مطبوع - (١/ ٣٦٠، ٢/ ٣٩٦، ٤٠٤، ٤١٨)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٢، ١٦/ ٨٥)، ودرء التعارض (١/ ٢٥٠)، والمسألة المصرية - مجموع الفتاوى - (١٢/ ١٧٥).

(٣) انظر: نقض التأسيس - مطبوع - (١/ ٣٥٧ - ٣٦٨، ٢/ ١٠١ - ١٠٦، ٤٢١ - ٤٣١)، والتسعينية (ص: ٢٥٩، ٢٦٢)، ودرء التعارض (١/ ٢٤٧ - ٢٤٨، ٧/ ٢٣٩ - ٢٤٠).

التناقض لم تفلح إلَّا بأن تفسر الرؤية بما يقربها إلى مذهب المعتزلة، وهذا ما فعله بعض المتأخرين منهم.

وهو ما استقر عليه مذهبهم كما في شرح المواقف(١)»(٢).

فينبغي أن يُعْلَمَ أن الأشعرية يثبتون رؤية خيالية، وحتى الخيال لا تتحقق فيه، فيقولون: يُرَى لا في جهة ولا في مواجهة، هكذا قال إمامهم الكبير ابن فورك، وهو المُثْبَتُ في الكتب الأشعرية، ولا بأس أن ننقل ما ذكره الإمام ابن تيمية في رده لهذه الحماقة التي تزعمها الأشعرية.

جاء في مجموع الفتاوى في تفسير سورة الأعلى: وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصل: قال ابن فورك في كتابه الذي كتبه إلى أبي إسحاق الأسفراييني، يحكي ما جرى له؛ قال: وجرى في كلام السلطان: أليس تقول: إنه يُرَى لا في جهة. فقلت: نعم يُرَى لا في جهة، كما أنه لم يزل يَرَى نفسه لا في جهة ولا من جهة، ويراه غيره على ما يرى ورأى نفسه، والجهة ليست بشرط في الرؤية، وقلت أيضًا: المرئيات المعقولة فيما بيننا هكذا نراها في جهة ومحل، والقضاء بمجرد المعهود لا يمكن دون السير والبحث؛ لأنا كما لا نرى إلَّا في جهة ومحل، كذلك لم نَرَ إلَّا متلونًا ذا قدر يحتمل المساحة والثقل، ولا يخلو من حرارة ورطوبة أو يبوسة إذا لم يكن عرضًا لا يقبل التثنية والتأليف وغير ذلك. ومع هذا فلا عبرة بشيء من هذا، قال: ثم بلغني أن السلطان ذلك اليوم والليلة وثاني يوم، يكرر على نفسه في مجلسه: كيف يعقل شيء لا في جهة؟ وما شغل القلب في أول الأمر وتربى عليه فإن قَلْعَهُ صعب، والله المعين، غير أنه فرحت الكرامية بما كان منك في ذلك، فلما رجعت إلى البيت فإذا أنا برقعة فيها مكتوب: الأستاذ ـ أدام الله سلامته ـ على مذهبه أن الباري ليس في جهة فكيف يُرَى لا في جهة؟.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١١٥ ـ ١١٦).

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن بن صالح المحمود (ص ١٣٧٦ ـ ١٣٧٨).

فكتبت «**خبر الرؤية صحيح، وهي واجبة كما بشرهم النبي** ﷺ قال: «**لا تضامون في رؤيته**»؛ ومعناه: لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في جهة»، وكلامًا طويلًا من كل وجه، ملأت ظهر الرقعة وبطنها منه.

فلما ردت إليه أنفذها إلى حاكم البلد، وهو أبو محمد الناصحي واستفتاه فيما قلته، فجمع قومًا من الحنفية، والكرامية فكتب هو: أعزك الله بأن مَنْ قال بأن الله لا يُرَى في جهة مبتدعٌ ضالٌّ، وكتب أبو حامد المعتزلي مثله، وكتب إنسان بسطامي مؤدب في دار صاحب الجيش مثله، فردوا عليه فأنفذ إلى ما في ذلك المحضر الذي فيه خطوطهم، وكتب إلى رقعة وقال فيها: إنهم كتبوا هكذا، فما تقول في هذه الفتوى؟

فقلت: إن هؤلاء القوم يجب أن يسألوا عن مسائل الفقه التي يقال فيها بتقليد العامي للعالم، فأما معرفة الأصول والفتاوى فيها، فليس من شأنهم، وهم يقولون: أَنَّا لا نحسن ذلك.

قلت: قول هؤلاء أن الله يُرَى من غير معاينة ومواجهة قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة، وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة، والأخبار المتواترة عن النبي ﷺ ترد عليهم؛ كقوله في الأحاديث الصحيحة: «**إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضارون في رؤيته**» وقوله لما سأله الناس: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحابة؟**»، قالوا: نعم، «**وهل ترون القمر صحوًا ليس دونه سحاب؟**» قالو: نعم، قال: «**فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**»، فشبه الرؤية بالرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي، فإن الكاف حرف التشبيه، دخل على الرؤية، وفي لفظ للبخاري: «**يرونه عيانًا**»[1] ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عيانًا مواجهة، فيجب أن نراه كذلك، وأما رؤية ما لا نعاين، ولا نواجه فهذه غير متصورة في العقل،

---

(١) البخاري في التوحيد (١٣/ ٤١٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٣ - ١٦٤).

فضلًا عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر.

ولهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية، وقالوا: قولنا هو قول المعتزلة في الباطن؛ فإنهم فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلة، وأما قوله: إن الخبر يدل على أنهم يرونه لا في جهة، وقوله: (لا تضامون) معناه لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في جهة، فهذا تفسير للحديث بما لا يدل عليه ولا قاله أحد من أئمة العلم، بل هو تفسير منكر عقلًا وشرعًا ولغةً.

فإن قوله: «**لا تضامون**» يُرْوَى بالتخفيف؛ أي: لا يلحقكم ضيم في رؤيته كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن كالهلال؛ فإنه قد يلحقه ضيم في طلب رؤيته حين يُرَى، وهو ـ سبحانه ـ يتجلى تجليًا ظاهرًا، فيرونه كما تُرَى الشمس والقمر بلا ضيم يلحقكم في رؤيته، وهذه الرواية المشهورة.

وقيل: (لا تضامون) بالتشديد؛ أي: لا يضم بعضكم إلى بعض كما يتضام الناس عند رؤية الشيء الخفي كالهلال، وكذلك (تضارون) و(تضارون) فإما أن يُرْوَى بالتشديد فيقال: لا تضامون؛ أي: لا تضمكم جهة واحدة فهذا باطل؛ لأن التضام انضمام بعضهم إلى بعض فهو تفاعل كالتماس، والتراد، ونحو ذلك. وقد يُرْوَى لا تضامون بالضم والتشديد؛ أي: لا يضام بعضكم بعضًا.

وبكل حال فهو من التضام الذي هو مضامة بعضهم بعضًا، ليس هو أن شيئًا آخر لا يضمكم فإن هذا المعنى لا يقال فيه: (ولا تضامون)، فإنه لم يقل: لا يضمكم شيء ثم يقال: الراءون كلهم في جهة واحدة على الأرض، وإن قدر أن المرئي ليس في جهة، فكيف يجوز أن يقال: (لا تضمكم جهة واحدة) وهم كلهم على الأرض أرض القيامة أو في الجنة، وكل ذلك جهة، ووجودهم أنفسهم لا في جهة ومكان ممتنع حسًّا وعقلًا.

وأما قوله: هو يُرَى لا في جهة فكذلك يراه غيره، فهذا تمثيل باطل؛ فإن الإنسان يمكن أن يرى بدنه ولا يمكن أن يرى غيره إلَّا أن يكون جهة منه وهو أن يكون أمامه سواء كان عاليًا أو سافلًا.

وهؤلاء القوم أثبتوا ما لا يمكن رؤيته، وأحبوا نصر مذهب أهل السنة والجماعة والحديث فجمعوا بين أمرين متناقضين فإنما لا يكون داخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه يمتنع أن يُرَى بالعين لو كان وجوده في الخارج ممكنًا، فكيف وهو ممتنع؟ وإنما يقدر في الأذهان من غير أن يكون له وجود في الأعيان فهو من باب الوهم والخيال الباطل[١] [٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله - سبحانه وتعالى - يُرَى يوم القيامة بالأبصار عيانًا كما يُرَى القمر ليلة البدر صحوًا وكما تُرَى الشمس في الظهيرة، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة - وإن له والله حق الحقيقة - فلا يمكن أن يروه إلَّا من فوقهم؛ لاستحالة أن يروه من أسفل منهم، أو من خلفهم، أو من أمامهم، أو عن يمنيهم، أو عن شمائلهم، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقول أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس، والفرعونيون، بَطَلَ الشرع والقرآن، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بَلَّغَهَا هو الذي بَلَّغَ الدِّينَ فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين؛ بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمدًا رسول الله أبدًا»[٣].



(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٨٢ - ٨٧).
(٢) المفسرون بين التأويل والإثبات في الصفات للمغراوي (ص ٤٤٥ - ٤٤٧).
(٣) حادي الأرواح (ص ٢٢٠).

معنى رؤية اللَّه
عند أهل السُّنَّة وعند الأشاعرة

قال الحافظ ابن حجر: «واختلف مَنْ أثبت الرُّؤية في معناها:

* فقال قوم: يحصل للرائي العلم باللَّه ـ تعالى ـ برؤية العين، كما في غيره من المرئيات، وهو على وفق قوله في حديث الباب: «**كما ترون القمر**»، إلَّا أنه منزَّه عن الجهة والكيفيَّة، وذلك أمر زائد على العلم.

* وقال بعضهم: إن المراد بالرؤية العلم.

* وعبَّر عنها بعضهم بأنَّها حصول حالة في الإنسان نسبتها إلى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار إلى المرئيات.

* وقال بعضهم: رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم، إلَّا أنه أتم وأوضح من العلم. وهذا أقرب إلى الصواب من الأوَّل.

وَتُعُقِّبَ الأوَّل بأنَّه حينئذٍ لا اختصاص لبعض دون بعض؛ لأنَّ العلم لا يتفاوت. وتعقَّبه ابن التِّين بأنَّ الرُّؤية بمعنى العلم تتعدَّى لمفعولين؛ تقول: رأيت زيدًا فقيهًا؛ أي: علمته، فإن قلت: رأيت زيدًا منطلقًا، لم يفهم منه إلَّا رؤية البصر، ويزيده تحقيقًا قوله ـ في الخبر ـ: «**إنكم سترون ربكم عيانًا**»؛ لأن اقتران الرؤية بالعيان لا يحتمل أن يكون بمعنى العلم»[1].

وهذه المعاني التي حكاها الحافظ خلافًا للمثبتين لرؤية اللَّه ـ تعالى ـ في الآخرة ليس منها ما يوافق المعنى الصحيح الذي فسَّر به أهل السنة والجماعة الرُّؤية، وهو النَّظر ببصر العين إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في جهة العلوِّ من غير إحاطة به ـ تعالى ـ، كما دلَّت على ذلك نصوص الكتاب والسُّنَّة.

---

(١) «فتح الباري»: (١٣/ ٤٢٦).

فأهل السنة والجماعة أثبتوا الرؤية على حقيقتها، وهي رؤية العين[1]، وأثبتوا كذلك لازمها وهي الجهة؛ أي جهة العلوِّ، كما قال الإمام ابن القيم: «قد دَلَّ القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة المسلمين وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُرَى يوم القيامة بالأبصار عيانًا، كما يُرَى القمر ليلة البدر صحوًا، وكما تُرَى الشمس في الظهر، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة ـ وإنَّ له والله حقَّ الحقيقة ـ فلا يمكن أن يروه إلَّا من فوقهم؛ لاستحالة أن يروه من أسفل منهم، أو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم، أو عن شمالهم...»[2].

هذا هو قول أهل السنة والجماعة في معنى الرؤية.

أمَّا الأشاعرة، وَمَنْ تابعهم «فهم مع نفيهم الجهة كالمعتزلة، يثبتون الرُّؤية؛ ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية»[3]، كما سبق فيما حكاه الحافظ من الأقوال في معنى الرؤية، وهي أقوال للأشاعرة، وإن لم يصرِّح الحافظ بنسبتها إليهم[4].

وقد وافق الحافظ الأشاعرة في قولهم: إنَّ الله يُرَى في غير جهة معينة، كما يظهر ذلك من شرحه لحديث الرُّؤية؛ حيث قال: «**قوله: «لا تضامون»** بضمِّ أوَّله، وتخفيف الميم للأكثر، وفيه روايات أخرى تقدَّم بيانها في (باب الصراط جسر جهنم)، من كتاب الرقاق.

وقال البيهقي: سمعت الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد الصعلوكي[5] يقول ـ في إملائه، في قوله: «**لا تضامون في رؤيته**» بالضم

---

(١) انظر: «تعليقات على العقيدة الواسطية»، للشيخ ابن عثيمين، (ص ٤٢).

(٢) حادي الأرواح (ص٣٨٠).

(٣) «شرح العقيدة الواسطية»، للهراس، (ص١٥٦).

(٤) انظر: «الاعتقاد»، للغزالي، (ص٩١ ـ ١٠٢).

(٥) هو سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي، أبو الطيب، الفقيه الشافعي، إمام أهل نيسابور، وشيخ تلك الناحية، وكانت وفاته سنة (٣٨٧هـ) على =

والتَّشديد ـ: معناه لا تجتمعون لرؤيته في جهة، ولا يضمُّ بعضكم إلى بعض. ومعناه بفتح التاء كذلك، والأصل لا تتضامون في رؤيته باجتماع في جهة. وبالتخفيف من الضيم؛ ومعناه: لا تظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض؛ فإنَّكم ترونه في جهاتكم كلِّها، وهو متعال عن الجهة، والتشبيه برؤية القمر للرؤية دون تشبيه المرئي، تعالى اللَّه عن ذلك»[1].

وهذا المعنى الذي ذكره الحافظ لقوله في الحديث: «**لا تضامون في رؤيته**» قد انتقده شيخ الإسلام ابن تيمية، وبيَّن أنَّه «تفسير للحديث بما لا يدلُّ عليه، ولا قاله أحد من أئمة العلم؛ بل هو تفسير منكر عقلًا وشرعًا ولغةً»[2]، ثم تكلم في معناه إلى أن قال: «وبكلِّ حال فهو من (التضام) الذي هو مضامة بعضهم بعضًا، ليس هو أنَّ شيئًا آخر لا يضمكم، فإن هذا المعنى لا يقال فيه: «**لا تضامون**»؛ فإنَّه لم يقل: (لا يضمكم شيء).

ثم يقال: الراءون في جهة واحدة على الأرض، وإن قدِّر أن ليس في جهة فكيف يجوز أن يقال: (لا يضمكم جهة واحدة)، وهم كلهم على الأرض أرض القيامة، أو في الجنة، وكل ذلك جهة، ووجودهم نفسهم لا في جهة ومكان ممتنع حسًّا وعقلا»[3].

وأيضًا فإنَّ القول بأنَّ اللَّه ـ تعالى ـ يُرَى من غير مقابلة ولا مواجهة قول انفرد به الأشاعرة دون سائر طوائف الأمة، وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة[4].

ولهذا صار حُذَّاق الأشاعرة إلى إنكار الرؤية، «وقالوا: قولنا هو قول المعتزلة

= المشهور، وقيل: بعد ذلك بسنين، فالله أعلم. انظر: «البداية والنهاية»: (١١/ ٣٤٦).

(١) «فتح الباري»: (١٣/ ٤٢٧)، وانظر أيضًا: (١١/ ٤٤٧).

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٦/ ٨٥).

(٣) نفس المصدر: (١٦/ ٨٦).

(٤) المصدر السابق: (١٦/ ٨٤).

في الباطن؛ فإنهم فسَّروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلة»[1].

فلله دُّر مَنْ قال عن الأشاعرة أنهم «**مخنثة المعتزلة**».



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٦/ ٨٥).



الفصل الثامن

رؤية المسلمات لربهنَّ في الجنة



الفصل الثامن

رؤية النساء المسلمات ربهن في الجنة

هذا فصل مهم في الكتاب؛ فقد ذهب الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن النساء المؤمنات لا يريْن اللَّه في الجنة، واستثنى منهن بنات الأنبياء وزوجات الأنبياء والصِّدِّيقيات من ذلك، وله في ذلك رسالة تُسمَّى: «**تحفة الجلساء برؤية اللَّه للنساء**»، وهي إحدى رسائل السيوطي التي ضمنها كتابه «**الحاوي للفتاوى**»، ورسالة أكبر من الأولى تُسَمَّى «**إسبال الكساء على النساء**» له أيضًا، وعلى عكس ما يتبادر إلى الأذهان عند قراءة اسم الرسالة فإن موضوعها خاص بعدم رؤية المؤمنات لله في جنات النعيم.. وسنورد هنا تلخيصًا للرسالتين، ثم نورد قولاً مستفيضًا ومُسهبًا لشيخ الإسلام ابن تيمية في الانتصار للقول برؤيتهن لربهن، وهو ما ندين اللَّه به.

تحفة الجلساء برؤية الله للنساء

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ :

«الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

مسألة: رؤية اللَّه ـ تعالى ـ يوم القيامة في الموقف حاصلة لكُل أحدٍ الرجالِ والنساء بلا نزاع، وذهب قَوْمٌ من أهلِ السُّنَّةِ إلى أنها تحصل فيه للمنافقين أيضًا، وذهب آخرون منهم إلى أنها تحصل للكافرين أيضًا ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة، وله شاهد رويناه عن الحسن البصري.

وأما الرؤية في الجنة: فأجمع أهلُ السنة أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصِّدِّيقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة، واختلف بعد ذلك في صور:

* إحداها: **النساء من هذه الأمة:** وفيهن ثلاثة مذاهب للعلماء حكاها

جماعةٌ؛ منهم: الحافظ عماد الدين ابن كثير في أواخر تاريخه:

أحدُها: أنهنَّ لا يَرَيْنَ؛ لأنهن مقصوراتٌ في الخيامِ، ولأنه لم يرد في أحاديث الرؤية تصريح برؤيتهن.

والثاني: أنهن يَرَيْنَ؛ أخذًا من عُمومات النصوص الواردة في الرؤية.

والثالث: أنهن يَرَيْنَ في مثل أيام الأعياد؛ فإنَّه ـ تعالى ـ يتجلى في مثل أيام الأعياد لأهل الجنة تجليًا عامًّا فيرينه في مثل هذه الحال دون غيرها، قال ابن كثير: وهذا القول يحتاج إلى دليل خاص عليه.

وقال الحافظ ابن رجب في اللطائف: كُلُّ يومٍ كان للمسلمين عيدًا في الدنيا، فإنه عيد لهم في الجنة، يجتمعون فيه على زيارة ربهم، ويتجلى لهم فيه، ويوم الجمعة يُدْعَى في الجنة يوم المزيد، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة، وروي أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كنَّ يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة، هذا لعموم أهل الجنة، فأما خواصُّهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم بكرةً وعشيًّا. انتهى.

قلت: الحديثُ الذي أشار إليه ابن رجب ـ ولم يقف عليه ابن كثير ـ أخرجه الدارقطني في كتاب الرؤية قال: حدثنا أحمد بن سلمان بن الحسن: حدثنا محمد بن عثمان بن محمد: ثنا مروان بن جعفر: ثنا نافع أبو الحسن مولى بني هاشم: ثنا عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عَزَّ وَجَلَّ، فأحدثهم عهدًا بالنظر إليه في كل جمعة، ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر**».

* **الثانية:** الملائكة: فذهب الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام إلى أنهم لا يرون ربهم؛ لأنهم لم يثبت لهم ذلك كما ثبت للمؤمنين من البشر، وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ خرج منه مؤمنو البشر بالأدلة الثابتة، فبقي على عمومه في الملائكة، ولأن للبشر طاعات لم يثبت مثلها للملائكة؛ كالجهاد، والصبر على البلايا والمحن والرزايا وتحمل المشاق في العبادات لأجل الله، وقد

ثبت أنهم يرون ربهم ويسلم عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبدًا، ولم يثبت مثل هذا للملائكة. انتهى.

وقد نقله عنه جَمْعٌ من المتأخرين ولم يتعقبوه بنكير؛ منهم: الإمام بدر الدين الشبلي صاحب «**آكام المرجان، في أحكام الجان**»، والعلامة عز الدين ابن جماعة في شرح جمع الجوامع، ولكن الأقوى أنهم يرونه، فقد نصَّ على ذلك إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري قال في كتابه «**الإبانة، في أصول الديانة**» ومنه نقلت ما نصه: أفضل لذات الجنة رؤية اللَّه ـ تعالى ـ، ثم رؤية نبيه ﷺ؛ فلذلك لم يحرم اللَّه أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصِّدِّيقين النَّظرَ إلى وجهه عز وجل، انتهى.

وقد تابعه على ذلك الإمامُ الحافظ البيهقي، قال في كتاب الرؤية، باب ما جاء في رؤية الملائكة ربهم: أخبرنا أبو عبداللَّه الحافظ وأحمد بن الحسن قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب: ثنا محمد بن إسحاق: حدثني أمية بن عبداللَّه بن عمرو بن عثمان عن أبيه: سمعت عبداللَّه بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم قال: «خلق اللَّه الملائكة لعبادته أصنافًا، وإن منهم لملائكةً قيامًا صافِّينَ من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعًا خشوعًا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجودًا منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلَّى لهم ـ تبارك وتعالى ـ ونظروا إلى وجهه الكريم، قالوا: سبحانك ما عَبَدْناكَ حَقَّ عبادتك»، وأخبرنا محمد بن عبداللَّه وأحمد بن الحسن قالا: ثنا أبو العباس: ثنا محمد بن إسحاق: ثنا روح بن عبادة: ثنا عباد بن منصور قال: سمعت عديَّ بن أرطأ يخطب على منبر المدائن، فجعل يعظنا حتى بكى وأبكانا، ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، ولقد سمعت فلانًا ـ نسي عباد اسمه ـ ما بيني وبين رسول اللَّه ﷺ غيره، قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن لله ملائكة ترعَدُ فَرائِصُهم من مخافته، ما منهم مَلَكٌ تقطر دمعة من عينه إلَّا وقعت ملكًا يسبح، قال:**

وملائكة سجودًا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وركوعًا لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوفًا لم ينصرفوا عن مَصافِّهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلَّى لهم ربهم فينظرون إليه، قالوا: سبحانك ما عَبَدْناكَ كما ينبغي لك» أخرجه أبو الشيخ في العظمة، ولفظه «**فإذا رفعوا ونظروا إلى وجه الله - تعالى - قالوا: سبحانك ما عَبَدْناكَ حَقَّ عبادتك**».

* وممن قال برؤية الملائكة من المتأخرين العلامة شمسُ الدين ابن القيم، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني، وهو الأرجح بلا شك، ومنهم مَنْ قال: إن جبريل عليه السلام يَراه دون سائر الملائكة؛ لأنه وقف على الحديث الذي ورد فيه رؤيته، ولم يقف على الحديثين السابقين في رؤية الملائكة على العموم، ومشى عليه أبو إسحاق (إسماعيل) الصفار البخاري من الحنفية؛ فإني رأيتُ في أسئلته المشهورة ما نصه: سُئِلَ عن الملائكة هل يرون ربَّهم؟ فأجاب اعتمادُ والدي الشهيد (أنهم) لا يرون ربهم، سوى جبريل؛ فإنه يرى ربه مرة واحدة، ولا يرى أبدًا، انتهى.

والصواب: العموم، والحديث المذكور أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**تمد الأرض يوم القيامة مدًّا لعظمة الرحمن، ثم لا يكون لبشر من بني آدم إلَّا موضع قدميه، ثم أُدْعَى أول الناس فأخِرُّ ساجدًا، ثم يُؤْذَنُ لي فأقوم فأقول: يا رب، أَخْبَرَنِي هذا - لجبريل - وهو عن يمين الرحمن، والله ما رآه جبريل قبلها قط - أنك أرسلته إليَّ، قال: وجبريل ساكت لا يتكلم حتى يقول الله: صَدَقَ، ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول: يا رب عبادك عَبَدُوك في أطراف الأرض فذلك المقام المحمود**».

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، قال: لكن أرسله مَعْمَر عن ابن شهاب عن علي بن حسين بنحوه، وأخرجه الحاكم من طريق ابن وهب عن

يونس عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن رجل من أهل (العلم) ولم يسمه: «**إن الأرض تمدُّ يوم القيامة**» الحديث.

وقال عبد الرزاق في تفسيره: أنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة مدَّ اللَّه الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلَّا موضع قَدَمَيْه، قال: فأكون أول مَنْ يُدْعَى وجبريلُ عن يمين العرش، واللَّه ما رآه قبلها، فأقول: أيْ رَبِّ إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليَّ، فيقول اللَّه** ﷻ: **صَدَق، ثم أشفع فأقول: يا ربِّ عَبَدُوك في أطراف الأرض، وهو المقام المحمود**» أخرجه ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبو عبيداللَّه ابن أخي ابن وَهْب: ثنا عمي: ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين قال: أخبرني رجل من أهل العلم أن النبيَّ ﷺ قال: «**تمدُّ الأرض يوم القيامة مَدَّ الأديم لعظمة الرحمن، ولا يكون لبشر من بني آدم فيها إلَّا موضع قدمه، فَأُدْعَى أول الناسِ، فأخرُّ ساجدًا، ثم يؤذن لي فأقول: يا رب، أَخْبَرَنِي هذا ـ لجبريل، وجبريل عن يمين الرحمن، واللَّه ما رآه جبريلُ قطُّ قبلها ـ أنك أرسلته إليَّ، وجبريل ساكتٌ لا يتكلم، حتى يقول الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ: صدقت، قال: ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول: أي ربَّ عِبادَك عَبَدُوك في أطراف الأرض، فذلك المقام المحمود**».

* **الثالثة: الجن**: وقد نقل صاحب «**آكام المَرْجان**» مقالة الشيخ عز الدين في الملائكة، ثم قال: والجنُّ أَوْلَى بالمنع منهم، وقال الجلال البلقيني: لم أقف على كلام أحد من العلماء تعرض لهذه المسألة، ولم تثبت الرؤية إلَّا للبشر، ثم نقل كلام الشيخ عز الدين في أن الملائكة لا يرون، ثم قال: وإذا كان ذلك في الملائكة ففي الجن بطريق الأَوْلَى، ثم قال: وقد يتوقف في الأولوية؛ لأن الإيمان في عُرْف الشرع يشمل مؤمني الثقلين، ثم قَرَّر ثبوت الرؤية للملائكة، ثم قال: وعلى مقتضى استدلال الأئمة، والأشعريُّ تثبت الرؤية لمؤمني الجن.

* **الرابعة: مؤمنو الأمم السابقة**: وفيهم احتمالان لابن أبي جَمْرة، وقال: إن

الأظهر مُساواتهم لهذه الأمة في الرؤية، والله أعلم.

مسألة: قال الدارقطني: أخبرنا الحسن بن إسماعيل: أنا أبو الحسن علي بن عبدة: ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليتجَلّى للناس عامَّة، ويتجلّى لأبي بكر خاصَّة**»، في المغني للذهبي: على بن عبدة وَضَّاع، وقلتم في تأليفكم النكت البديعيات على الموضوعات: إن للحديث طريقًا على شرط الحسن، وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ: «**يتجلّى للخلائق**» فَلِمَ لَمْ تستدلوا به على رؤية الملائكة يوم القيامة مع ذَيْنك الحديثين، واللفظُ الأول يستدل به على الرؤية لبني آدم مطلقًا الرجال والنساء في العيد وغيره، وأنه ليس مقيدًا بقوت معلوم، لا سيما وهو حسن.

الجواب: الاستدلال إنما يكون بالألفاظ التي لا يطرقها الاحتمال، ومتى طرق اللفظ الاحتمال سقط به الاستدلال، والخلائق يحتمل أن يحمل على بني آدم فلا يستدل به على الملائكة؛ خصوصًا وقد ورد بلفظ «**الناس**» الخاص ببني آدم، وهذا التجلِّي العام يمكن حمله أولًا على الذكور الذين يحضرون الزيارة فيكون من خصوص الأفراد، ويمكن حمله على التجلي أيام الأعياد فيكون من خصوص الأوقات ويشمل الإناث، ويمكن حمله ـ وهو الأظهر ـ على التجلي في الموقف، وذلك شامل للخلق بأسْرِهم الإنْسِ والجنِّ والملائكةِ والذكور والإناث، وإن ورد في بعض ألفاظه: «**يوم القيامة**» قَوَّى هذا الحمل الأخير، فَانْزَاحَ الإشكال، والله أعلم» ا. هـ.

إسبال الكساء على النساء

نُلَخِّص هنا ما جاء في رسالة السيوطي «**إسبال الكساء على النساء**» قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اعلم وفقني الله ـ تعالى ـ وإياك أنَّ الذي أُجمع عليه المسلمون من جميع الفِرَقِ أنَّ الذين لا يَرَوْنَ ربَّهُم في الآخرَةِ هم الكُفار، وهو المنصوصُ في القرآن

العظيم؛ قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، وأنَّ الذين أجمعَ أهل السنةِ على أنَّهُم يَرَوْنَ ربَّهُم في الآخرةِ هُم المؤمِنون من رجالِ بنَي آدم من هذه الأمة المحمدية.

ووراءَ ذلك أربعُ فِرقٍ جرى فيها الخِلافُ؛ وهم: الملائكة ـ عليهم السلام ـ، والمؤمنون من الجنِّ، والمؤمنات من نساء هذه الأمَّة، والمؤمنون من رجالِ الأمَمِ السابقة[١]. وها نحن نُبيِّنُ لك ذلك.

● (أَوَّلًا: الملائكة):

فأمَّا الملائِكة ـ عليهم السلام ـ فذكر الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام اجتهادًا لنَفسِه لا نَقْلًا عن أحَدٍ: أنَّهُم لا يَرَوْنَ ربَّهُم.

واحتج على ذلك بقولِه ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ فإنَّه عامٌّ خُصَّ بالآيةِ والأحاديث في المؤمنين فبقي على عمومه في الملائكة[٢].

وقد نقل عنه هذه المقالة صاحب آكام المرجان في أحكام الجان من متأخري الحنفية وأقَرَّهُ عليها[٣]، ونقلها أيضًا شيخ شيوخنا العلامة عز الدين ابن جماعة في

---

(١) أغفل السيوطي لذكر المؤمنين من رجال الأمم السابقة بأي تفصيل، لكنه لم يغفل في «تحفة الجلساء».

(٢) بهامش الأصل:
قوله: واحتج... إلخ. أقول: لما قال المعتزلة ـ استدلالًا على نفي الرؤية بهذه الآية ـ: إن الإدراك المضاف إلى الأبصار إنما هو الرؤية على نعت الإحاطة بجوانب المرئي؛ إذ حقيقته النيل والوصول؛ يقال: «أدركت الثمرة»؛ أي: وصلت إلى حد النضج، ثم نقل إلى الرؤية المحيطة، والرؤية المكيفة أخص من المطلقة؛ فلا يلزم من نفيها، نفيها فهذا مسلك آخر، فما قاله ابن عبدالسلام لم يتعين مسلكًا، فلا ينهض احتجاجًا. وعلى هذا يتم حديث قلب قالب الدليل الآتي عن بعضهم، فافهم. ا هـ.

(٣) قال الشبلي في آكام المرجان (ص ٦٠ ـ ٦١):
قد وقع في كلام ابن عبدالسلام في القواعد الصغرى ما يدل على أن مؤمني الجن إذا دخلوا الجنة لا يرون الله ـ تعالى ـ، وأن الرؤية مخصوصة بمؤمني البشر، فإنه صرح بأن =

كتابه شرح جمع الجوامع ولم يتعقب ذلك بنكيرٍ، وقد كنتُ قلَّدْتُهُ في ذلك قديمًا في بعض تصانيفي ثم رأيتُ الحديثَ وَرَدَ بأنَّ الملائكة ـ عليهم السلام ـ يَرَوْنَ ربَّهُم في الآخرة، والنقل بذلك للبيهقي فصِرْتُ إليهِ.

قال البيهقي في كتاب الرؤية: باب ما جاء في رؤية الملائكة ربهم.

فأخْرَجَ فيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: خلق اللَّه ـ تعالى ـ الملائكةَ لعبادته أصنافًا، وإنَّ منهم الملائكة قيامًا صافين من يومِ خلَقَهُم إلى يوم القيامة، وملائكةً ركوعًا خشوعًا من يومِ خلقَهُم إلى يومِ القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجَلَّى لهم ـ تبارك وتعالى ـ ونظروا إلى وجهه الكريم، قالوا: «**سبحانك ما عَبدْنَاكَ حَقَّ عبادتك**».

ثم أخرج من وجه آخر عن عديٍّ بن أرْطأةَ رجل من الصحابة ـ رضوان اللَّه تعالى عليهم أجمعينَ ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ لله ـ تعالى ـ ملائكةً ترعدُ فرائِصُهُم من مخافتِهِ، ما منهُم مَلَكٌ تقطر دمعةٌ من عينهِ إلَّا وقعَتْ ملكًا يسبحُهُ ـ تعالى ـ، وملائكةً سُجودًا منذ خلق اللَّه ـ تعالى ـ السمواتِ والأرض لم يرفعوا رءوسَهُم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصُفوفًا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفونَ إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلَّى لهم ـ تبارك وتعالى ـ ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: «**سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**»[1].

= الملائكة لا يرون الله ـ تعالى ـ في الجنة، ومقتضى ذلك أن الجن لا يرونه؛ فإنه صرح قال: «وقد أحسن الله ـ تعالى ـ إلى النبيين والمرسلين وأفاضل المؤمنين بالمعارف والأحوال والطاعات، والإذعان ونعيم الجنان، ورضا الرحمن والنظر إلى الديان مع سماع تسليمه وكلامه وتبشيره بتأبد الرضوان، ولم يثبت للملائكة مثل ذلك، ولا شك أن أجساد الملائكة أفضل من أجساد البشر... إلخ كلام العز ابن عبدالسلام.

(١) أخرجه البيهقي في الرؤية، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة (فيما قال ابن كثير)، قال ابن كثير في التفسير (٨/ ٢٩٧) بعد أن ساقه بإسناده: وهذا إسناد لا بأس به. ا هـ.

وقد أخرج الحاكم في المستدرك هذا الحديث (٣/ ٨٦ ـ ٨٧) ثم قال: هذا حديث على =

● (ثانيًا: الجنّ):

وأما الجن فذكر صاحب كتاب آكام المرجان في أحكام الجان قال: قال ابن عبدالسلام ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فيه أن الملائكة لا يرونَ ربهم، ثم قال: (والجن أَوْلَى بالمنع منهم)، وهذا القول ظاهر جدًّا؛ لأن الأحاديث الواردة في الرؤية إنما خرجت خطابًا للإنس وإخبارًا عنهم؛ خصوصًا أنَّ الإمام أبا حنيفةَ ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ وجماعة قالوا: إنَّ مؤمني الجن لا يدخلونَ الجنةَ، وإنما جزاؤهم النجاة من النار[(١)].

● (ثالثًا: النساء):

وأما النساء من هذه الأمة المحمدية ـ وبسببهن أَلَّفت هذا الجزءَ ـ فقد وَقَفْت منذ أكثر من عشر سنينَ على نقل لبعضهم أَنَّهُنَّ لا يَرَيْنَ ربَّهُنَّ ولا يحضرن الزيارة سَترًا لهُنَّ في الآخرة كما أُمِرْنَ بالستر في الدنيا، وكنت أستبعد هذا القول جدًّا وأستند إلى العمومات في أنهن يَرَيْنَ ربهن، فلما صنفت كتاب «**البعث**»، واستقريْت الأحاديثَ الواردة في الرؤية فلم أجد فيها تصريحًا بأَنَّهُنَّ يَرَيْن ربهن، ووجدت أحاديثَ الزيارة يومَ الجمعة التي تقع فيها الرؤية دالَّةً على أنهن لا يحضرن مجلسَ الزيارة ولا يَرَيْنَ ربهن معَ مَنْ يَرَى في ذلك المجلس، فقَوِيَ عندي رجحان تلك المقالة على تفصيلٍ أبيِّنُه إن شاء اللَّه ـ تعالى.

وأخرج البزار، والطبراني في الأوسط، وأبو يعلى، والآجري والبَيهقي كلاهما في كتاب الرؤية وغيرهم من طُرقٍ جيدة عن أنسِ بن مالك ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «**أتاني جبريل وفي يده مِرآةٌ بيضاء فيها نقطة سوداء؛ فقلت: ما هذه يا جبريل؟ فقال: هذه الجُمعةُ يَعرِضها عليك ربُّك لتكونَ**

= شرط البخاري ولم يخرجاه. ا هـ. لكنه لم يذكر لفظ «نظرهم إلى وجهه ـ سبحانه وتعالى».

وقد ساق المصنف في «تحفة الجلساء» سند البيهقي، فانظره ـ إن شئت ـ هناك.

(١) والصحيح: أن الملائكة ومؤمني الجن يَرَوْنَ ربهم في الجنَّة.

لك عِيدًا ولأمتك من بعدك. فقلت: ما لنا فيها؟ فقال: لكم خير، وهو سيِّد الأيام عند الملائكة، ونحن نَدعوه في الآخرة يومَ المزيد. فقلت: يا جبريل لِمَ تدعونه يوم المزيد؟ فقال: إنَّ رَبَّكَ عَجَّلَ اتَّخَذَ في الجَنَّةِ وادِيًا أفْيَحَ [١] من مِسْكٍ أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل - تبارك وتعالى - على كُرْسِيهِ ثم حَفَّ الكُرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثمَّ حَفَّ المنابِرَ بكراسِيَّ من ذهبٍ، ثم جاءَ الصِّديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها، ثم يجيء أهلُ الجَنَّةِ حتى يجلسوا على الكَثيبِ [٢]، فيتجلَّى لهم ربُّهُم - تبارك وتعالى - في كل جمعة» [٣].

فهذا الحديث صريح في الرؤية في كل جمعة، وأنه إنما يحضرها الرجال دون النساء.

طبقات الناس في الرؤية

وهذه أحد أقسام الرؤية فإنَّ العلماء - رضي اللَّه تعالى عنهم - لما ذكروا الأحاديثَ الواردة فيها دلَّتْ على أنَّ الناسَ في الرؤية على ثلاث طبقات:

- **الطبقة الأولى:**

مَن يَرى ربَّه في كُل جُمُعةٍ، وهذه يشترك فيها الخلق بأسرِهم: الأنبياء، والصِّدِّيقون، والشهداء، وسائر المؤمنينَ والخواصُّ والعوام.

وهذه أحاديثها قد دلَّتْ على اختصاص ذلك بالرجال دون النساءِ.

---

(١) الأفيح: الواسع جدًّا.

(٢) الكثيب: المكان المعد للزينة والبهجة والنضارة. وفي النهاية لابن الأثير: الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب.

(٣) اختصر المصنف الحديث هنا، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٥٥): رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي، وأبو يعلى مختصرًا ورواته رواة الصحيح. اهـ.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٢١ - ٤٢٢): ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسناد الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد وضعفه غيره، وإسناد البزار فيه خلاف. ا هـ.

فلو كان للنساءِ نصيب في الرؤية لحَضَرْنَ يومَ الرؤية العامة.

وقد ظهر لي في ذلك معنى لطيف؛ وهو: أنَّ الرؤية في يوم الجمعة جُعِلت كالجزاءِ لصلاة الجمعة بدليلِ بعض الآثار السابقة وما أخرجه ابن ماجة وغيره عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّه تعالى عنه - أنَّ الناسَ في القُرْبِ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ على مِقْدارِ سَبْقِهم إلى الجمعة (١).

ورُوِيَ عنه - رضي اللَّه تعالى عنه - أنَّه حَضَرَ المسجد يوم الجمعة فوجد ثلاثةً قد سَبَقوه إلى المسجد فقال: «**رابع أربعةٍ وما رابع أربعةٍ ببعيدٍ**» (٢). وقد تقرر أن النساء لا جمعة عليهن فلا يبعد أن لا يكون لهن النصيب في الرؤية.

- **الطبقة الثانية**: مَن ينظُر إلى وجهِ ربِّه الكريم بُكرَةً وعشيةً كما أخرج البيهقي في الشُّعَبِ عن الأعمش قال: «**إنَّ أشرف أهْلِ الجنَّةِ يَنظُر إلى اللَّه - تعالى - غُدْوةً وعشِيَّةً**».

وأخرج الترمذيُّ وغيره من طُرقٍ جيِّدةٍ عن ابن عمر - رضي اللَّه تعالى عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**إنَّ أدْنى أهلِ الجنَّةِ منزلَةً لمَن ينظُر إلى جِنانهِ وأزواجِهِ، وخِيَمِهِ (٣) وخدَمِهِ، وسُررِهِ مَسيرةَ ألفِ سنةٍ، وإنَّ أكرمَهُم على اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لمَن ينظُرُ إلى وجهه الكريم غدوَةً وعشِيَّةً. ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ** قوله - تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

---

(١) (٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (رقم ١٠٩٤) بسنده عن علقمة قال: خرجت مع عبدالله إلى الجمعة فوجد ثلاثة وقد سبقوه فقال: «رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات، الأول والثاني والثالث». ثم قال: رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد». وقد حسن البوصيري إسناد هذا الحديث فقال في زوائده (١/ ١٣٠): (هذا إسناد فيه مقال: عبدالمجيد هذا هو ابن عبدالعزيز ابن أبي داود وإن أخرج له مسلم في صحيحه فإنما أخرج له مقرونًا بغيره فقد كان شديد الإرجاء داعية إليه، ولكن وثقه الجمهور أحمد، وابن معين، وأبو داود والنسائي، ولينه أبو حاتم، وضعفه ابن حبان. وباقي رجال الإسناد ثقات، فالإسناد حسن. ا هـ.

(٣) ليس هذا اللفظ في الترمذي.

نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(١)

فهذا الحديث ظاهر في اختصاصِ ذلك بالرجالِ كما تَرى، وبقيةُ الأحاديث الواردةِ في الرؤية كلُّها خِطاب للرجال؛ كقوله ﷺ: «**إنَّكم سَتروْنَ ربَّكُم**» فهذه صيغةُ خطاب الذكور، وإنما دخَلْنَ في خطاباتِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ ونحو ذلك لدليلٍ من خارج دلَّ على الشمول.

وقد خرَّج النووي في الروضة(٢) على هذا الأصل مَثيلة الواعظ الذي طلبَ من الحاضرينَ شيئًا فلم يُعطوهُ فقال: (طلقتُكُم ثلاثًا)، فتبين أنَّ زوجته كانت فيهم، فقال النوَويُّ أنَّ الطلاقَ لا يقعُ عليها؛ لأنَّ قوله: (طلقتكم) خطاب للذكور، والأصحُّ في الأصول أنَّ النساءَ لا يدخلن فيه.

* **الرد على الاستدلال بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾:**

قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قلتَ: إنَّ في القرآنِ ما يدُلُّ على حصول الرؤية لهن وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٧].

أي: يَطلبون(٣)، ومن ذلك الرؤية. وقولُهُ: ﴿سَلَٰمٌ﴾ إنما يقعُ حالُ التَّجلِّي

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه التفسير رقم (٣٣٨٦)، وفي صفة الجنة (رقم ٢٥٥٣)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٢١) وغيرهما. وقال الترمذي (رقم ٣٣٨٦): هذا حديث غريب.ا هـ.

(٢) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (٨/ ٣٧).

(٣) قال الطبري في التفسير (٢٣/ ١٥): ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: يقول ولهم فيها ما يتمنون. وذكر عن العرب أنها تقول: «ادع علي»؛ أي: تمن علي ما شئت. ا هـ.

وقال ابن كثير في التفسير (٦/ ٥٦٩): ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾، أي: مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ. ا هـ.

ونقل القرطبي (١٥/ ٤٥) عن يحيى بن سلام قال: يدعون: يشتهون. وعن ابن عباس: يسألون. قال: والمعنى متقارب. ا هـ.

فهو شامل لهم ولأزواجهم.

قلتُ: أمَّا قولكَ: (أي: يَطلبونَ، ومنه الرؤية) فمن أين لك أنهن يَطلبنَ الرؤيةَ ولَم يَرِد بذلكَ حديث ولا أثر؟ وأيُّ مانِعٍ من أن يصرِفَ اللَّه ـ تعالى ـ عنهُنَّ طلبَ الرؤيةِ ويُرضيهنَّ بما هُنَّ فيه كما صرَفَ عن أهل المنازِلِ الدنيا طَلَبَ ما فيه أهل المنازل العاليةِ وأرضاهم بما هم فيه؟!

ﻫ وأمَّا قولُكَ: إنَّ السلامَ إنما يقعُ حالَ التجلي فهو شامل لهم ولأزواجهم. فأقول في جوابه:

- **أوَّلًا**: هذه[1] جملة منقطِعة عن الجُملِ التي قبلَها كما تَشهَدُ بذلكَ العربيةُ والبيانُ فلم يَلزم تعلُّقُها به التعلقَ الشامل للأزواج.

وأقول:

- **ثانيًا**: على تقدير الاتِّصالِ والتعلُّقِ يُرَدُّ كل منهُما إلى ما ثبتَ له فيشترِكُ الرجالُ والأزواجُ فيما ثبتَ فيه الاشتراك، وينفردُ الرجال بما لم يثبت فيه الاشتراك. وقد تقرَّرَ في الأصولِ أنَّ دلالة الاقتران ليست حقيقةً.

ﻫ رؤية الصِّدِّيقات ربهن:

فإن قلتَ: كيف تسمحُ نفسٌ بأنَّ مثل مريم، وفاطمة الزهراء ـ عليهما السلام ـ وأزواج النبي ﷺ ورضي عنهنَّ لا يكون لهن في الرؤية نصيب؟!

قلتُ: يا مسكينُ ذلكَ من غباوتك، أَوَنَسِيتَ ما ثبتَ لهؤلاءِ المذكورات ومَن جرى مجراهُنَّ من بنات الأنبياءِ ـ عليهِم الصلاةُ والسلام ـ وأزواجهم من الخصائِصِ؟ أفما كان عندك من الفقه ما يُرشِدُكَ إلى أن تقولَ: هؤلاء ونحوُهنَ لا يبعد اختصاصهن بالرؤية خصوصية لهن من دون سائر النساءِ؟! وقد قال اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فتأخذ هذا النفي مطلقًا غيرَ مقيَّدٍ؛ فكما أنهنَّ لسنَ كأحدٍ من النساء في الدنيا؛ فكذلك لسنَ

---

(١) وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾

كأحدٍ من النساءِ في الآخرة، ومِن مُباينتهنَّ لسائرِ النساءِ أن يَرَيْنَ ربَّهُنَّ دون سائر النساءِ.

وأقول زيادةً على ذلك: لا يبعد أن تكونَ الصِّديقاتُ من هذه الأمةِ كرابعةَ العدويَّةِ ومَن جرى مجراها لهُنَّ حظ في الرؤية امتزنَ به على عامَّةِ النساءِ؛ لما كُنَّ عليه في الدنيا من قوة اليقين والمعرفة باللهِ - تعالى - والمواظبةِ على طاعاته والإعراضِ عن ملاذِّ الدنيا وشهواتها؛ حتى إنَّ الواحدةَ منهن قد كانت تموت في الدنيا كل يوم سبعينَ مَوتَةً، فمثْل هؤلاءِ يَقرب تخصيصهنَّ بالرؤية واجتباؤهن بها وقد أوتي رجال هؤلاء الطائفة ما لم يُؤتَه غيرهم وهي الطبقة الثالثة؛ فقد أخرج أبو نعيم في الحِليَة عن أبي يزيدَ البَسطامي - رحمه الله تعالى - قال: «إنَّ للهِ - تعالى - خَواصَّ من عبادِهِ لو حَجَبَهم في الجنة عن رؤيتهِ طرفَةَ عينٍ لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار بالخروج»[1]، [2].

قاعدة قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

تنبيه: لم يقع في القرآن العظيم كَلِمٌ تتعلَّق بصيغ الذكورِ وأريد اشتراك النساء معهم إلَّا صرحَ في آيةٍ ما أو حديثٍ بذلك الاشتراك وكذلك ما وقع من الوعد بالمغفرةِ ودخول الجنَّةِ؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية. فهذه الآية ونحوها صرَّحتْ بإلحاق النساء بالرجال فيما خُوطبَ به الرجال، ولمَّا ذُكِرَتْ آية النَّظَرِ إلى وجه اللَّه - تعالى - الكريم؛ وهي: قوله - تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ذُكِرَت بصيغة جمع الذكور، ولم يقع في آيةٍ أخرى ما ضَمَّ الإناثَ إليهم ولا صرَّحَ

(١) أورد هذه المقالة أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٣) بلفظ: (....لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٤٣٧ - ٤٣٨).

في شيءٍ من الأحاديثِ بذلك؛ فكان ذلك دليلًا على عَدَمِ دخولِهنَّ فيها.

ونظير هذا الاستنباط الذي استنبطتُه ما ذكره الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وغيره أنَّه قد يُستنبط من السكوت كما يُستنبط من الذِّكْرِ، واستدلوا بذلك على أنَّ القرآن غير مخلوقٍ؛ فإنَّ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ ذكره في عدة مواضع من كتابه العزيز ولم يذكر في واحدٍ منها أنه مخلوق، فتأمل.

(تنبيه): إنَّما ألجأنا إلى هذا الذي قررناه عدم ثبوت نصٍّ مصرِّح برؤيةِ النساءِ، والمقام مقام توقُّفٍ؛ فإن ثبتَ نص بذلك قلنا به على الرأسِ والعين.

وقد قَلَبَ بعضُهُمْ قالبَ الدليل فقال: أدلة الرؤيةِ عامَّة فتحتاج إلى مخصِّصٍ وهو حديث مصرِّح بإخراجِ النساءِ من العموم.

وهذا القلب غير مسموع بل الأصل الذي دَلَّ عليه هذا الدَّليل منع الرؤية عن كلِّ أحدٍ؛ لقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ خُصَّ من هذا العمومِ المؤمنون بالآيةِ والأحاديثِ الواردةِ بصيغة جمعِ الذُّكورِ؛ فبقِيَ مَن عَداهم على أصلِ المنع. وهذا هو الذي قرَّره الشيخ عز الدين بن عبدالسلام في استدلاله على أنَّ الملائكة لا يرون ربهم كما نقلناه عنه أولًا.

وكيف يُستبعد امتياز الرجالِ على النساءِ بالرؤية وقد امتازوا عليهنَّ بواجباتٍ وتكاليفَ ومشاقَّ؛ كالجهاد، والقضاء، والجمعة، والجماعة، والأذان، والخُطبة، والصلاة على الجنازة، وحَملِها، والاعتكافِ، والرحل في الطواف، والعَدوِ في السعي، والمسابقَة، وحمل الديةِ على العواقل، وتحريم الحُليِّ والحرير؟!

- **الفرق بين العبد والمرأة في الرؤية**

فإن قال قائل: إنَّ العبد يُشارك المرأة في غالبِ ما ذُكِرَ.

قلنا: الفرق بين العبدِ والمرأةِ من ثلاثةِ أوجُهٍ:

الأول: أنَّ العبدَ يمكنه أن يباشرَ بعض ذلك ـ وإن لم يتوجه عليه الوجوب ـ كالجهاد، والأذان، والخطبة، والمرأة لا يمكنها مباشرة ذلك بحالٍ.

الثاني: أنَّ العبدَ مشغول بخدمةِ سيِّدهِ؛ فشُغلَ عن تكليف واجب بتكليف واجبٍ؛ ولهذا كان له أجرانِ بخلافِ المرأة.

الثالث: أنَّ العبدَ بصددِ أن يُعتقَ ويساوي الأحرار في تلك التكاليفِ، والمرأة لا يُتصوَّر فيها ذلك، ويُترك مَن مات مِن العبيد قبل العِتْق كمن مات من الأحرار قبل البُلوغ وقبل مباشرة شيء من الأعمال؛ فإنَّ الرؤية ثابتة لهم بلا شكٍّ.

وهناك فرقٌ رابعٌ: وهو أنَّ الرِّقَّ يزول بالموتِ، وأما الأنوثَة المقتضية للسترِ فمستمرة.

● **الفرق بين الكفَّار وبين المؤمنات في مسألة الرؤية:**

(تنبيه): فإن قال قائلٌ: إنَّ اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ قال في حق الكفارِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فكيف تجعَل النِّساء المؤمِنات مساوياتٍ للكُفَّارِ في الحَجْبِ عن الرؤية؟

قلنا: قد قرَّر الشيخ عزُّ الدين بن عبدالسلام ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في الملائكة الذين هُم أشرف مِن النِّساءِ أنَّهُم لا يرونَ ربَّهم ولم يُبالِ بأن يرِدَ عليه مثل هذا، مع أنَّ الملائكةَ أشرف من النساءِ وأفضل وأجَلُّ وأعلى مقامًا وأطوع لله عَزَّوَجَلَّ وأعْبَد.

فإن قلتَ: هذا جوابٌ جَدَليٌّ، وأريد ما هو أصدَعِ من ذلك.

قلت: التفرقة بين الحَجْبَين واضحةٌ؛ فإنَّ حَجْبَ الكُفَّارِ حَجْبُ حِرمانٍ، وحجْبَ النساء حَجْبُ سَترٍ وصيانةٍ.

● **أثران بصيغة العموم يشملان النساء:**

فإن قلتَ: قد قرَّرتَ أنَّ الأحاديثَ الواردة في الرؤية كلها بصيغةِ جمعِ الذكور وأنه ليس فيها شيءٌ بصيغةِ عموم يشمل النساءَ. ثم ذكرتَ أنَّها قسمانَ قسمٌ صريحٌ في الاختصاص بالرجال، وقسمٌ ظاهر فقط من حيث الصيغة فما ثَمَّ قط حديثٌ بصيغة عموم بحيث يشمل النساءَ.

قلت: أما حديثٌ مرفوعٌ إلى النبيِّ ﷺ في ذلك فلم أقِفْ عليه، ولكن وقفت على أثرَيْن: أحدهما موقوفٌ والآخر مقطوع.

فأما الموقوف: فأخرج الآجري في كتاب الرؤية: عن عِكرمةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قيل لابن عباسٍ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: «**أكُلُّ مَن دخلَ الجنَّةَ يرى الله ﷻ؟**» فقال: «**نعم**».

وهذا الأثر جوابُه من وجهين:

أحدهما: أنَّ في إسناده إبراهيم بنَ الحكمَ بن إبَّان عن أبيه، وإبراهيم قال فيه النَّسائي: «**متروك الحديث**»، وقال البخاري: «**سَكتوا عنه**»، وقال ابن معينٍ: «ليس بشيء»، وقال الإمام أحمد ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «**في سبيلِ الله دراهم أنفقناها إلى عَدَن إلى إبراهيمَ بنِ الحكم**»، وقال الذهبيُّ: «تركوه، وقَلَّ من ماشاه، وروى عن أبيهِ مُرسَلاتٍ وَوَصَلها[1]».

وأبوه أيضًا متكلَّمٌ فيه: قال ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ: «**الحكمَ بن أبانَ، وحسام بن مَحَك، وأيوب بن سُوَيد، روايتُهم إرْمِ بها في وجوهِهِم**»[2].

الثاني: أنَّ هذا العُموم يمكن حملُه على الرِّجالِ ليوافقَ الأحاديث السابقة.

وأما المقطوع: فأخرجَ البيْهَقي في كتاب الرؤية من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن قال: «لا يَبقى أحدٌ مِن خلقِهِ ﷻ إلَّا رآه يومَ القيامة، ثم يُحجَبُ عنه الكافرونَ ويراه المؤمنون؛ فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾»[3].

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٢٧)، و«التاريخ» ليحيى بن معين (رقم ٣٠٤).

(٢) قال الذهبي في الميزان (١/ ٥٦٩):
وثقه ابن معين، والنسائي. وقال أحمد العجلي: ثقة صاحب سنة كان يقف في البحر إلى ركبتيه قال: يذكر الله مع حيتان البحر ودوابه حتى يصبح. وروى سفيان بن عبدالملك عن ابن المبارك قال: الحكم بن أبان و....ارم بهؤلاء. ا هـ.
وقال في تقريب التهذيب: (١/ ١٩١): صدوق عابد، له أوهام، من السادسة. اهـ.

(٣) أخرج هذا الأثر: الطبري في التفسير (٣٠/ ٦٤) عن الحسن ؓ موقوفًا عليه.

وأخرج من هذا الوجه أيضًا قال: «**إذا كانَ يوم القيامة، بَرَزَ الرَّب ـ تبارك وتعالى ـ فتراه الخلائق وتحجب الكفار فلا يَرونه أبدًا؛ وهو قوله ـ تعالى ـ:** ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾».

● **والجواب عن هذا الأثر من وجوهٍ أربعة:**

الأول: أنَّ في إسْنادِهِ عَمرو بنَ عبيد وهو غير مَرْضيٍّ عند أهل الحديث لاعتزاله.

الثاني: أنَّ هذا من قولِ الحسن، لم يُصرح برفعه.

الثالث: على تقدير أنَّ حُكمَه الرَّفع فهو من مراسيل الحسن، ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح لا يحتَجُّ بها.

الرابع: أنَّ أثرَه هذا: في الرؤية الحاصلة في الموقِف قبل دخول الجنة كما هو ظاهِرٌ وليست هي محلَّ النِّزاع، إنَّما الكلام في الرؤيةِ الحاصلةِ في الجنة كل جُمعةٍ أو بُكرةٍ وعَشِيًّا، ولا شك أنَّ أحاديثَ الرؤية في الموقف ظاهرة العموم لكلِّ أحدٍ من المسلمينَ محسنِهم ومُسيئِهم ودخول النساءِ فيهم واضحٌ.

● **تذييل في رؤية الملائكة ربها ـ سبحانه وتعالى ـ:**

وحين وصلت في التقرير إلى هنا تأملت الحديثين الواردين في رؤية الملائكة ـ عليهم السلام ـ ربَّهم فوجدتُهما مُصرِّحَينِ بأنَّ ذلك حالَ التجلي في الموقف، فلعل ذلك مختصٌّ به، ويكون قول الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام: (إنَّ الملائكة يرون ربهم) إنما أراد به بعد الاستقرار في الجنة لا في الموقف، وحاصله فلا ينهض الاحتجاج عليه بالحديثين المذكورين، على أنِّي قد رأيت لحديثِ الرؤيةِ في الموقف مخصِّصًا.

فقد أخرجَ ابن عساكر عن يزيد بن أبي مالك الدمشقي[1] قال: «**ليس من عبد**

---

(١) اسم أبيه: عبدالرحمن الدمشقي القاضي، ويزيد بن أبي مالك من أئمة التابعين روى عن أنس، وسعيد بن المسيب وأبي مسلم الخولاني وغيرهم. قال الذهبي: وهو صاحب تدليس وإرسال عمن لم يدرك. قال سعيد بن عبدالعزيز: لم يكن عندنا أعلم بالقضاء من =

يؤمن باللَّه واليوم الآخر إلَّا وهُو ينظُر إلى اللَّه ـ تعالى ـ يومَ القيامة عيانًا إلَّا الحاكم يحكم بجورٍ؛ فإنَّه لا يحل له أن ينظُرَ إلى اللهِ ـ تعالى ـ يوم القيامة وهو أعمى».

وشاهده: ما أخرجه الحاكم وصححه البيهقي عن أبي مريم(١) ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ قال: سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «**مَن وَليَ من أمور المسلمين شيئًا فاحتجبَ دون خلتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم، احتجبَ اللَّه ـ تعالى ـ عنه يومَ القيامة**»(٢).

قلت: وهذا عندي مخصوصٌ بحالِ التجلي في الموقف، أما بعد حسابه وإدخالِهِ الجنَّة فإنَّه لا يحتجب عنه فيها.

* ثم رأيت جماعةً من العلماء صرَّحوا بأنَّ الجهمية المنكرين للرؤية لا يرون ربهم وإن دخلوا الجنة؛ فيكونون مختصين مخصوصين من عموم مَنْ يرى.

أخرج اللالكائي في السُّنَّةِ عن عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشونِ(٣) قال:

= يزيد بن أبي مالك لا مكحول ولا غيره.
قال يعقوب الفسوي: يزيد بن أبي مالك فيه لين. وقال أبو حاتم وغيره: ثقة.
(ميزان الاعتدال ٤/ ٤٣٩)، وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٥٤٢).

(١) أبو مريم: هو أحد صحابة الحبيب ﷺ قَدِمَ على معاوية؛ فقال: «ما أنعمنا بك يا أبا مريم».
روى عنه عبادة بن نسي، والقاسم بن مخيمرة، والزبير بن عبدالله، وأبو المعطل.
وقال ابن عساكر: قدم أبو مريم غازيًا، فذكر قصته مع معاوية، وزاد: فقال معاوية: ادعو إلَيَّ سعدًا. يعني حاجبه. فقال معاوية: اللهم إني أخلع هذا من عنقي وأجعله في عنق سعد: من جاء يستأذن عَلَيَّ فأذن له يقضي الله على لساني ما شاء».
(انظر: الإصابة ٤/ ١٧٩ ـ أسد الغابة ٦/ ٢٨٥).

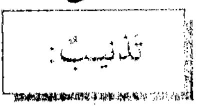
(٢) أخرجه أبو داود في السنن: الإمارة (رقم ٢٩٤٨)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٣) عن أبي مريم رضي الله عنه، وقال الحاكم: (إسناده شامي صحيح)، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) هو عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة التيمي مولاهم المدني الفقيه، حَدَّثَ عن الزهري وعبدالله بن دينار ووهب بن كيسان وجماعة. =

(جحدتْ الجَهْميَّة رؤيتَه - جلَّ وعَزَّ - في الآخرة وهيَ أفضل كرامة اللَّه - تعالى - التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه الكريم ونظرته إياهم في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، فوربِّ السماءِ والأرض ليجعلنَّ رؤيته يومَ القيامة للمخلصينَ له ثوابًا، المصدقين برؤيته - جل وعز - دون الجاحدينَ لها، وهم عن ربهم يومئذٍ محجوبون لا يرونه، كما زعموا أنه لا يُرى).

وأخرج أيضًا عن الأوزاعي قال: (إنِّي لأرجو أن يَحجبَ اللَّه - تعالى - جَهْمًا وأصحابَه عن رؤيته يوم القيامة كما جَحَدوها).

وقال الإمام أحمد بن حنبلٍ - رضي اللَّه تعالى عنه - في كتاب الرد على الزنادقة والجهميَّة، ومنه نقلت: «**روى ثابت البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلى - رضي اللَّه تعالى عنه - قال: إذا استقرَّ أهل الجنة في الجنة نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن اللَّه - تعالى - قد أَذِنَ لكم في الزيارة، فيكشف الحِجاب فينظرون إليه - تعالى -. ثم قال: وإنَّا لنرجو أن يكون جَهْمٌ وشيعتُه ممن لا ينظرون إلى ربهم ويُحجَبون عن اللَّه - تعالى -**».


تذنيب:

لما تأملت الحديثين الواردين في الملائكة - عليهم السلام - ورأيتهما مختصَّين بحال التجلي في الموقف كِدْتُ أرجع إلى مُوافقة الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام على مقالته، ثم راجعت كتاب «**الإبانةِ في أصول الديانة**» تأليف إمامِ أهل السنة والجماعة الشيخ أبي الحسن الأشعري - رضي اللَّه تعالى عنه - فوجدته قال فيه ما نصه: (أفضَل لذَّاتِ الجنة رؤية اللَّه عز وجل ثم رؤية نبيِّهِ محمد ﷺ؛ فلذلك لم يحرم

= قال الذهبي: كان من العلماء الربانيين، نظر مرة إلى شيء من كلام جهم؛ فقال: «هذا هدم بلا بناء، وصفة بلا معنى». وقال ابن وهب: حججت فسمع من ينادي: لا يغني الناس إلا مالك وعبدالعزيز بن أبي سلمة. وتوفي سنة ١٦٤هـ.

(تذكرة الحفاظ ص ٢٢٢).

اللَّه ـ تعالى ـ أنبياءه المرسلين، وملائكته المقربين، وجماعة المؤمنين والصديقين من النظر إلى وجهه الكريم عَزَّ وَجَلَّ)[١].

فهذا نصٌّ صريح من الإمامِ الأشعري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بأنَّ الملائكة ـ عليهم السلام ـ يَرون ربهم في الجنة وهو عندي مُقدَّمٌ على استنباطِ الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام.

● (الأحسن عدم الجزم في هذه المسألة بشيء):

تنبيه: جميع هذا التقرير الذي قررته هو مقتضى النظر وما دَلَّت عليه الأدلة، وقد قررته وأنا غير منشرح الصدر بذلك؛ فإن الذي كان يتبادر إلى الأذهان إنَّما هو خِلافُهُ، وكنتُ أَوَد لو وجدت حديثًا مصرِّحًا برؤية النساء ربَّهن؛ فكنت أصير إليه وأسارع إلى القول به، ولو كان ضعيفَ الإسنادِ، فكنتُ أستأنسُ به، ولكن لم أقف إلى الآن على حديث مُصرح بذلك، والمقام مقام توقف، والإقدام فيه ليس بِالْهَيِّنِ والسكوتُ لا يُكتفى به في مثل ذلك إثباتًا.

وقد ورد أن أم سلَمَة ـ رضي اللَّه تعالى عنها ـ لم تكتفِ بالسكوت في مثل ذلك وقالت: «**يا رسول اللَّه إنِّي لا أسمعُ ذِكْرَ النساءِ في الهجرة بشيءٍ**» حتى نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ الآية[٢].

والأحَب إليَّ في هذه المسألة هو الوقفُ عن الجزم فيها بشيء؛ فلا نصرح بإثبات الرؤية لهن، ولا بنَفْيها عنهن، ونَكِلُ الأمرَ في ذلك إلى اللهِ ـ تعالى ـ حتى

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري تحقيق د. فوقية حسين محمود ط. دار الأنصار سنة (١٣٩٧) (الطبعة الأولى)(: ص ٥٤ ـ ٥٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٦) بسنده عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله: يذكر الرجال ولا يذكر النساء! فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية، وأنزل ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾.

وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٠١) أيضًا.

يوجدَ حديثٌ صريح في الإثبات يُحتَج بمثله.

● **إثبات رؤية المؤمنات لله ـ سبحانه وتعالى ـ في الموقف:**

تنبيه: جميع ما قررناه إنما هو بالنسبةِ للرؤيةِ في الجنةِ، أمَّا في الموقف فإنَّهنَّ يرين ربهنَّ عز وجل كما تقدمت الإشارة إليه.

وقد قال ابن القيِّم في كتاب حادي الأرواح إلى بلادِ الأفراح[1]: «دلَّت الأحاديثُ الصحيحةُ الصريحةُ على أنَّ المنافقين يرونه عز وجل في عرَصات القيامة». قال: (وفي هذه المسألة ثلاثةُ أقوال لأهل السُّنة: أحدُها: أنه لا يراه عز وجل إلَّا المؤمنون، والثاني: أنه يراه عز وجل جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجبُ عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك أبدًا ليكون ذلك عليهم حسْرةً وندامَةً، والثالث: أنه يراه المنافقونَ دون الكفار.

والأقوال الثلاثةُ في مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه وهي لأصحابهِ هي.

ثم راجعتُ كتابَ البداية والنهاية للحافظ عماد الدين ابنِ كثيرٍ فوجدته قال فيه ما نصُّه[2]: «في الصحيحين عن جرير مرفوعًا عند ذكر رؤية المؤمنينَ ربهم عز وجل يوم القيامة كما يرونَ الشمسَ والقمر، ثم بعد ذلك قال: «**فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمس وقبل الغروب فافعلوا**»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[3]، وفي صحيح البخاري:

---

(١) «حادي الأرواح» (ص١٩٨) ـ طبع مكتبة المتنبي بالقاهرة.

(٢) نهاية البداية والنهاية (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) ط. المكتبة القيمة بالقاهرة ـ تصحيح إسماعيل الأنصاري.

(٣) زيادة من نهاية البداية والنهاية، وحديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه لفظه: قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا». أخرجه البخاري: التوحيد (رقم ٧٤٣٤) ـ ومسلم: المساجد (رقم ٢١١).

«**إنكم سترونَ ربكم عيانًا**»، فأرشد هذا السياق[١] إلى أنَّ الرؤية تقعُ في مثل أوقات العبادة؛ فكأنَّ المُبرزين يرون الله ﷻ في مثل طرفي النهار غدوةً وعشيًّا.

وهذا مقامٌ عالٍ حتى إنهم يرَوْنَ ربَّهم ﷻ وهُم على أرائكهم وسررِهم كما يُرَى القمر في الدنيا في مثل هذه الأحوال، وهؤلاء يَرونه ـ تعالى ـ أيضًا في المجمَع الأعَمِّ والأشمل وهو في مثل أيام الجُمَع حيث يجتمع أهلُ الجنَّةِ في وادٍ أفْيَحَ؛ أيْ: متسِعٍ من مِسكٍ أبيضَ، فيجلسونَ فيه على قَدْر منازلِهم؛ فمنهُم من يجلِس على منابِرَ من نور، ومنهم من يجلِس على منابرَ من ذهبٍ، وغير ذلك من أنواع الجواهِر وغيرها، ثم تُفاض عليهم الخُلَع، وتوضع بينَ أيديهم الموائِد بأنواع المطاعم والأشربةِ، مما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم يطيَّبونَ بأنواع الطيب كذلك، ويباشرون من أنواع الإكرام ما لا يخطر على بال أحدٍ قبل ذلك.

ثـمَّ يتجلى لهم الحقُّ ـ سبحانه وتعالى ـ ويخاطِبُهم واحدًا واحدًا؛ كما دلَّت على ذلك الأحاديث ـ كما سيأتي إيرادُها قريبًا إن شاء اللَّه ـ تعالى.

وقد حَكَى بعضُ العلماءِ خلافًا في النساءِ: هل يرينَ اللَّه ﷻ كما يراه الرجال؟ فقيل: لا؛ لأنهنَّ مقصورات في الخيام. وقيل: بل لا مانع من رؤيته ﷻ في الخيام وغيرها. و(قد) قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾، وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّكُم سَترَوْنَ ربَّكُم ﷻ كما ترون هذا القمر لا تضـامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على صلاةٍ قبلَ طلوع الشمسِ وقبل غروبها فافعلوا**»، وهذا عامٌّ في الرجال والنساء واللَّه أعلم.

وقال بعض العلماء قولًا ثالثًا؛ وهو: أنهن يَرَيْنَ اللهَ ﷻ في مثل أيام الأعياد؛ فإنَّه ـ سبحانه وتعالى ـ يتجلى في مثل أيام الأعياد تجليًا عامًّا لأهل الجنة فتراه النساءُ

---

(١) صحيح البخاري: التوحيد (رقم ٧٤٣٥) عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

في مثل هذه الحال دون غيرها، وهذا القول يحتاجُ إلى دليلٍ خاصٍّ عليه[1] والله أعلم». هذا كله كلام ابن كثير.

تنبيه: وبعد أن قررت هذه المعاني استنباطًا من غير أن أقِفَ عليها لأحد، وجدت ابنَ رجبٍ ألَمَّ بشيء من ذلك؛ فقال في كتابه «**اللطائف**» ما نصه: «كلُّ يومِ عِيدًا للمسلمينَ في الدنيا، فإنَّه عيدٌ لهم في الجنة؛ يجتمعون فيه على زيارة ربهم ﷻ، ويتجلَّى لهم فيه، ويوم الجمعة يُدعى في الجنةِ يومَ المَزيدِ، ويوْما الفِطر والنحر يجتمعُ أهلُ الجنة فيهما للزيارة، وروي أنه يُشاركُ النساءُ الرجالَ فيهما كما كنَّ يَشهَدْنَ العِيدَينِ معَ الرجال دونَ الجمعَة، فهذا لِعامَّةِ أهلِ الجنَّة، وأما خواصُّهُم فكُلُّ يوم لهم عيدٌ يرون ربهم بكرة وعَشِيًّا». انتهى.

وهذا أحدُ المعاني التي فهمتها، فلِلَّه الحمدُ والمنة.

دليل الرؤية يوم العيد

فإن قلتَ: قد دلَّت الأحاديث على أن أهل الجنة يزورون ربهم ويرونه يوم الجمعَة، فأين الدليل على حصول ذلك في يوم العيد؟

قلت: أخرج الآجري عن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «**ما نَظَرَ اللهُ ـ تعالى ـ إلى الجنَّةِ قَطُّ إلَّا قال لها: «طِيبي لأهلِكِ»، فزادت أضعافًا على ما كانت عليه، حتى يأتيها أهلُها، وما من يومٍ كان لهم عيدًا إلَّا يخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرُزُ لهمُ الرَّبُّ ـ جَلَّ جلاله ـ فينظرونَ إليه، وتَسْفي عليهم الريحُ المسكَ، ولا يَسألون ربهم ﷻ شيئًا إلَّا أعطاهم حتى يرجعوا**».

وأخرج أيضًا عن ابن سَلامٍ عن بكر بن عبدالله المزني ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «**إنَّ أهلَ الجنةِ يزورون ربهم ﷻ في مقدار كل عيدٍ لهم فيأتونَ ربَّ العِزَّة في حُلل خضر، ووجوه مشرقةٍ، وأساور من ذهبٍ مكللةٍ بالدُّرِّ والزمرد، عليهم أكاليل**

---

(١) زيادة من البداية والنهاية.

الذهَب، ويركبون نجايبَهم، ويستأذنون على ربهم ﷻ؛ فيأمُرُ لهم بالكرامة».

قال في (القواعد الصغرى[1]): «وقد أحسن اللَّه ـ تعالى ـ إلى النبيين وأفاضل المؤمنين بالمعارف والأحوال والإذعان ونعيم الجنان ورضى الرحمن، والنظر إلى الديَّان، مع سماع تسليمه وكلامه وتبشيره بتأبيد الرضوان، ولم يثبت للملائكة ـ عليهم السلام ـ مثل ذلك، ولا شك أن أجساد الملائكة ـ عليهم السلام ـ أفضل من أجساد البشر، وأما أرواحهم فإن كانت أعرف باللَّه ـ تعالى ـ وأكمل أحوالًا من أرواح البشر فهم أفضل من البشر، وإن استوت الأرواح في ذلك فقد فضلت الملائكة البشر بالأجساد، فإن أجسادهم من نور، وأجساد البشر من لحم وعظم ودم، وفُضِّل البشر الملائكة بما ذكرنا من نعيم الجنان، وقرب الديَّان، ورضاه، وتسليمه، وتقريبه، والنظر إلى وجهه الكريم، وإن فضلهم البشر في المعارف والأحوال والطاعات كانوا بذلك أفضل منهم، وبما ذكرناه مما وُعِدوا به في الجنان.

ولا شك أن للبشر طاعاتٍ لم يثبت مثلها للملائكة ـ عليهم السلام ـ كالجهاد، والصبر على البلايا، والمحن والرزايا، وتحمل المشاق في العبادات لأجل رضاء اللَّه ﷻ، وقد ثبت أن المؤمنين من البشر يرون ربهم ﷻ ويسلم عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبدًا، ولم يثبت مثل هذا للملائكة ـ عليهم السلام ـ، وإن كانوا يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فرب عمل يسير أفضل من تسبيح كثير، وكم من نائم أفضل من قائم، وقد قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝﴾ [البينة: ٧].

أي: خير الخليقة، والملائكة ـ عليهم السلام ـ من الخليقة.

ولا يُقال: الملائكة من جملة الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ لأن هذا اللفظ مخصوص بمن آمن من البشر في عُرف الشرع، فلا يندرج فيه الملائكة لعُرف

---

(١) آكام المرجان (ص ٦١ ـ ٦٢).

الاستعمال.

فإن قيل: لعل الملائكة يرون ربهم كما يراه الأبرار.

قلت: يمنعُ منه عموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، وقد استثني منه المؤمنون؛ فبقي على عمومه في الملائكة لا الأبرار»[(١)].

ثم رأيت العلّامة البُلقينيَّ قد قال في مجموع له ما نصُّه: «واعلم أن مؤمني الجن إذا تقرَّر أن لهم الثواب وأنهم يدخلون الجنة فهل تحصل لهم رؤية الرب ـ جلَّ جلاله ـ؟ لم أقف على كلام أحد من العلماء تعرَّض لهذه المسألة، ولم تثبت الرؤية إلَّا للبشر، وجعلت الآية الدالة على حصول الرؤية للبشر مخصِّصة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، وإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خصَّ البشر بخصائص، وأحسن إليهم من بين سائر الخلائق كافة، وجعل فيهم الأفاضل من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من العلماء الذي ورثوا علومهم، ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة، ورزقهم نعيم الجنان والرضوان، والنظر إلى الرحمن وسماع كلامه، ولم يثبت للملائكة ـ عليهم السلام ـ ذلك».

* ثم ساق كلام الشيخ عز الدين بن عبدالسلام برُمته، ثم قال بعده ما نصه: «وإذا كان ذلك في الملائكة فهو في الجنِّ بطريق الأوْلى».

ثم قال: وقد يُتوقَّفُ في الأولوية؛ لأنَّ الإيمانَ في عُرْفِ الشَّرعِ يشمل مؤمني الثقلين، ونعيمُ الجنان ثابتٌ للملائكة ـ عليهم السلام ـ على معنى دخولها والنظر إلى ما فيها، وأما ما يتعلق بالمأكل والمشرب فليس لهم، ومقاماتُ الملائكة في الآخرة لا يطلع عليها إلَّا الله ـ تعالى ـ؛ لأنهم رءوس الصالحين، والصحابةُ ـ رضي الله تعالى عنهم ـ كانوا يقولون في تشهدِهم: «**السلام على جبريل، السلام على ميكائيل**»؛ فقال لهم النبي ﷺ: «**قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحينَ.**

---

(١) انتهى كلام العز بن عبدالسلام.

فإنكم إذا قلتم ذلك أصابت كل عبدٍ صالح في السماءِ والأرض»(١).

والملائكةُ أيضًا ينالهم رِضى الرحمن ولا يخص البشر، بل كل مَن خَشِيَ اللَّه ـ تعالى ـ رضي اللَّه ـ تعالى ـ عنه؛ بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾.

والملائكة ـ عليهم السلام ـ أشرف خشية لله ـ تعالى ـ من غيرهم؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والقُربُ ثابتٌ لهم من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، وأما تسليمُ اللَّه ـ تعالى ـ على البشر في الدار الآخرة فلأنهم لما قَدِمُوا على ربهم عَزَّوَجَلَّ حصل لهم تسليم القادم الذي كان غائبًا وَقَدِمَ على مولاه، وأما الملائكة ـ عليهم السلام ـ فليس لهم مثل ذلك، وأمام سماع كلام الرب ـ جَلَّ جلالُهُ ـ فهو ثابتٌ للملائكة ـ عليهم السلام ـ في الدنيا والآخرة، والأحاديثُ دالَّةٌ على ذلك.

وأمَّا الرؤيةُ فقد نَصَّ الشيخ أبو الحسن الأشعري إمامُ أهلِ السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إثباتها للملائكة والمؤمنين من البشر؛ بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ مقتضى هذه الآية أن المؤمنين مطلقًا يدخلون الجنةَ وتثبت لهم رؤية الرب ـ جلَّ جلاله.

وفي مستدرك الحاكم حديثٌ يدل على رؤية جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لله عَزَّوَجَلَّ في الدار

---

(١) **متفق عليه**. أخرجه البخاري: الاستئذان (رقم ٦٢٣٠) عن عبدالله قال: كنا إذا صلينا مع النبي ﷺ قلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان وفلان. فلما انصرف النبي ﷺ أقبل علينا بوجهه وقال: «إن الله هو السلام، فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ـ فإذا قال ذلك أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض ـ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ثم يتخير بَعْدُ من الكلام ما شاء». وبنحوه أخرجه مسلم: الصلاة (رقم ٥٥).

الآخرة، وأن النبي ﷺ أخبر عن جبريل عليه السلام أنه لم يرَ اللَّه عز وجل قبل ذلك، وأن الملائكةَ رءوسُ المؤمنين. وعلى مقتضى استدلال الأئمة والأشعري تثبت الرؤية لمؤمني الجن». هذا كله كلام البُلقيني ـ رحمَه اللَّه تعالى.

❁ فائدة:

قال ابن أبي حمزة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في حديث عدي بن حاتم ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ: «**ما منكم من أحدٍ إلَّا سيكلمه اللَّه ـ تعالى ـ يوم القيامة ليس بينَه وبينه ترجُمان، ثم ينظر فلا يرى شيئًا قدامُه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتّقِيَ النار ولو بشق تمرةٍ فليفعل**»[(١)]: فيه دليل على أن رؤيته ـ تعالى ـ وكلامه، وما كان من صفاته عز وجل إذا تجلى لعبدِه بذاته أو بصفةٍ من صفاته ـ تعالى ـ لا يقدر العَبد أن يرى منه ـ تعالى ـ أو مع صفةٍ من صفاته شيئًا؛ يؤخذ ذلك من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ثم ينظر...إلخ، وذلك بعد فراغه من سماع الكلام؛ فدل ذلك على أنه ـ تعالى ـ عندما يتجلى لعبده بصفةٍ من صفاته وهي الكلام لم يمكنه مع ذلك أن ينظر إلى شيء.

ومما يقوي ذلك ويوضحه ما جاء في الذين يَرونه عز وجل في الجنة أنهم لا يقدرون معه أن يلتفتوا إلى الجنة ولا إلى شيء من نعيمها. قال: وفيه دليل على قرب النار من أهل المحشر. ثم قال: وبقي النظر في قوله ﷺ: «**منكم**» هل يعود ذلك على جنسِ بني آدمَ، أو هو لجنس المؤمنين مطلقًا ظاهرًا؟ للفظ محتملٌ وما جاءَ في الكتاب العزيز يُخصِّصه وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فبهذا يتخصَّص هذا اللفظ وبقيَ الكلام للمؤمنين خاصةً صالحهم وغيره.

❁ فائدة:

وقال في حديث الرؤيةِ في الموقف في قوله ﷺ: «**وتبقى هذه الأمة فيها**

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في الرقاق رقم (٦٥٣٩)، ومسلم في الزكاة رقم (٦٧).

منافقوها فيأتيهم الله ﷻ ....إلخ[1] »: يحتمل أن يريدَ بالأمةِ الجنِسَ؛ يعني: أمةَ التوحيد من الثقلَين من أول العالَم إلى آخره، ويحتمل العهد؛ يعني به: أمةَ محمد ﷺ، لا غير.

قال: والأظهر أنها للجنس بدليل قوله ﷺ فيه: «**ما عدا عُبادَ الطواغيت**» (أي من عدا عباد الطواغيت)، وهـم جميع الرسل وأممهم من الجن والإنس، ولقوله ﷺ «**بَعْدُ فأكونُ أولَ من يجوز من الرسل بأمته**»؛ ففيه دليل على أنه عَنيَ بالأمة جميعَ الموحدينَ من آدم إليه ﷺ.

وقالَ في موضع آخرَ: قال أهل العلم بالمعرفة والشريعة: إنَّ التجلي في دار الكرامة يكون فيهِ للناس تفاوتٌ على قدر معرفتهم في هذه الدار بالإجلال والإعظام.

وهذا آخر ما أردنا إيراده، والله الموفِّقُ للصواب.

- من درر شيخ الإسلام ابن تيمية وانتصاره لرؤية المسلمات لربهن في الجنة

أقرَّ شيخ الإسلام ابن تيمية عيون الموحِّدات المؤمنات وانتصر لرؤية المؤمنات لربهن في الجنة في درر من كلامه نسوقها بنصها حرصًا على الفائدة؛ فقال رحمه الله:

«المقتضي لكتابة هذا: أن بعض الفقهاء كان قد سألني لأجل نسائه من مدة: هل ترى المؤمنات الله في الآخرة؟ فأجبت بما حضرني إذ ذاك: من أن الظاهر أنهن يرينه، وذكرت له أنه قد روى أبو بكر عن ابن عباس أنهن يرينه في الأعياد، وأن أحاديث الرؤية تشمل المؤمنين جميعًا من الرجال والنساء؛ وكذلك كلام

---

(١) **متفق عليه**: البخاري: التوحيد رقم (٧٤٣٧) - مسلم: الإيمان رقم (٢٩٩) في حديث طويل أوله: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟». قالوا: لا... إلى قوله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه؛ فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها» الحديث.

العلماء؛ وأن المعنى يقتضي ذلك حسب التتبع؛ وما لم يحضرني الساعة.

وكان قد سنح لي فيما روي عن ابن عباس أن سبب ذلك أن «**الرؤية**» المعتادة العامة في الآخرة تكون بحسب الصلوات العامة المعتادة، فلما كان الرجال قد شرع لهم في الدنيا الاجتماع لذكر الله ومناجاته، وترائيه بالقلوب والتنعم بلقائه في الصلاة كل جمعة جعل لهم في الآخرة اجتماعًا في كل جمعة لمناجاته ومعاينته والتمتع بلقائه.

ولما كانت السُّنَّة قد مضت بأن النساء يؤمرن بالخروج في العيد حتى العواتق والحيض، وكان على عهد رسول الله ﷺ يخرج عامة نساء المؤمنين في العيد، جعل عيدهن في الآخرة بالرؤية على مقدار عيدهن في الدنيا.

وأيد ذلك عندي ما خرجاه في «**الصحيحين**» عن جرير بن عبدالله البجلي قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ:** ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾»، وهذا الحديث من أصح الأحاديث على وجه الأرض المتلقاة بالقبول، المجمع عليها عند العلماء بالحديث وسائر أهل السنة.

ورأيت أن النبي ﷺ أخبر المؤمنين بأنهم يرون ربهم، وعقبه بقوله: «**فإن استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»، ومعلوم أن تعقيب الحكم للوصف، أو الوصف للحكم بحرف الفاء يدل على أن الوصف علة للحكم؛ لا سيما ومجرد التعقيب هنا محال؛ فإن الرؤية في الحديث قبل التحضيض على الصلاتين وهي موجودة في الآخرة، والتحضيض موجود قبلها في الدنيا.

والتعقيب الذي يقوله النحويُّون لا يعنون به أن اللفظ بالثاني يكون بعد الأول، فإن هذا موجود بالفاء وبدونها وبسائر حروف العطف، وإنما يعنون به

معنى أن التلفظ الثاني يكون عقب الأول، فإذا قلت: (قام زيد فعمرو) أفاد أن قيام عمرو موجود في نفسه عقب قيام زيد؛ لا أن مجرد تكلم المتكلم بالثاني عقب الأول، وهذا مما هو مُسَلَّمٌ عند الفقهاء في أصول الفقه، وهو مفهوم من اللغة العربية إذا قيل: (هذا رجل صالح فأكرمه) فهم من ذلك أن الصلاح سبب للأمر بإكرامه، حتى لو رأينا بعد ذلك رجلًا صالحًا لقيل كذلك الأمر، وهذا أيضًا رجل صالح أفلا تكرمه؟ فإن لم يفعل [فلا بد] أن يخلف الحكم لمعارض وإلا عُدَّ تناقضًا.

وكذلك لما قال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلَّا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلَّا شيئًا قدمه، وينظر أشأم منه فلا يرى إلَّا شيئًا قدمه، وينظر أمامه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل، فإن لم يستطع فبكلمة طيبة**».

فُهِمَ منه أن تحضيضه على اتقاء النار هنا لأجل كونهم يستقبلونها وقت ملاقاة الرب، وإن كان لها سبب آخر.

وكذلك لما قال ابن مسعود: «**سارعوا إلى الجمعة؛ فإن اللَّه يبرز لأهل الجنة في كل جمعة في كثيب من كثب الكافور، فيكونون في القرب منه على قدر تسارعهم في الدنيا إلى الجمعة**» فَهِمَ الناس من هذا أن طلب هذا الثواب سبب للأمر بالمسارعة إلى الجنة.

وكذلك لو قيل: إن الأمير غدًا يحكم بين الناس أو يقسم بينهم فمن أحب فليحضر. فُهِمَ منه أن الأمر بالحضور لأخذ النصيب من حكمه أو قسمه، وهذا ظاهر.

ثم إن هذا الوصف المقتضي للحكم تارة يكون سببًا متقدمًا على الحكم في العقل وفي الوجود؛ كما في قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾، وتارة يكون حكمه متقدمًا على الحكم في العلم، والإرادة متأخرة عنه في الوجود؛ كما في قولك: الأمير يحضر غدًا، فإن حضر كان حضور الأمير يتصور

ويقصد قبل الأمر بالحضور معه، وإن كان يوجد بعد الأمر بالحضور وهذه تسمى العلة الغائية، وتسميها الفقهاء حكمة الحكم، وهي سبب في الإرادة بحكمها، وحكمها سبب في الوجود لها.

و«**التعليل**» تارة يقع في اللفظ بنفس الحكمة الموجودة فيكون ظاهره أن العلة المتأخرة عن المعلول، وفي الحقيقة إنما العلة طلب تلك الحكمة وإرادتها.

وطلب العافية وإرادتها متقدم على طلب أسبابها المفعولة، وأسبابها المفعولة متقدمة عليها في الوجود، ونظائره كثير؛ كما قيل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾ ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ ويقال: إذا حججت فتزود.

فقوله ﷺ: «**إنكم سترون ربكم، فإن استطعتم أن لا تُغْلبوا على صلاتين**» إلى: «**فافعلوا**»، يقتضي أن المحافظة عليها هنا لأجل ابتغاء هذه الرؤية، ويقتضي أن المحافظة سبب لهذه الرؤية، ولا يمنع أن تكون المحافظة توجب ثوابًا آخر ويؤمر بها لأجله، وأن المحافظة عليها سبب لذلك الثواب، وأن للرؤية سببًا آخر؛ لأن تعليل الحكم الواحد بعلل واقتضاء العلة الواحدة لأحكام جائز.

وهكذا غالب أحاديث الوعد؛ كما في قوله: «**من صلى ركعتين لا يُحَدِّثُ فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه**» «**ومن حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»، وقوله: «**لا تُنْكَحُ المرأة على عمتها ولا على خالتها؛ فإنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم**» ونحو ذلك؛ فإنه يقتضي أن صلاة هاتين الركعتين سبب للمغفرة وكذلك الحج المبرور، وإن كان للمغفرة أسباب أخر.

وأيد هذا المعنى أن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، وقد فُسِّر هذا الدعاء بصلاتي الفجر والعصر، ولما أخبر أنهم يريدون وجهه بهاتين الصلاتين، وأخبر في هذا الحديث أنهم ينظرون إليه، فتحضيضهم على هاتين يناسب ذلك أن من أراد وجهه نظر إلى وجهه ـ تبارك وتعالى.

ثم لما انضم إلى ذلك ما تقدم من أن صلاة الجمعة سبب للرؤية في وقتها، وكذلك صلاة العيد، ناسب ذلك أن تكون هاتان الصلاتان اللتان هما أفضل الصلوات، وأوقاتهما أفضل الأوقات ـ فناسب أن تكون الصلاة: التي هي أفضل الأعمال ثم ما كان منها أفضل الصلوات في أفضل الأوقات ـ سببًا لأفضل الثوابات في أفضل الأوقات.

لا سيما وقد جاء في حديث ابن عمر الذي رواه الترمذي عن إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيًا ـ ثم قرأ رسول الله ﷺ**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾».

قال الترمذي: وقد رُوِيَ هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا، ورواه عبدالملك بن ايجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر موقوفًا، ورواه عبيدالله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله: ولم يرفعه. وقال الترمذي: لا نعلم أحدًا ذكر فيه مجاهدًا غير ثوير وأظنه قد قيل: في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أن منه النظر إلى الله.

ورُوِيَ في ذلك حديث مرفوع رواه الدارقطني في «**الرؤية**»: حدثنا أبو عبيد قاسم بن إسماعيل الضبي، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق البصري، حدثنا هانئ بن يحيى، حدثنا صالح المصري عن عباد المنقري عن ميمون بن سياه عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ أقرأه هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ قال: والله ما نسخها منذ أنزلها؛ يزورون ربهم ـ تبارك وتعالى ـ فيطعمون ويسقون، ويطيبون ويحملون، ويرفع الحجاب بينه وبينهم، فينظرون إليه وينظر إليهم ﷻ؛ وذلك قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي هذا الحديث في «**الموضوعات**» وقال: هذا لا يصح؛ فيه ميمون بن سياه؛ قال ابن حبان: ينفرد بالمناكير عن المشاهير، لا يُحتجُّ

به إذا انفرد، وفيه صالح المصري؛ قال النسائي: متروك الحديث.

قلت: أما ميمون بن سياه فقد أخرج له البخاري والنسائي، وقال فيه أبو حاتم الرازي: ثقة. وحسبك بهذه الأمور الثلاثة، وعن ابن معين قال فيه: ضعيف. لكن هذا الكلام يقوله ابن معين في غير واحد من الثقات، وأما كلام ابن حبان ففيه ابتداع في الجرح.

فلما كان في حديث ابن عمر المتقدم، وَعُدَّ أعلاهم: «**غدوة وغشيًّا**»، والرسول ﷺ قد جعل صلاتي الغداة والعشي سببًا «**للرؤية**»، وصلاة الجمعة سببًا «**للرؤية**» في وقتها؛ مع ما في الصلاة من مناسبة للرؤية، كان العلم بمجموع هذه الأمور يفيد ظنًّا قويًّا أن هاتين الصلاتين سبب للرؤية في وقتهما في الآخرة، والله أعلم بحقيقة الحال.

فلما كان هذا قد سنح لي، والنساء يشاركن الرجال في سبب العمل؛ فيشاركونهم في ثوابه، ولما انتفت المشاركة في الجمعة انتفت المشاركة في النظر في الآخرة، ولما حصلت المشاركة في العيد حصلت المشاركة في ثوابه.

ثم بعد مدة طويلة جرى كلام في هذه «**المسألة**»، وكنت قد نسيت ما ذكرته أولًا؛ لا بعضه؛ فاقتضى ذِكْرَ ما ذكرته أولًا، فقيل لي: الحديث يقتضي أن هاتين الصلاتين من جملة سبب «**الرؤية**»، لا أنه جميع السبب؛ بدليل أن مَنْ صلاهما ولم يصل الظهر والعصر لا يستحق الرؤية.

وقيل لي: الحديث يدل على أن الصلاتين سبب في الجملة، فيجوز أن تكون هاتان الصلاتان سببًا للرؤية في الجمعة؛ كيف وقد قيل: أن أعلى أهل الجنة مَنْ يراه مرتين؟ فكيف يكون المحافظون على هاتين الصلاتين أعلاهم؟.

فقلت: ظاهر الحديث يقتضي أن هاتين الصلاتين هو السبب في هذه «**الرؤية**»؛ لما ذكرته من القاعدة في النساء آنفًا؛ ثم قد يتخلف المقتضي عن المقتضى لمانع لا يقدح في اقتضائه؛ كسائر أحاديث الوعد؛ فإنه لما قال: «**من صلى البردين دخل الجنة**» «**من فعل كذا دخل الجنة**»، دل على أن ذلك العمل

سبب لدخول الجنة وإن تخلف عنه مقتضاه لكفر أو فسق.

فمن ترك صلاة الظهر أو زنا أو سرق ونحو ذلك كان فاسقًا، والفاسق غير مستحق للوعد بدخول الجنة كالكافر، وكذلك أحاديث الوعيد إذا قيل: من فعل كذا دخل النار؛ فإن المقتضي يتخلف عن التائب وعمن أتى بحسنات تمحو السيئات وعن غيرهم، ويجوز أن يكون للرؤية سبب آخر، فكونه سببًا لا يمنع تخلف الحكم عنه لمانع ولا يمنع أن ينتصب سبب آخر للرؤية.

ثم أقول: فعل بقية الفرائض سواء كانت من جملة السبب، أو كانت شرطًا في هذا السبب: فالأمر في ذلك قريب، وهو نزاع لفظي؛ فإن الكلام إنما هو في حق من أتى ببقية شروط الوعد، وانتفت عنه موانعه.

ولا يجوز أن يقال: فالأنوثة مانع من لحوق الوعد، أو الذكورة شرط؛ لأن هذا إن دل عليه دليل شرعي كما دل على أن فعل بقية الفرائض شرط قلنا به، فأما بمجرد الإمكان فلا يجوز ترك مقتضى اللفظ وموجبه بالإمكان؛ بل متى ثبت عموم اللفظ وعموم العلة وجب ترتيب مقتضى ذلك عليه ما لم يدل دليل بخلافه؛ ولم يثبت أن الذكورة شرط ولا أن الأنوثة مانع؛ كما لم يقتض أن العربية والعجمية والسواد والبياض لها تأثير في ذلك.

وكذلك الحديث يدل على أن «**المقصدين**» يشاركون «**السابقين**» في أصل الرؤية وإن امتاز السابقون عنهم بدرجات، ومثوبات، أو شمول المعنى لهؤلاء على السواء، فهذا من هذا الوجه دليل على أن هاتين الصلاتين سبب للرؤية، ووجود السبب يقتضي وجود المسبب إلَّا إذا تخلف شرطه أو حصلت موانعه، والشروط والموانع تتوقف على دليل.

وأما الإعراض على كون هاتين الصلاتين سبب للرؤية في الجملة ـ ولو في يوم الجمعة ـ فيقال: ذلك لا ينفي أن النساء يَرَيْنَهُ في الجملة ولو في غير يوم الجمعة وهذا هو المطلوب.

ثم يقال: مجموع ما تقدم من سائر الأحاديث يقتضي أن الرؤية تحصل وقت

العمل في الدنيا، فإذا قيل: إن الرؤية تكون غدوًّا وعشيًّا وسببها صلاة الغداة والعشي فإن هذا ظاهرا فيما قلناه، والمدعى الظهور؛ لا القطع.

وأما كون «**الرؤية مرتين**» لأعلى أهل الجنة، وليس من صلى هاتين الصلاتين أعلى أهل الجنة، فليس هذا بدافع لما ذكرناه؛ لأن هذين الاحتمالين ممكنة به، يخرج الدليل عليها؛ لكن الله أعلم بما هو الواقع منها. يمكن السبب فعل هاتين الصلاتين على الوجه الذي أمر الله به باطنًا وظاهرًا؛ لا صلاة أكثر الناس.

ألا ترى إلى حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ: «**إن الرجل لينصرف من صلاته ولم يكتب له إلَّا ربعها إلَّا خمسها إلَّا سدسها ـ حتى قال ـ: عشرها**» رواه أبو داود؛ فالصلاة المقبولة هي سبب الثواب، والصلاة المقبولة هي المكتوبة لصاحبها، وقد بين النبي ﷺ أن من المصلين من لا يُكتَبُ له إلَّا بعضها، فلا يكون ذلك المصلي مستحقًّا للثواب الذي استحقه من تقبل الله صلاته وكتبها له كلها.

وعلى هذا فلا يكاد يندرج في الحديث إلَّا الصديقون أو قليل من غيرهم، والنساء منهن صديقات.

ويجوز أن يكون من له نوافل يجبر بها نقص صلاته يدخل في الحديث، كما جاء في حديث أبي هريرة المرفوع: «**إن النوافل تجبر الفرائض يوم القيامة**».

وعلى هذا فيكون الموجودون بهذا أكثر المصلين المحافظين على الصلوات، ويكون هؤلاء أعلى أهل الجنة؛ فإن أكثر أمة محمد ﷺ ما يحافظون على الصلوات؛ بل منهم مَنْ يؤخر بعضها عن وقته، ومنهم مَنْ ترك بعض واجباتها، ومنهم مَنْ يترك بعضها، وسائر الأمم قبلنا لا حظَّ لهم في هاتين الصلاتين.

ولو قيل: إن كل مَنْ صلى هاتين الصلاتين دخل الجنة على أي حال كان مغفورًا له نال هذا الثواب لأمكن في قدرة الله، ولم يكن الحديث نافيًا لهذا؛ إذ أكثر ما فيه أنه من أعلى أهل الجنة، والعلو والسفول أمر إضافي، فيصدق على أهل الجنات الثلاث أنهم من أعلى أهل الجنات الخمس الباقية، ويصدق أيضًا على أكثر أهل الجنة أنهم أعلى بالنسبة إلى من تحتهم، وبعض هذا فيه نظر والله أعلم

بحقيقة الحال.

لكن الغرض أن هذا لا ينفي ما ذكرناه، وهذا كله لو كان حديث «**المرتين**» يصلح لمعارضة ما ذكرنا من الدلالة وهو لا يصلح لذلك لما فيه من الاختلاف في إسناده.

ولما جرى الكلام ثانيًا في «**رؤية النساء ربهن في الآخرة**» استدللت بأشياء أنا أذكرها وما اعترض به عَلَيَّ وما لم يعترض حتى يظهر الأمر، فأقول:

الدليل على أنهن يَرَينهُ أن النصوص المخبرة بالرؤية في الآخرة للمؤمنين تشمل النساء لفظًا ومعنىً ولم يعارض هذا العموم ما يقتضي إخراجهن من ذلك؛ فيجب القول بالدليل السالم عن المعارض المقاوم.

ولو قيل لنا: ما الدليل على أن الفُرْسَ يرون الله؟ أو أن الطوال من الرجال يرون الله؟! أو إيش الدليل على أن نساء الحبشة يخرجن من النار؟ لكان مثل هذا العموم في ذلك بالغًا جدًا إلَّا إذا خُصِّصَ، ثم يعلم أن العموم المسند المجرد عن قبول التخصيص يكاد يكون قاطعًا في شموله بل قد يكون قاطعًا.

أما «**النصوص العامة**» فمثل ما في الصحيحين عن أبي هريرة «**أن الناس قالوا: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله؛ قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه. فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت؛ وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقولون: نعوذ باللَّه منك! هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا عز وجل، فإذا جاء ربنا عز وجل عرفناه؛ فيأتيهم في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم! فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلَّا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم!**» وساق الحديث.

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي سعيد قال: «**قلنا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ نعم، فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟! هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟! قالوا: لا يا رسول الله، قال: ما تضارون في رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة إلَّا كما تضارون في رؤية أحدهما؛ إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد! فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلَّا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلَّا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّرِ أهل الكتاب**» وذكر الحديث في دعاء اليهود والنصارى إلى أن قال: «**حتى إذا لم يبق إلَّا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا؛ فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم؛ فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا مرتين أو ثلاثًا، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون نعم، فيكشف عن ساق، ولا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلَّا أذن الله له بالسجود؛ ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلَّا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه؛ ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم! فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم**».

هذان الحديثان من أصح الأحاديث، فلما قال النبي ﷺ :«**فإنكم ترونه كذلك؛ يحشر الناس فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه**». أليس قد عُلِمَ بالضرورة أن هذا خطاب لأهل الموقف من الرجال والنساء؟ لأن لفظ الناس يعم الصنفين، ولأن الحشر مشترك بين الصنفين.

وهذا العموم لا يجوز تخصيصه، وإن جاز جاز على ضعف؛ لأن النساء أكثر من الرجال، إذ قد صح أنهن أكثر أهل النار، وقد صح لكل رجل من أهل الجنة زوجتان من الإنسيات سوى الحور العين، وذلك لأن مَنْ في الجنة من النساء أكثر

من الرجال وكذلك في النار فيكون الخلق منهم أكثر واللفظ العام لا يجوز أن يحمل على القليل من الصور دون الكثير بلا قرينة متصلة؛ لأن ذلك تلبيس وعي ينزه عنه كلام الشارع.

ثم قوله: «**فيقال:** «**من كان يعبد شيئًا فليتبعه**» وصف من الصيغ التي تعم الرجال والنساء؛ ثم فيها العموم المعنوي، وهو: أن اتباعه إياه مُعَلَّلٌ بكونه عبده في الدنيا وهذه العلة شاملة للصنفين.

ثم قوله: «**وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها**» والنساء من هذه الأمة مؤمناتهن ومنافقاتهن، «**فإذا جاء عرفناه**»؛ وقوله: «**فيأتيهم في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم! فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم**» تفسير لما ذكرناه في أول الحديث من أنهم يرون ربهم، كما يرون الشمس والقمر.

والضمير في قوله: «**فيأتيهم في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم! فيقولون: أنت ربنا**» قد ثبت أنه عائد إلى الأمة التي فيها الرجال والنساء، وإلى مَنْ كان يعبده الذي يشمل الرجال والنساء، وإلى الناس غير المشركين؛ وذلك يعم الرجال والنساء، وهذا أوضح من أن يزاد بيانًا.

ثم قوله في حديث أبي سعيد: «**فيرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة**» نص في أن النساء من الساجدين الرافعين قد رأوه أولا ووسطًا وآخرًا، والساجدون قد قال فيهم: «**لا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلَّا أذن اللَّه له بالسجود**» و«**من**» تعم الرجال والنساء فكل من سجد لله مخلصًا من رجل وامرأة فقد سبحه الله، وقد رآه في هذه المواقف الثلاث، وليس هذا موضع بيان ما يتعلق بتعدد السجود والتحول وغير ذلك مما يلتمس معرفته، وإنما الغرض هنا ما قصدنا له.

ثم في كلا الحديثين الإخبار بمرورهم على الصراط، وسقوط قوم في النار، ونجاة آخرين، ثم بالشفاعة في أهل التوحيد حتى يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ويدخلون الجنة ويُسَمَّوْنَ الجهنميين، أفليس هذا كله عامًّا

للرجال والنساء؟ أم الذين يجتازون على الصراط ويسقط بعضهم في النار ثم يشفع في بعضهم هم الرجال؟ ولو طلب الرجل نصًّا في النساء في مثل هذا أما كان متكلفًا ظاهر التكلف؟.

كذلك روى مسلم في صحيحه عن أبي الزبير: أنه سمع جابرًا يسأل عن (الورود) فقال: نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا[1] انظر أيَّ ذلك فوق الناس، قال: فَتُدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيقول: أنا ربكم! فيقولون: حتى ننظر إليك. فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نورًا؛ ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون» وذكر الحديث في دخول الجنة والشفاعة.

أفليس هذا بينًا في أنه يتجلى لجميع الأمة؟ كما أن الأمة تعطى نورها، ثم جميع «**المؤمنين**» ذكرانهم وإناثهم يبقى نورهم، وكذلك جميع ما في الحديث من المعاني تعم الطائفتين عمومًا يقينيًّا.

وهذا الحديث هو مرفوع قد رواه الإمام أحمد وغيره بمثل إسناد مسلم، ذكر فيه عن النبي ﷺ ما يقتضي أن جابرًا سمع الجميع منه.

وروي من وجوه صحيحة عن جابر عن النبي ﷺ مرفوعًا؛ وهذا حديث قد روي أيضًا بإسناد جيد من حديث ابن مسعود مرفوعًا إلى النبي ﷺ أطول سياقه من سائر الأحاديث، وروي من غير وجه.

وفي حديث «**أبي رزين العقيلي**» المشهور من غير وجه قال: قلنا: يا رسول الله! أكلنا يرى ربه يوم القيامة؟ قال: «**أكلكم يرى القمر مخليًّا به؟**» قالوا: بلى! «**فالله أعظم**»؛ وقوله: «**كلكم يرى ربه**»؛ كقوله: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن**

---

(١) كذا في مسلم وصوابه «على كوم أيْ فوق الناس».

رعيته؛ فالرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في مال زوجها، وهي مسئولة عن رعيتها» من أشمل اللفظ.

ومن هذا قوله: «**كلكم يرى ربه مخليًا به**»؛ «**وما منكم من أحد إلَّا سيخلو به ربه كما يخلو أحدكم بالقمر**»؛ «**وما منكم إلَّا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان**» إلى غير ذلك من الأحاديث الصحاح والحسان التي تصرح بأن جميع الناس ذكورهم وإناثهم مشتركون في هذه الأمور من «**المحاسبة**» و«**الرؤية**» و«**الخلوة**» و«**الكلام**».

وكذلك الأحاديث في «**رؤيته ـ سبحانه ـ في الجنة**» مثل ما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؛ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله! فما شيء أعطوه أحب إليهم من النظر إليه، وهي «الزيادة»**».

قوله: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ**» يعم الرجال والنساء؛ فإن لفظ الأهل يشمل الصنفين، وأيضًا فقد علم أن النساء من أهل الجنة وقوله: «**يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه**» خطاب لجميع أهل الجنة الذين يدخلونها وَوُعِدُوا بالجزاء، وهذا قد دخل فيه جميع النساء المكلفات.

وكذلك قولهم: «**الم يثقل ويبيض ويدخل وينجز**» يعم الصنفين، وقوله: «**فيكشف الحجاب فينظرون إليه**» الضمير يعود إلى ما تقدم وهو يعم الصنفين.

ثم الاستدلال بالآية دليل آخر؛ لأن الله ـ سبحانه ـ قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ومعلوم أن النساء من الذين أحسنوا، ثم قوله فيما بعد: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ يقتضي حصر أصحاب الجنة في أولئك، والنساء من أصحاب الجنة فيجب أن يكُنَّ من أولئك، وأولئك إشارة إلى الذين لهم الحسنى وزيادة؛ فوجب دخول النساء في الذين لهم الحسنى وزيادة، واقتضى أن

كل من كان من أصحاب الجنة فإنه موعود «**بالزيادة على الحسنى**» التي هي النظر إلى الله ـ سبحانه ـ، ولا يستثنى من ذلك أحد إلّا بدليل؛ وهذه «**الرؤية العامة**» لم توقت بوقت بل قد تكون عقب الدخول قبل استقرارهم في المنازل، واللّه أعلم أي وقت يكون ذلك.

وكذلك ما دل من الكتاب على «**الرؤية**» كقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ هو تقسيم لجنس الإنسان المذكور في قوله: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾، وظاهرٌ انقسام الوجوه إلى هذين النوعين. كما أن قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ أيضًا إلى هذين النوعين؛ فمن لم يكن من الوجوة الباسرة كان من الوجوه الناضرة الناظرة؛ كيف وقد ثبت في الحديث أن النساء يزددن حسنًا وجمالًا كما يزداد في مواقيت النظر؟

وكذلك قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ قد فُسِّر بالرؤية، وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فإن هذا كله يعم الرجال والنساء.

واعلم أن الناس قد اختلفوا في «**صيغ جمع المذكر مُظْهَرِهِ ومُضْمَرِهِ**» مثل: المؤمنين، والأبرار، وهو: هل يدخل النساء مطلق اللفظ أو لا يدخلون إلّا بدليل؟ على قولين:

(**أشهرهما**) عند أصحابنا ومَن وافقهم أنهم يدخلون بناءً على أن من لغة العرب إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلبوا المذكر، وقد عهدنا من الشارع في خطابه أنه يعم القسمين ويدخل النساء بطريق التغليب، وحاصله أن هذه الجموع تستعملها العرب تارة في الذكور المجردين وتارة في الذكور والإناث، وقد عهدنا من الشارع أن خطابه المطلق يجرى على النمط الثاني، وقولنا المطلق احتراز من المقيد مثل قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ومن هؤلاء

من يدعي أن مطلق اللفظ في اللغة يشمل القسمين.

و(**القول الثاني**): أنهن لا يدخلن إلَّا بدليل، ثم لا خلاف بين (الفريقين) أن آيات «**الأحكام**» و«**الوعد**» و«**الوعيد**» التي في القرآن تشمل الفريقين وإن كانت بصيغة المذكر، فمن هؤلاء من يقول: دخلوا فيه لأن الشرع استعمل اللفظ فيهما وإن كان اللفظ المطلق لا يشمله، وهذا يرجع إلى القول الأول. ومنهم من يقول: دخلوا لأنا علمنا من الدين استواء الفريقين في الأحكام فدخلوا كما ندخل نحن فيما خوطب به الرسول، وكما تدخل سائر الأمة فيما خوطب به الواحد منهما. وإن كانت صيغة اللفظ لا تشمل غير المخاطب.

وحقيقة هذا القول: أن اللفظ الخاص يستعمل علمًا «**حقيقة عرفية**» إما خاصة، وإما عامة، وربما سماه بعضهم قياسًا جليًّا ينقض حكم من خالفه؛ وأكثرهم لا يسمونه «**قياسًا**» بل قد علم استواء المخاطب وغيره فنحن نفهم من الخطاب له الخطاب للباقين، حتى لو فرض انتفاء الخطاب في حقه لمعنى يخصه لم ينقص انتفاء الخطاب في حق غيره، «**فالقياس**» تعدية الحكم وهنا لم يُعَدَّ حكم وإنما ثبت الحكم في حق الجميع ثبوتًا واحدًا؛ بل هو مشبه بتعدية الخطاب بالحكم؛ لا نفس الحكم.

وعلى كل قول فالدلالة من صيغ الجمع المذكر متوجهة؛ كما أنها متوجهة بلا تردد من صيغة: «**مَنْ**» و«**أهل**» و«**الناس**» ونحو ذلك.

واعلم أن هنا «**دلالة ثانية**» وهي دلالة العموم المعنوي، وهي أقوى من دلالة العموم اللفظي؛ وذلك أن قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ وقد فسرت «**القرة**» بالنظر وغيره؛ فيقتضي أن النظر جزاء على عملهم، والرجال والنساء مشتركون في العمل الذي استحق به جنس الرجال الجنة؛ فإن العمل الذي يمتاز به الرجال «**كالإمارة**» و«**النبوة**» - عند الجمهور - ونحو ذلك لم تنحصر الرؤية فيه: بل يدخل في الرؤية من الرجال من لم يعمل عملًا يختص الرجال؛ بل اقتصر على ما فرض عليه من الصلاة، والزكاة،

وغيرهما: وهذا مشترك بين الفريقين.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ فإن «**البر**» سبب هذا الثواب و«**البر**» مشترك بين الصنفين، وكذلك كل ما علقت به «**الرؤية**» من اسم الإيمان ونحوه يقتضي أنه هو السبب في ذلك فيعم الطائفتين.

وبهذا «**الوجه**» احتج الأئمة أن الكفار لا يرون ربهم؛ فقالوا: لما حجب الكفار بالسخط، دلَّ على أن المؤمنين يرون بالرضى، ومعلوم أن المؤمنات فارقوا الكفار فيما استحقوا به السخط والحجاب، وشاركوا المؤمنين فيما استحقوا به الرضوان والمعاينة، فثبت الرؤية في حقهم باعتبار الطرد واعتبار العكس. وهذا باب واسع إن لم نقطعه لم ينقطع.

فإن قيل: دلالة العموم ضعيفة؛ فإنه قد قيل: أكثر العمومات مخصوصة، وقيل: ما ثمَّ لفظ عام إلَّا قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، ومن الناس من أنكر دلالة العموم رأسًا.

قلنا: أما «**دلالة العموم المعنوي العقلي**» فما أنكره أحد من الأمة فيما أعلمه؛ بل ولا من العقلاء، ولا يمكن إنكاره، اللهم إلَّا أن يكون في «**أهل الظاهر الصرف**» الذين لا يلحظون المعاني كحال من ينكرها؛ لكن هؤلاء لا ينكرون عموم الألفاظ؛ بل هو عندهم العمدة، ولا ينكرون عموم معاني الألفاظ العامة؛ وإلا قد ينكرون كون عموم المعاني المجردة مفهومًا من خطاب الغير.

فما علمنا أحدًا جمع بين إنكار «**العمومين**» اللفظي والمعنوي، ونحن قد قررنا العموم بهما جميعًا؛ فيبقى محل وفاق مع العموم المعنوي، لا يمكن إنكاره في الجملة، ومن أنكره سَدَّ على نفسه إثبات حكم الأشياء الكثيرة؛ بل سدَّ على عقله أخص أوصافه، وهو القضاء بالكلية العامة، ونحن قد قررنا العموم من هذا الوجه؛ بل قد اختلف الناس في مثل هذا العموم: هل يجوز تخصيصه؟ على قولين مشهورين.

وأما «**العموم اللفظي**» فما أنكره أيضًا إمام ولا طائفة لها مذهب مستقر في

العلم، ولا كان في «**القرون الثلاثة**» من ينكره؛ وإنما حدث إنكاره بعد المائة الثانية، وظهر بعد المائة الثالثة، وأكبر سبب إنكاره إما من المجوزين للعفو من «**أهل السنة**» ومن أهل المرجئة من ضاق عطنه لما ناظره الوعيدية بعموم آيات الوعيد وأحاديثه، فاضطره ذلك إلى أن جحد العموم في اللغة والشرع؛ فكانوا فيما فروا إليه من هذا الجحد كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ولو اهتدوا للجواب السديد «**للوعيدية**»: من أن الوعيد في آية وإن كان عامًّا مطلقًا، فقد خُصِّصَ وقُيِّدَ في آية أخرى ـ جريًا على السنن المستقيمة ـ أَوْلَى بجواز العفو عن المتوعَّدِ وإن كان معينًا، تقييدًا للوعيد المطلق، وغير ذلك من الأجوبة، وليس هذا موضع تقرير ذلك؛ فإن الناس قد قرروا العموم بما يضيق هذا الموضع عن ذكره.

وإن كان قد يقال: بل العلم بحصول العموم من صيغة ضروري من اللغة والشرع والعرف، والمنكرون له فرقة قليلة يجوز عليهم جحد الضروريات، أو سلب معرفتها؛ كما جاز على من جحد العلم بموجب الأخبار المتواترة وغير ذلك من المعالم الضرورية.

وأما من سلم أن العموم ثابت، وأنه حجة، وقال: هو ضعيف، أو أكثر العمومات مخصوصة، وأنه ما من عموم محفوظ إلَّا كلمة أو كلمات.

فيقال له: «**أولًا**»: هذا سؤال لا توجيه له؛ فإن هذا القدر الذي ذكرته لا يخلو: إما أن يكون مانعًا من الاستدلال بالعموم أو لا يكون؛ فإن كان مانعًا فهو مذهب منكري العموم من الواقفة والمخصصة، وهو مذهب سخيف لم ينتسب إليه. وإن لم يكن مانعًا من الاستدلال فهذا كلام ضائع غايته أن يقال: دلالة العموم أضعف من غيره من الظواهر وهذا لا يقر، فإنه ما لم يقم الدليل المخصص وجب العمل بالعام.

ثم يقال له: «**ثانيًا**»: من الذي سلم لكم أن العموم المجرد الذي لم يظهر له مخصص دليل ضعيف؟ أم من الذي سلم أن أكثر العمومات مخصوصة؟ أم من

الذي يقول ما من عموم إلَّا قد خُصَّ إلَّا قوله: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؟ فإن هذا الكلام وإن كان قد يطلقه بعض السادات من المتفقهة وقد يوجد في كلام بعض المتكلمين في أصول الفقه فإنه من أكذب الكلام وأفسده.

والظن بمن قاله «أولًا» أنه إنما عنى أن العموم من لفظ «**كل شيء**» مخصوص إلَّا في مواضع قليلة؛ كما في قوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وإلا فأي عاقل يدعي هذا في جميع صيغ العموم في الكتاب والسنة، وفي سائر كتب الله وكلام انبيائه، وسائر كلام الأمم عربهم وعجمهم؟.

وأنت إذا قرأت القرآن من أوله إلى آخره، وجدت غالب عموماته محفوظة؛ لا مخصوصة، سواء عنيت عموم الجمع لأفراده، أو عموم الكل لأجزائه، أو عموم الكل لجزئياته، فإذا اعتبرت قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فهل تجد أحدًا من العالمين ليس الله ربه؟

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ فهل في يوم الدين شيء لا يملكه الله؟

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فهل في المغضوب عليهم والضالين أحد لا يجتنب حاله التي كان بها مغضوبًا عليه أو ضالًّا؟

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ الآية. فهل في هؤلاء المتقين أحد لم يهتد بهذا الكتاب؟ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ هل فيما أنزل الله ما لم يؤمن به المؤمنون لا عمومًا ولا خصوصًا؟

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ هل خرج أحد من هؤلاء المتقين عن الهدى في الدنيا، وعن الفلاح في الآخرة؟.

ثم قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قيل: هو عام مخصوص، وقيل: هو لتعريف العهد فلا تخصيص فيه؛ فإن التخصيص فرع على ثبوت عموم اللفظ؛ ومن هنا يغلط كثير من الغالطين، يعتقدون أن اللفظ عام، ثم يعتقدون أنه قد

خص منه؛ ولو أمعنوا النظر لعلموا من أول الأمر أن الذي أخرجوه لم يكن اللفظ شاملًا له، ففرق بين شروط العموم وموانعه، وبين شروط دخول المعنى في إرادة المتكلم وموانعه.

ثم قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أليس هو عامًّا لمن عاد الضمير إليه عمومًا محفوظًا؟ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ أليس هو عامًّا في القلوب، وفي السمع، وفي الأبصار، وفي المضاف إليه هذه الصفة عمومًا، لم يدخله تخصيص؟ وكذلك ﴿وَلَهُمْ﴾، وكذلك في سائر الآيات إذا تأملته إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فمن الذين خرجوا من هذا العموم الثاني فلم يخلقهم اللَّه له؟ وهذا باب واسع.

وإن مشيت على آيات القرآن كما تلقن الصبيان وجدت الأمر كذلك؛ فإنه - سبحانه - قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③﴾، فأي ناس ليس اللَّه ربهم؟ أم ليس ملكهم؟ أم ليس إلههم؟ ثم قوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ④﴾ إن كان المسمى واحدًا فلا عموم فيه، وإن كان جنسًا فهو عام، فأي وسواس خناس لا يُستعَاذُ باللَّه منه؟.

وكذلك قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ أي جزء من «**الفلق**» أم أي (فلق) ليس اللَّه ربه؟ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②﴾ أي شر من المخلوق لا يستعاذ منه؟ ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ أي نفاثة في العقد لا يستعاذ منها؟ وكذلك قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ مع أن عموم هذا فيه بحث دقيق ليس هذا موضعه.

ثم «**سورة الإخلاص**» فيها أربع عمومات: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾؛ فإنه يعم جميع أنواع الولادة، وكذلك ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، وكذلك ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾؛ فإنها تعم كل أحد وكل ما يدخل في مسمى الكفؤ، فهل في شيء من هذا خصوص؟.

ومن هذا الباب كلمة الإخلاص التي هي أشهر عند أهل الإسلام من كل كلام؛ وهي كلمة «**لا إله إلَّا الله**» فهل دخل هذا العموم خصوص قط؟

فالذي يقول بعد هذا: ما من عامٍّ إلَّا وقد خص إلَّا كذا وكذا، إما في غاية الجهل، وإما في غاية التقصير في العبارة؛ فإن الذي أظنه أنه إنما عنى: «**من الكلمات التي تعم كل شيء**» مع أن هذا الكلام ليس بمستقيم؛ وإن فسر بهذا؛ لكنه أساء في التعبير أيضًا؛ فإن الكلمة العامة ليس معناها أنها تعم كل شيء؛ وإنما المقصود أن تعم ما دلت عليه، أي: ما وضع اللفظ له وما من لفظ في الغالب إلَّا وهو أخص مما هو فوقه في العموم وأعم مما هو دونه في العموم، والجميع يكون عامًا.

ثم عامة كلام العرب وسائر الأمم إنما هو أسماء عامة، والعموم اللفظي على وزان العموم العقلي وهو خاصية «**العقل**» الذي هو أول درجات التمييز بين الإنسان وبين البهائم.

فإن قيل: سلمنا أن ظاهر الكتاب والسنة يشمل النساء؛ لكن هذا العموم مخصوص؛ وذلك أن في حديث رؤية الله للرجال يوم الجمعة: «**أن الرجال يرجعون إلى منازلهم فتتلقاهم نساؤهم فيقلن للرجل: لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه! فيقول: أنَّا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به**». وهذا دليل على أن النساء لم يشاركوهم في الرؤية، وإذا كان هذا في رؤية الجمعة ففي رؤية الغداة والعشي أولى؛ لأن هذا أعلى من تلك ومن لم يصلح للرؤية في الأسبوع فكيف يصلح للرؤية في كل يوم مرتين؟ وإذا انتفت رؤيتهن في هذين الموطنين، ولم يثبت أن الناس يرونه في غير هذين الموطنين: فقد ثبت أن العموم مخصوص منه النساء في هذين الموطنين؛ وما سواهما لم يثبت لا للرجال ولا للنساء، فلم يبق ما يدل على حصول الرؤية للنساء في موطن آخر، فإما أن يبقى مطلقًا عملًا بالأصل النافي؛ وإما أن يُنْفَى عن هذين الموطنين، ويتوقف فيما عداهما، ولا يحتج على ثبوتها فيه بتلك العمومات لوجود التخصيصات فيها.

هذا غاية ما يمكن في تقرير هذا السؤال، ولولا أنه أورد على لما ذكرته لعدم

توجهه فنقول: (الجواب من وجوه متعددة) وترتيبها الطبيعي يقتضي نوعا من الترتيب ولكن أرتبها على وجه آخر ليكون أظهر في الفهم.

الجواب الأول

أنا لو فرضنا أنه قد ثبت أن النساء لا يرينه في الموطنين المذكورين لم يكن في ذلك ما ينفي رؤيتهن في غير هذين الموطنين، فيكون ما سوى هذين الموطنين لم يدل عليه الدليل الخاص لا بنفي ولا بإثبات، والدليل العام قد أثبت الرؤية في الجملة، والرؤية في غير هذين الموطنين لم يَنْفِهَا دليل؛ فيكون الدليل العام قد سلم عن معارضة الخاص؛ فيجب العمل به، وهذا في غاية الوضوح.

فإنَّ مَنْ قال: رأيت رجلًا، فقال آخر: لم تَرَ أسود ولم تَرَهُ في دمشق، لم تتناقض القضيتان، والخاص إذا لم يناقض مثله من العام لم يَجُزْ تخصيصه به، فلو كان قد دل دليل على أن النساء لا يرينه بحال لكان هذا الخاص معارضًا لمثله من العام، أما إذا قيل: أنه دل على رؤية في محل مخصوص كيف ينفي بنفي جنس الرؤية؟ وكيف يكون سلب الخاص سلبًا للعام؟

فإن قيل: لا رؤية لأهل الجنة إلَّا في هذين الموطنين، قيل: ما الذي دل على هذا؟

فإن قيل: لأن الأصل عدم ما سوى ذلك، قيل: العدم لا يحتج به في الأخبار بإجماع العقلاء، بل من أخبر به كان قائلًا ما لا علم له به، ولو قيل للرجل: هل في البلد الفلاني كذا، وفي المسجد الفلاني كذا؟ فقال: لا؛ لأن الأصل عدمه، كان نافيًا ما ليس له به علم باتفاق العقلاء.

ولو قال الآخر: الذين يرون اللَّه كل يوم مرتين: هم النبيون فقط؛ لأن الأصل عدم رؤية غيرهم، ولهم من الخصوص ما لا يشركون فيه، كان هذا قولًا بلا علم - إذا سَلِمَ من أن يكون كذبًا - وليس هنا مفهوم يتمسك به كما في قوله: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾

فإن الرسول لم يقل: إن أهل الجنة لهم موطنان في الرؤية، حتى يقول ذلك بنفي ما سواهما، بل كلامه يدل على خلاف ذلك كما سنبينه، ولو فرضنا أنه يجوز الحكم باستصحاب الحال في مثل هذا؛ فإن العموم والقياس حجتان مقدمتان على الاستصحاب؛ أما «**العموم**» فبإجماع الفقهاء، وأما «**القياس**» فعند جماهيرهم.

ومعلوم أن «**العموم**» و«**القياس**» يقتضيان ثبوت الرؤية كما تقدم، فلا يجوز نفيها بالاستصحاب، وإن جاز تخصيص ذلك بنقص عقل النساء، فينبغي أن يقال: «**البله**» و«**أهل الجفاء**» من الأعراب ونحوهم ممن يدخل الجنة لا يرى الله، فإنه لا ريب أن في النساء من هو أعقل من كثير من الرجال، حتى إن المرأة تكون شهادتها نصف شهادة الرجل، والمغفل ونحوه ترد شهادتهما بالكلية، وإن لم يكن مجنونًا؛ وقد قال النبي ﷺ: «**كَمَلَ مِن الرِّجَال كثير ولم يَكْمُلْ من النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَع**» أكمل ممن لم يكمل من الرجال؛ ففي أي معقول تكون الرؤية للناقص، دون الكامل؟!.

الجواب الثاني

أن نقول: نفس الحديث المحتج به دل على أن لأهل الجنة رؤية في مواطن عديدة؛ فإنه قال: «**وأعلى الجنة منزلة من يرى الله كل يوم مرتين غدوة وعشية**»؛ فإذا كانت هذه الأعلى، فمفهومه أن الأدنى له دون ذلك، ولا يجوز أن يقصر ما دون ذلك على «**رؤية الجمعة**»؛ لأنه لا دليل عليه؛ بل يجوز أن يراه بعضهم كل يوم مرة، وبعضهم كل يومين مرة، وبعضهم أكثر من ذلك، والحكمة تقتضي ذلك؛ فإن «يوم الجمعة يشترك فيه جميع الرجال من الأعلين والمتوسطين ومن دونهم، وكل يوم مرتين للأعلين؛ فالذين هم فوق الأدنين ودون الأعلين لا بد أن يميزوا عمن دونهم؛ كما نقصوا عمن فوقهم».

الجواب الثالث

أنه قد جاءت الأحاديث برؤية اللَّه في غير هذين الموطنين، منها: ما رواه ابن ماجه في «**سننه**» والدارقطني في «**الرؤية**» عن الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبداللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب ـ تبارك وتعالى ـ أشرف عليهم! فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة! وهو قول الله:** ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، **فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما دام اللَّه بين أظهرهم حتى يحتجب عنهم، وتبقى فيهم بركته ونوره**».

ورويناه من طريق أخرى معروفة إلى سلمة بن شبيب حدثنا بشر بن حجر حدثنا عبداللَّه بن عبيداللَّه عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بينما أهل الجنة في ملكهم ونعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب ـ تبارك وتعالى ـ قد أشرف عليهم من فوقهم! فيقول: السلام عليكم يا أهل الجنة؛ فذلك قوله ـ تبارك وتعالى ـ:** ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، **فينظرون إليه وينظر إليهم، فلا يلتفتون إلى شيء من الملك والنعيم حتى يحتجب عنهم، قال: فيبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم**».

وهذه الطريق تنفي أن يكون قد تفرد به الفضل الرقاشي، وهذا الحديث بعمومه يقتضي أن جميعهم يرونه، لكن لم يستدل به ابتداء؛ لأن في إسناده مقالا، والمقصود هنا أنه قد روى ذلك وهو ممكن ولا سبيل إلى دفعه في نفس الأمر، والعموم الصحيحة تثبت جنس ما أثبته هذا الحديث.

وأيضًا فالحديث الصحيح «**إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة! إن لكم عند اللَّه موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه؛ فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه**».

فهذا ليس هو نظر الجمعة؛ لأن هذا عند الدخول، ولم يكونوا ينتظرونه، ولا اجتمعوا لأجله، ونظر الجمعة يقدمون إليه من منازلهم ويجتمعون لأجله كما جاءت به الأحاديث، وبين هذا التجلي وذاك فرق تدل عليه الأحاديث، ولا هذا التجلي من المرتين اللتين تختص بالأعلين، بل هو عام لمن دخل الجنة؛ كما دل عليه الحديث موافقًا لقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ - ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾.

وأيضًا فقد جاء موقوفًا على ابن عباس، وعن كعب الأحبار مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «**أنهم يرونه في كل يوم عيد**».

وأيضًا فقد ثبت بالنصوص المتواترة في عرصات القيامة قبل دخول الجنة أكثر من مرة، وهذا خارج عن المرتين؛ إلَّا أن يقال: وإن كان لم يقل: ولا في سؤال السائل ما يدل عليه فهو مبطل لحصره قطعًا، ومن أراد أن يحترز عنه يصوغ السؤال على غير ما تقدم، وإنما صغناه كما أُورِدَ علينا.

وأيضًا فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ قال النبي ﷺ: «**يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»، فكيف يمكن أن يقال: إن من سوى الأعلين لا يرى الله قط إلَّا في الأسبوع مرة؟ ويقضي ذلك الدليل على ما قد أخفاه عن كل نفس؛ ونفى علمه من كل عين، وسمع، وقلب، وفرق بين عدم العلم، والعلم بالعدم، وبين عدم الدليل، والدليل على العدم؛ فإذا لم يكن مع الإنسان فيما سوى الموطن سوى عدم العلم وعدم الدليل لم يكن ذلك مانعًا من موجب الدليل العام بالاضطرار وبالإجماع.

ونكتة (الجواب الأول) أن النبي ﷺ إذا قال: إن أهل الجنة يرون الله ـ تعالى ـ، وفسر به قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ فاعلمنا بهذا أن أصحاب الجنة لهم «**الزيادة**» التي هي النظر إليه، وقد علمنا أن أهل الجنة وأصحاب الجنة منهم النساء

المحسنات أكثر من الرجال. وقال لنا ـ مثلًا ـ: يوم الجمعة يراه الرجال دون النساء، وقال لنا أيضًا: لا يراه كل يوم مرتين إلَّا أعلى أهل الجنة. وفرضنا أن النساء لا يرينه بحال ـ كل يوم مرتين ـ ولا يوم الجمعة، ولا فيما سوى ذلك قط، وهذا وإن كان من وقف على هذا الكلام يعلم أنه لا خلاف بين العلماء؛ بل ولا بين العقلاء في أنه لا يدل على نفي جنس «**الرؤية**»، ولا يخص ذلك اللفظ العام، ولا يقيد ذلك المطلق، فإنما رددت الكلام فيه للمنازعة فيه، فلا يظن أنا أطلنا النفس فيه لخفائه؛ بل لرده مع جلائه.

ولك أن تعبر عن «**هذا الجواب**» بعبارات: إن شئت أن تقول: «**أحاديث الإثبات**» أثبتت رؤية مطلقة للرجال وللنساء، ونفي المقيد لا ينفي المطلق فلا يكون المطلق منفيًّا، فلا يجوز نفي موجبه.

وإن شئت أن تقول: «**أحاديث الإثبات**» تعم الرجال والنساء، و«**أحاديث النفي**» تنفي عن النساء ما عُلِمَ أنه للرجال، أو ما ثبت أن فيه الرؤية، أو تنفي عن النساء الرؤية في الموطنين اللذين أخبروا بالرؤية فيهما؛ لكن هذا سلب في حال مخصوص، لم يتعرض لما سواهما: لا بنفي ولا بإثبات؛ والمسلوب عنه لا يعارض العام.

وإن شئت أن تقول: القضية الموجبة المطلقة لا يناقضها إلَّا سلب كلي، وليس هذا سلبًا كليًّا فلا يناقض، ولا يجوز ترك موجب أحد الدليلين.

وإن شئت أن تقول: ليس في ذكر هذين الموطنين إلَّا عدم الإخبار بغيرهما، وعدم الإخبار بثواب معين ـ من نَظَرٍ أو غيره ـ لا يدل على عدمه، كيف وهذا الثواب مما أخفاه الله؟ وإذا كان عدم الإخبار لا يدل على عدمه، والعموم اللفظي والمعنوي إما قاطع وإما ظاهر في دخول النساء، لم يكن عدم الدليل مخصصًا للدليل ـ سواء كان ظاهرًا أو قاطعًا ـ وكل هذا كما أنه معلوم بالعقل الضروري فهو مجمع عليه بين الأمة على ما هو مقرر عند العلماء في الأصول والفروع.

وإنما ينشأ الغلط من حيث يسمع السامع ما جاء في الأحاديث في «**الرؤية**»

عامة مطلقة ويرى أحاديث أخر أخبرت برؤية مقيدة خاصة فيتوهم أن لا وجود لتلك المطلقة العامة إلَّا في هذه المقيدة، أو ينفي دلالة تلك العامة؛ لهذا الاحتمال؛ كرجل قال: كنت أدخل أصحابي داري وأكرمهم. ثم قال في موطن آخر: أدخلت داري فلانًا وفلانًا من أصحابي في اليوم الفلاني. فمن ظن أن سائر أصحابه لم يدخلهم ـ لأنه لم يذكرهم في هذا الموطن ـ فقد غلط، وقيل له: من أين لك أنه ما أدخلهم في وقت آخر؟ فإذا قال: يمكن أنه أدخلهم ويمكن أنه ما أدخلهم فأنا أقف، قيل له: فقد قال: كنت أدخل أصحابي داري، وهذا يعم جميع أصحابه.

ونحن لا ننازع في أن «**اللفظ العام**» يحتمل الخصوص في الجملة مع عدم هذه القرينة، فمع وجودها أوكد؛ لكن ننازع في «**الظهور**» فنقول: هذا الاحتمال المرجوح لا يمنع ظهور العموم كما تقدم؛ فيكون العموم هو الظاهر ـ وإن كان ما سواه ممكنًا ـ وأما سائر «**الأجوبة**» ففي تقرير أن «الرؤية» تقع في غير هذين الموطنين.

الجواب الرابع

أنا لو فرضنا أن «**حديث المرتين كل يوم**» يعارض ما قدمناه من النصوص الصحيحة العامة ـ لفظًا ومعنى ـ لَـمَا كان الواجب دفع دلالة تلك الأحاديث بمثل هذا الحديث؛ لِـمَا تقدم «**أولا**» لِـمَا في إسناده من المقال؛ ولأنه يستلزم إخراج أكثر أفراد اللفظ العام بمثل هذا التخصيص، وهذا إما ممتنع وإما بعيد، ومستلزم تخصيص العلة بلا وجود مانع ولا فوات شرط، وهذا ممتنع عند الجمهور؛ أو من غير ظهور مانع، وهذا بعيد لا يصار إليه إلَّا بدليل قوي.

الجواب الخامس

لو فرضنا أن لا رؤية إلَّا ما في هذين، فمن أين لنا أن النساء لا يرين الله فيهما

جميعًا؟ وَهَبْ أنا سلمنا أنهن لا يرينه يوم الجمعة فمن أين أنهن لا يرينه كل يوم مرتين؟ وقول القائل: هذه أعلى وتلك أدنى، فكيف يُحْرَمُ الأدنى مَنْ يُعطى الأعلى؟ فعنه أجوبة:

(أحدها): أن الذين مُيِّزوا برؤية كل يوم مرتين شركوا الباقين في رؤية يوم الجمعة؛ فصار لهم النوعان جميعًا؛ فإذا كان فضلهم بالنوعين جميعًا فما المانع في أن بعض مَنْ دونهم يشركهم في «**الجمعة**» دون «**رؤية الغداة والعشي**»، والبعض الآخرون يشركونهم في «**الغداة، والعشي**» دون «**الجمعة**»؟! ولا يكون مَنْ له الغداة والعشي دون الجمعة أعلى مطلقًا؛ وإنما الأعلى مطلقًا الذي له الجميع.

لكن قد يقال: يلزم على هذا أن يكون النساء أعلى ممن له الجمعة دون «**البردين**» من الرجال، فيقال: قد لا يلزم هذا؛ بل قد تكون الجمعة وحدها أفضل من «**البردين**» وحدهما.

وقد يقال: فَهَبْ أن الأمر كذلك؛ أكثر ما فيه تفضيل النساء على مفضول الرجال، وهذا الاحتمال وإن كان ممكنًا؛ لكن يبعد أن تكون كل امرأة تدخل الجنة أفضل ممن لا يرى الله كل يوم مرتين؛ فإن ذلك مستلزم أن يكون مفضول النساء أفضل من مفضول الرجال، فَيُتْرَكُ هذا الاحتمال ويُقْتَصَرُ عَلَى الذي قبل؛ وهو: أن الأعلى مطلقًا الذي له المرتان مع الجمعة، وإنما لزم هذا؛ لأنا نتكلم بتقدير أن لا رؤية إلَّا هذين؛ ولا ريب أن هذا التقدير باطل قطعًا.

(الوجه الثاني): أنه من أين لكم أن «**الرؤية كل يوم مرتين**» أفضل من «**رؤية الجمعة**»؟ نعم هي أكثر عددًا، لكن قد يفضل ذلك في الكيفية؛ فيكون أحد النوعين أكثر عددًا والآخر أفضل نوعًا؛ كدينار وخمسة دراهم، ولا ريب أن هذا ممكن إمكانًا قريبًا؛ فإن الله يثيب عبده على: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ مع قلة حروفها بقدر ما يثيبه على ثلث القرآن.

وإذا كان الأمر كذلك، فيمكن في حق مَنْ حُرِمَ الأفضل في نوعه أن يُعْطَى النوع المفضول وإن كثر عدده، سواء كان فاضل النوع أفضل مطلقًا، أو كانا

متكافئين عند التقابل، وفي أحاديث المزيد ما يدل على هذا؛ فإنهم يرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا فيقولون: أنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، فيحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به. وفي حديث آخر: «**فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم ويزدادوا كرامة**».

ومن تأمل سياق «**الأحاديث المتقدمة**» علم أن التجلي يوم الجمعة له عندهم وقع عظيم لا يوجد مثله في سائر الأيام؛ وهذا يقتضي أن هذا النوع أفضل من الرؤية الحاصلة كل يوم مرتين، وإن كانت تلك أكثر! فإذا مُنِعَ النساء من هذا الفضل لم يلزم أن يمنعن مما دونه وهذا بين لمن تأمله.

(الوجه الثالث): هَبْ أن رؤية اللَّه كل يوم مرتين أفضل مطلقًا من رؤية الجمعة، فلا يلزم من حرمانهن من الثواب المفضول حرمان ما فوقه مطلقًا؛ وذلك أن العبد قد يعمل عملًا فاضلًا يستحق به أجرًا عظيمًا، ولا يعمل ما هو دونه فلا يستحق ذلك الأجر، وما زال اللَّه ـ سبحانه ـ يخص المفضولين من كل صنف بخصائص لا تكون للفاضلين، وهذا مستقر في الأشخاص من الأنبياء والصديقين، وفي الأعمال.

ولو كان العمل الفاضل يحصل به جميع المفضول مطلقًا لـما شرع المفضول في وقت؛ فلا يلزم من إعطاء الأعلى إعطاء الأدنى مطلقًا، ولا يلزم منه منع الأعلى مطلقًا، فهذا ممكن إمكانًا شرعيًا في عامة الثوابات؛ ألا ترى أن الذين في الدرجات العلى من أهل الجنة لا يعطون الدرجات الدنى، ثم لا يكون هذا نقصًا في حقهم؛ فإن اللَّه ـ سبحانه ـ يرضي كل عبد بما آتاه، فجاز أن يكون قد أرضى النساء بأعلى «**الرؤية**» عن مجموع أعلاها وأدناها.

والذي يؤيد هذا: أنه من الممكن أن تكون رؤية الجمعة جزاء على عمل الجمعة في الدنيا، ورؤية الغداة والعشي جزاء على عمل الغداة والعشي، فهذا ممكن في العقل، وإن لم يجئ به خبر، وإذا كان ممكنًا لم يلزم من منعهن «**رؤية الجمعة**» لعدم المقتضي فيهن منعهن «**رؤية البردين**» مع قيام المقتضي فيهن.

ومن الممكن في العقل أنهن إنما لم يشهدن رؤية الجمعة؛ لأنه مجتمع الرجال، والغيرة في الجنة؛ ألا ترى أن النبي ﷺ لما رأى الجنة ورأى قصرًا وعلى بابه جارية قال: «**فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك. فقال عمر: أعليك أغار؟**». والله أعلم بحقائق الأمور، فإذا كان كذلك فهذا مُنْتَفٍ في رؤية الغداة والعشي؛ لأن تلك الرؤية قد تحصل وأهل الجنة في منازلهم.

ثم هذا من الممكن أن «**الرؤية جزاء العمل**»؛ فإنه قد جاء في الأخبار ما يدل على أن الرؤية يوم الجمعة ثواب شهود الجمعة؛ بدليل أن فيها يكونون في الدنو منه على مقدار مسارعتهم إلى الجمعة، وتفاوت الثواب بتفاوت العمل دليل على أنه مسبب عنه، وبدليل أنه مذكور في غير حديث «**أنه يكون بمقدار انصرافهم من صلاة الجمعة في الدنيا**».

وموافقة الثواب للعمل في وقته، وفي قدره حتى يصير جزاءً وفاقًا: يقتضي أن العمل سببه، وبدليل أن ذلك مذكور في فضل يوم الجمعة في الدنيا والآخرة؛ فعلم أن ارتباط ثوابه في الآخرة بعمله في الدنيا، وبدليل أن فيه عند منصرف الناس من الجمعة رجوع الصالحين إلى منازلهم ورجوع الأنبياء والصديقين والشهداء إلى ربهم.

وهذا مناسب لحالهم في الدنيا؛ فإن الصالح إذا انقضت الجمعة اشتغل بما أُبيح له في الدنيا، وأولئك اشتغلوا بالتقرب إليه بالنوافل؛ فكانوا متقربين إليه في الدنيا بعد الجمعة فقربوا منه بعد الجمعة في الآخرة، وهذه «**المناسبة الظاهرة**» المشهود لها بالاعتبار تقتضي أن ذلك التجلي ثواب أعمالهم يوم الجمعة، وإذا كان كذلك فانتفاء الرؤية في حق النساء لعدم شهودهن الجمعة؛ ولهذا روي أنهن يرينه في العيد كما شرع لهن شهود العيد.

فإن قيل: ما ذكرتموه من هذه الزيادة أمر غريب! والأحاديث المشهورة المجمع عليها ليس فيها هذه الزيادة؛ فلا يجوز الاعتماد عليها، والناس كلهم قد سمعوا أحاديث الرؤية يوم الجمعة ولم يسمعوا هذه الزيادة.

قلنا: قد تقدم الجواب عن ذلك بما ذكرناه من طرق الحديث وحال أصله وزيادته، وبينا أن الزيادة لا ينقص حكمها في الرؤية عن حكم أصل الحديث نقصًا يمنع إلحاقها به؛ بل هي إما مكافئة أو قريبة أو فوق، وأجبنا عما قيل هنا وما لم يُقَلْ.

فإن قيل: «**فقد كُنَّ المؤمنات يشهدن صلاة الجمعة مع رسول الله ﷺ**» فعلى قياس هذا ينبغي لمن شهد الجمعة من النساء أن يشهدن يوم المزيد في الجنة.

قلنا: ما كان يشهد الجمعة والجماعة من النساء إلَّا أقلهن؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماء اللَّه مساجد اللَّه وبيوتهن خير لهن**» [متفق عليه].

وقال: «**صلاة إحداكن في مخدعها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في دارها، وصلاتها في دارها أفضل من صلاتها في مسجد قومها، وصلاتها في مسجد قومها أفضل من صلاتها معي ـ أو قال ـ خلفي**» [رواه أبو داود].

فقد أخبر المؤمنات: أن صلاتهن في البيوت أفضل لهن من شهود الجمعة والجماعة، إلَّا «**العيد**»؛ فإنه أمرهن بالخروج فيه، ولعله ـ واللَّه أعلم ـ لأسباب:

- **(أحدها)**: أنه في السَّنَةِ مرتين فقبل بخلاف الجمعة والجماعة.
- **(الثاني)**: أنه ليس له بدل خلاف الجمعة والجماعة فإن صلاتها في بيتها الظهر هو جمعتها.
- **(الثالث)**: أنه خروج إلى الصحراء لذكر اللَّه فهو شبيه بالحج من بعض الوجوه؛ ولهذا كان العيد الأكبر في موسم الحج موقفة للحجيج، ومعلوم أن الصحابيات إذا علمن أن صلاتهن في بيوتهن أفضل لم يتفق أكثرهن على ترك الأفضل؛ فإن ذلك يلزم أن يكون أفضل القرون على المفضول من الأعمال.

فإن قيل: هذا التفضيل إنما وقع في حق من بعد الصحابيات لما أحدث النساء ما أحدثن، ولأن مَنْ بَعْدَ الرسول من الأئمة لا يساويه؛ فأما الصحابيات

فصلاتهن خلف النبي ﷺ كانت أفضل، ويكون هذا الخطاب عامًّا خرج منه القرن الأول؛ فإن تخصيص العموم جائز.

قلنا: هذا خلاف ما عُلِمَ بالاضطرار من لغة العرب والعجم، وخلاف ما عُلِمَ بالاضطرار من دين المسلمين، وخلاف ما فطر اللَّه عليه العقلاء، وخلاف ما أجمع المسلمون عليه؛ وذلك لأن قوله: «**لا تمنعوا إماء اللَّه مساجد الله! وبيوتهن خير لهن**» قد أجمع المسلمون على أن الحاضرين تحقق دخولهم فيه.

واختلفوا في القرن الثاني والثالث هل يدخلون بمطلق الخطاب أم بدليل منفصل؟ فيه قولان، فأما دخول الغائب دون الحاضر فممتنع باتفاق.

ثم اللغة تحيله؛ فإن قوله: «**لا تمنعوا إماء الله**» لا ريب أنه خطاب للصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ ابتداء، فكيف تحيل اللغة أن لا يدخلوا فيه، ويدخل فيه مَن بعدهم؟ أهل اللغة لا يشكون أن هذا ممتنع.

ثم قد علمنا بالاضطرار أن أوامر القرآن والسنة شملت الصحابة ثم مَن بعدهم. وقد يقال أو يتوهم في بعضها: أنها شملتهم دون من بعدهم، فأما اختصاص من بعدهم بالأوامر الخطابية دونهم فهذا لا وجود له.

وأما مخالفته «لِلْفِطَرِ» فما من سليم العقل يُعْرَضُ عليه هذا إلَّا أنكره أشد الإنكار، ثم هَبْ هذا أمكن في قوله: «**لا تمنعوا إماء اللَّه مساجد الله**» فكيف بقوله: «**صلاة إحداكنّ في مسجد قومها أفضل من صلاتها معي أو خلفي**»؟ أليس نصًّا في أن صلاتهن في بيوتهن أفضل من صلاتهن في مسجد النبي ﷺ خلفه، وصلى اللَّه على محمد وعلى آله وصحبه وسلم»[1] اهـ.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٤٢٠ ـ ٤٦٠).




الفصل التاسع



الفصل التاسع

المحجوبون عن رؤية الله الكريم والنظر إليه

أولا
وعيد مُنْكِري الرؤية

قال الإمام ابن القيم:

«قد تقدم قوله - تعالى -: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، وقول عبدالله بن المبارك: ما حجب الله عنه أحدًا إلَّا عذبه، ثم قرأ قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٦-١٧] قال: بالرؤية.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: «**قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالذي نفسي بيده، لا تضارون في رؤية ربكم إلَّا كما تضارون في رؤية أحدهما، فيلقى العبد فيقول: أي فُل! ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وَأُسَخِّرْ لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وَتَرْبَعُ؟ فيقول: بلى. فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ! فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول: أي فُل! ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وَأُسَخِّرْ لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا . فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب، آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ههنا إذًا، ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه مَنْ الذي يشهد عَلَيَّ؟ فيُختم**

على فِيهِ، ويقال لفخذه، ولحمه، وعظامه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط اللَّه عليه» (١).

فاجمع بين قوله: «**إنكم سترون ربكم**»، وقوله لمن ظن أنه غير ملاقيه: «**فإني أنساك كما نسيتني**»، وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار فيحصل لك العلم بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد.

ومن تراجم أهل السُّنة على هذا الحديث: باب في الوعيد لمنكر الرؤية، كما فعل شيخ الإسلام وغيره، وباللَّه التوفيق.

إنكار الرؤية كُفرٌ محْض

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام، ونزل الإيمان وخاصة رسول اللَّه ﷺ على أن اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ يُرى في القيامة بالأبصار عيانًا؛ كما يُرى القمر ليلة البدر صحوًا، وكما تُرى الشمس في الظهيرة، فإن كان لِمَا أخبر اللَّه ورسوله عنه من ذلك حقيقة ـ وأن له واللَّه حق الحقيقة ـ فلا يمكن أن يروه إلَّا من فوقهم؛ لاستحالة أن يروه من أسفل منهم، أو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم، أو عن شمالهم، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة ـ كما يقوله أفراخ الصابئة، والفلاسفة، والمجوس، والفرعونية ـ بطل الشرع والقرآن؛ فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بَلَّغَهَا هو الذي بلغ الدين.

فلا يجوز أن يجعل كلام اللَّه ورسوله عضين، بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها وإنكارها والشهادة بأن محمدًا رسول اللَّه أبدًا. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨) في الزهد والرقائق.

والمنحرفون في باب رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يُرَى في الدنيا ويحاضر ويسامر.

والثاني: من يزعم أنه لا يُرَى في الآخرة ألبتة، ولا يكلم عباده، وما أخبر اللَّه به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين. وباللَّه التوفيق»[(١)] ا.هـ.

أعلى نعيم الجنان رؤية المؤمنين وجه ربهم وتكليمه لهم

قال ابن القيم في «**حادي الأرواح**» عن تكليمه ـ سبحانه وتعالى ـ لأهل الجنة، وخطابه لهم، ومحاضرته إياهم، وسلامه عليهم»:ـ

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل اللَّه من البينات والهدى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلًا؛ إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال: يؤاكلهم ويشاربهم، ونحو ذلك ـ تعالى اللَّه عما يقولون.

وقد أخبر اللَّه ـ سبحانه ـ أنه يسلم على أهل الجنة، وأن ذلك السلام حقيقة، وهو قولٌ من رب رحيم، وتقدم تفسير النبي ﷺ لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية، وأنه يشرف عليهم من فوقهم، ويقول: «**سلام عليكم يا أهل الجنة**» فيرونه عيانًا، وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وَتُكَفِّرُ القائل بها.

وتقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي ﷺ: «**ولا يبقى أحد في**

---

(١) حادي الأرواح: ص (٢٨٧ ـ ٢٨٨).

ذلك المجلس إلَّا حاضره الله محاضرة، فيقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا» الحديث.

وتقدم حديث عدي بن حاتم: «**ما منكم إلَّا مَنْ سيكلمه ربه يوم القيامة**»، وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه: «**فيقول ـ تبارك وتعالى ـ للعبد: ألم أكرمك وأسودك**» الحديث، وحديث بريدة: «**ما منكم من أحد إلَّا سيخلو به ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان**»[1] الحديث.

وحديث أنس في يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مرارًا.

وبالجملة: فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم؛ قال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب ـ تبارك وتعالى ـ مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث، فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه ـ تبارك وتعالى ـ وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها، وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلَّا به، والله المستعان»[2].

ولله در ابن القيم وهو يقول:

والله لولا رؤية الرحمن في الجنا ... ت ما طابت لذي العرفان

أعلى النعيمِ نعيم رؤية وجهه ... وخطابه في جنة الحيوان



(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) في تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٩) في الجنة وصفة نعيمها.

(٢) حادي الأرواح ص (٢٨٩).

المحجوبون عن رؤية ربهم والنظر إليه

هؤلاء أهل الشقاء المقيم، وأشد الحرمان حرمانهم، وأقسى العذاب عذابهم... فهم المحرمون من النظر إلى ربهم ورؤية وجهه الكريم... هم المطرودون عن هذا النعيم العظيم... فيا لخسارتهم وذلهم وخزيهم ونكالهم... ألا بُعدًا لهم.

فمن هم الذين سبق عليهم القول من ربهم بهذا الحرمان الأليم:

(١) الكافرون

هؤلاء الذين استبدلوا الكفر بالإيمان، وأعرضوا عن عبادة الرحمن في دنياهم، فأعرض الله عنهم، وحرمهم لذة النظر إلى وجهه الجميل، وحجبهم عن رؤيته وهم في النار. وقضى عليهم أبد الآبدين بألا يروا ربهم وهم في أمهم الهاوية.

أما في عرصات القيامة فقد ذهب أكثر العلماء المتأخرين، وجمهور أصحاب الإمام أحمد - ويدل عليه عموم كلام المتقدِّمين - إلى أنَّ رؤية الله - تعالى - في الآخرة مختصة بالمؤمنين فحسب.

وأما الكفار - فكما قال الحافظ ابن حجر - فلا يرونه ألبتة[1]؛ واستدل على ذلك بقوله - تعالى -: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

وَرُدَّ على الذين زعموا من المتكلِّمين كالسالمية من أهل البصرة أنَّ في الخبر[2] دليلًا على أنَّ الكفار يرون الله في القيامة من عموم اللقاء والخطاب. وقال

(١) «فتح الباري» (٨/ ٦٠٧، ١١/ ٤٤٧).

(٢) يعني: حديث أبي هريرة، وحديث أبي سعيد في خبر الرؤية والشفاعة.

بعضهم: يراه بعض الكفَّار دون بعض، وأجابوا عن قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أنَّه بعد دخول الجنة.

قال الحافظ: «وهو احتجاج مردود؛ فإنَّ بعد هذه الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٦] فدلَّ على أنَّ الحجب وقع قبل ذلك. وأجاب بعضهم بأن الحجب يقع عند إطفاء النور، ولا يلزم من كونه يتجلَّى للمؤمنين وَمَنْ معهم ممن أدخل نفسه فيهم أن تعمَّهم الرُّؤية؛ لأنَّه أعلم بهم ، فينعم على المؤمنين برؤيته دون المنافقين ، كما يمنعهم من السجود ، والعلم عند الله - تعالى»[(١)] .

بسط الكلام في «رؤية الكفار ربهم يوم القيامة»

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**مسألة**» تكلم الناس فيها؛ وهي: أن القرآن قد أخبر أنه يلقاه الكفار ويلقاه المؤمنون؛ كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ .

وقد تنازع الناس في الكفار: هل يرون ربهم مرة ثم يحتجب عنهم أم لا يرونه بحال تمسكًا بظاهر قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ولأن الرؤية أعظم الكرامة والنعيم، والكفار لَا حَظَّ لهم في ذلك؟

وقالت طوائف من أهل الحديث والتصوف: بل يرونه ثم يحتجب؛ كما دل على ذلك الأحاديث الصحيحة التي في الصحيح وغيره، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما مع موافقة ظاهر القرآن، قالوا: وقوله: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ يُشْعِرُ

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٤٢٥).

بأنهم عاينوا ثم حُجِبُوا؛ ودليل ذلك قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؛ فَعُلِمَ أن الحجب كان يومئذٍ؛ فيشعر بأنه يختص بذلك اليوم، وذلك إنما هو في الحجب بعد الرؤية، فأما المنع الدائم من الرؤية فلا يزال في الدنيا والآخرة.

قالوا: ورؤية الكفار ليست كرامة ولا نعيمًا؛ إذ «**اللقاء**» ينقسم إلى لقاء على وجه الإكرام، ولقاء على وجه العذاب، فهكذا الرؤية التي يتضمنها اللقاء.

ومما احتجوا به الحديث الصحيح حديث سفيان بن عيينة؛ حدثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**»، وقد روى مسلم وأبو داود وأحمد في المسند وابن خزيمة في التوحيد وغيره قال: قالوا: **يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟** قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليست في سحابة؟**» **قالوا: لا. قال:** «**والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**». قال: «**فيلقى العبد فيقول: أي فُل! ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وَأُسَخِّرْ لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك. فيقول: أي رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ههنا إذًا، قال: ثم يقال: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: مَنْ ذا الذي يشهد عَلَيَّ؟! فيختم على فِيه، ويقال لفخذه: انطقي؛ فتنطق فخذه، ولحمه وعظامه بما كان يعمل، فذلك المنافق ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط الله عليه**»، وتمام الحديث قال: «**ثم ينادي مناد: ألا تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فتتبع الشياطين والصليبَ أولياؤهم إلى جهنم وبقينا أيها المؤمنون فيأتينا ربنا، فيقول: ما هؤلاء؟ فنقول: نحن عباد الله المؤمنين، آمنا بربنا ولم نشرك به شيئًا، وهو ربنا ـ تبارك وتعالى ـ، وهو يأتينا وهو يثيبنا، وهو ذا مقامنا حتى يأتينا ربنا، فيقول: أنا ربكم. فيقول: انطلقوا. فننطلق حتى نأتي الجسر، وعليه كلاليب من نار تخطف، عند ذلك حلت الشفاعة لي، اللهم سَلِّمْ اللهم سَلِّمْ، فإذا جاوزوا الجسر فكل مَنْ أنفق زوجًا من**

المال في سبيل الله مما يملك فتكلمه خزنة الجنة تقول: يا عبدالله! يا مسلم! هذا خير» فقال: أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! إن هذا عبد لا توى عليه، يدع بابًا ويلج من آخر؟ فضرب كتفه وقال: «**إني أرجو أن تكون منهم**» قال: سفيان بن عيينة: حفظته أنا وروح بن القاسم، وردده علينا مرتين أو ثلاثًا.

وسئل سفيان عن قوله: «**ترأس وتربع**» فقال: كان الرجل إذا كان رأس القوم كان له الرباع وهو الربع. وقال النبي ﷺ لعدي بن حاتم حيث قال: يا رسول الله إني على دين. قال: «**أنا أعلم بدينك منك؛ إنك مستحل الرباع، ولا يحل لك**».

وهذا الحديث معناه في الصحيحين وغيرهما من وجوه متعددة، يصدق بعضها بعضًا؛ وفيه أنه سئل عن الرؤية فأجاب بثبوتها، ثم أتبع ذلك بتفسيره وذكر أنه يلقاه العبد، والمنافق، وأنه يخاطبهم.

وفي حديث أبي سعيد وأبي هريرة أنه يتجلى لهم في القيامة مرة للمؤمنين والمنافقين، بعد ما تجلى لهم أول مرة، ويسجد المؤمنون دون المنافقين، وقد بُسِطَ الكلام على هذه المسألة في غير هذا الموضع»(١).

• الأقوال الثلاثة في رؤية الكفار ربهم في عرصات القيامة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«**فأما «مسألة رؤية الكفار»** فأقول: ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها - فيما بلغنا - بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة، وأمسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء، وتكلم فيها آخرون؛ فاختلفوا فيها على «**ثلاثة أقوال**» مع أني ما علمت أن أولئك المختلفين فيها تلاعنوا ولا تهاجروا فيها؛ إذ في الفرق الثلاثة قوم فيهم فضل وهم أصحاب سنة.

والكلام فيها قريب من الكلام في مسألة «**محاسبة الكفار**»: هل يحاسبون أم لا؟ هي مسألة لا يكفر فيها بالانفاق، والصحيح أيضًا أن لا يضيق فيها ولا يهجر».

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٦/ ٤٦٦ - ٤٦٨).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

«والأقوال الثلاثة في «رؤية الكفار»:

- **(أحدها)**: أن الكفار لا يرون ربهم بحال؛ لا المظهر للكفر ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.
- **(الثاني)**: أنه يراه مَنْ أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين؛ فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه ـ سبحانه وتعالى ـ لهم في الموقف، الحديث المشهور.
- **(الثالث)**: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب ـ كاللص إذا رأى السلطان ـ ثم يحتجب عنهم لِيَعْظُمْ عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم؛ وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل، وأبي سهل بن عبدالله التستري.

وهذا مقتضى قول من فسر «**اللقاء**» في كتاب الله بالرؤية:

ـ إذ طائفة من أهل السنة منهم أبو عبدالله أبن بطة الإمام قالوا في قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾، وفي قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾، وفي قول الله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾، وفي قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾، وفي قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: إن اللقاء يدل على الرؤية والمعاينة. وعلى هذا المعنى فقد استدل المثبتون بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾.

ـ ومن أهل السنة مَنْ قال: «**اللقاء**» إذا قُرِنَ بالتحية فهو من الرؤية، وقال ابن بطة: سمعت أبا عمر الزاهد اللغوي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى

يقول في قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾: أجمع أهل اللغة أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظرة بالأبصار.

- وأما «**الفريق الأول**» فقال بعضهم: ليس الدليل من القرآن على رؤية المؤمنين ربهم قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾؛ وإنما الدليل آياتٍ أُخر؛ مثل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾، إلى غير ذلك».

● أدلة الفريق الأول، والاعتراض عليها، وجوابهم:

«**ومن أقوى ما يتمسك به المثبتون: ما رواه مسلم في صحيحه عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: سأل الناس رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده، لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما؛ قال: فيلقى العبد فيقول: أَيْ فُلْ! ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتَرْبَعُ؟ فيقول: بلى. فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني، فيقول: أَيْ فُلْ! ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتَرْبَعُ؟ فيقول: بلى أيْ رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك؛ فيقول: يا رب، آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع؛ فيقول: هاهنا إذًا. ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه: مَن الذي يشهد عليَّ؟ فَيُخْتَمُ على فِيهِ، ويقال لفخذِهِ ولحمِهِ وعظامِهِ: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله؛ وذلك لِيُعْذِرَ من نفسه، وذلك المنافق**

الذي يسخط الله عليه» إلى هنا رواه مسلم.

وفي رواية غيره - وهي مثل روايته سواء صحيحة - قال: «**ثم ينادي مناد: ألا تتبع كل أمة ما كانت تعبد! قال: فتتبع أولياء الشياطين الشياطين، قال: واتبعت اليهود والنصارى أولياءهم إلى جهنم، ثم نبقى أيها المؤمنون، فيأتينا ربنا وهو ربنا فيقول: علام هؤلاء قيام؟ فنقول: نحن عباد الله المؤمنون عبدناه وهو ربنا، وهو آتينا ويثيبنا وهذا مقامنا. فيقول: أنا ربكم فامضوا! قال: فيوضع الجسر وعليه كلاليب من النار تخطف الناس، فعند ذلك حلت الشفاعة لي: اللهم سَلِّمْ! اللهم سَلِّمْ! قال: فإذا جاءوا الجسر فكل مَنْ أنفق زوجًا من المال مما يملك في سبيل الله فكل خزنة الجنة يدعونه: يا عبدالله! يا مسلم! هذا خير، فتعال! يا عبدالله! يا مسلم! هذا خير! فتعال!. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! ذلك العبد لا توى عليه يدع بابًا ويلج من آخر؟ فضرب النبي ﷺ على منكبيه وقال: والذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكون منهم**».

وهذا حديث صحيح؛ وفيه أن الكافر والمنافق يلقي ربه، ويقال: ظاهره أن الخلق جميعهم يرون ربهم، فيلقى الله العبد عند ذلك.

لكن قال ابن خزيمة والقاضي أبو يعلى وغيرهما: «**اللقاء**» الذي في الخبر غير الترائي؛ لا أن الله تراءى لمن قال له هذا القول، وهؤلاء يقولون: أخبر النبي ﷺ أن المؤمنين يرون ربهم؛ لأنهم قالوا: هل نرى ربنا؟ والضمير عائد على المؤمنين، فذكر النبي ﷺ أن الكافر يلقى ربه فيوبخه، ثم بعد ذلك تتبع كل أمة ما كانت تعبد، ثم بعد ذلك يراه المؤمنون.

يبين ذلك أن في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد، عن أبي هريرة: **أن الناس قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله. قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك؛ يُحْشَرُ الناس يوم القيامة فيقول: مَنْ كان يعبد شيئًا**

فليتبعه؛ فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت؛ وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم! فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم في صورته التي يعرفونها فيقول: أنا ربكم! فيقولون: أنت ربنا. فيعرفونه؛ ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم؛ فأكون أول من جاوز من الرسل بأمته؛ ولا يتكلم يومئذٍ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ! وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عِظَمِهَا إلا الله؛ تخطف الناس بأعمالهم؛ فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة مَنْ أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود؛ فيخرجون من النار قد امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عليهم ماء الحياة؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار - وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة - فيقبل بوجهه قِبَلَ النار فيقول: يا رب، اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها. فيقول: هل عسيت إن فُعِلَ بك ذلك أن لا تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك. فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت! ثم قال: يا رب! قدمني عند باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك. فيقول: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن لا تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا، وعزتك! لا أسأل غير ذلك! فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول: يا رب! أدخلني الجنة. فيقول الله: ويحك يا

ابن آدم! ما أغدرك؟! أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك. فيضحك الله منه؛ ثم يؤذن له في دخول الجنة، فيقول: تَمَنَّ. فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله: مِنْ كذا وكذا أقبل يذكره ربه، حتى إذا انتهت به الأماني قال الله: لك ذلك ومثله معه.

قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة ـ رضي اللَّه عنهما ـ: إن رسول اللَّه ﷺ قال: قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول اللَّه ﷺ إلا قوله: لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد: إني سمعته يقول: لك ذلك وعشرة أمثاله.

وفي رواية في الصحيح قال: وأبو سعيد مع أبي هريرة لا يرد عليه في حديثه شيئًا حتى إذا قال أبو هريرة: إن اللَّه قال: ذلك لك ومثله معه، قال أبو سعيد الخدري: وعشرة أمثاله يا أبا هريرة!.

فهذا الحديث من أصح حديث على وجه الأرض، وقد اتفق أبو هريرة وأبو سعيد! وليس فيه ذكر الرؤية إلا بعد أن تتبع كل أمة ما كانت تعبد.

وقد روي بإسناد جيد من حديث عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «**يجمع الله الناس يوم القيامة، قال: فينادي مناد: يا أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم أن يولي كل إنسان منكم إلى مَنْ كان يعبد في الدنيا ويتولى؟ قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير، حتى يمثل لهم الشجرة والعود والحجر، ويبقى أهل الإسلام جثومًا؛ فيقال لهم: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ فيقولون: إن لنا ربًّا ما رأيناه بَعْدُ؛ قال: فيقال: فَبِمَ تعرفون ربكم إذا رأيتموه؟ قالوا: بيننا وبينه علامة، إن رأيناه عرفناه، قيل: وما هو؟ قالوا: يكشف عن ساق**» وذكر الحديث.

ففي هذا الحديث أن المؤمنين لم يروه قبل تجليه لهم خاصة.

وأصحاب القول الآخر يقولون: معنى هذا لم يروه مع هؤلاء الآلهة التي

يتبعها الناس، فلذلك؛ لم يتبعوا شيئًا.

يدل على ذلك ما في الصحيحين أيضًا من حديث زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم؛ فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله! قال: ما تضارون في رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما؛ إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد! فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا مَنْ كان يعبد الله مِنْ بَرٍّ وفاجر، وغُبَّرِ أهل الكتاب؛ فَيُدْعَى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقول: كذبتم؛ ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا! فيشار إليهم: ألا تردون، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا؛ فيتساقطون في النار. ثم يُدْعَى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله! فيقال لهم: كذبتم؛ ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا رب فاسقنا! قال: فيشار إليهم: ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا؛ فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا مَنْ كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر، أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها ـ وفي رواية ـ قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير الصورة التي رأوها أول مرة، قال: فما تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد! قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك! لا نشرك بالله شيئًا ـ مرتين، أو ثلاثًا؛ حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ـ فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق؛ فلا يبقى مَنْ كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى مَنْ كان يسجد نفاقًا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أ يسجد خرَّ على قفاه، ثم يرفعون**

رءوسهم، وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ! قيل: يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد، فيها شويكة يقال لها: السعدان؛ فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاود الخيل والركاب، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، ومخدوش مرسل، ومكردس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار».

ففي هذا الحديث ما يُسْتَدَلُّ به على أنهم رأوه أول مرة قبل أن يقول: ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون. وهي «**الرؤية الأولى**» العامة التي في «**الرؤية الأولى**» عن أبي هريرة؛ فإنه أخبر في ذلك الحديث بالرؤية واللقاء، ثم بعد ذلك يقول: ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون.

وكذلك جاء مثله في حديث صحيح من رواية العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا يتبع الناس ما كانو يعبدون! فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب النار ناره، ولصاحب التصوير تصويره؛ فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون؛ فيطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا تتبعون الناس! فيقولون: نعوذ بالله منك! الله ربنا، وهذا مكاننا حتى نرى ربنا، وهو يأمرهم ويثبتهم، ثم يتوارى، ثم يطلع فيقول: ألا تتبعون الناس! فيقولون: نعوذ بالله منك! الله ربنا، وهذا مكاننا حتى نرى ربنا، ويثبتهم، قالوا: وهل نراه يا رسول الله؟ قال: فإنكم لا تتمارون في رؤيته تلك الساعة، ثم يتوارى ثم يطلع عليهم فيعرفهم نفسه ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيقوم المسلمون ويوضع الصراط**».

* وَأَبْيَنُ من هذا كله في أن «**الرؤية الأولى**» عامة لأهل الموقف: حديث أبي رزين العقيلي ـ الحديث الطويل ـ قد رواه جماعة من العلماء وتلقاه أكثر المحدثين

بالقبول، وقد رواه ابن خزيمة في «**كتاب التوحيد**» وذكر أنه لم يحتج فيه إلا بالأحاديث الثابتة، قال فيه رسول اللَّه ﷺ: «**فتخرجون من الأصوى ومن مصارعكم، فتنظرون إليه وينظر إليكم ـ قال: قلت: يا رسول الله! كيف وهو شخص واحد**(١) **ونحن ملأ الأرض ننظر إليه وينظر إلينا؟! قال: أنبئك بمثل ذلك**

(١) **وصف الله ـ تعالى ـ بأنه شخص:**

إنَّ وصف الله ـ تعالى ـ بأنَّه شخص ثبت عن رسول الله ﷺ؛ كما في حديث: «لا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله؛ من أجل ذلك وعد الله بالجنَّة»[١].

وترجم الإمام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه: «باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»[٢]؛ وهو يريد بهذا الباب إثبات وصف الله ـ تعالى ـ بالشخص والغيرة[٣].

لكنَّ شرح الحافظ للباب جاء على خلاف مراد البخاريِّ؛ فقد نقل فيه عن ابن بطال قال: «أجمعت الأمَّة على أنَّ الله ـ تعالى ـ لا يجوز أن يُوصَفَ بأنَّه شخص؛ لأنَّ التَّوقيف لم يرد به»[٤]، ولم يعلق الحافظ على هذا القول بشيء، وهو دعوى عارية من الدليل تمامًا، إلَّا أن يقصد إجماع أهل الكلام النَّافين صفات الله ـ تعالى ـ، لكن ليس لإجماع هؤلاء أيُّ اعتبار في هذا الباب؛ لأنَّهم مخالفون لمنهج الكتاب والسنة وإجماع السَّلف الصَّالح.

وقوله: «لأنَّ التوقيف لم يرد به» مردود بما ثبت في الحديث من لفظ: «لا شخص أغير من الله»، وهو مرويٌّ عن النبي ﷺ بطرق صحيحة لا مطعن فيها[٥]، وقد أشار الحافظ نفسه إلى بعض هذه الطرق في الشرح[٦].

ونقل الحافظ عن الإسماعيليِّ قال: «ليس في قوله: «لا شخص أغير من الله» إثبات أنَّ الله =

[١] أخرجه مسلم في صحيحه (١٠/ ١٣٢).

[٢] «صحيح البخاري» ـ مع «الفتح» ـ: (١٣/ ٣٩٩)، «كتاب التوحيد»، باب رقم (٢٠).

[٣] انظر: «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للشيخ الغنيمان: (١/ ٣٣٥)، وللشيخ ابن عثيمين: (ص٩٨).

[٤] «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٠).

[٥] انظر: «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان: (١/ ٣٣٨).

[٦] انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٠).



في آلاء الله؟ الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما في ساعة واحدة ويريانكم،

شخص؛ بل هو كما جاء: «ما خلق الله أعظم من آية الكرسي» [٧]؛ فإنه ليس فيه إثبات أنَّ آية الكرسي مخلوقة، بل المراد أنها أعظم من المخلوقات، وهو كما يقول ـ يصف امرأة كاملة الفضل، حسنة الخلق ـ: ما في الناس رجل يشبهها؛ يريد: تفضيلها على الرجال، لا أنها رجل» [٨].

ويجاب عما قال الإسماعيليُّ بأنَّ من علماء السَّلف من أثبت ـ بهذا الحديث ـ أنَّ الله يُوصَفُ بأنَّه شخص، وقد قال ابن أبي عاصم ـ في كتاب «السنة» له ـ: «باب: ذكر الكلام، والصوت، والشخص، وغير ذلك» [٩]؛ فجعل «الشخص» من الصفات التي يجب إثباتها لله ـ تعالى ـ لصحة الخبر فيها.

واعتقاد أن لفظ «الشخص» إذا أطلق على الله ـ تعالى ـ يستلزم تشبيهه ـ سبحانه ـ بأشخاص المخلوقين، وهذا أصل فاسد، واعتقاد باطل؛ فإن لفظ الشخص ـ كما ذكروا ـ في اللغة: هو ما شخص، وارتفع، وظهر [١٠]، ومعلوم بالضرورة أنَّ الله ـ تعالى ـ أظهر من كلِّ شيء، وأعظم، وأكبر، وليس في إطلاق الشخص عليه ـ سبحانه ـ محذور على أصل أهل السنة والجماعة الذين يتقيَّدون بما قاله الله ورسوله [١١]، ويعتقدون أن الله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته، وأنَّ نصوص الصفات تُمَرُّ كما جاءت من غير تشبيه ولا تكييف، ومن غير تأويل ولا تعطيل.

وأخيرًا قال الحافظ: «تنبيه: لم يفصح المصنِّف بإطلاق الشخص على الله، بل أورد ذلك على طريق الاحتمال» [١٢].

قلت: هذا التنبيه غير مُسَلَّم؛ لأنَّ عدم إفصاح البخاري بإطلاق الشخص على الله ـ كما =

[٧] لم أجده، وقد ذكره السيوطي في «الدر المنثور» بنحو هذا (١/ ٣٢٣)، وعزاه إلى أبي عبيد، وابن الضريس ومحمد بن نصر.

[٨] «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠١).

[٩] «السُّنَّة» لابن أبي عاصم ـ تحقيق الألباني (١/ ٢٢٥) ط ـ المكتب الإسلامي.

[١٠] انظر: «لسان العرب» ـ مادة «شخص» ـ: (٧/ ٤٥).

[١١] انظر: «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للشيخ الغنيمان: (١/ ٣٣٩).

[١٢] «فتح الباري»: (١٣/ ٤٠٢).

ولا تضامون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو على أن يراكم وترونه أقدر منهما على أن يرياكم وتروهما. قلت: يا رسول الله! فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم ولا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قِبلكم، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه واحد منكم قطرة؛ فأما المؤمن فتدع وجهه مثل الربطة البيضاء، وأما الكافر فتخطمه مثل الحمم الأسود؛ إلا! ثم ينصرف نبيكم ﷺ فيمر على أثره الصالحون - أو قال - ينصرف على أثره الصالحون؛ قال: فيسلكون جسرًا من النار» وذكر حديث «**الصراط**».

وقد روى أهل السنن: قطعة من حديث أبي رزين بإسناد جيد عن أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله! أكلنا يرى ربه يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «**يا أبا رزين! أليس كلكم يرى القمر مخليًا به؟ قلت: بلى. قال: فالله أعظم**».

فهذا الحديث فيه أن قوله: «**تنظرون إليه وينظر إليكم**» عموم لجميع الخلق كما دل عليه سياقه.

وروى ابن خزيمة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «**والله ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر - أو قال - ليلة، يقول: ابن آدم! ما غرك بي؟ ابن آدم! ما عملت فيما علمت؟ ابن آدم! ماذا أجبت المرسلين؟**».

فهذه أحاديث مما يستمسك بها هؤلاء؛ فقد تمسك بعضهم بقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ واعتقدوا أن الضمير عائد إلى الله، وهذا غلط؛ فإن الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ

= زعم - لا يعني أنّه متردّد في ذلك، حاشاه.

ولقد كان منهج السَّلف في كثير من مصنفاتهم في توحيد الأسماء والصِّفات أنّهم يذكرون النُّصوص الواردة في ذلك ولا يعلِّقون عليها بكلام منهم إلَّا عند الحاجة لأمر ما، ويرون أن إيراد النَّص كاف عن أيِّ كلام؛ لأنَّه أبلغ كلام وأبينه. وهذا هو منهج الإمام البخاري أيضًا.

إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فهذا يبين أن الذي رأوه هو الوعد؛ أي: الموعود من العذاب؛ ألا تراه يقول: ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾؟

وتمسكوا بأشياء باردة فهموها من القرآن ليس فيها دلالة بحال.

وأما الذين خصوا «**بالرؤية**» أهل التوحيد في الظاهر ـ مؤمنهم ومنافقهم ـ فاستدلوا بحديث أبي هريرة وأبي سعيد المتقدمين كما ذكرناهما، وهؤلاء الذين يثبتون رؤيته لكافر ومنافق إنما يثبتونها مرة واحدة أو مرتين للمنافقين «**رؤية تعريف**»، ثم يحتجب عنهم بعد ذلك في العرصة.

وأما الذين نفوا «**الرؤية**» مطلقًا على ظاهره المأثور عن المتقدمين فاتباع لظاهر قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ روى ابن بطة بإسناده عن أشهب قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبدالله! هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لَوْ لَمْ يَرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يُعَيِّرِ اللَّه الكفار بالحجاب؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾. وعن المزني قال: سمعت ابن أبي هرم يقول: قال الشافعي: في كتاب اللَّه ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته.

وعن حنبل بن إسحق قال: سمعت أبا عبداللَّه ـ يعني أحمد بن حنبل ـ يقول: أدركت الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا ـ أحاديث الرؤية ـ وكانوا يحدثون بها على الجملة، يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين. قال أبو عبداللَّه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾: فلا يكون حجاب إلا لرؤية؛ فأخبر اللَّه أن مَنْ شاء اللَّه وَمَنْ أَراد فإنه يراه، والكفار لا يرونه. وقال: قال اللَّه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

والأحاديث التي تروى في النظر إلى اللَّه حديث جرير بن عبداللَّه وغيره: «**تنظرون إلى ربكم**» أحاديث صحاح، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ النظر إلى اللَّه. قال أبو عبدالله: أحاديث الرؤية نؤمن بها، ونعلم أنها حق، ونؤمن

بأننا نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب.

قال: وسمعت أبا عبدالله يقول: مَنْ زعم أن الله لا يُرَى في الآخرة فقد كفر وكذب بالقرآن ورد على الله ـ تعالى ـ أمره، يُسْتَتَابُ فإن تاب وإلا قُتِلَ. قال حنبل: قلت لأبي عبدالله في أحاديث الرؤية؛ فقال: صحاح، هذه نؤمن بها ونقر بها، وكل ما روي عن النبي ﷺ بإسناد جيد أقررنا به.

قال أبو عبدالله: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه، رددنا على الله أمره؛ قال الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾.

ومثل هذا الكلام كثير في كلام غير واحد من السلف؛ مثل وكيع بن الجراح وغيره.

وقال القاضي أبو يعلى وغيره: كانت الأمة في رؤية الله بالأبصار على «**قولين**»:

منهم: المحيل للرؤية عليه؛ وهم: المعتزلة، والنجارية، وغيرهم من الموافقين لهم على ذلك. و«**الفريق الآخر**» أهل الحق والسلف من هذه الأمة متفقون على أن المؤمنين يرون الله في المعاد، وأن الكافرين لا يرونه؛ فثبت بهذا إجماع الأمة ـ ممن يقول بجواز الرؤية وممن ينكرها ـ على منع رؤية الكافرين لله، وكل قول حادث بعد الإجماع فهو باطل مردود.

وقال هو وغيره أيضًا: الأخبار الواردة في «**رؤية المؤمنين لله**» إنما هي على طريق البشارة؛ فلو شاركهم الكفار في ذلك بطلت البشارة، ولا خلاف بين القائلين بالرؤية في أن رؤيته من أعظم كرامات أهل الجنة.

قال: وقول مَنْ قال: إنما يُري نفسه عقوبةً لهم وتحسيرًا على فوات دوام رؤيته؛ ومنعهم من ذلك بعد علمهم بما فيها من الكرامة والسرور يوجب أن يُدْخِلَ الجنةَ الكفارَ، ويريهم ما فيها من الحور والولدان، ويطعمهم من ثمارها، ويسقيهم من شرابها، ثم يمنعهم من ذلك؛ ليعرفهم قَدْرَ ما مُنِعُوا منه، ويكثر تحسرهم وتلهفهم على مَنْعِ ذلك بعد العلم بفضيلته.

و«**العمدة**» قوله ـ سبحانه ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾؛ فإنه يعم حجبهم عن ربهم في جميع ذلك اليوم، وذلك اليوم يوم ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهو يوم القيامة، فلو قيل: إنه يحجبهم في حالٍ دون حالٍ لكان تخصيصًا للفظ بغير موجب، ولكان فيه تسوية بينهم وبين المؤمنين؛ فإن «**الرؤية**» لا تكون دائمة للمؤمنين، والكلام خرج مخرج بيان عقوبتهم بالحجب وجزائهم به؛ فلا يجوز أن يساويهم المؤمنون في عقاب ولا جزاء سواه؛ فَعُلِمَ أن الكافر محجوب على الإطلاق بخلاف المؤمن، وإذا كانوا في عرصة القيامة محجوبين فمعلوم أنهم في النار أعظم حجبًا، وقد قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾، وإطلاق وصفهم بالعمى ينافي «**الرؤية**» التي هي أفضل أنواع الرؤية.

فبالجملة فليس مقصودي بهذه الرسالة الكلام المستوفي لهذه المسألة؛ فإن العلم كثير، وإنما الغرض بيان أن هذه «**المسألة**» ليست من المهمات التي ينبغي كثرة الكلام فيها، وإيقاع ذلك إلى العامة والخاصة حتى يبقى شعارًا، ويوجب تفريق القلوب، وتشتت الأهواء.

وليست هذه «**المسألة**» فيما علمت مما يوجب المهاجرة، والمقاطعة؛ فإن الذين تكلموا فيها قبلنا عامتهم أهل سنة واتباع، وقد اختلف فيها مَنْ لم يتهاجروا ويتقاطعوا، كما اختلف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والناس بعدهم ـ في رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا، وقالوا فيها كلمات غليظة؛ كقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ: مَنْ زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أَعْظَمَ على الله الفرية. ومع هذا فما أوجب هذا النزاع تهاجرًا ولا تقاطعًا.

وكذلك ناظر الإمام أحمد أقوامًا من أهل السنة في «**مسألة الشهادة للعشرة بالجنة**» حتى آلت المناظرة إلى ارتفاع الأصوات، وكان أحمد وغيره يرون الشهادة، ولم يهجروا مَنِ امتنع من الشهادة؛ إلى مسائل نظير هذه كثيرة.

والمختلفون في هذه «**المسألة**» أعذر من غيرهم، أما «**الجمهور**» فعذرهم ظاهر كما دل عليه القرآن، وما نُقِلَ عن السلف، وإن عامة الأحاديث الواردة في «**الرؤية**» لم تنص إلا على رؤية المؤمنين، مع أنه لم يبلغهم نص صريح برؤية الكافر، ووجدوا الرؤية المطلقة قد صارت دالة على غاية الكرامة ونهاية النعيم.

وأما المثبتون عمومًا وتفصيلاً فقد ذكرت عذرهم؛ وهم يقولون: قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ هذا الحجب بعد المحاسبة؛ فإنه قد يقال: حجبت فلانًا عَنِّي، وإن كان قد تقدم: الحجب نوع رؤية، وهذا حجب عام متصل، وبهذا الحجب يحصل الفرق بينهم وبين المؤمنين؛ فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ يتجلى للمؤمنين في عرصات القيامة بعد أن يحجب الكفار كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، ثم يتجلى لهم في الجنة عمومًا وخصوصًا دائمًا أبدًا سرمدًا.

ويقولون: إن كلام السلف مطابق لما في القرآن، ثم إن هذا النوع من «**الرؤية**» الذي هو عام للخلائق قد يكون نوعًا ضعيفًا ليس من جنس «**الرؤية**» التي يُخْتَصُّ بها المؤمنون؛ فإن «**الرؤية**» أنواع متباينة تباينًا عظيمًا لا يكاد ينضبط طرفاها».

* آداب تجب مراعاتها حول هذه المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهنا آداب تجب مراعاتها:

- منها: أن مَنْ سكت عن الكلام في هذه المسألة ولم يَدْعُ إلى شيء فإنه لا يحل هجره، وإن كان يعتقد أحد الطرفين؛ فإن البدع التي هي أعظم منها لا يهجر فيها إلا الداعية؛ دون الساكت، فهذه أَوْلَى.
- ومن ذلك: أنه لا ينبغي لأهل العلم أن يجعلوا هذه المسألة محنة وشعارًا يفضلون بها بين إخوانهم وأضدادهم؛ فإن مثل هذا مما يكرهه الله ورسوله.
- وكذلك لا يفاتحوا فيها عوام المسلمين الذي هم في عافية وسلام عن الفتن، ولكن إذا سئل الرجل عنها أو رأى من هو أهل لتعريفه ذلك ألقى إليه مما عنده من العلم ما يرجو النفع به؛ بخلاف الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة

فإن الإيمان بذلك فرض واجب؛ لما قد تواتر فيها عن النبي ﷺ وصحابته وسلف الأمة.

- ومن ذلك: أنه ليس لأحد أن يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم من غير تقييد؛ لوجهين:

(أحدهما): أن «**الرؤية المطلقة**» قد صار يفهم منها الكرامة والثواب، ففي إطلاق ذلك إيهام وإيحاش، وليس لأحد أن يطلق لفظًا يوهم خلاف الحق إلا أن يكون مأثورًا عن السلف، وهذا اللفظ ليس مأثورًا.

(الثاني): أن الحكم إذا كان عامًّا ففي تخصيص بعضه باللفظ خروج عن القول الجميل فإنه يمنع من التخصيص؛ فإن اللَّه خالق كل شيء ومريد لكل حادث، ومع هذا يمنع الإنسان أن يخص ما يستقذر من المخلوقات وما يستقبحه الشرع من الحوادث، بأن يقول على الانفراد: يا خالق الكلاب، ويا مريدًا للزنا، ونحو ذلك، بخلاف ما لو قال: يا خالق كل شيء، ويا من كل شيء يجرى بمشيئته.

فكذلك هنا لو قال: ما من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان، أو قال: إن الناس كلهم يحشرون إلى اللَّه فينظر إليهم وينظرون إليه، كان هذا اللفظ مخالفًا في الإيهام للفظ الأول.

فلا يخرجن أحد عن الألفاظ المأثورة، وإن كان قد يقع تنازع في بعض معناها فإن هذا الأمر لا بد منه، فالأمر كما قد أخبر به نبينا ﷺ، والخير كل الخير في اتباع السلف الصالح والاستكثار من معرفة حديث رسول اللَّه ﷺ والتفقه فيه، والاعتصام بحبل اللَّه وملازمة ما يدعو إلى الجماعة والألفة، ومجانبة ما يدعو إلى الخلاف والفرقة؛ إلا أن يكون أمرًا بينًا قد أمر اللَّه ورسوله فيه بأمر من المجانبة فعلى الرأس والعين.

وأما إذا اشتبه الأمر؛ هل هذا القول أو الفعل مما يعاقب صاحبه عليه أو مما لا يعاقب؟ فالواجب ترك العقوبة؛ لقول النبي ﷺ: «**ادرءوا الحدود بالشبهات؛**

فإنك إن تخطئ في العفو خير من أن تخطئ في العقوبة» رواه أبو داود، ولا سيما إذا آل الأمر إلى شر طويل، وافتراق أهل السنة والجماعة؛ فإن الفساد الناشئ في هذه الفرقة أضعاف الشر الناشئ من خطإ نفر قليل في مسألة فرعية.

وإذا اشتبه على الإنسان أمر فَلْيَدْعُ بما رواه مسلم في صحيحه ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يقول: «**اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لِمَا اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[1].

* * *

(٢) المنافقون

والمنافقون أهل الدرك الأسفل من النار الخالدين فيها، أشد العذاب عذابهم: عذاب الحجب عن الله والنظر إليه ورؤية وجهه الكريم... وعذاب النار الأليم.. هذا في دار مستقرهم وأمهم الهاوية، أما في عرصات القيامة فقد مَرَّ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الأقوال الثلاثة في رؤية الكفّار:

أحدها: أنَّ الكفّار لا يرون ربَّهم بحال؛ ولا المظهر للكفر، ولا المسرُّ له. وهذا قول أكثر العلماء المتأخِّرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدِّمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

وهو قول الحافظ ابن حجر، وقد مَرَّ عند الحديث عن رؤية الكافرين.

* * *

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٦/ ٤٨٦، ٤٨٧ ـ ٥٠٦).

(٣) الجهمية المنكرون للرؤية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«قال أبو عبدالله الماجشون ـ وهو من أقران مالك ـ في كلام له: فورب السماء والأرض، ليجعل الله رؤيته يوم القيامة للمخلصين ثوابًا؛ فتنضر بها وجوههم دون المجرمين، وتفلج بها حجتهم على الجاحدين: جهم وشيعته، وهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون، لا يرونه ـ كما زعموا أنه لا يُرَى ـ، ولا يكلمهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم؛ كيف لم يعتبروا؟! يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾، أفيظن أن الله يقصيهم ويعنتهم ويعذبهم بأمر يزعم الفاسق أنه وأولياؤه فيه سواء»[(١)].

وقال الإمام أحمد في كتاب «الرد على الجهمية»: «روى ثابت البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلى رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إذا استقرَّ أهل الجنة في الجنة نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن الله ـ تعالى ـ قد أذن لكم في الزيارة فيُكشف الحجاب فينظرون إليه ـ تعالى ـ، ثم قال: وإنا لنرجو أن يكون جَهْم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويُحجبون عن الله ـ تعالى ـ.

قال السيوطي: «رأيت جماعة من العلماء صرحوا بأن الجهمية المنكرين للرؤية لا يرون ربهم وإن دخلوا الجنة؛ فيكونون مختصين مخصوصين من عموم مَن يرى».

وقد مَرَّ بك في وعيد مُنكري الرؤية قول ابن المبارك، وقول شيخ الإسلام ابن القيم: «**فاجمع بين قوله: «إنكم سترون ربكم»**، وقوله لمن ظن أنه غير ملاقيه: «**فإني أنساك كما نسيتني**» وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار، ويحصل لك العلم بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٦/ ٥٠٠).

(٢) حادي الأرواح: (ص ٢٨٧).



الفصل العاشر

الشعر

وشوق ابن القيم إلى بلاد الأفراح
والنظر إلى وجه الله الكريم



الفصل العاشر

الشعر

شوق ابن القيم إلى بلاد الأفراح والنظر إلى وجه الله الكريم يترجمه شعرًا

نثر ابن القيم ينساب رقة ورفرفة وعذوبة .. فكيف إذا تحدث عن شوقه إلى رب العالمين، وحملنا ورفرف بنا في آفاق علوية جميلة عن الجنة والنظر إلى وجه اللَّه الكريم .. وَأَرَقُّ الكلام وأجمله كلام يخرج من بحر عميق على لسان رجل رباني رقيق .. فكيف إذا كان هذا الرجل ابن قيم الجوزية.. وكيف إذا كانت القصيدة هي الميميَّة أو النونية.. رحم اللَّه ابن القيم وأجزل له المثوبة بما هزهز الأرواح وشوَّقها إلى بلاد الأفراح، ولقاء اللَّه في يوم المزيد، والنظر إلى وجهه الكريم في جنانه، والتنعم برضوانه.

مِن الميمية

قال ابن القيم في ميميته بعد أن ذكر الدنيا وفناءها فقال:

أَلَا لَيْتَ شِعري هَلْ أبيتنَّ ليلةً ... على حَذَرٍ مِنها وأَمْرِي مُبْرَمُ

وهل أَرِدَن ماءَ الحياةِ وأَرتوي ... على ظَمَإٍ من حوْضِه وهو مُفْعَمُ

وهل تَبْدُوَنْ أَعْلامُها بَعْدمَا سَفَتْ ... على ربْعِها تلك السَّوافِي فَتُعْلَمُ

وهل أَفْرِشَنْ خَدِّي ثرى عَتباتهم ... خُضوعًا لَهُم كيما يَرقُّوا ويَرْحَمُوا

وهل أَرْمِيَنْ نَفْسِي طَريحًا ببابِهم ... وطَيْرُ مَنَايا الحبِّ فوقي تُحوِّمُ

فَيَا أَسفِي تَفْنَى الحياةُ وتَنْقَضِي ... وذا العتبُ باقٍ ما بَقِيتم وعِشْتُمُ

فما مِنكُم بُدٌّ ولا عنكم غِنى ... ومالي من صَبْرٍ فأسْلُوَ عَنْكمو
ومن شَاء فليغضب سِوَاكم فَلَا أَذَى ... إذا كُنْتُمو عن عبدكم قد رَضيتموا
وعُقْبَى اضْطِباري في هَواكُم حميدةٌ ... ولكنَّها عَنكُم عِقَابٌ ومأْثَمُ
ومَا أنا بالشَّاكِي لِمَا تَرْتَضُونَه ... ولكنَّني أَرْضَى بِه وَأُسَلِّمُ
وحَسْبي انْتَسابي مِنْ بُعَيْدٍ إليكُموا ... ألا إنَّه حظٌّ عظيمٌ مُفَخَّمُ
إذا قِيل هذا عَبْدُهم ومحبهم ... تَهلَّل بِشْرًا وَجْهُه يَتَبَسَّمُ
وسِرْ مُسْرعًا فالسَّيرُ خلفك مُسْرِعًا ... وهيهات مَا مِنه مَفرٌّ ومَهْزَمُ
فَهُنَّ المَنَايَا أَيَّ وَادٍ نَزَلْتَهُ ... عَلَيْهَا القُدومُ أَوْ عَلَيْكَ سَتَقْدُمُ

* * *

بلاد الأشواق

وَمَا ذَاكَ إلَّا غِيرةٌ أَنْ يَنَالَهَا ... سِوَى كفْئِهَا وَالرَّبُّ بالخَلْقِ أَعْلَمُ
وَإِنْ حُجِبَتْ عَنَّا بِكلِّ كَرِيهَةٍ ... وحُفَّتْ بمَا يُؤْذِي النفُوسَ ويؤلِمُ
فَلِلهِ مَا فِي حَشْوِها مِنْ مَسَرَّةٍ ... وَأَصْنَافِ لَذَّاتٍ بِهَا نَتَنَعَّمُ
وَللهِ بَرْدُ العيشِ بَيْنَ خيامِهَا ... وَرَوْضَاتِهَا والثَّغْرُ فِي الرَّوضِ يَبْسَمُ
فَلِلَّهِ وَادِيها الذي هُوَ موعدُ المَزِيدِ ... لوفدِ الحبِّ لو كُنْتَ مِنْهُمُ
بِذَيَّالِكَ الوادِي يَهِيمُ صَبَابَةً ... مُحِبٌّ يَرَى أن الصَّبَابَةَ مَغْنَمُ
وَللهِ أفْراحُ المحِبِّينَ عِنْدَمَا ... يُخَاطِبُهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيُسَلِّمُ
وَللهَ أبْصَارٌ تَرَى اللهَ جَهْرَةً ... فَلَا الضَّيْمُ يَغْشَاهَا وَلَا هِيَ تَسْأَمُ
فَيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلى القَلْبِ نَضْرَةً ... أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْلُو المحِبُّ المتيَّمُ

وَلله كَمْ مِنْ خَيْرَةٍ لوْ تَبَسَّمَتْ ... أضَاءَ لَهَا نُورٌ من الفَجْرِ أَعْظَمُ
فَيَالَذَّةَ الأبْصَار إنْ هِيَ أقْبلَتْ ... وَيَالَذَّةَ الأسْمَاعِ حِينَ تكلَّمُ
وَيَا خَجْلَةَ الغصْنِ الرَّطِيبِ إذا انْثَنَتْ ... وَيَا خَجْلَةَ البَحْرَيْنِ حِينَ تَبَسَّمُ
فَإِنْ كُنْتَ ذا قَلْبٍ عَليلٍ بِحُبِّهَا ... فلم يَبْقَ إلَّا وَصْلُهَا لَكَ مَرْهَمُ
وَلَاسِيَّمَا فِي لَثْمِهَا عِنْدَ ضَمهَا ... وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيدِكَ مِعْصَمُ
يَرَاهَا إذَا أبْدَتْ لَهُ حُسْنَ وَجْهِهَا ... يَلَذُّ بها قَبْلَ الوِصَالِ وَيَنْعَمُ
تَفَكَّهُ منها العَيْنُ عِندَ اجْتِلَائِهَا ... فَوَاكِه شَتَّى طَلْعُهَا لَيْسَ يُعْدَمُ
عَنَاقِدَ من كَرْمٍ، وَتُفَّاحَ جنَّةٍ ... وَرُمَّانَ أغْصَانٍ، بِهَا القَلْبُ مُغْرمُ
وَلِلْوَرْدِ مَا قدْ أَلبَسَتْه خُدُودَهَا ... وَللخمر مَا قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ والفَمُ
تَقَسَّمَ منها الحسْنُ في جَمْعٍ واحِدٍ ... فَيَا عجبًا مِن واحدٍ يتقسَّمُ
تُذَكِّرُ بالرَّحْمَنِ مَنْ هُوَ نَاظِرٌ ... بِجُمْلَتِهَا أَنَّ السُّلوَّ مُحَرَّمُ
لَهَا فِرَقٌ شَتَّى مِنَ الحسْنِ أُجْمِعَتْ ... فَيَنطِقُ بالتَّسْبيحِ لَا يتلَعْثَمُ
إِذَا قَابَلَتْ جَيْشَ الهُمُومِ بِوَجْهِهَا ... تَوَلَّى عَلَى أَعقَابِه الجيشُ يُهْزَمُ
وَلَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بِغُصْنِهَا ... تَيقَّنَ حَقًّا أَنَّهُ لَيسَ يَهْرَمُ
فَيَا خَاطِبَ الحَسْناءِ إنْ كُنْتَ رَاغِبًا ... فَهَذَا زَمَانُ المهْرِ، فَهْوَ المقَدَّمُ
وَكُنْ مُبْغضًا للخَائِنَاتِ لِحُبِّهَا ... فَتَحْظَى بِهَا مِنْ دَونِهِنَّ وَتَنْعَمُ
وَكُنْ أَيِّمًا مِمَّا سواهَا، فإنَّها ... لِمثْلِكَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ تَأَيَّمُ
وَصُمْ يَوْمَكَ الأَدْنَى لَعَلَّكَ في غدٍ ... تَفوزُ بعِيدِ الفِطْرِ والنَّاسُ صُوَّمُ
وَأقْدِمْ، وَلَا تَقْنَعْ بعَيشٍ منغَّصٍ ... فَمَا فاز باللذَّاتِ مَنْ لَيس يُقدِمُ

وَإِنْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأسْرِهَا وَلَمْ يَكُ فِيهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ

* * *

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فإنَّهَا مَنَازِلُكَ الأولَى وَفِيهَا المُخَيَّمُ
ولكننا سَبْيُ العدوِّ فهل تَرى نعودُ إلى أوطاننا وَنُسَلِّمُ
وقد زعموا أنَّ الغريب إذا نأَى وشطَّتْ به أَوطانهُ فَهْوَ مُؤلمُ
وأَيُّ اغترابٍ فوقَ غربتنَا التي لها أضحتْ الأعداءُ فينا تَحْكُمُ
وَحَيَّ على روضاتِها وخِيامِها وحيَّ على عيْشٍ بها ليس يُسْأَمُ
وَحَيَّ عَلَى السُّوقِ الَّذي فِيهِ يَلْتَقِي المُحِبُّونَ ذَاكَ السُّوقُ لِلقَومِ يُعْلَمُ
فَمَا شِئْتَ خُذْ مِنْهُ بِلَا ثَمَنٍ لَهُ فَقَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ فِيهِ وَأَسْلَمُوا
وَحَيَّ عَلَى يَوْمِ المزِيدِ الَّذِي بِهِ زِيَارَةُ رَبِّ العَرْشِ فَاليومُ مَوسِمُ
وَحَيَّ عَلَى وَادٍ هُنَالِكَ أفيحٍ وَتُرْبَتُهُ مِنْ أذْفَرِ المسْكِ أعْظَمُ
مَنَابِرُ مِنْ نورٍ هُنَاكَ وَفِضَّةٍ وَمِنْ خَالِص العِقْيَانِ لَا تَتفَصَّمُ
ومن حولها كثبان مسكٍ مقاعدٌ لمن دونهم، هذا العطاء المفخَّمُ
يرون به الرحمن - جل جلاله - كرؤية بدر التَّمِّ، لا يُتَوَهَّمُ
وكالشَّمسِ صحوًا ليس من دون أفقها سحاب، ولا غيم هناك يُغَيِّمُ
فَبَيْنَاهم في عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجري عليهم وَتُقَسَّمُ
إذا هم بنور ساطع قد بدًا لهم: سلام عليكم: طبتم، وَنَعِمْتُمُ
سلام عليكم، يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يُسَلِّمُ
يقول: سَلُوني ما اشتهيتم فكل ما تريدون عندي، إنني أنا أرحم

فقالوا جميعًا: نحن نسألك الرضى ... فأنت الذي تولى الجميل، وترحم

فيعطيهم هذا، ويشهد جمعهم ... عليه - تعالى اللَّه - فاللَّه أكرم

فباللَّه ما عذر امرئ هو مؤمن ... بهذا، ولا يسعى له، وَيُقْدِمُ

ولكنما التوفيق باللَّه إنه ... يخص به مَنْ شاء - فضلًا - وينعم

فيا بائعًا هذا ببخس معجل ... كأنك لا تدري، بلى سوف تعلم

فَقَدِّمْ فَدَتْكَ النَّفْسُ نَفْسَكَ إِنَّها ... هي الثمنُ المبذولُ حين تسلَّمُ

وَخُضْ غمراتِ الموتِ وارْقَ معارِجَ الـ ... ـمحَبَّة في مرضاتِهم تَتَسَنَّمُ

وسَلِّمْ لَهمْ ما عاقَدُوك عليه إنْ ... تُرِدْ مِنْهُمُو أن يَبْذُلوا ويُسَلِّمُوا

فما ظَفِرتْ بِالوَصْل نَفْسٌ مهينةٌ ... ولا فَازَ عَبدٌ بالبَطَالةِ يَنْعَمُ

وإنْ تَكُ قَدْ عَاقَتْكَ سُعْدَى فَقَلْبُك الـ ... ـمُعَنَّى رَهِينٌ في يَدَيْهَا مُسَلَّمُ

وقَدْ ساعَدتْ بالوَصْلِ غيرك فالْهَوى ... لها منك والواشِي بِها يَتَنَعَّمُ

فَدَعْها وسَلِّ النَّفسَ عنها بِجنَّةٍ ... من العِلمِ في روضاتِها الحقُّ يَبْسِمُ

وقَد ذُلِّلَتْ منها القطوفُ فَمَنْ يُرِدْ ... جَناها يَنَلْهُ كيف شاء ويُطْعَمُ

وقد فَتحتْ أبوابَها وتَزَيَّنَتْ ... لِخُطابها فالحُسْنُ فيها مُقَسَّمُ

وقد طَاب منها نُزُلُها ونزِيلُها ... فَطُوبى لمن حَلوا بها وتَنَعَّمُوا

أقام على أبوابها داعِي الهُدى ... هَلمُّوا إلى دار السعادة تَغْنَمُوا

وقَد غَرسَ الرحمنُ فيها غِراسه ... من الناسِ والرحمنُ بالخَلق أَعْلَمُ

ومَنْ يغرسِ الرحمنُ فيها فإنَّه ... سَعِيدٌ وإلا فالشقاءُ مُحَتَّمُ

* * *

وَمِن النُّونِيَّة

يَا خَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالِبًا لِوِصَالِهِنَّ بِجَنَّةِ الحَيَوانِ
لَو كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ ومَنْ طَلَبْتَ بذَلْتَ ما تَحْوِى مِنَ الأَثْمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْتَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الأَجْفَانِ
وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكَنِهَا فإِنْ رُمْتَ الوِصَالَ فَلَا تَكُنْ بالْوَانِي
أَسْرِعْ وَحُثَّ السَّيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِزَمَانِ
فاعْشَقْ وَحَدِّثْ بالوِصَالِ النَّفْسَ وَابْذُلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْ مَ الوَصْلِ يَوْمَ الفِطْرِ مِنْ رَمضَانِ
وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الحَادِي وَ سِرْ تَلْقَى المَخَاوِفَ وَهْيَ ذَاتُ أَمَانِ

* * *

فَاسْمَعْ إِذًا أَوْصَافَهَا وَصِفَاتِ هَا تِيكَ المَنَازِلِ رَبَّةِ الإِحْسَانِ
هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانِ
دَارُ السَّلامِ وَجَنَّةُ المَأوى وَ مَنْزِلُ عَسْكَرِ الإِيمَانِ والقُرْآنِ
فَالدَّارُ دَارُ سَلَامَةٍ وَخِطَابُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ واسْمُ ذِي الغُفْرَانِ

* * *

ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هَذَا وأَعْلَاهُمْ فَنَاظِرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتُهُ الطَّرَفَانِ
لَكِنَّ أدْناهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي إِذْ لَيسَ فِي الجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانِ

فَهُوَ الذِي تُلْفَى مَسَافَةُ مُلْكِهِ ... بِسِنِينَنَا أَلْفَانِ كَامِلَتَانِ

فَيرَى بِهَا أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤ ... يَتِهِ لأَدنَاهُ القَرِيبِ الدَّانِي

أَوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ آخِرَ أَهلِهَا ... يُعْطِيهِ رَبُّ العَرْشِ ذوُ الغُفْرَانِ

أَضْعَافَ دُنْيَانا جَمِيعًا عَشْرَ أَمْثَالٍ ... لَهَا سُبْحَانَ ذِي الإِحْسَانِ

صفة عرائس الجنَّة وجمالهنَّ

يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الحُسْنِ الَّتي ... حُفَّتْ بِذَاكَ الحِجْرِ والأرْكَان

وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِمًا حَوْلَ الصَّفَا ... وَمَحسَّرٍ مَسْعَاهُ لاَ العَلَمَانِ

وَيَرُومُ قُرْبَانَ الوِصَالِ عَلَى مُنى ... وَالخَيفُ يَحْجُبهُ عَنِ القُرْبَانِ

فَلِذَا تَرَاهُ مُحْرِمًا أبَدًا وَمَوْ ... ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانِ

يَبْغِي التمتُّعَ مُفْرِدًا مِنْ حُبِّهِ ... مُتَجَرِّدًا يَبْغِي شَفِيعَ قِرَانِ

فَيَظَلُّ بالجَمَرَاتِ يَرْمِي قَلْبَهُ ... هَذِي مَنَاسِكُهُ بِكُلِّ زَمَانِ

وَالنَّاسُ قَدْ قَضَّوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ ... حَثُّوا رَكَائِبَهُمْ إلَى الأوْطَانِ

وَحَدَتْ بِهِمْ هِمَمٌ لَهُمْ وَعَزَائِمٌ ... نَحْوَ المَنَازِلِ أَولِ الأَزْمَانِ

رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أعْلاَمُ الوِصَا ... لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيْبَةَ الكَسْلاَنِ

وَرَأَوْا عَلَى بُعْدٍ خِيَامًا مُشْرِفَا ... تِ مُشْرِقَاتِ النُّورِ وَالبُرْهَانِ

فَتَيَمَّمُوا تِلْكَ الخِيَامَ فَآنَسُوا ... فِيهِنَّ أقْمَارًا بِلاَ نُقْصَانِ

مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لاَ تَبْغِي ... سِوَى مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ

قَصَرَتْ عَلَيْه طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهِ ... وَالطَّرْفُ فِي ذَا الوَجْهِ للنِّسْوَانِ

أَوْ أَنَّهَا قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهُ ... مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ للذُّكْرَانِ

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الجَنَّاتِ ثُمَّ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا العِرْفَانِ

حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلَائِقًا وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النِّسْوَانِ

حَتَّى يَحَارَ الطَّرْفُ فِي الحُسْنِ الَّذِي قَدْ أُلْبِسَتْ فَالطَّرْفُ كَالحَيْرَانِ

وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْنِ وَالإِحْسَانِ

وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُئُوسِ جَمَالِهَا فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّشْوَانِ

كَمُلَتْ خَلَائِقُهَا وَأُكْمِلَ حُسْنُهَا كَالبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ

وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الأَغْصَانِ

فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهْوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ سُبْحَانَ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإِنْسَانِ

لَا اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبَ عِنْدَ مَجِيئِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ الثَّانِي

وَالشَّمْسُ لَا تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ يَتَصَاحَبَانِ كِلَاهُمَا أَخَوَانِ

وَكِلَاهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إِذَا مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرَيَانِ

فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بِعِيَانِ

حُمْرُ الخُدُودِ ثُغُورُهُنَّ لَآلِئٌ سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأَجْفَانِ

وَالبَرْقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ ثَغْرُهَا فَيُضِيءُ سَقْفَ القَصْرِ بِالجُدْرَانِ

وَلَقَدْ رَوِينَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجِنَانِ

فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرٍ ضَاحِكٍ فِي الجَنَّةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ

في رؤية أهل الجنة ربهم ـ تبارك وتعالى ـ ونظرهم إلى وجهه الكريم

وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ نَظَرَ العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ

هَذَا تَوَاتَر عَنْ رَسُولِ اللهِ لَمْ ... يُنْكِرْهُ إِلَّا فَاسِدُ الإِيمَانِ

وَأَتَى بِهِ القُرْآنُ تَصْرِيحًا ... وتعْرِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نوْعَانِ

وَهِيَ الزيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ ... تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بالقُرْآنِ

وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ ... يَرْوي صُهَيْبٌ ذَا بِلا كِتْمَانِ

وَهُوَ المزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو ... بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الإِيقَانِ

وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُول وَتَابِعُو ... هُمْ بَعْدَهُمْ تَبعِيَّةَ الإِحْسَانِ

وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللِّقَاءِ لِرَبِّنَا ... الرَّحْمَنِ فِي سُورٍ مِنَ الفُرْقَانِ

وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَتُهُ حَكَى ... الإِجْمَاعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ بِبَيَانِ

وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ ... لُغَةً وَعُرْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ... وَصَفَ الوُجُوهَ بِنَظْرَةٍ بِجِنَانِ

وَأَعَادَ أَيْضًا وَصْفَهَا نظَرًا وَذَا ... لَا شَكَّ يُفْهِمُ رُؤْيَةً بِعِيَانِ

وَأَتَتْ أَدَاةُ (إلى) لِرَفْعِ الوَهْمِ مِنْ ... فِكْرٍ كَذَاكَ تَرَقُّبُ الإِنْسَانِ

وَإِضَافَةٌ لمحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ ... الوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ العَيْنَانِ

تَاللهِ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وانْتِظَا ... رِ مُغَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَةِ لجِنَانِ

مَا فِي الجِنَانِ مِنَ انْتِظَارٍ مُؤْلِمٍ ... وَاللفْظُ يأْبَاهُ لِذِي العِرْفَانِ

لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الكِتَابِ فَلَيْسَ ... فِيهِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرَّوَغَانِ

مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَا ... الذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التِّبْيَانِ

لَوْ قَالَ أَبْيَنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ ... هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تِبْيَانِ

* * *

وَلَقَدْ أَتى فِي سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنَّ ... القَوْمَ قَدْ حُجِبُوا عَنِ الرَّحْمنِ

فَيَدُلُّ بِالمفْهُومِ أَنَّ المؤمِنِينَ ... يَرَوْنَهُ فِي جَنَّةِ الحيوانِ

وَبِذَا اسْتَدلَّ الشَّافِعيُّ وأَحْمَدٌ ... وَسِوَاهُمَا مِنْ عَالِمِي الأَزْمَانِ

وَأَتى بِذَا المفْهُومِ تَصْرِيحًا بآ ... خِرِهَا فَلَا تُخْدَعْ عَنِ القُرآنِ

وَأَتى بِذَاكَ مُكَذِّبًا للكَافِرِينَ ... السَّاخِرِينَ بِشِيعَةِ الرحمنِ

ضَحِكُوا مِنَ الكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا ... ضَحِكُوا هُمُ مِنْهُمْ عَلَى الإِيمَانِ

وَأَثَابَهُمْ نَظَرًا إِلَيْهِ ضِدَّ مَا ... قَدْ قَالَهُ فِيهِمْ أُولُو الكُفْرَانِ

فَلِذَاكَ فَسَّرَهَا الأَئِمَّةُ أَنَّهُ ... نَظَرٌ إلى الرَّبِّ العَظِيمِ الشَّانِ

لِلَّهِ ذَاكَ الفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي ... هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بالإِحْسَانِ

وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِدًا عَنْ جَابِرٍ ... خَبَرًا وَشَاهِدُهُ فَفِي القُرْآنِ

بَيْنَا هُمُو فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ ... وَنَعِيمِهِمْ فِي لَذَّةٍ وَتَهَانِي

وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ أَشْرَقَتْ ... مِنْه الجِنَانُ قَصِيُّهَا والدَّانِي

رَفَعُوا إِلَيْهِ رُءوسَهُمْ فَرأَوْهُ نُورَ ... الرَّبِّ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانِ

وَإِذَا بِرَبِّهِمُ تَعَالَى فَوْقَهُمْ ... قَدْ جَاءَ لِلتَّسْلِيمِ بالإحْسَانِ

قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمُ فَيَرَوْنَهُ ... جَهْرًا تَعَالى الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ

مِصْدَاقُ ذَا يس قَدْ ضُمِّنَتْهُ عِنْدَ ... القَوْلِ مِنْ رَبٍّ بِهِمْ رَحْمنِ

مَنْ رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ اللهِ ... رَدَّ وَسَوْفَ عِنْدَ اللهِ يَلتَقِيَانِ

فِي ذَا الحَدِيثِ عُلُوُّهُ وَمَجِيئُهُ ... وَكَلَامُهُ حَتَّى يُرَى بِعِيَانِ

هَذِي أُصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ ... لَا قَوْلَ جَهْمٍ صَاحِبِ البُهْتَانِ

وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ذَلِكَ الخَبَرُ الطَّوِيلُ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
فِيهِ تَجَلِّي الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَمَجِيئُهُ وَكَلَامُهُ بِبَيَانِ
وَكَذَاكَ رُؤْيَتُهُ وَتَكْلِيمٌ لِمَنْ يَخْتَارُهُ مِنْ أُمَّةِ الإِنْسَانِ
فِيهِ أُصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلَا تَخْدَعْكَ عَنْهُ شِيعَةُ الشَّيْطَانِ
وَحَكَى رَسُولُ اللهِ فِيهِ تَجَدُّدَ الغَضَبِ الَّذِي لِلرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
إِجْمَاعَ أَهْلِ العَزْمِ مِنْ رُسُلِ الإِلهِ وَذَاكَ إِجْمَاعٌ عَلَى البُرْهَانِ
لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ الحَدِيثِ بِهَذِهِ الآرَاءِ فَهِيَ كَثِيرَةُ الهَذَيَانِ
أَصْحَابُهَا أَهْلُ التَّخَرُّصِ وَالتَّنَا قُضِ والتَّهَاتُرِ قَائِلُو البُهْتَانِ
يَكْفِيكَ أَنكَ لَوْ حَرِصْتَ فلنْ تَرَى فِئَتَيْنِ مِنْهُمْ قَطُّ يَتَّفِقَانِ
إِلَّا إِذَا مَا قَلَّدَا لِسِوَاهُمَا فَتَرَاهُمُ جِيلًا مِنَ العِمْيَانِ
وَيَقُودُهُمْ أَعْمَى يُظَنُّ كَمُبْصِرٍ يَا مِحْنَةَ العِمْيَانِ خَلْفَ فُلَانِ
هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرُ رُشْدِهِ اللهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ

* * *

أَوَ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الإِيمَانِ يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
يَا أَهْلَهَا لَكُمُ لَدَى الرَّحْمنِ وَعْدٌ وَهْوَ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ
قَالُوا: أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا أَعْمَالَنَا أَثْقَلْتَ فِي المِيزَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الجَنَّاتِ حِينَ أَجَرْتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النِّيرَانِ
فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آنَ أَنْ أُعْطِيكُمُوهُ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي
فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ جَهْرًا رَوَى ذَا مُسْلِمٌ بِبَيَانِ
وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الكُتْبِ بَعْدَ قُرَآنِ

بِرِوَايَةِ الثِّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ البَجَلِيِّ عَمَّنْ جَاءَ بِالقُرْآنِ
أَنَّ العِبَادَ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ رؤيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمرانِ
فإِنِ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاحْفَظُوا البَرْدَينِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
وَلَقَدْ رَوَى بِضْعٌ وَعِشْرُونَ امرأً مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خِيرَةِ الرَّحْمنِ
أَخْبَارَ هَذَا البَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى بالوَحْيِ تَفْصِيلًا بِلَا كِتْمَانِ
وَأَلَذُّ شَيْءٍ للقُلُوبِ فَهَذِهِ الأَخْبَارُ مَع أَمْثَالِهَا هِيَ بَهْجَةُ الإِيمَانِ

* * *

واللهِ لَوْلَا رُؤْيَةُ الرَّحْمَنِ فِي الجَنَّاتِ مَا طَابَتْ لِذِي العِرْفَانِ
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ وَخِطَابِهِ فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي العَذَابِ حِجَابُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ سَاكِنِي النِّيرانِ
وَإِذَا رَآهُ المؤمِنُونَ نَسُوا الَّذِي هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ العَيْنَانِ
فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمُ عَادُوا إِلَى لَذَّاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الأَلْوَانِ
فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤيَتِهِ سِوَى هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الأَمْرَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفِ خَلْقِهِ بجَلَالِهِ المبْعُوثِ بالقُرْآنِ
شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّتِي بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
فَالشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَومَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
تَلْتَذُّ بالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ دونَ الجَوَارِحِ هَذِهِ العَينَانِ
وَاللهِ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَذُّ مِنَ اشْتِيَاقِ العَبْدِ للرَّحْمنِ
وَكَذَاكَ رُؤيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَّاتِ للإِنْسَانِ
لَكِنَّمَا الجَهْمِي يُنْكِرُ ذَا وَذَا وَالوَجْه أَيْضًا خَشْيَةَ الحِدْثَانِ

تَبًّا لَهُ المَخْدُوعِ أَنْكَرَ وَجْهَهُ وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدَّيَّانِ
وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ وَالعَرْشَ عَطَّلَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسْلُ اللهِ فِي وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الكُفْرَانِ

كلام الرب - جل جلاله - مع أهل الجنة

أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ بِجِنَانِ
فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: هَلْ أَنْتُمُ رَاضُونَ؟ قَالُوا: نَحْنُ ذُو رِضْوَانِ
أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ يَنَلْهُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ
هَلْ ثَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ المَنَّانِ
فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْه رِضْوانِي فَلَا يَغْشَاكُمُ سُخْطٌ مِنَ الرَّحْمنِ
وَيُذَكِّرُ الرحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا قَدْ كَانَ مِنْه سَالِفَ الأَزْمَانِ
مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ ثَمَّ وَسَاطَةٌ مَا ذَاكَ تَوْبِيخًا مِنَ الرَّحمنِ
لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالعَفْوِ وَالإِحْسَانِ
وَيُسَلِّمُ الرَّحْمنُ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ فِي القُرْآنِ
وَكَذَاكَ يُسْمِعُهُمْ لَذِيذَ خِطَابِهِ سُبْحَانَهُ بِتِلَاوَةِ الفُرْقَانِ
فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا هَذَا رَوَاهُ الحَافِظُ الطَّبَرانِي
هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا القرْآنَ فِي الدُّنْيَا فَنَوْعٌ ثَانِ
وَاللهُ يُسْمَعُ قَوْلُهُ بِوَسَاطَةٍ وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ
فَسَمَاعُ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةٍ وَسَمَاعُنَا بِتَوَسُّطِ الإِنْسَانِ
مَنْ صَيَّرَ النَّوْعَينِ نوْعًا وَاحِدًا فَمُخَالِفٌ لِلعَقْلِ والقُرْآنِ

يوم المزيد وما أعد لهم فيه من الكرامة

أَوَ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ المزيدِ وَأَنَّـهُ شَـأْنٌ عَـظِـيـمُ الـشَّـانِ
هُـوَ يَـوْمُ جُـمْـعَـتِنَا وَيَـوْمُ زِيَـارَةِ الرَّحْـمَنِ وَقْـتَ صَـلاَتِـنَـا وَأَذَانِ
وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلاةِ هُمُ الأُلَى فَـازُوا بِـذَاكَ السَّـبْـقِ بِـالإِحْـسَانِ
سَـبْـقٌ بِـسَـبْـقٍ والمؤخَّـرُ هَـهُـنَـا مُـتَـأَخِّـر فِي ذَلِـكَ المَيْـدَانِ
وَالأَقْـرَبُـونَ إِلَـى الإِمَـامِ فَـهُـمْ أُولُو الزُّلْفَى هُنَاكَ فَهَهُنَا قُرْبَانِ
قُـرْبٌ بِـقُـرْبٍ والمبَـاعِـدُ مِـثْـلُـهُ بُـعْـدٌ بِـبُـعْـدٍ حِـكْـمَـةُ الـدَّيَّـانِ
وَلَـهُـمْ مَـنَـابِـرُ لُـؤْلُـؤٍ وَزَبَـرْجَـدٍ وَمَـنَـابِـرُ الـيَـاقُـوتِ والـعِـقْـيَـانِ
هَـذَا وأدْنـاهُـمْ وَمَـا فِـيـهِـمْ دَنِـي مِنْ فَوْقِ ذَاكَ المِسْكِ كالكُثْبَانِ
مَا عِنْدهُمْ أَهْلُ المَنَابِرِ فَوْقَهُمْ مِمَّا يَـرَوْنَ بِـهِـمْ مِـنَ الإِحْـسَـانِ
فَيَرَوْنَ رَبَّهُمُ تَعَالَى جَهْرَةً نَظَرَ الـعِـيَـانِ كَـمَـا يُـرَى الـقَـمَـرَانِ
وَيحاضِرُ الرحْمَنُ وَاحدهُمْ محَاضرةَ الحبيـب يـقـولُ يـا بْـنَ فُـلانِ
هَلْ تَذْكُر اليومَ الَّذِي قدْ كنتَ فيهِ مبارزًا بالذنْبِ والعِصْيانِ
فَيَقُولُ: رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِغفْرَةٍ قِـدْمًـا فَـإِنَّـكَ وَاسِـعُ الـغُـفْـرَانِ
فَيُجِيبُهُ الرَّحْمنُ: مَغْفِرَتِي التِي قَدْ أَوْصَلَتْكَ إِلَى المحَلِّ الدَّانِي
وَيُظِـلُّهُـمْ إِذْ ذَاكَ مِـنْـهُ سَـحَـابَـةٌ تَـأْتِـي بِمِـثْـلِ الـوَابِـلِ الـهَـتَّـانِ
بَيْنَا هُمُ فِي النُّورِ إِذْ غَشِيَتْهُمُ سُبْحَانَ مُنْشِيهَا مِنَ الرِّضْوَانِ
فَتظَلُّ تُمْطِرُهُمْ بِطِيبٍ مَا رَأَوْا شَبَهًا لَهُ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
فَيَزِيدُهُمْ هَـذَا جَـمَالًا فَـوْقَ مَـا لَـهُـمُ وَتِـلْـكَ مَـوَاهِـبُ المَنَّـانِ

❁ واشوقاه إلى يوم المزيد، ورؤية الله الكريم يتجلَّى ضاحكًا:

«واعجبًا للجنة كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قرَّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها؟ وكيف قرَّت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت أنفس الموقنين؟ وكيف صُرِفَتْ عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيء تعوضت عنها أنفس المعرضين؟»(١).

كيف لا تطير القلوب شوقا إلى علَّام الغيوب؟ كيف لا يشتاق العبد إلى لقاء سيده ومولاه؟

* قال يحيى بن معاذ: من لم يكن فيه ثلاث خصالٍ فليس بِمُحِبٍّ: يؤثر كلام اللَّه على كلام الخلق، ولقاء اللَّه على لقاء الخلق، والعبادة على خدمة الخلق(٢).

وراحمتا للوالهين تحمَّلوا ... سرَّ المحبة والجوى فضَّاحُ

ركبوا على سفن الوفا فدموعهم ... تجري وشدة شوقهم ملاحُ

كيف لا تشتاق الأنفس والأرواح إلى لقيا ربها في يوم المزيد، والتنعم بالنظر إلى وجهه الكريم.. ولله در بشر بن الحارث الحافي حيث يقول: **«هَبْ أنك لا تخاف، ويحك ألا تشتاق؟!**

الشوقُ حيَّرني والشوق طيَّرَني ... والشوقُ قرَّبني والشوقُ باعدني

والشوقُ قيَّدني والشوق أطلقني ... والشوق فرَّق بين الجفن والوسن

اللهم ارزقنا الشوق إلى لقائك.. وَمَتِّعْ أبصارنا بالنظر إليك في الفردوس الأعلى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) حادي الأرواح.

(٢) الذخائر لشرح منظومة الكبائر للسَّفاريني ص (٥٠٩).



الفصل الحادي عشر

يَا لَعِظَم مُصيبتكَ وخُسرانكَ
أن تكون من المَحْرومين
مِن نَظر الله رب العالمين



الفصل الحادي عشر

يا لَعِظَم مُصيبتكَ وخُسْرانكَ أن تكون من المَحْرومين مِن نَظر الله رب العالمين

أعظم المصيبات وأكبر النكبات أن تُحجب في عرصات القيامة عن رب السماوات، فلا يكرمك ولا ينعم عليك بنظره إليك .. كل مصيبة غير هذه جلل .. ويهون أمامها كل شيء.

قد يهونُ العمر إلا لحظة وتهونُ الأرض إلا موضعا

فحذار أن تكون منهم .. أو تجاورهم أو تصاحبهم .. فمعاشرتهم سم، والقرب منهم هلاك، وهذه الأصناف المشئومة المنحوسة الموكوسة المطموسة تربو على العشرين.. وهي:

(١) الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا (صاحب اليمين الكاذبة)

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم: رجلٌ حلف على سلعة: لقد أُعْطِيَ بها أكثر مما أَعْطَى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماءٍ؛ فيقول الله: اليوم

أمنعك فضلي كما منعتَ فضل ما لم تعمل يداك»[١].

وفي رواية: «**ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا، فإنْ أعطاهُ منها وَفَى له، وإنْ لم يُعْطِهِ لم يَفِ له**»[٢].

«**رجل حلف على سلعة: لقد أُعْطِيَ بها أكثر مما أَعْطَى وهو كاذب**»؛ أي: أنه حلف، وقال: دفعتُ لبائعها أكثر مما أعطى فيها، والحال أنه كاذب في إخباره بذلك.

«**ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر**»: إنما خصَّ بعد العصر بالذِّكْرِ لأن اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ قد عظم شأن هذا الوقت، وقيل: لأنه وقت ختام الأعمال، والأمور بخواتيمها، فَغُلِّظَتِ العقوبة فيه؛ لئلا يُقْدِمَ عليها فيه تجرُّؤًا؛ فإنَّ من تجرَّأ عليها فيه أعادها في غيره، وكان السلف يحلفون بعد العصر تغليظًا لليمين. وقيل: هو ليس بقيد؛ بل خرج مخرج الغالب؛ لأن مثله يقع غالبًا في آخر النهار حيث يريدون الفراغ من معاملتهم[٣].

يا لخسارة أصحاب الأيمان الكاذبة الفاجرة الآثمة ممن يحنسون بعهدهم ـ عهد مَن عهدهم مع اللَّه ـ وأيمانهم لمصالح دنيوية زهيدة، وأثمان قليلة، وعروض الدنيا الفانية الزائلة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ﴾؛ أي: لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ؛ أي: برحمة منه لهم؛ يعني: لا يكلمهم اللَّه كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ ؛ أي: من الذنوب والأدناس بل يأمر بهم إلى النار»[٤].

قال ابن جرير: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ يستدعي أنه لا يعطف عليهم بخير

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٩٩)، ومسلم (١٠٨)، وأبو داود (٣٤٧٥)، وأحمد (٢/ ٤٨٠)، والنسائي (٧/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٣٤)، ومسلم (١٠٨)، وأبو داود (٣٤٧٤)، وابن ماجه.

(٣) شرح السنة (١٠/ ١٤٣)، و«فيض القدير» للمناوي (٣/ ٣٣٠).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٥).

ورحمة، مَقْتًا من الله لهم»[1].

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**».

فقال الأشعث: فِيَّ والله؛ كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني أرضي، فقدمته إلى رسول الله ﷺ؛ فقال لي رسول الله ﷺ: «**ألك بيّنة؟**» قلت: لا. فقال لليهودي: «**احلف**»؛ فقلتُ: يا رسول الله إذًا يحلف؛ فيذهب مالي؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ الآية[2].

*وقال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين صبر، يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان**»[3].

* وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين مصبورة**[4] **كاذبا متعمّدًا ليقتطع بها مال أخيه المسلم، فليتبوأ مقعده من النار**»[5].

وكذا المرأة صاحبة اليمين الكاذبة تغمس نفسها بهذا اليمين في الإثم، وفي النيران، وتُحرَم من نظر الرحمن.

* وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين آثمة عند**

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٩).

(٢) أخرجاه؛ انظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي (ص٤٤).

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٧٧، ٤٦٠، ٤٦٢)، والبخاري (٨/ ١٧١)، ومسلم (٢/ ١٥٨)، وأبو داود (٣٢٤١)، والترمذي (١٢٨٧)، والنسائي، وابن ماجه عن الأشعث بن قيس وابن مسعود.

(٤) اليمين المصبورة: هي اللازمة لصاحبها من جهة الحكم، فيصبر لأجلها؛ أي: يحبس، وهي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم في النار.

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٦، ٤٤١)، وأبو داود (٣٢٤٢)، والحاكم (٤/ ٢٩٤) وصححه، وأقرّه الذهبي، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٨٧)، والطبري، وأبو نعيم في الحلية، والخرائطي في المساوئ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢١٣).

منبري هذا، فليتبوأ مقعده من النار، ولو على سواك أخضر»[1].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا يَحْلِفُ أحدٌ عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر؛ إلا وجبت له النار»**[2].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا يَحْلِفُ أحدٌ عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر؛ إلا تبوَّأ مقعده من النار»**[3].

* * *

(٢) الحاكم الذي يحتجب عن رعيته ولا ينظر في حاجتهم وفقرهم

عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من وَلِيَ من أمور المسلمين شيئًا، فاحتجب دون خَلَّتِهم، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم، احتجب اللَّه عنه يوم القيامة، دون خَلَّتِهِ، وحاجته، وفاقته، وفقره»**[4].

واللَّه إن هذا الحديث يكفي لاستقامة أَيِّ حاكم يريد وجه اللَّه عز وجل ويخاف الحجب عن اللَّه يوم القيامة.

قال رسول اللَّه ﷺ: **«لَيتمنَّيَنَّ أقوامٌ وُلُّوا هذا الأمر**[5] **أنهم خرُّوا من الثُّرَيَّا،**

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣٢٦)، والحاكم في المستدرك، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٠٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٤)، وأبو داود (٣٢٤٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣) في مصنفه، وابن ماجه (٢٣٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٦٣٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٦٣٨).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٦٢٩)، وصحيح الجامع رقم (٦٥٩٥).

(٥) أي: الإمارة.

وأنهم لم يَلُوا شيئًا»[1].

وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك، إلا أتى اللَّه مغلولًا يده إلى عنقه، فَكَّهُ بِرُّه، أَوْ أَوْثَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلُها ملامة، وأوسطها**[2] **ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة»**[3].

وقال رسول اللَّه ﷺ: **«أيما راع غَشَّ رعيته فهو في النار»**[4].

وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من إمام أو وال يغلقُ بابه دون ذوي الحاجة**[5] **والخَلَّة**[6] **والمسكنة**[7]**؛ إلا أغلق اللَّه أبواب السماء دون خَلَّته وحاجته ومسكنته»**[8].

وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يَجْهَد**[9] **لهم وينصح؛ إلا لم يدخل معهم الجنة»**[10].

وقال ﷺ: **«ما من عبد يسترعيه اللَّه رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته؛**

---

(١) **حسن**: رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢١٧٧)، وصحيح الجامع (٥٣٦٠).

(٢) وذلك عند لحوق تبعاتها.

(٣) **حسن**: رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣٤٩) و«صحيح الجامع» رقم (٥٧١٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن عساكر عن معقل بن يسار، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٥٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٧١٣).

(٥) ما يهتم به الإنسان وإن لم يبلغ حد الضرورة.

(٦) كالحاجة، ولكن ربما بلغت حدَّ الضرورة.

(٧) هم الذين لا شيء لهم.

(٨) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي عن عمرو بن مرَّة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٨٥)، و«الصحيحة» رقم (٦٢٩).

(٩) يبذل طاقته.

(١٠) رواه مسلم عن معقل بن يسار.

إلا حرَّم اللَّه عليه الجنة»(١).

وقال ﷺ: «**إن شر الرِّعاء الحُطَمَة**(٢)»(٣).

وخير الحكام والولاه مَن إذا ولي لم يُطابق بين جفونه، وأرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن رَاجٍ، والمسيء خائف والإمام العدل كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذُودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السِّباع، ويُكنُّها من أذى الحرِّ والقرِّ، وهو كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارًا، ويعلِّمهم كبارًا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

هو قوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومَفْزَع كل ملهوف، يجوع هو ليشبعهم، ويعرى ليكسوهم، يعلم أنه عبد ائتمنه سيده ومولاه، واستحفظه ماله وعباده، فلا يبدد المال، ويمنع العباد، يفرق ماله على الخاصة، ويُفْقِرُ العامة، لا يحكم في عباد اللَّه بحكم الجاهلين، ولا يُسلِّط بطانته المستكبرين على الرعية المستضعفين؛ فيبوء بأوزاره وأوزارٍ مع أوزاره، ويحمل أثقاله وأثقالاً مع أثقاله، لا يغرَّنَّهُ الذين يتنعَّمون من خاصَّته بما فيه بؤسه، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيِّباته في آخرته، ولا ينظر إلى قدرته اليوم، ولكن ينظر إلى قدرته غدًا، وهو مأسور في حبائل الموت وحيدًا فريدًا، وموقوف بين يدي اللَّه في مجمع من الملائكة والنبيِّين والمرسلين، وقد عَنَتِ الوجوه للحي القيوم.

وختامًا إلى كل حاكم نقول: إن رسول اللَّه ﷺ وهو سيد ولد آدم «**كان لا يُدْفَعُ عنه الناس، ولا يُضْرَبُوا عنه**»(٤).

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن معقل بن يسار.

(٢) الحطمة: الذي يظلم رعيته ولا يرحمهم.

(٣) رواه أحمد ومسلم عن عائذ بن عمرو.

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢١٠٧) وصحيح الجامع (٤٨٥٠).

و«**كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم**»(١).

(٣) شيخٌ زانٍ

عن أبي هـريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهـم اللَّه يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّاب، وَعَائِلٌ مُستكْبِر**»(٢).

* وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أُشَيْمِطٌ زانٍ، وعائلٌ مُسْتكْبِر، ورجل جعل اللَّه بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**»(٣).

* وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذَّاب، والعائل المزهوُّ**»(٤).

والزنا كبيرة من أشد الكبائر، وهو من الشيخ أو الشيخة أفظع؛ وذلك لضعف داعي الشهوة مع كبر السن وضعف القوة وكمال العقل وتمام المعرفة بشؤم هذه المعصية، فكيف يزني الشيخ أو تزني الشيخة مع هذا؟!

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم غدًا: شيخ زان، ورجل اتخذ**

---

(١) **صحيح**: رواه أبو يعلى، والطبراني في الكبير، والحاكم في «المستدرك» عن سهل بن حنيف، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢١١٢) وصحيح الجامع رقم (٤٨٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١١٥)، وأحمد (٢/ ٤٣٣، ٤٨٠)، والنسائي، والبغوي (٣٥٩١) في «شرح السنة»، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦١).

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٧٢).

(٤) **صحيح**: انظر: السلسلة الصحيحة رقم (٣٤٦١).

الأيمان بضاعة يحلف في كل حق وباطل، وفقير مختال يزهو»[١].

* وقال ﷺ: «**ما ظهر في قوم الربا والزنا إلَّا أحلُّوا**[٢] **بأنفسهم عقاب الله**»[٣].

* وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن**»[٤].

* وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين، أتياني؛ فأخذا بيديَّ، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم على رأسه بيده كلوب**[٥] **من حديد، فيدخله في شدقه**[٦]**، فيشُقُّهُ حتى يخرجه من قفاه، ثم يخرجه فيدخله في شدقه الآخر، ويلتئم هذا الشِّدْق، فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقت معهما، فإذا رجُل مُسْتَلْقٍ على قفاه، ورجل قائم بيده فِهْر**[٧]**، أو صخرة، فيشدخُ رأسه، فيتدهده**[٨] **الحجر، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان، فيصنع مثل ذلك، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقت معهما، فإذا بيت مبنيٌّ على بناء التَّنُّور**[٩]**، أعلاه ضيِّق، وأسفله واسع، يُوقَد تحته نار، فيه رجال ونساء عراة، فإذا أُوقِدَت ارتفعوا، حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا أُخمِدت رجعوا فيها، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق........**»، وفيه:

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن مالك، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٧٠).

(٢) أحلُّوا: أنزلوا وأوجبوا.

(٣) **حسن**: رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود، وكذا رواه أبو يعلى، والحاكم عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٣٤).

(٤) رواه أحمد والبخاري والنسائي عن ابن عباس.

(٥) آلة يستخدمها الحدَّاد يمسك بها الحديد المحمي.

(٦) جانبي فمه.

(٧) حجر.

(٨) يتدحرج.

(٩) الموقد، ويستخدم لصنع الخبز.

«وأما الذي رأيت في التَّنُّور؛ فهم الزُّنَاة......»[(١)].

قال رسول الله ﷺ: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، فانطلقت، فأتينا على مثل التنور، فإذا فيه لغط وأصوات. قال: فاطلعنا فيه، فإذا رجال ونساء عراة، وإذا هو يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا[(٢)]. قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟ قالا: الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فهم الزناة والزواني»[(٣)].

* وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم إذْ أتاني رجلان، فأخذا بضبعي، فأخرجاني فأتيا بي جبلًا وعرًا، وقالا لي: اصعد، فقلت: لا أطيقه، قالا: سنسهله لك، فصعدت حتى كنت في سواد الجبل ـ يعني أعلاه ـ إذْ أنا بأصوات شديدة، فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالا: هذا عوي أهل النار، ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا؛ كأن ريحهم المراحيض. قلت: مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني»[(٤)].

(٤) مَلِكٌ كَذَّاب

وقد ذكرنا الحديثين من قبل.. والكذب سُبَّةٌ وكبيرة، وهو من الملك أو الحاكم ـ الذي لا يخشى أحدًا من رعيته، ولا يحتاج إلى مصانعة ومداهنة ـ أشد؛ فإن الإنسان إنما يداهن ويصانع بالكذب مَنْ يحذره، ويخشى أذاه، ويطلب

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

(٢) **ضوضوا**: أي رفعوا أصواتهم مختلطة. والضوضأة: أصوات الناس ولغطهم.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٥٦)، ومسلم (٢٢٧٥) مختصرًا، وأحمد (٥/ ٨)، وابن أبي شيبة (١١/ ٦٣)، والبغوي (٨/ ٥٠) في شرح السنة، والطبراني في «الكبير» (٦٩٨٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٦/ ٢٨٩)، وابن خزيمة (١٩٨٦)، والحاكم (١/ ٤٣٠)، وصححه وأقرّه الذهبي، والخرائطي (٤٧٩) في «المساوئ»، والطبراني في «الكبير» (٧٦٦٦)، (٧٦٦٧).

بذلك عنده المنزلة أو الجاه، فالملك والحاكم غني عن هذا الكذب مطلقًا؛ قال محمد بن كعب القرظي: إنما يكذب الكاذب من نفسه مهانة، وأكبر كذب الحاكم أو الملك الكذب على الله عَزَّ وَجَلَّ؛ بتحريم ما أحله الله، أو بتحليل ما حرَّمه.

قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقال - تعالى -: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وقال - تعالى -: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ۝﴾ [النساء: ٥٠].

وقال - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [هود: ١٨].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝﴾ [النحل: ١١٦].

* والملك الكذاب هو الذي يخون وطنه، وقبل ذلك يخون دينه وحرماته، ويفرط فيها، ويدعي أنه الأمين على ما استودعه الله.. يدعي الرفاهية والنماء، وشعبه كَلٌّ مُوَلَّه العقل من شدة الفقر والجوع؛ كما قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تحدث مَنْ ليس في بيته دقيق؛ فإنه مُوَلَّه العقل».. الملك الكذاب: من يوالي أعداء دينه، ثم يُعَمِّي على الناس ذلك، ويقلب الأمور.. الملك الكذاب هو الذي يُصدِّق الكاذب من بطانته بطانة الزور والسوء حين تصوغ له الأمجاد الكاذبة؛ فيجعلون من الهزيمة نصرًا، ويُكذِّب الصادق من أمته ورعيته، ويخوِّن الأمين، ويجعل الرُّوَيْبِضة يتكلم في أمور العامة.

* ورحم اللَّه زمانًا قال فيه إسماعيل بن عُبيداللَّه المخزومي: أمرني عبدالملك ابن مروان أن أُعَلِّمَ بَنِيهِ الصدق كما أُعَلِّمُهُمُ القرآن، وأن أُجَنِّبَهُمُ الكذب، وإن

كان فيه القتل.

* والملك الكذَّاب مدخله مدخل كذب، ومخرجه مخرج كذب، لا يكون دخوله وخروجه باللَّه، فلا عجب أن يجعل اللَّه له لسان كذب في الآخرين.. وسوء الأحدوثة بعد الممات.

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٦٠].

قالوا لنا أَرْضُنَا أرضٌ مباركة ... فيها الهُدَى والتُّقَى والوحيُ والرسلُ

مالي أراها وبحرُ الزُّور يُغْرِقُهَا ... وأكبر الأمر في أرجائها دَجَلُ

في أي شيء أمام اللَّه قد عَدلوا ... وكلُّهم كاذبٌ قالوا وما فعلوا

هذا جبان وهذا باع أمته ... وكلهم في حِمَى الشيطان يبتهلُ

من يوم أن مَزَّقوا أحكام ملَّتهم ... وثوبنا الخزي والبهتانُ والزَّلَلُ

عَارٌ على الأرض كيف الزور دنَّسها ... كيف استوى عندها الكذَّاب والرَّجُلُ

لم يبق شيءٌ لنا من بعد ما غربت ... شمس الرجال تَسَاوَى اللص والرَّجُلُ

لم يبق شيء لنا من بعدما سقطت ... كل القلاع تَسَاوَى السَّفح والجبل

من أين تأتي لوجه الزُّور مَكْرُمَةٌ ... وأنهرُ الملح هل ينمو بها الشَّجَرُ

(٥) عائل مستكبر

هو الفقير المستكبر، وقد مَرَّت الأحاديث مِن قَبْلُ.. وَزِدْ على ذلك:

- قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه ـ تعالى ـ يقول: إن العِزَّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما عذَّبته**»[(١)].

(١) رواه مسلم، والبخاري في الأدب المفرد عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأحمد، وأبو داود، وابن ماجة، والحاكم، والضياء عن أبي هريرة، وابن ماجة، وابن حبان عن ابن عباس.

- وقال ﷺ: «**احتجَّت الجنة والنار؛ فقالت الجنة: يدخلني الضعفاء والمساكين، وقالت النار: يدخلني الجبارون والمتكبرون، فقال الله للنار: أنت عذابي، أنتقم بك ممن شئت، وقال للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك مَن شئت، ولكل واحدة منكما ملؤُها**»(١).
- وقال ﷺ: «**أهل النار كل جعظري؛ جوَّاظ، مستكبِر، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون**»(٢).
- وقال ﷺ: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل ينازع الله إزاره، ورجل ينازع الله رداءه؛ فإن رداءه الكبرياء، وإزاره العزُّ، ورجل شك في أمر الله، والقنوط من رحمة الله**»(٣).
- وقال رسول الله ﷺ: «**قال الله ـ تعالى: الكبرياء رِدائي، فمن نازعني في ردائي قصمته**»(٤).
- وقال ﷺ: «**قال الله ـ تعالى ـ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**»(٥).
- وقال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يتعاظم(٦) في نفسه، ويختال في مشيته؛ إلَّا**

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة، ومسلم عن أبي سعيد، وابن خزيمة عن أنس.
(٢) **صحيح**: أخرجه ابن قانع، والحاكم في المستدرك عن سراقة بن مالك، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٤١)، وصحيح الجامع (٢٥٢٩).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى، والطبراني في الكبير عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥٩)، والصحيحة رقم (٥٤٢).
(٤) **صحيح**: أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٤١)، و«صحيح الجامع» (٤٣٠٩).
(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة، وابن ماجه عن ابن عباس، والضياء في «المختارة» عن أبي هريرة، وابن حبان عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١١)، والصحيحة رقم (٥٤١).
(٦) يتعاظم: يتكبَّر.

لقى الله ـ تعالى ـ وهو عليه غضبان»[1].

ـ وقال ﷺ: **«من تعظَّمَ في نفسه، واختال في مشيته؛ لقي الله وهو عليه غضبان»**[2].

ـ وقال ﷺ: **«لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردلٍ من كبرياء»**[3].

ـ وقال رسول الله ﷺ: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ**[4] **في صور الرجال، يغشاهم**[5] **الذُّلُّ من كل مكان، يُسَاقُونَ إلى سجن في جهنم يُسَمَّى بُولُس، تعلوهم نار الأنيار**[6]**، يُسْقَوْنَ من عصارة أهل النار طينة الخبال»**[7].

والكبر مرذول، وهو من الفقير أرذل، ولا يدل كبره إلا على اعوجاج في النفس، وفساد في الطبع، ومرض في القلب.

* * *

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده، والبخاري في «الأدب المفرد»، والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٧٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧١٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩)؛ والحاكم (١/ ٦٠)، وصححه، وأقره الذهبي، والخرائطي (٥٧٧) في المساوئ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

(٣) أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن ابن مسعود.
والخردل: نبات يُضْرَبُ ببذوره المثلُ في الصِّغر.

(٤) **الذَّرُّ**: صغار النمل.

(٥) **يغشاهم**: يشملهم.

(٦) **الأنيار**: جمع نار.

(٧) **حسن**: رواه أحمد في مسنده، والترمذي عن ابن عمرو، وحسنه الألباني في تخريج المشكاة (٥١١٢)، و«صحيح الجامع» (٨٠٤٠).

(٦) مانعُ فضل الماء

مَرَّ في حديث أبي هريرة: «... **ورجل منع فضل ماءٍ؛ فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي؛ كما منعتَ فضل ما لم تعمل يداك**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلإ**»(١).

هذا نهي عن منع فضل الماء عن الماشية، فكيف بمن يمنعه عن بني آدم؟!

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**من منع فضل مائه، أوْ فضْل كَلَئِهِ؛ منعه اللَّه من فضله يوم القيامة**»(٢)، والجزاء عند اللَّه من جنس العمل.

مانع فضل الماء قاسي القلب، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تُنزَع الرحمة إلا من شقيٍّ**»(٣).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما يرحم اللَّه من عباده الرحماء**»(٤).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٤)، ومسلم (١٥٦٦)، وأحمد (٢/ ٤٢٠) بنحوه، وابن حبان (١١٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٩، ١٨٣)، والشافعي في «مسنده» (١٣٥١)، وأبو يعلى.

(٣) **حسن**: رواه أحمد في مسنده، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٤٦٧)، وتخريج المشكاة (٤٩٦٨).

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» عن جرير، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٣٨١).

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٢٢)، و«الصحيحة» رقم (٩٢٥).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**في الكبد الحارَّة**[١] **أجر**»[٢].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ لا يرحَم لا يُرْحَم**»[٣].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**غُفِر لامرأة مُومسة**[٤]**، مرت بكلب على رأس رَكي**[٥] **يلهث، كاد يقتله العطش، فنزعت خُفَّها فأوثقته بخمارها، فنزعت**[٦] **له من الماء، فغُفِر لها بذلك**»[٧].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**خير الناس أنفعهم للناس**»[٨].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أحب الناس إلى اللَّه أنفعهم، وأحب الأعمال إلى اللَّه** عز وجل **سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دَيْنًا، أو تطرد عنه جوعا.....**[٩]» الحديث.

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أفضل الصدقة سقيُ الماء**»[١٠].

---

(١) الحيوان الحي الذي لم نُؤمر بقتله، الذي عطش من شدة الحرِّ.

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» عن سراقة بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٢٥٤)، و«صحيح الترغيب» رقم (٩٤٧).

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن أبي هريرة، ورواه البخاري ومسلم عن جرير.

(٤) بغيٌّ من البغايا.

(٥) بئر.

(٦) أخرجت له الماء من البئر.

(٧) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

(٨) **حسن**: أخرجه القضاعي عن جابر، وكذا أخرجه الطبراني في الكبير، والدارقطني، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن عساكر، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٤٢٦)، و«صحيح الجامع» (٣٢٨٩).

(٩) **حسن**: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٠٦)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧٦).

(١٠) **حسن**: أخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن سعد بن عبادة، وأبو يعلى عن ابن عباس، وحسَّنه الألباني في «صحيح =

(٧) صاحب بيعة من أجل الدنيا، فإن لم يُعْطِهِ منها لم يَفِ له

* مَرَّ في الحديث: «**ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها وَفَى له، وإن لم يُعْطِهِ لم يَفِ له**».

رجل لا يبايع إمامه لله ﷻ، ولنصرة دينه، والدفاع عن المسلمين، وإنما لأجل عرض زائل، ومتاع حقير من هذه الدنيا الفانية، الدنيا همُّه وفاكهته وقوته، والآخرة حسبه وموته.

إن الحياة للأرض والدنيا تليق بالديدان، والزواحف، والحشرات، والهوام، والوحوش، والأنعام، والذين يقفون عند الحياة الدنيا، بما فيها من نقص، وهبوط، ويرضونها ويستغرقون فيها، فلا يُنكرون فيها نقصًا، ولا يُدركون أنها لا تصلح أن تكون نهاية البشر، فإنها تهبط بهم ثم تهبط؛ لأنهم لا يرفعون رءوسهم إلى قمة، ولا يتطلَّعون بأبصارهم إلى أفق، إنما يخفضون رءوسهم وأبصارهم دائمًا إلى هذه الأرض وما عليها.

إن السعي لعَرَض الدينا يدع الأرض مُستنقعًا وَبيئًا، تأكل فيه الديدان بعضها البعض، أو يتنهش فيه الهوامُّ والحشرات جلود الأبرار الطيِّبين، وَيَالَهُ من مستنقع آسِن!!.

العمل للدنيا لهو ولعب وتفاخر، وتكاثر لا يليق بمن شبُّوا عن الطَّوْق، وتركوا عالم اللهو واللعب للصغار.

في ومضة، وفي خطفة تنتهي الدنيا وما فيها.. ولا يبقى لمن يعمل لها إلا

= الجامع» رقم (١١١٣)، و«صحيح الترغيب» رقم (٩٥١)، و«تخريج المشكاة» (١٩١٢).

حطامها، فصاحب البيعة النكدة هذه أسهل شيء عليه خلع اليد من طاعة الإمام إن لم يُعْطِهِ من الدنيا.. لا يهمّه مصلحة أمته، وأمان قومه، وإنما يذهب ويجيء، ويدخل ويخرج بالقلاقل والفتن، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**من خلع يدًا من طاعة؛ لقي اللَّه يوم القيامة لا حجَّة له، ومن مات وليس في عُنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[1].

وقد مُرَّ حديث يحيى بن زكريا؛ وفيه: «**فإنه مَنْ فارق الجماعة قيد شبرٍ؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع**».

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**من أهان سلطان اللَّه في الأرض أهانه الله**»[2].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ أجلَّ[3] سلطان الله، أَجَلَّهُ اللَّه يوم القيامة**»[4].

وإلا فقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن أتاكم وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ على رجل واحد، يريدُ أن يشق عصاكم، ويفرِّق جماعتكم فاقتلوه**»[5].

وقال ﷺ: «**مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني**»[6].

* * *

---

(١) رواه مسلم عن ابن عمر.

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي عن أبي بكرة، وكذا أخرجه الطيالسي، وأحمد، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٩٦) و«صحيح الجامع» رقم (٦١١١).

(٣) عظم وأطاع.

(٤) **حسن**: أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي بكرة، وكذا رواه أحمد، وابن أبي حاتم، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٥١)، و«الصحيحة» رقم (٢٢٩٧).

(٥) رواه مسلم عن عرفجة.

(٦) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٨) العاقُّ لوالديه

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا ينظُرُ الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالِدَيْه، والمرأة المترجِّلة المُتشَبِّهَةُ بالرجال، والدَّيُّوث**»(١).

قال الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة: منَّان ولا عاق، ولا مدمن خمر**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا: عاقٌّ، ومنّان، ومكذِّبٌ بالقدر**»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**رضا الربِّ في رضا الوالدين، وسُخْطُهُ في سُخْطهما**»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «**اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي، وعقوق الوالدين**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٤)، والنسائي (٥/ ٨٠)، (٧/ ٢٤٦)، وابن حبَّان (٥٤)، (٢٠٣٢)، والحاكم (٤/ ١٤٦)، والبيهقي (٥/ ٢٦٥)، (٨/ ٢٨٨) في «السنن الكبرى»، والطحاوي في «مشكل الآثار»، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: رواه النسائي عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٦٧٠)، و«صحيح الجامع» (٧٦٧٦).

(٣) **حسن**: أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة، وكذا أخرجه ابن أبي عاصم، وابن عساكر وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٦٥).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٠٧)، و«الصحيحة» (٥١٦).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري في التاريخ، والطبراني في الكبير عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١٢٠)، و«صحيح الجامع» (١٣٧).

وقال ﷺ: «**بابان معجَّلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق**»[(١)].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أتاني جبريل، فقال: يا محمد، مَنْ أدرك أحد والديْه فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، قال: يا محمد، مَن أدرك شهر رمضان فمات فلم يُغفر له فأُدْخِل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: ومَن ذُكِرْتَ عنده فلم يصلِّ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، قلتُ: آمين**»[(٢)].

* وعن عبداللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنَّان بما أعطى**»[(٣)].

* وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثًا.

قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالديْن**» وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور، وشهادة الزور**» فما زال يكرِّرها حتى قلنا: ليته سكت»[(٤)].

* وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه ـ تعالى ـ حرَّم عليكم عقوق الأمهات**»[(٥)].

* وقال ﷺ: «**إن اللَّه ـ تعالى ـ حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات،**

---

(١) **صحيح:** رواه الحاكم في المستدرك عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١١٢٠)، و«صحيح الجامع» (٢٨١٠).

(٢) **صحيح:** رواه الطبراني عن جابر بن سمرة، وكذا رواه ابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٥)، وتخريج الترغيب (٣/ ٢١٦).

(٣) **صحيح بشواهده:** أخرجه أحمد (٢/ ٢٠١، ٢٠٣)، والنسائي (٥/ ٨٠ ـ ٨١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٥٧)، والطيالسي (٢٢٩٥)، وابن حبان (٥/ ١٦٢)، والدارمي (٢/ ١١٢).

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي.

(٥) أخرجه البخاري (٤١٨)، ومسلم (٢/ ٨١)، وأحمد (٥/ ٣٦، ٣٨).

ومنعًا وهات[1]، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[2].

* وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: وقال رسول الله ﷺ: «**رِضَى الرب في رِضَى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر: الشرك بالله، وعوق الوالديْن، واليمين الغموس[4]، وما حلف حالفٌ بالله يمين صبر، فأدخل فيها مثل جناح بعوضة؛ إلَّا جُعلت نَكْتَةً في قلبه إلى يوم القيامة**»[5].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَغِم أنفُه ثم رَغِم أنفُه ثم رَغِم أنفُه مَنْ أدركَ أبويه عنده الكبر أحدهما أو كِلاهما ثم لم يدخل الجنة**»[6].

* وقال رسول الله ﷺ: «**ملعونٌ من سبَّ أباه، ملعونٌ من سَبَّ أُمَّه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعونٌ من غَيَّر تخوم[7] الأرض، ملعون من كَمَّه[8] أعمى عن طريق، ملعون من وقع[9] على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط**»[10].

---

(١) بخلًا ومسألة.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٩٠٠)، والحاكم (٤/ ١٥١، ١٥٢)، وصححه، وأقرَّه الذهبي.

(٤) **الغموس**: التي تغمس صاحبها في الإثم والنار.

(٥)

(٦) رواه أحمد، ومسلم.

(٧) أيْ: غيَّر معالمها.

(٨) أي: أضَلَّه.

(٩) أي: جامعها.

(١٠) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٩١)، و«تخريج المشكاة» (٣٥٨٣).

(٩) المُتَرَجِّلة

وقد مَرَّ الحديث من قبل في حرمان المُتَرَجِّلة من نظر الله إليها؛ وهي: المرأة التي تلبس ثيابًا كثياب الرجال، وتمشي كمشيتهم، وهذه المرأة لُعِنَتْ في الشرع العظيم وَطُرِدَتْ من رحمة الله.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبِّهات من النساء بالرجال**»[١].

*عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الدَّيوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر**»[٢].

* وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والدَّيوث، وَرَجُلَة النساء**»[٣].

* وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، والمرأة المترجِّلة المتشبِّهة بالرجال، والدَّيوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنَّان بما أعطى**»[٤].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الرجل يلبس لِبسَة**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥)، وأحمد (١/ ٣٣٩)، وأبو داود (٤٠٩٧)، والترمذي (٢٩٣٥)، وابن ماجه (١٩٠٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٦٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شُعب الإيمان»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٦٣).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد، والنسائي، والحاكم عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٧١).

المرأة، والمرأة تلبَسُ لِبْسة الرَّجُل»[١].

* وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الرَّجُلَة من النساء**»[٢].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله المتشبِّهات من النساء بالرجال، والمتشبِّهين من الرجال بالنساء**»[٣].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله المخنَّثين من الرجال، والمترجِّلات من النساء**»[٤].

* وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس مِنَّا من تشبَّه بالرجال من النساء، ولا من تشبَّه بالنساء من الرجال**»[٥].

قال ابن تيمية في «**مجموع الفتاوى**»: «والمرأة المتشبهة بالرجال تكتسب من أخلاقهم، حتى يصير فيها من التبرج والبروز ومشاركة الرجال ما قد يفضي ببعضهن إلى أن تُظهر بدنها كما يُظهره الرجل، وتطلب أن تعلو على الرجال، كما يعلو الرجال على النساء، وتفعل من الأفعال ما يُنافي الحياء المشروع للنساء، وهذا القدر قد يحصل بمجرد المشابهة»[٦].

والمترجلات من النساء كثيرات كثيرات، وللترجُّل صور وألوان؛ منها: لبس

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٠٩٥)، وتخريج المشكاة (٤٤٦٩)، وحجاب المرأة (ص٦٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٠٩٦)، والمشكاة (٤٤٧٠) وحجاب المرأة (ص ٦٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٠٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري في الأدب، والترمذي في سننه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٠٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٤٣٣).

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/ ١٥٤).

المرأة للبنطال، وذهابها إلى حلّاق الرجال، ومزاحمة الرجال في الأسواق والدكاكين، والوظائف والأعمال، والجرأة في الخطاب، واقتحام المهالك والصعاب دون حاجة أو ضرورة.

(١٠) الدَّيُّوث

الدَّيوث: هو القوَّاد على أهله، والذي لا يغار على أهله، والذي يُدخل الرجال على حرمته، ويسمح باختلاطهنَّ، وهو الذي تُؤتى أهله وهو يعلم، وهو الذي يقرُّ الخبث على أهله، فلا غيرة له، ولا شرف، ولا حرص على حرمات أو عرض، لا يغار وأعراضه تنتهك، وحرمات اللَّه تُهتك.

وقد مَرَّ الحديثان في حرمان الديوث من نظر اللَّه إليه.

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة قد حرَّم اللَّه عليهم الجنة: مُدمن الخمر، والعاقُّ، والدَّيوث الذي يقرّ في أهله الخبث**»[١].

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الدَّيوث، والرَّجلة من النساء، ومُدمن الخمر**»[٢].

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والدَّيوث، ورجلة النساء**»[٣].

والديوث من أخبث خلق اللَّه قد ماتت الغيرة في قلبه، يقول ابن القيم: «وهذا يدلك على أن أصل الدِّين الغَيْرَة، ومَنْ لا غيرة له لا دين له؛ فالغَيْرَة تحمي القلب فتحمِي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب فتموت الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفعٌ ألبتة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥٢).

(٢) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٣) **صحيح**: مَرَّ تخريجه.

ومَثَل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداءُ المحلَّ قابلًا ولم يجد دافعًا، فتمكّن، وكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي(١) الجاموس التي تدفع بها عن نفسه وولده، فإذا كُسِرت طمع فيه عدوه»(٢).

(١١) مَن عَمِل عَمَلَ قوم لوط

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينظر الله ـ تعالى ـ إلى رَجُل أتى رَجُلًا، أو امرأة في الدُّبُر»**(٣).

«لا ينظر الله ـ تعالى ـ إلى رجُلٍ أتى رجُلًا»؛ وهو: ما يُعرَف باللواط، «أو امرأة مع امرأة»، ويُسمَّى «السِّحاق»، وهو أخوف ما تخَوَّفه النبي ﷺ على أمته.

* عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أخوفَ ما أخاف على أمتي عَمَلُ قوم لوط»**(٤).

---

(١) **صياصي**: قرون.

(٢) «الداء والدواء» لابن قيم الجوزية (ص ١٠٩ ـ ١١٠) ـ دار ابن الجوزي ـ السعودية.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٧٦)، وقال: حسن غريب، وابن حبان (١٣٠٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٢٥٢)، وسنده حسن، له شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٤)، وابن ماجه (١٩٢٣)، وابن أبي شيبة (٤/ ٢٥٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٠١)، وآداب الزفاف (ص ٣٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٢)، والترمذي (١٤٨٢)، وابن ماجه (٢٥٦٣)، والحاكم (٤/ ٣٥٧)، وصححه، وأقرّه الذهبي، وابن حبان (٤٢) في «المجروحين»، والآجري في «ذم اللواط» (١٢)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ١٦٩)، وأبو مسلم الليثي في مسنده، كما في «روضة المحبين» لابن القيم (ص: ٣٦٩)، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٥٥٢)، وتخريج المشكاة (٣٥٧٧).

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«لعن الله مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، لعن اللَّه مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوط، لعن اللَّه مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط»**[(١)].

وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ملعونٌ مَن سبَّ أباه، ملعونٌ مَنْ سَبَّ أمَّه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون مَن غَيَّر تخوم الأرض، معلونٌ مَنْ عَمِلَ بعمل قوم لوط»**[(٢)].

* وقال رسول اللَّه ﷺ: **«لعن اللَّه مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط»**[(٣)].

وقال ﷺ: **«اقتلوا الفاعل والمفعول به»**[(٤)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢١٧، ٣٠٩، ٣١٧) والترمذي (١٤٨١)، وابن حبَّان (٦/ ٢٩٨، ٢٩٩)، والآجري في «ذم اللواط» (١٤)، (١٥)، والحاكم (٤/ ٣٥٦) وصححه، وأقره الذهبي، والطبراني في الكبير (١١٥٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٣١)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ١٥٩)، والذهبي في الدينار (٢٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٩١).

(٣) **صحيح**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٢٢ رقم ٧٣٣٧)، وأحمد (١/ ٢١٧، ٣١٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٥٨٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٥٣٩)، وابن حبان (١٠/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ رقم ٤٤١٧) ـ «الإحسان»، والطبراني في «الكبير» (١١٥٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٦)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٤٣٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٣١)، وفي الشعب (٥٣٧٣) عن ابن عباس رفعه، واللفظ المذكور للنسائي. وَحَسَّنَ إسناده الأخ الحبيب الشيخ مشهور حسن في تعليقه على «الكبائر» للذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (٢٤٢١).

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤/ ١٥٨ رقم ٤٤٦٢)، والترمذي (٤/ ٥٧ رقم ١٤٥٦) وفي العلل الكبير (٢/ ٦٢٠ رقم ٢٥١)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٦ رقم ٢٥٦٣)، وأحمد (١/ ٣٠٠)، وأبو يعلى (٢٤٦٣) في المسند، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٦٨)، وابن الجارود في «المنتقى» (رقم ٨٢٠)، والدارقطني في السنن (٣/ ١٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٣٢)، والبغوي في «شرح =

قال الذهبي: «**ومذهب الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ حدَّ اللوطي حد الزنا سواء، وأجمعت الأمة على أن من عمل بمملوكه فهو لوطي مجرم»[(١)].

ومذهب المالكية: حد اللواط الرجم، ولا يُرَاعى فيه الإحصان[(٢)].

ومذهب الحنفية: لا حدَّ فيه، وفيه التعزير[(٣)].

والراجح أن اللوطي يُقتل، الفاعل والمفعول به، محصَنَيْن كانا أو غير محصَنَيْن، حُرَّيْن أو مملوكيْن، أو كان أحدهما مملوكًا والآخر حُرًّا، إذا كانا بَالِغَيْنِ، فإن كان أحدهما غير بالغ عُوقِبَ بما دون القتل، وقتلهما بالرجم. قاله ابن تيمية في «**مجموع الفتاوى**» (٢٨/ ٣٣٤)، وزاد: «**وهو الصحيح الذي عليه الصحابة أن يُقتل الاثنان؛ الأعلى والأسفل، سواءً كانا مُحْصَنَيْنِ أو غير مُحْصَنَيْنِ**».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «**روضة المحبين**» (ص ٣٦٣): «الصحابة متفقون على قتل اللوطي وإنما اختلفوا في كيفيَّة قتله، فظنَّ بعض الناس أنهم متنازعون في قتله، ولا نزاع بينهم فيه، إلَّا في إلحاقه بالزاني أو قتله مطلقًا»، وانظر: «**زاد المعاد**» (٥/ ٤٠)، «**الداء والدواء**» (ص٢٤٩).

وقال الشوكاني في «**نيل الأوطار**» (٧/ ١٢٤):

«وما أَحَقَّ مرتكب هذه الجريمة، ومقارب هذه الرذيلة الذميمة بأن يُعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويُعذَّب تعذيبًا يكسر شهوة الفسقة المتمرِّدين،

= السُّنَّة» (٢٥٩٣) عن ابن عباس، والحديث صحيح؛ انظر: «تلخيص الحبير» (٤/ ٥٤)، و«نصب الراية» (٣/ ٣٣٩ - ٣٤٢)، وإرواء الغليل (٨/ ١٦ - ١٨).

(١) الكبائر (ص ٢٠٦ - ٢٠٧)، للذهبي بتحقيق مشهور بن حسن آل سليمان - مكتبة الفرقان.

(٢) انظر: «الإشراف للقاضي عبدالوهاب» (٤/ ٢١٢ - ٢١٥)، والذخيرة (١٢/ ٦٥)، ومواهب الجليل» (٦/ ٢٩١).

(٣) انظر: «المبسوط» (٩/ ٧٧ - ٧٨)، و«بدائع الصنائع» (٧/ ٣٤).

فحقيق بمن أتى فاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يَصْلَى من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشابهًا لعقوبتهم، وقد خسف اللَّه ـ تعالى ـ بهم، واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيِّبهم».

* * *

(١٢) الشاذون جنسيًّا

«من يأتي امرأته أو غيرها في دُبُرِها»

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا ينظرُ اللَّه ـ تعالى ـ إلى رجل أتى رجلًا، أو امرأة في الدُّبُر»**[(١)].

*وقال رسول اللَّه ﷺ: **«إن الذي يأتي امرأته في دُبرها لا ينظر اللَّه إليه يوم القيامة»**[(٢)].

*وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ملعون من أتى امرأة في دبرها»**[(٣)].

*وقال رسول اللَّه ﷺ: **«إتيان النساء في أدبارِهِنَّ حرام»**[(٤)].

---

(١) **صحيح**: مرَّ تخريجه.

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٩١).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٤، ٤٧٩)، وأبو داود (٢١٦٢)، وابن ماجه (١٩٢٣)، وعبدالرزاق في مصنفه (٢٠٩٥٢)، وابن أبي شيبة (٤/ ٢٥٣)، والدارمي (٢٦٠٨)، والبيهقي في سننه وفي الشعب عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٨٩). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٣٨٨): إسناده صحيح، وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد (٦/ ٢٢١): إسناده صحيح. وَجَوَّدَ الألباني حديثه في «آداب الزفاف» (ص ٢٠٥).

(٤) **صحيح**: أخرجه النسائي عن خزيمة بن ثابت، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٨٧٣)، و«صحيح الجامع» رقم (١٢٦).

* وقال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها**»[(١)].

* وقال رسول الله ﷺ: «**من أتى بهيمة**[(٢)] **فاقتلوه واقتلوها معه**»[(٣)].

* وعن جابر رضي الله عنه: «**نهى رسول الله ﷺ عن محاشِّ النساء**»[(٤)].

ومن أتى زوجته في الدُّبُر عُزِّر، وإن تَطَاوَعَا عليه، أو أكرهها، ونهي فلم يَنْتَهِ فُرِّقَ بينهما.

قال ابن تيمية: كما يُفرَّق بين الرجل الفاجر ومن يفجر به[(٥)].

* ولقد كُذِبَ على جَمْعٍ من التابعين والعلماء؛ فنُسِبَ إليهم القول بحِلِّ إتيان المرأة في الدُّبُر، ومنهم: سعيد بن المسيب ونافع وابن الماجشون ومالك، ونسبوا إلى مالك كتابًا «**سموه كتاب السِّر**»، وحُذَّاق أصحابه ومشايخهم يُنكرونه:

عن إسماعيل بن روح: سألت مالك بن أنس: ما تقول في إتيان النساء في أدبارهن؟ قال: ما أنتم إلا قوم عرب، هل يكون الحرث إلَّا موضع الزرع؟! لا تعدوا الفرج. قلت: يا أبا عبدالله! إنهم يقولون: إنك تقول ذلك! قال: يكذبون عَلَيَّ، يكذبون عَلَيَّ».

فهذا هو الثابت عنه، وهو قول أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأصحابهم قاطبة، وهو قول سعيد بن المسيب وأبي سلمة، وعكرمة، وطاوس،

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٠٢).

(٢) أي: جامعها.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٣٨).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٣٥١) رقم (٧٧١٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٥٢٤ رقم (٢٣٩٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٩٨٠).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٦٧)، وانظر: «الذخائر لشرح منظومة الكبائر» للسَّفاريني الحنبلي (ص ٤٠٦) - تحقيق وليد بن محمد العلي - دار البشائر.

وعطاء، وسعيد بن جبير، وعروة، ومجاهد، والحسن، وغيرهم من السلف)[1].

وهذا الفعل يُورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه، ويُورث من المهانة والسِّفال والحقارة ما لا يورثه غيره، ويكسو العبد من حُلَّة المقت والبغضاء والاحتقار والاستصغار له ما هو مشاهد بالحس، ويُخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع منكوس؛ فينتكس القلب والعلم، ويذهب بالحياء فيموت القلب - عياذًا بالله من ذلك.

ولقد أثبت الطب في هذا العصر أن أكثر من (٧٠٪) من الرجال يصابون بمرض نقص المناعة المكتسبة إذا أتى المرأة في دبرها[2].

(١٣) المنَّان رجلًا كان أم امرأة

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**»، فقالها رسول الله ﷺ ثلاث مرار؛ فقلت: خابوا وخسروا، مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «**المنَّان، والمنفق سلعته بالحلف**[3]، **والمُسبِل إزاره**»[4].

* وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل**[5] **إزاره، والمنان الذي لا يُعطي شيئًا إلَّا مِنَّة، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»[6].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٢ - ٣٢٣) طبعة: مكتبة أولاد الشيخ.

(٢) انظر: «مدخل إلى الطب الإسلامي ص ١٥٧» للدكتور علي مطاوع.

(٣) أي: المكثر طلاب بضاعته بالقسم الكاذب.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦)، وأبو داود (٤٠٨٧)، والترمذي (١٢٢٩)، والنسائي (٧/ ٢٤٦)، وأحمد (٥/ ١٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٦٥).

(٥) **المسبل إزاره**: الذي يُرخيها تحت كعْبيْه.

(٦) أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة عن أبي ذر.

* وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا: عاقٌّ، ومنَّان، ومُكذِّب بالقدر**»(١).

* وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديْه، والمرأة المترجِّلة المتشبِّهة بالرجال، والدَّيوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديْه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»(٢).

* وقال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة: منَّان، ولا عاق، ولا مدمن خمر**»(٣).

رجل منان.. يا لشؤمه حين يُحرم من نظر الرحمن.. وامرأة منانة يالخسارتها حين لا ينظر إليها ربها.

قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]: أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى كما تَبْطُلُ صدقة مَنْ راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة لِيُذْكَرَ بين الناس، أو يُقال: إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله - تعالى - وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه»(٤).

وَمَنْ مَنَّ بمعروفه سقط شكره، ولا خير في المعروف إذا أُحصي.

* * *

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٢) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٣) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٨).

(١٤) المُسْبل إزاره.. المختال في مشيته

مَرَّ الحديث.

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله - تعالى - إلى مَنْ جرَّ ثوبه خُيَلاء**»(١).

الخيلاء، والمخيلة، والبطر، والزهو، والكِبْر، والتبختر كلها بمعنى واحد، وهو حرام.

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خيلاء متكبرًا جبَّارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك، يبغضك الله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال، مُعْجَبٌ في نفسه، فخور؛ أيْ: على غيره(٢).

* قال رسول الله ﷺ: «**إزرة المؤمن إلى نصف الساق، ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبيْن، وما كان أسفل من الكعبيْن فهو في النار، ومَنْ جرَّ إزاره بطرًا، لم ينظر الله إليه**»(٣).

* وقال رسول الله ﷺ: «**إن الذي يجر ثيابه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٨٢) برقم (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥)، وأحمد (٢/ ١٠)، والترمذي (١٧٣٠)، وابن ماجة (٣٥٦٩)، والبيهقي (٢/ ٢٤٤) في سننه الكبرى.
ومن حديث أبي سعيد الخدري: أخرجه البخاري (٧/ ١٨٣)، وأبو داود (٣٥٧٣)، وابن ماجه (٣٥٧٤)، والبغوي (١٢/ ١٢) في شرح السنة.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه مالك، وأحمد في مسنده، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبَّان، والبيهقي في سننه عن أبي سعيد.

(٤) أخرجه مسلم، والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر.

* وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى مُسبل إزاره**»(١).

* وقال ﷺ: «**إن اللَّه ـ تعالى ـ لا ينظر إلى مَنَ يجر إزاره بطرًا**»(٢).

* وقال ﷺ: «**من أسبل إزاره في صلاته خيلاء، فليس من اللَّه في حلٍّ ولا حرام**»(٣).

* وقال ﷺ: «**مَنْ جَرَّ إزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة، فإن اللَّه لا ينظر إليه يوم القيامة**»(٤).

* وقال ﷺ: «**من جَرَّ ثوبه خيلاء، لم ينظر اللَّه إليه يوم القيامة**»(٥).

* وقال ﷺ: «**لا ينظر اللَّه يوم القيامة إلى مَنْ جَرَّ إزاره بطرًا**»(٦).

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، مَنْ جَرَّ منها شيئًا خيلاء، لم ينظر اللَّه إليه يوم القيامة**»(٧).

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**اتق اللَّه ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولوْ أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار؛ فإن إسبال الإزار من المخيلة، ولا يحبها الله، وَإِن امرؤ شتمك وَعَيَّرَكَ بأمر**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، والنسائي عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٦٣).

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٠١٢)، وصحيح أبي داود (٦٤٧).

(٤) رواه مسلم عن ابن عمر.

(٥) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عمر.

(٦) رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة.

(٧) **صحيح**: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عمرو، وصححه النووي في «رياض الصالحين» (ص٣٤٨)، والسيوطي في «الحاوي» (٢/ ١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٧٧٠)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٧٧١).

ليس هو فيك، فلا تعيِّره بأمر هو فيه، وَدَعْهُ يكون وَبَالُهُ عليه، وأجره لك، ولا تسبَّن أحدًا»[1].

* وقال ﷺ: «لا تَسبَّنَّ أحدًا، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أَبَيْتَ إلى الكعبيْن، وإياك وإسبال الإزار؛ فإنه من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وَإنِ امرؤ شتمك وَعَيَّرك بما يعلم فيك، فلا تعيِّره بما تعلم فيه، فإنما وَبَالُ ذلك عليه»[2].

* وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ وطئ على إزار خيلاء، وَطِئَهُ في النار»[3].

وقفة هامة

مَرَّ حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثوبه خُيَلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة»؛ فقال أبو بكر رضي الله عنه: «يا رسول الله، إنَّ إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده. فقال: «إنك لستَ ممن يفعله خيلاء»[4].

كثير من العوام يقول: إننا لسنا ممن يجرُّ ثوبه خيلاء، فنحن كأبي بكر في هذه الحادثة! وهذا الكلام مردود عليه بالآتي:

- **أولًا**: ما ذكره ابن حجر في «**الفتح**» (١٠/ ٢٥٥): أن سبب الاسترخاء الوارد في الحديث نحافة جسم أبي بكر رضي الله عنه.
- **ثانيًا**: أن أبا بكر كان محافظًا عليه، لا يسترخي؛ لأنه كلما كاد أن يسترخي

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطيالسي، وابن حبان عن جابر بن سليم الهجيمي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٧٧٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٩٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود عن جابر بن سليم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١٠٩)، (١٣٥٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٣٠٩).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد عن هُبيْب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٥٩٢).

(٤) رواه البخاري.

شدَّه.

- **ثالثًا**: إن كان أبو بكر لا يعرف هل هو منهم أم لا؟ فكيف بمن هو دونه؟ هل يزكي نفسه، ويضعها فوق منزلة أبي بكر؟ ولسنا معنا شهادة من رسول اللَّه ﷺ كشهادته لأبي بكر؟!.
- **رابعًا**: قال ابن حجر: «وفي الأحاديث: أن إسبال الإزار لخيلاء كبيرة، وأما الإسبال لغير الخيلاء، فظاهر الحديث تحريمه أيضًا، وكذا قال ابن عبدالبر والنووي، غير أن النووي قال بالكراهة لغير الخيلاء.
- **خامسًا**: قال ابن العربي: لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول: لا أجرُّه خيلاء؛ لأن النهي قد تناوله لفظًا، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حُكْمًا أن يقول: لا أمتثله؛ لأن تلك العلَّة ليست فِيَّ، فإنها دعوى غير مسلَّمة، بل إطالة ذيله دالة على تكبره....» اهـ من الفتح.
- **سادسًا**: أن أبا بكر لم يتخذ ثوبًا طويلًا، فقال له النبي ﷺ: «**إنك لا تفعل ذلك خيلاء**»؛ وإنما كان قوله ﷺ جوابًا لقوله بأنه يسقط الثوب عنه، فيصبح كما لو أطال ذيله؛ فأجاب الرسول ﷺ بأن هذا أمرٌ لا تُؤاخذ عليه؛ لأنك لا تفعله قصدًا ولا تفعله خيلاء.

فلذلك لا يجوز أن نُلحق بأبي بكر ناسًا يتعمَّدون إطالة الذيول، ثم يقولون: (نحن لا نفعل ذلك خيلاء)؛ فحادثة أبي بكر لا تشهد لهؤلاء مطلقًا.

- **سابعًا**: فضل الصديق أبي بكر وإيمانه أثقل في الميزان من إيمان الأمة، ومع ذلك خاف من عقاب اللَّه عندما كان إزاره يسترخي دون قصد منه، وكان يتعاهده، فهل يستوي هذا مع مَنْ يذهب إلى الخيَّاط ويوصيه بإطالة الثوب أسفل الكعبينْ، فهذا متعمد وعاص على بيِّنة.
- **ثامنًا**: أن الذي يطيل ثوبه أسفل الكعبين متشبِّه بالنساء؛ لأن إطالة الثوب من فعل النساء، وهو أمر واجب في حقهن، وقد نُهينا عن التشبه بهن.

(١٥) البائع المنفق سلعته بالكذب[١]

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يُزكيهم، ولهم عذابٌ أليم: المسبل إزاره، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»[٢].

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع؛ فإنه ينفق ثم يمحق**»[٣].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٤] أي: خديعة، وغلًّا، وغشًّا.

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: مَرَّ أعرابي بشاةٍ، فقلتُ: تبيعنيها بثلاثة دراهم؟ قال: لا والله. ثم باعنيها، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**باع آخرته بدنياه**»[٤].

*وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة**»[٥].

(**الحلف**): أيْ: اليمين الكاذبة (**منفقة للسلعة**): هو رواج السلعة وكثرة المشترين لهم رغبة فيها، (**ممحقة للبركة**) أي: تنقص وتمحو وتبطل بركة السلعة حقيقة.

---

(١) ذكره ابن النحاس ككبيرة مستقلة عن «اليمين الغموس» في كتابه «تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب «بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف» (١/ ١٠٢ رقم ١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٠٧)، وأحمد (٥/ ٢٩٧، ٣٠١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٠) في مصنفه، والنسائي (٧/ ٢٤٦)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٥/ ٢٦٥).

(٤) **حديث حسن**: أخرجه ابن حبان (٤٨٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)، وأحمد (٢/ ٢٣٥)، (٤١٣)، وأبو داود (٣٣٣٥)، والنسائي (٧/ ٢٤٦)، والبغوي (٢٠٤٦) في «شرح السنة»، والبيهقي (٥/ ٢٦٥) في سننه الكبرى.

(١٦) امرأة لا تشكر لزوجها

* عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه**»(١).

فهي جاحدة لفضله منكرة لمعروفه، لا تُقَدِّرُهُ ولا تعرف حقه، ولا تصبر معه على الشدائد.

*قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر النساء تصدَّقْنَ؛ فإني أُريتكن أكثر أهل النار**» قلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**»(٢) أي: تجحدن حق الزوج؛ إن أحسن إليها الدهر كله، ثم وقع في إساءة واحدة، قالت له: وهل رأيتُ منك خيرًا قط.

*وقال رسول الله ﷺ: «**اثنان لا تجاوز صلاتهما رءوسهما: عبدٌ آبق من مواليه حتى يرجع، وامرأة عَصَتْ زوجها حتى ترجع**»(٣).

*وقال ﷺ: «**ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي (٢٤٩) و(٢٥٠) في عِشرة النساء، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٠)، (٤/ ١٧٤) وصححه، وأقرَّه الذهبي، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٧/ ٢٩٤)، والخطيب (٩/ ٤٤٨) في تاريخ بغداد، والبزار، والطبراني، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٠٩): ورجال البزّار رجال الصحيح. وابن عبدالبر في «التمهيد» (٣/ ٣٢٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٧) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٢/ ٦٥)، وأبو داود (٤٦٧٩)، والنسائي (٣/ ١٨٦)، وابن ماجه (٤٠٠٣) عن ابن عمر.

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٨٨)، و«صحيح الجامع» رقم (١٣٦).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي عن أبي أمامة، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥٧) وتخريج المشكاة رقم (١١٢٢).

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق مِن غير ما بأسٍ، فحرامٌ عليها رائحة الجنة**»(١).

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تُصبح**»(٢).

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**انظري أين أنت منه؟ فإنما هو جنَّتك ونارك**»(٣).

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيًا، وأَمَة أو عبدٌ أَبِق**(٤) **من سيده فمات، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرَّجت بعده، فلا تسأل عنهم**»(٥).

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحدٍ، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها**»(٦).

* وقال ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وابن حبان، والحاكم عن ثوبان، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٣٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٧٠٦).

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، عن أبي هريرة.

(٣) **حسن**: رواه ابن سعد في «طبقاته» والطبراني في «الكبير» عن عمَّةِ حصين بن محصن، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٥٠٩)، وانظر الترغيب (٣/ ٧٤).

(٤) أبق: هرب.

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري في الأدب، وأبو يعلى، والطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن فضالة بن عُبيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥٨).

(٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي عن أبي هريرة، وأحمد في مسنده عن معاذ، والحاكم في «المستدرك» عن بريدة، وصححه الألباني في «الإرواء» رقم (١٩٩٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٢٩٤).

كله، حتى لو سألها نفسها(١) وهي على قتَب(٢) لم تمنعه»(٣).

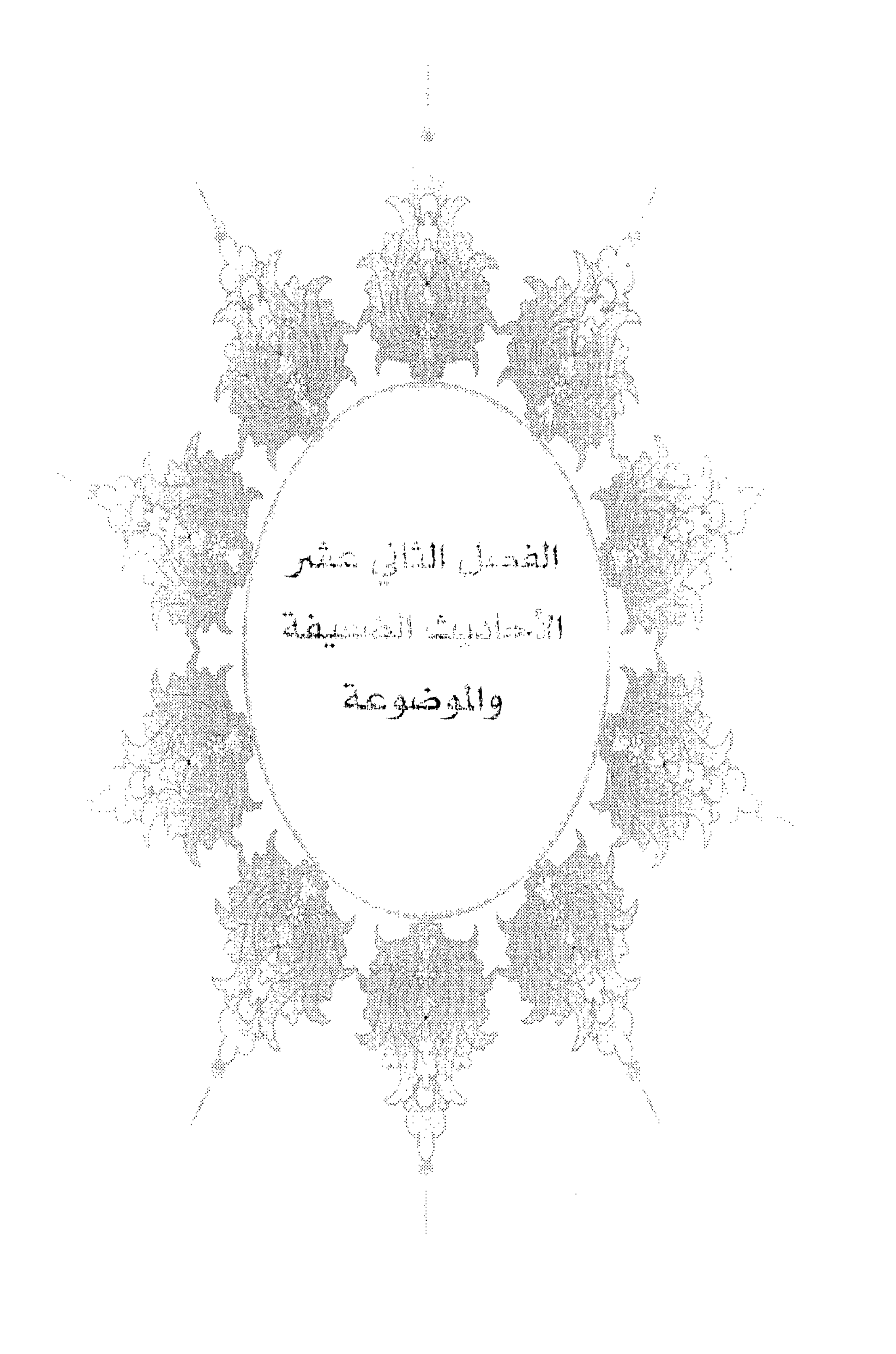
* وقال رسول الله ﷺ: «**لا تُؤذي امرأة زوجها في الدنيا؛ إلَّا قالت زوجته من الحور العين: لا تُؤذيه قاتلك الله، فإنما هو دخيل(٤)، يوشك أن يفارقك إلينا**»(٥).

● ونختم بهذا الحديث النبوي الكريم:

* قال رسول الله ﷺ: «**لا يصلح لبشرٍ أن يسجد لبشرٍ، ولو صَلَح أن يسجد بشرٌ لبشرٍ، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها مِنْ عظم حقِّه عليها، والذي نفسي بيده، لو أَنَّ من قدمه إلى مَفرق رأسه(٦) قرحة تنْبجس(٧) بالقيح والصديد ثم أقبلت تلحسه(٨) ما أَدَّتْ حقه**»(٩).



(١) أي: سألها الجماع.
(٢) **قتيب**: مكان تجلس عليه للولادة.
(٣) **حسن**: رواه أحمد في مسنده، وابن ماجه، وابن حبَّان عن عبدالله بن أبي أوفى، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (١٩٩٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٢٩٥).
(٤) **دخيل**: ضيف ونزيل.
(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد، والترمذي عن معاذ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٧١٩٢).
(٦) **مفرق رأسه**: أي وسطها، وهو موضع فَرْق شعره، وهو أعلى شيء في البدن.
(٧) **تنبجس**: تنفجر.
(٨) **تلحسه**: أي: بلسانها غير متقذرة لذلك.
(٩) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده، والنسائي عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٧٢٥).



الفصل الثاني عشر
الأحاديث الضعيفة والموضوعة



الفصل الثاني عشر

الأحاديث الضعيفة والموضوعة

❑ **هذه أحاديث ضعيفة وموضوعة نحذِّر منها إخواننا من طلبة العلم والوعاظ من باب «النصيحة في الدين».**

وأكحل جفون القلب بالوحيينْ وأحذر كحلهم يا كثرة العُميان

(١) (إن اللَّه ـ تعالى ـ ينزل كل ليلة جمعة إلى دار الدنيا في ست مئة ألف مَلَك، فيجلس على كرسي من نور، وبين يديه لوحٌ من ياقوتة حمراء، فيه أسماء من يثبت الرؤية والكيفية والصورة من أمة محمد ﷺ فيُباهي بهم الملائكة، فيقول ـ تبارك وتعالى ـ: هؤلاء عبيدي الذين لم يجحدوني وأقاموا سنَّة نبيِّ، ولم يخافوا في اللَّه لومة لائم، أشهدكم يا ملائكتي وعزتي وجلالي لأدخلنهم الجنة بغير حساب).

- موضوع: ـ انظر «الموضوعات» (١/ ١٢٢)، و«تنزيه الشريعة» (١/ ١٣٨) رقم (١٤) أخرجه الجوزقاني من حديث ابن عباس من طريق أبي السعادات بن منصور وهو وضعه وركَّب له إسنادًا، قال السيوطي: قال الذهبي: فهذا هو الشيخ المجسِّم الذي لا يستحي اللَّه من عذابه إذ كيَّف وافترى».

(٢) (ليلة أسري بي إلى السماء وانتهيت رأيت ربي ﷻ بيني وبينه حجاب نار، فرأيت كل شيء منه حتى رأيت تاجًا مخوصًا من لؤلؤ).

- موضوع: ـ أخرجه الخطيب من حديث أنس مرفوعًا، وفيه قاسم بن إبراهيم الملطي. قال الدارقطني: «كذاب» انظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ٩٧)، (١/ ١٣٧) رقم (١١).

(٣) (أن محمدًا ﷺ رأى ربه ـ تعالى ـ في صورة شاب أمرد من دونه ستر من لؤلؤ،

قدميه أو قال: رِجْليه في خضرة).

- موضوع: ـ انظر: «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعه» للسيوطي (١/ ٣١).

(٤) (أن محمدًا ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض).

- انظر: «التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث» (٢١٢) لبكر بن عبدالله أبو زيد.

(٥) (أنه رأى رب العالمين عز وجل في حظيرة القدس في صورة شاب عليه تاج يلتمع البصر).

- موضوع: ـ انظر: «اللآلئ» (١/ ٣٠).

(٦) (أنه رأى ربه في صورة كذا في المعراج).

- ضعيف: ـ انظر: «رسالة لطيفة في أحاديث متفرقة ضعيفة» للحافظ محمد بن أحمد بن عبدالهادي (٥٧) تحقيق محمد عيد عباس.

(٧) (أنه رأى ربه ـ تعالى ـ في المنام في أحسن صورة شابًّا موفورًا، رجلاه في مخضر، عليه نعلان من ذهب، في وجهه فراش من ذهب).

- موضوع: ـ انظر «الموضوعات» (١/ ١٢٥)، و«مختصر الأباطيل» (٢٠)، و«ترتيب الموضوعات» للذهبي (٢٢).

(٨) (رأى رسول الله ﷺ ربه عز وجل في صورة فذكر أشياء منكرة تركتها).

- انظر: ـ «ذخيرة الحفاظ» (٢٩٣٥).

(٩) (رأيت ربي بِمِنى يوم النفر على جمل أورق عليه جبة صوف أمام الناس).

- باطل: ـ أخرجه ابن عساكر من حديث لقيط بن عامر من طريق أبي علي الأهوازي. وقال فيه: كتبه الخطيب عن الأهوازي تعجبًا من نكارته وهو باطل. انظر «تنزيه الشريعة المرفوعة» (١/ ١٤٦). وأبو علي الأهوازي أحد الكذّابين.

(١٠) (رأيت ربي يوم عرفة بعرفات على جمل أحمر عليه إزاران وهو يقول: قد سمحت، قد غفرت إلَّا المظالم. فإذا كان يوم المزدلفة لم يصعد إلى السماء حتى إذا وقفوا عند المشعر قال: غفرت حتى المظالم. ثم يصعد إلى السماء وينصرف الناس إلى منى).

* موضوع: - أخرجه أبو علي الأهوازي وهو أحد الكذَّابين من حديث أسماء، فقبح اللَّه واضعه.
* انظر: - «تنزيه الشريعة» (١/ ١٣٩)، و«الموضوعات» (١/ ١٢٤ - ١٢٥).

(١١) (رأيت ربي في المنام في أحسن صورة شابًّا موفرًا، رجلًا في خضرة، عليه نعلان من ذهب، على وجهه فراش من ذهب).

* ضعيف: - رواه الخطيب من حديث أم الطفيل، وفيه عمارة بن عامر؛ ذكره البخاري في الضعفاء، وقال ابن حبان: لم يسمع من أم الطفيل. وفيه أيضًا مروان بن عثمان؛ ضعَّفه أبو حاتم. وقال البيهقي: رُوي من أوجه كلها ضعيفة.
* انظر: - «تنزيه الشريعة» (١/ ١٤٥).

(١٢) (رأيت ربي - تعالى - في صورة شاب أمرد عليه حلة خضراء)

* موضوع: - انظر: «اللآلئ» (١/ ٣٠).

(١٣) - (رأيت ربي جعدًا أمرد عليه حلَّة خضراء).

* انظر: «ذخيرة الحفَّاظ» (٢٩٦٢)، و«الجامع المصنف مما في الميزان من حديث الراوي المضعَّف» (٥٨) لعبدالعزيز بن الصدِّيق الغماري.

(١٤) (رأيت ربي في صورة شاب أمرد وفي رجله قبقاب).

* موضوع: - انظر: «اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» لأبي المحاسن القاوقجي (٢١٤).

(١٥) - (طال شوق الأبرار إلى لقائي)

- موضوع: - انظر: «تذكرة الموضوعات» (١٩٦) لمحمد طاهر الفتني الهندي.

(١٦) (إن الله أعطى موسى الكلام، وأعطاني الرؤيا، وفضّلني بالمقام المحمود والحوض المورود).

- أخرجه ابن الجوزي من حديث جابر بن عبدالله، وفيه محمد بن يونس الكديمي؛ قال ابن عدي: اتُّهم بالوضع، وقال ابن حبّان: كان يضع على الثقات.
- انظر: - «تنزيه الشريعة المرفوعة» (١/ ١١٦، ٣٢٥) رقم (٧).

(١٧) (احتجب ربنا - تبارك وتعالى - عن جميع خلقه بأربع: نار وظلمة، ثم بنور فظُلْمة من فوق السماوات السبع، والبحر الأعلى فوق ذلك كله تحت العرش).

- موضوع: - انظر «اللآلئ» (١/ ١٦).

(١٨) (عن زرارة بن أوفى أن النبي ﷺ سأل جبريل: «هل رأيت ربك؟ فانتفض جبريل وقال: يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجابًا من نور، لو دنوت من أدناها لاحترقت).

- ضعيف: - لإرساله؛ لأن زرارة بن أوفى تابعي. انظر «الرد على الجهمية» للدارمي (ص٦١).

(١٩) - (إن الله بينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب).

- موضوع: - انظر «ترتيب الموضوعات» للذهبي.

(٢٠) - (إن بين الله وبين الخلق سبعين ألف حجاب، وأقرب الحجب إلى الله - تعالى - جبريل وميكائيل وإسرافيل، وإن بينهم وبينه أربعة حجب: حجاب من نار، وحجاب من ظلمة، وحجاب من غمام، وحجاب من الماء).

- ضعيف: ـ أخرجه الدراقطني من حديث سهل بن سعد، وفيه حُبيب بن أبي حَبيب ضعيف هو أخو حمزة الزيات.
- انظر: ـ «تنزيه الشريعة» (١/ ١٤٢)، و«الفوائد المجموعة» (١٢٦٧)، واللآلئ (١/ ١٤).

(٢١) حديث أبي هريرة: (أن رجلًا من اليهود أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، هل احتجب اللَّه من خلقه بشيء غير السماوات؟ قال: نعم؛ بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور، وسبعون حجابًا من نار، وسبعون حجابًا من ظلمة، وسبعون حجابًا من رفارف السندس، وسبعون حجابًا من رفارف الإستبرق، وسبعون حجابًا من درٍّ أبيض، وسبعون حجابًا من درٍّ أحمر، وسبعون حجابًا من درٍّ أصفر، وسبعون حجابًا من ضياء، وسبعون حجابًا من ثلج، وسبعون حجابًا من عظمة اللَّه التي لا تُوصَف).
قال: فأخبرني عن مَلَك اللَّه الذي يليله؟.
فقال النبي ﷺ: «أصدقت فيما أخبرتك يا يهودي؟» قال: نعم. قال: «فإن الملك الذي يليه إسرافيل، ثم جبرائيل، ثم ميكائيل، ثم ملك الموت».

- موضوع: ـ أخرجه أبو نعيم والطبراني. وفيه عبدالمنعم بن إدريس؛ قال أحمد ويحيى: يكذب على وهب، وقال ابن حبان: يضع الحديث.
- انظر: ـ «تنزيه الشريعة» (١/ ٨٢، ١٣٧ ـ ١٣٨)، و«اللآلئ» (١/ ١٨، ١٩)، و«الموضوعات» (١/ ١١٧).

(٢٢) (أن يهـوديًّا أتى النبي ﷺ فقال: هل احتجب اللَّه من خلقه يا محمد بشيء؟ قال: «نعم؛ بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور، وسبعون حجابًا من نار، ثم سرد بعده ثلاثة عشر حجابًا هكذا منها سبعون من در أبيض، وسبعون من در أحمر).

- موضوع: ـ انظر «مختصر الأباطيل والموضوعات» (١٠) للذهبي، و«أحاديث

مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي» (١٠) للذهبي.

(٢٣) (إن لله سبعين حجابًا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أبصره).

- لا أصل له: - انظر: «تذكرة الموضوعات» (١٢)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (١٢٧٩)، و«الأحاديث التي لا أصل لها في كتاب الإحياء» (٢٩١) للسبكي.

(٢٤) (بين الله عز وجل وبين الخلق سبعون ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله عز وجل جبريل وميكائيل وإسرافيل، وإن بينهم وبينه أربعة حجب: حجاب من نار، وحجاب من ظُلمة، وحجاب من غمام، وحجاب من الماء).

- موضوع: - انظر «الموضوعات» (١/ ١١٦)، و«مختصر الأباطيل» (٨)، و«أحاديث مختارة» (٨).

(٢٥) (بينه - تعالى - وبين الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور، وسبعون من ظلمة، وسبعون من كذا).

- موضوع: - «ترتيب الموضوعات» (١٢) للذهبي.

(٢٦) (دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وما تسمع من نفس شيئًا من حُسْن تلك الحُجُب إلَّا زهقت).

- ضعيف: - أخرجه العقيلي من حديث سهل وعبدالله بن عمرو بن العاص. وفيه موسى بن عبيدة ضعيف، وعمر بن الحكم بن ثوبان ضعيف. وتعذَّر الحكم عليه بالوضع؛ لذا قال الذهبي في «تلخيص موضوعات الجوزقاني»: ينبغي أن يُحوَّل من الموضوعات إلى الواهية.
- انظر: - «تنزيه الشريعة» (١/ ١٤٢)، و«الجامع المصنف» (٨٠)، و«اللآلئ» (١/ ١٤، ١٥)، و«الموضوعات» (١/ ١١٦)، و«مختصر الأباطيل» (٩).

(٢٧) (سألت جبريل: هل ترى ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعين حجابًا من نور لو رأيت أدناها لاحترقت).

● ضعيف: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» عن أنس مرفوعًا، وضعَّفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٧٩)؛ والألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٢١٩).

(٢٨) (قال رسول الله ﷺ لجبريل: هل ترى ربك ﷻ؟ قال: إن بيني وبينه لسبعين حجابًا من نار أو نور لو رأيت أدناها لاحترقت).

● انظر «اللآلئ» (١/ ١٥).

(٢٩) (أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام أي بقاع الأرض أشرُّ؟ قال: الله أعلم، قال: ألا تسأل ربك ﷻ؟ قال: ما أجرأكم يا بني آدم! إن الله لا يُسْأَلُ عما يفعل؛ ثم عاد إلى رسول الله ﷺ فقال: إني دنوت من ربي حتى كنت منه بمكان لم أكن قط أقرب منه؛ كنت بمكان بيني وبينه سبعون حجابًا من نور، فأوحى الله ـ تبارك وتعالى ـ إِلَيَّ: «أن شر بقاع الأرض السوق».

● ضعيف جدًّا: أورده أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٧١ ـ ٦٧٢) رقم (٢٦٦)، وعنه السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٦). وفيه علي بن أبي سارة روى له النسائي، وقال أبو داود: اتركوا حديثه، وقال البخاري: في حديثه نظر، وقال أبو حاتم: ضعيف. والحديث بدون ذكر الحجاب صحيح.

(٣٠) (عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: وقف جبريل على رسول الله ﷺ؛ فقال له رسول الله ﷺ: يا جبريل اسأل ربك: أي البقاع خير؟ وأي البقاع شر؟ فاضطرب جبريل تلقاءه، فقال له عندما أفاق: يا محمد! هل يُسْأَلُ الرب؟ الرب أجل وأعظم من ذلك. ثم غاب عنه جبريل ثم أتاه، ثم قال له: يا محمد! لقد وقفت اليوم موقفًا لم يقفه ملك قبلي، ولا يقفه ملك بعدي؛ كان

بيني وبين الجبار - تبارك وتعالى - سبعون ألف حجاب من نور، الحجاب يعدل العرش والكرسي والسماوات والأرض بكذا وكذا ألف عام، فقال: أخبر محمدًا ﷺ أن خير البقاع المساجد، وخير أهلها أولهم دخولًا وآخرهم خروجًا، وشر البقاع الأسواق، وشر أهلها أولهم دخولًا وآخرهم خروجًا).

- موضوع: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٧٤ - ٦٧٥) رقم (٢٦٧)، وعنه السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٧)، ولا يوجد فيه: «فاضطرب جبريل........ أعظم من ذلك».
- كما أنه لا يوجد فيه ذكر خير أهل المساجد وشر أهل الأسواق.
- قال السيوطي: «وفيه عثمان بن عبدالله الأموي، وهو متهم بالوضع».

(٣١) (من رأى ربه عز وجل في المنام دخل الجنة).

- انظر: «ذخيرة الحفاظ» (٥٣٠١).

(٣٢) (والذي نفسي بيده إن دون الله - تعالى - يوم القيامة سبعين ألف حجاب، إن منها لحُجُبا من ظلمة ما ينفذها شيء، وإن منها لحُجُبًا من نور ما يستطيعها شيء، وإن منها لحُجُبًا من ماء لا يسمع حسَّ ذلك الماء أحد إلا يربط الله على قلبه).

- موضوع: عن عبدالله بن عمرو بن العاص موقوف عليه - انظر «اللآلئ» (١/ ١٥ - ١٦).

(٣٣) (والذي نفسي بيده إن دون الله عز وجل يوم القيامة سبعين ألف حجاب، منها حجاب من ماء، وحجاب من نور، وحجاب من ظلمة).

- موضوع: عن عبدالله بن عمرو بن العاص موقوفًا عليه - انظر «اللآلئ» (١/ ١٥).

رؤية الله في الجنة

(٣٤) (إذا أسكن اللَّه أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ، فهبط - تبارك وتعالى - في الجنة في كل جمعة في كل سبعة آلاف سنة مرَّة قال: وفي القرآن ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ من أيام الآخرة، فيهبط إلى مرج الجنة، فيمدُّ بينه وبين أهل الجنة حجابًا من نور، فيبعث جبريل إلى أهل الجنة فيأمر فليزوروه، فيخرج رجل في موكب عظيم حوله صفق أجنحة الملائكة ودويٌّ تسبيحهم والنور بين أيديهم أمثال الجبال، فيمدُّ أهل الجنة أعناقهم فيقولون: من هذا الذي قد أُذن له على اللَّه؟ فتقول الملائكة: هذا المجبول بيده، والمنفوخ فيه من روحه، والمعلم الأسماء، والمسجود له من الملائكة الذي أُبيح له الجنة، هذا آدم قد أُذِن له على اللَّه ﷻ. ثم يخرج رجل في مثل موكبه حوله دويُّ تسبيح الملائكة ورفع النور أمامهم، فيمدُّ أهل الجنة أعناقهم فيقولون: من هذا الذي قد أُذن له على الله؟ فتقول الملائكة: هذا المصطفى لوحيه، والمؤتمن لرسالته، والمبعوث بنبوَّته، والمجعول النار عليه بردًا وسلامًا، هذا إبراهيم خليل رب العالمين، والخليل الذي يعدُّ خليله شيئًا. ثم يخرج رجل آخر في مثل موكبه حول دويٌّ من تسبيح الملائكة والنور أمامهم، فيمد أهل الجنة أعناقهم يقولون: من هذا الذي أُذن له على اللَّه؟ فتقول الملائكة: هذا الذي اصطفاه لنفسه ألقى عليه محبته، وليَّنَ له الحجر، وأنزل عليه المَنَّ والسلوى وظلل الغمام، وقرَّبه نجيًّا، وأعطاه الألواح فيها كل شيء، وكَلَّمه تكليمًا، هذا موسى بن عمران قد أُذن له على الله. ثم يخرج رجل آخر في مثل موكب آدم - عليه الصلاة والسلام - وموكب إبراهيم وموكب موسى وجميع مواكب أهل الجنة حوله دويُّ تسبيح الملائكة ورفع النور أمامهم؛ فيمدُّ أهل الجنة أعناقهم

فيقولون: من هذا الذي قد أُذن له على الله ﷻ؟ فتقول الملائكة: هذا المصطفى لوحيه، المؤتمن لرسالته، المبعوث بنبوته، خاتم الأنبياء والرسل، وصاحب لواء الحمد، وأول من تنشق الأرض عن ذوائبه، سيد ولد آدم - عليه الصلاة والسلام - وأعظم الأنبياء حوضًا وأكثرهم واردة، وأول شافع وأول مُشَفَّع، هذا أحمد ﷺ قد أُذن له على الله ﷻ. ثم يخرج كل نبي وأمته، فيخرج الصِّدِّيقون والشهداء على قدر منازلهم حتى يحفُّوا حول العرش فيقول لهم الله ﷻ بلذاذة صوته وحلاوة نغمته: مرحبًا بعبادي وخلقي ووفدي وزوَّاري وجيراني أكرموهم. فتنهض الملائكة، فتطرح للأنبياء منابر النور، وللصديقين سررًا من نور، وللشهداء كراسي من نور، وسائر الأنبياء على كثبان المسك، وليست الملائكة من الجنة في شيء؛ لا يأكلون فيها أكلة، ولا يشربون فيها شربة، خُلقوا للعبادة في الدنيا والآخرة، شهِي إليهم التسبيح كما شهي إلى بني آدم الشهوات، قال: ههنا في الوحي ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ .... ثم يقول: «مرحبًا بعبادي وخلقي ووفدي وزوَّاري وجيرانِي أكلوا وشربوا، وفكهوا وكسوا، وطيبوا، وعزتي وجلالي لأريَنَّهم وجهي. فيتجلَّى لهم رب العزَّة ﷻ فيقول: السلام عليكم يا عبادي انظروا إلَيَّ قد رضيت عنكم. فيقولون: سبحانك سبحانك. فتصدع له مدائن أهل الجنة وقصورها، وتتجاوب فصول أشجرها وأنهارها وجميع ما فيها: سبحانك سبحانك فيملئوا الأبصار بالنظر إلى وجهه ﷻ الذي تقطعت الأبصار دونه، والذي تجلَّى للجبل فجعله دكًّا وخرَّ موسى صعقًا، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وأشرقت الأرض بنور وجهه - تبارك وتعالى -؛ فاحتقرو الجنة وجميع ما فيها حين نظروا إلى الله ﷻ، وإلى ذلك انتهى العطاء والمزيد، ثم يحمل العرش إلى الجمعة الأخرى، فيفعل بهم ذلك في كل جمعة».

- موضوع:ـ رواه ابن الجوزي من حديث أنس، وفيه يزيد الرقاشي وضرار بن عمرو ويحيى بن عبدالله الجوهري متروكون. انظر «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٧٨-٣٧٩)، و«اللآلئ» (٢/ ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠)، و«الموضوعات» (٣/ ٢٥٩).

(٣٥) (إن اللَّه يتجلَّى لأهل الجنة في مقدار كل يوم جمعة على كثيب من كافور أبيض).

- موضوع:ـ رواه الخطيب في «التاريخ» (٧/ ٢٢٠) عن أنس مرفوعًا، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» من رواية الخطيب وقال: لا أصل له؛ جعفر بن محمد العطار، وجده عبدالله بن الحكم مجهولان. وأقر السيوطي ابن الجوزي على وضعه، ونقله عنه في «اللآلئ» (٢/ ٤٦٠)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٣١٢٠)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٦٩٤).

(٣٦) (إن اللَّه يتجلَّى لأهل الجنَّة كل يوم على كثيب كافور أبيض).

- موضوع:ـ رواه الخطيب في تاريخه من حديث أنس، وفيه جعفر بن محمد العطَّار عن جده عبدالله بن الحكم عن عاصم أبي علي والثلاثة مجهولون.

(٣٧) (إن اللَّه يتجلَّى للناس عامة، ولأبي بكر خاصة).

- موضوع:ـ انظر «ذخيرة الحفَّاظ» (١٠٠٦)، و«كشف الخفاء» (٧٤٥)، و«اللؤلؤ المرصوع» (١٠٧)، و«المنار المنيف» (٢٣٩)، وتذكرة الموضوعات (٩٣).

(٣٨) (إن اللَّه يتجلَّى للخلائق عامة ويتجلَّى لك خاصة).

- موضوع:ـ انظر: «الموضوعات» (١/ ٣٠٤)، و«ترتيب الموضوعات» (٢١٤، ٢١٥، ٢١٦)، و«اللآلئ» (١/ ٢٨٦).

(٣٩) (إن اللَّه يتجلَّى للمؤمنين، فيقول: سلوني، فيقولون: رضاك).

(٤٠) (إن أهل الجنة إذا دخلوها، نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذنون في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدَّى لهم في

روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر رمن نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دني - على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا.

قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا. قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلَّا حاضره اللَّه محاضرة، حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكِّره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فَبِسَعَةِ مغفرتي بلغتَ منزلتك هذه. فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبًا، لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم. فتأتي سوقًا قد حفَّت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل إلينا ما اشتهينا، ليس يُباع فيها ولا يُشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا. قال: فيُقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه - وما فيهم دني - فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيَّل عليه ما هو أحسن منه؛ وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحبًا وأهلًا، لقد جئتَ وإنَّ لك من الجمال أفضل مِمَّا فارقتنا عليه. فيقول: إنَّا جالسنا ربنا الجبَّار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا).

- ضعيف: - أخرجه الترمذي (٢/ ٨٩ - ٩٠)، وابن ماجة (٤٣٣٦)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (رقم ٧٨٥)، وتمام في «الفوائد» (١٣/ ٢٤١ - ٢٤٢/ ٢) ثم عن أبي هريرة مرفوعًا وقال: «حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه».

وعلَّته: عبدالحميد بن حبيب بن أبي العشرين، أورده الذهبي في الضعفاء. والحديث ضعَّفه الألباني في «الضعيفة» (٦٦، ١٧٢٢)، و«ضعيف الجامع» (١٨٣١)، وضعيف ابن ماجة (٩٤٧).

(٤١) (إن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم إذْ سطع نور فوق رءوسهم أضاءت له أبصارهم؛ فرفعوا رءوسهم فإذا رب العزَّة قد أشرف عليهم، فيقول: السلام عليكم يا أهل الجنة؛ فذلك قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾

- موضوع: انظر «الموضوعات» (٣/ ٢٦١).

(٤٢) (بينا أهل الجنة في مجس لهم إذْ لمع لهم نور غلب على نور الجنة؛ فرفعوا رءوسهم فإذا الرب - تبارك وتعالى - قد أشرف عليهم فقال - سبحانه -: سلوني. فقالوا: نسألك الرضا. فقال: برضائي أحللتكم داري، وأنلتكم كرامتي، وهذا أوانها فسلوا. فيقولون: نسألك الزيارة إليك. فيؤتون بنجائب من نور، تضع حوافرها عند منتهى طرفها، وتقودها الملائكة بأزمتها، فينتهى بهم إلى دار السرور، فينصبغون بنور الرحمن، ويسمعون قوله: مرحبًا بأحبائي وأهل طاعتي. فيرجعون بالتحف إلى منازلهم، ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ۝٣٢﴾.

- موضوع: انظر «اللآلئ» (٢/ ٤٦١).

(٤٣) (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور غلب على نور الجنة؛ فرفعوا رءوسهم فإذا الرب عَزَّ وَجَلَّ قد أشرف عليهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، سلوني. قالوا: نسألك الرضا عَنَّا. فيقول: رضاي أحلَّكم داري. وأنالكم كرامتي، وهذا أوانها، فسلوني. قالوا: نسألك الزيارة إليك. فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر، أزمتها من زبرجد أخضر، فيحملون عليها، تضع حوافرها عند منتهى طرفها حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة. قال: ويأمر

الله بأطيار على أشجار يجاوبن الحور العين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، نحن الخالدات فلا نموت، إنا أزواج كرام لِكرامٍ طبنا وطابوا لنا. ويأمر الله بكثبان من المسك الأذخر فينثرها عليهم، فتقول الملائكة: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. ثم تجيبهم ريح يُقال لها المثيرة، ثم تقول الملائكة: ربنا قد جاء القوم. فيقول الله عز وجل: مرحبًا بالطائعين، مرحبًا بالصادقين، أدخلوهم. فيكشف لهم عن الحجاب، فينظرون إلى الله، وينظر الله إليهم، فينصبغون في نور الرحمن حتى ما ينظر بعضهم بعضًا؛ قال رسول الله ﷺ: فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾.

- موضوع: ـ انظر «ضعيف ابن ماجة» (٣٣) للألباني، و«الموضوعات» (٣/ ٢٦١، ٢٦٢)، و«اللآلئ» (٢/ ٤٦١، ٤٦٢).

(٤٤) (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور؛ فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة: قال: وذلك قول الله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨)﴾ قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في دارهم).

- ضعيف: ـ رواه ابن عدي من حديث جابر، وفيه الفضل الرقاشي، ورواه ابن ماجة والضياء عن جابر، وضعَّفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٦٣)، وانظر «التنزيه» (٢/ ٣٨٤)، و«ترتيب الموضوعات» (١١٤٤ ـ ١١٤٥)، و«اللآلئ» (٢/ ٤٦٠)، و«ذخيرة الحفاظ» (٢٣٧٣)، و«الموضوعات» (٣/ ٢٦١)، و«الوضع في الحديث» (٢/ ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤)، وقد ورد في الثلاثة الأخيرة بلفظ «بينما أهل الجنة» بدلًا من «بينا أهل الجنة».

(٤٥) حديث أنس (أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾

قال: واللَّه ما نسخها منذ أنزلها؛ يزورون ربهم فيُطعمون ويُسْقَوْن وَيُطَيَّبُون ويُحَلَّوْن وتُرفَع الحجب بينهم وبينه فينظرون إليه؛ وذلك قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

- ضعيف: ـ أخرجه الدارقطني من حديث أنس ولا يصح؛ فيه ميمون بن سياه قال ابن حبَّان: لا يُحتج به إذا انفرد، وصالح المريُّ متروك، وقد تعقبه ابن تيمية في رسالته في أن النساء يرين اللَّه ـ تعالى ـ في الدار الآخرة؛ فقال: ميمون بن سياه أخرج له البخاري والنسائي، وقال فيه أبو حاتم: ثقة. وحسبك بهؤلاء الثلاثة، وقال ابن معين: ضعيف. ولكن ابن معين يقول هذا في غير واحد من الثقات، وأما ابن حبان ففيه ابتداع في الجرح معروف» ا.هـ.
- انظر: ـ «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) رقم (٢٦).

(٤٦) (إذا كان يوم القيامة تشقَّقت القبور على قوم، وخلع عليهم الخلع، وقدم لهم النجائب، على ظهرها قباب الدر مفروشة بالعبقري فيقعدون بالقباب قصدًا إلى الرحمن عَزَّ وَجَلَّ وهم الذين قال اللَّه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾**؛ أي: ركبانًا، فيحاسبهم حسابًا يسيرًا، ويؤمر بهم إلى الجنة، فيسلم لهم قصورهم وجواريهم وغلمانهم ووصائفهم وبساتينهم وأنهارهم، فلا إلى جواريهم ينظرون، ولا طعامهم يشتهون، فتقول لهم الحور العين: إيش خبركم؟ فيقولون: إليكم عنا، فما عبدنا اللَّه للدنيا ولا لهذه الدار. فيبعث اللَّه الملك فيقول: الرحمن يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: زروني. فيركبون النجائب، ولُجُمُ النوق عقيان الذهب، فإن هَمُّوا بها طارت، وإن هَمُّوا بها صارت، فتُكشف لهم الحجب والسرادقات، فيقول: مرحبًا بعبادي لأقرَّن عيونًا كانت بالليل تتباكى، لأقيلنَّ جنوبًا كانت بالليل تتجافى؛ لأجيبَنَّ أصواتًا كانت لدى العرش، هاكم أطعموا عبادي. فيقدم إلى كل واحد منهم مائدة ذهب، على المائدة مائة ألف صحفة ذهب، على الصحفة مائة ألف لون ليس**

من لونين تجتمع على طعام واحد، فيأكل واحد منهم مثل ما يأكل في الدنيا سبعين ضعْفًا فيقول الله: يا عبادي أكَلْتُم؟! اسقُوا عبادي. فتدور عليهم الكاسات شرابًا لم يذوقوا في الجنة مثله فيقول: أكلتم وشربتم وتفكهتم؟ اخلعوا على عبادي. فيخلع على كل واحد منهم سبعين حُلَّة، ما من حُلَّة إلَّا تُسَبِّح بأنوع التسبيح، فيقول الرحمن: أكلتم وشربتم وتفكهتم وكُسيتم؟ عطِّرُوا عبادي. فينشر اللَّه سحابًا تُمطر عليهم المسك وريحًا تُسمى المثيرة تثير عليهم العنبر، فيقول الرحمن: يا عبادي أكلتم وشربتم وتفكهتم وكسيتم وعُطِّرتم؟ سلوني! فيقولون: يا مولانا سمعنا الكلام نريد أن نرى الوجه، فيقول: نعم يا عبادي. فتصيح الملائكة بالتسبيح والتهليل والتقديس فيقولون: نحن ملائكتك عبدناك في سمائك حق عبادتك لا نستطيع النظر إليك! فيقول: يا ملائكتي اسكتوا طالما رأيت كرام وجوههم معفرة لي في التراب، وطالما رأيت عيونهم تتباكى في الظلام، وطالما رأيتهم يسعون على أقدامهم إلى المساجد، فحقيق عَلَيَّ أن أزيد أبصارهم قوة على قوَّة، حتى يستطيعوا النظر إِلَيَّ. فيتجلَّى لهم ـ جل ثناؤه ـ ويقول: أبشروا عبادي! فيخرُّون سجَّدًا، ويقولون في سجودهم: ما نريد اليوم الجنة ولا الحور! فيقول الرحمن: ارفعوا رءوسكم، فانظروا إلى وجهي، وتلذَّذوا بكلامي، فما من شيء أُعطوه هو أحب إليهم من النظر إلى وجه اللَّه ـ تعالى).

- موضوع: ـ رواه الصابوني في المائتين من حديث أنس، وفيه إبراهيم بن محمد الخوَّاص الآمدي. قال في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٣): قال ابن طاهر: أحاديثه موضوعة، وقال ابن حجر: وليس هو الزاهد المشهور، ذاك اسم والده أحمد وهو ثقة كما قاله ابن الجوزي» انتهى. انظر: «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(٤٧) (جاء وفد عبد القيس إلى رسول اللَّه ﷺ فكلمه بعضهم وألغى فيه، فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر سمعت ما قالوا؟ قال: نعم يا رسول اللَّه

وفهمته. قال: فأجبهم يا أبا بكر. فأجابهم بجواب وأجاد الجواب، فقال له النبي ﷺ : يا أبا بكر «أعطاك اللَّه الرضوان الأكبر» فقال له بعض القوم: يا رسول اللَّه وما الرِّضوان الأكبر؟ قال: «يتجلَّى اللَّه في الآخرة لعباده المؤمنين عامَّة، ويتجلَّى لأبي بكر خاصة».

- موضوع: - انظر: «اللآلئ» (١/ ٢٨٧).

(٤٨) (جنان الفردوس أربع: جنتان من ذهب؛ حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وجنَّتان من فضة؛ حليتها وآنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن، وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن، ثم تصدع بعد ذلك أنهارًا).

- ضعيف: -أخرجه الطيالسي (٥٢٩)، وأحمد (٤/ ٤١٦)، والدارمي (٢/ ٣٣٣) عن عبداللَّه بن قيس «أبو موسى الأشعري»، وفيه: الحارث بن عبيد الإيادي ضعيف؛ لسوء حفظه، وقد خالفه عبدالعزيز بن عبدالصمد فقال: حدثنا أبو عمران الجوني به، دون قوله في أوله: «جنان الفردوس أربع»، وفي آخره: «وهذه الأنهار تشخب»، أخرجه البخاري (٣/ ٣٤٥، ٤٦٦)، ومسلم (١/ ١١٢)، والترمذي (٢/ ٨٦) وصححه، وابن ماجة (١٨٦)، وأحمد في رواية (٤/ ٤١١)، وابن حبان (٧٣٤٢)؛ فالحديث صحيح بدون هاتين الزيادتيْن.

(٤٩) (قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر: ألا أُبشِّرك برضوان اللَّه الأكبر؟ قال: وما رضوان اللَّه الأكبر يا رسول الله؟ قال: إن اللَّه ﷻ إذا كان يوم القيامة يتجلَّى للناس عامة، ولك خاصة).

- موضوع: - انظر «اللآلئ» (١/ ٢٨٧)، والموضوعات (١/ ٣٠٤ - ٣٠٥).

(٥٠) (النظر إلى وجه اللَّه واجب لكل نبي وصدِّيق وشهيد).

- موضوع: - رواه الديلمي عن علي مرفوعًا، وفيه عمرو بن خالد الأعشى الأسدي

الكوفي اتهمه ابن عدي. انظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ٩٣)، (٢/ ٣٩١).

(٥١) (يا أبا رزين! أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخْلِيًّا به؟ فإنما هو خلق من خلق الله، فاللَّه أجل وأعظم).

- ضعيف: أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجة، والحاكم، وابن أبي عاصم، والطيالسي، وابن حبان، وابن خزيمة عن أبي رزين مرفوعًا، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٦٣٧٤)، ولكنه حسنه في ظلال الجنة (ح ٤٥٩). فيه وكيع بن عدس فيه جهالة كما في التهذيب.

(٥٢) - (أيما والدٍ جحد ولده احتجب اللَّه منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين).

- ضعيف: أخرجه النسائي (٦/ ١٧٩ - ١٨٠)، وأبو داود (٢٢٦٣)، والدارمي (٢/ ١٥٣)، وابن حبان (١٣٣٥ - موارد)، والحاكم (٢/ ٢٠٢ - ٢٠٣) وصححه على شرط مسلم، والشافعي في «الأم» (٥/ ٢٩٠)، والبيهقي (٧/ ٤٠٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٩/ ٢٧٠ - ٢٧١)، عن أبي هريرة، وإسناده ضعيف؛ عبداللَّه بن يونس مجهول كما في التهذيب لابن حجر، ولم يَرْوِ له مسلم كما ذكر الحاكم، ورواه ابن ماجة (٢٧٤٣)، والبغوي (٩/ ٢٧١ - ٢٧٢) من طريق آخر، وقال البوصيري في «الزوائد»: «هذا إسناد ضعيف؛ فيه يحيى بن حرب وهو مجهول، قاله الذهبي في «الكاشف»»، وفيه كذلك موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف؛ وبه أعلَّه البغوي.

(٥٣) عن عمارة القرشي أنه كان عند عمر بن عبدالعزيز، فأتاه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقضى له حوائجه، فلما خرج رجع؛ فقال عمر: أذكر الشيخ؟ فقال له عمر: ما ردك؟ ألم تقض حوائجك؟ قال: بلى ولكن ذكرت حديثًا حدَّثناه أبو موسى الأشعري أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يجمع اللَّه الأمم يوم القيامة في صعيدٍ واحد، فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه، مَثَّلَ لكل قوم ما

كانوا يعبدون، فيدرجونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا ونحن في مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المؤمنون. فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا. فيقول: من أين تعلمون أنه ربكم؟ فيقولون: حدثتنا الرسل ـ أو جاءتنا، أو ما أشبه معناه ـ، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعم إنه لا عدل له. فيتجلَّى لنا ضاحكًا، ثم يقول ـ تبارك وتعالى ـ: أبشروا معشر المسلمين؛ فإنه ليس منكم أحد إلَّا قد جعلت مكانه في النار يهوديًّا أو نصرانيًّا. فقال عمر لأبي بردة: واللَّه لقد سمعتَ أبا موسى يُحدِّث بهذا الحديث عن رسول اللَّه ﷺ؟ قال: نعم).

● إسناده ضعيف: ـ أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)، والآجري (ص٢٦٣)، وابن خزيمة (ص٢٣٦) مختصرًا، وإسناده ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان، وفيه عمارة القرشي نقل الذهبي في «الميزان» (٣/ ١٧٨) تضعيفه عن الأزدي، وذكر له هذا الحديث من مناكيره، وقوله في الحديث: «بدا له» منكر كما ذكر الشيخ الألباني في تعليقه على هذا الحديث في «الصحيحة» (٢/ ٣٩٥)، ولكن الحديث صحيح دون الشطر المذكور.

(٥٤) عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس على هذا المنبر بالبصرة، فقال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من نبي إلا له دعوة تعجَّلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وآدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر»، قال رسول اللَّه ﷺ: «فيطول ذلك اليوم على الناس، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فليشفع لنا إلى ربنا»....وساق الحديث إلى قوله: «فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيُقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فيفتح الباب فآتي ربي وهو على كرسيه ـ أو: على سريره ـ

فيتجلَّى لي ربي فأخرُّ له ساجدًا» وساق أبو سلمة الحديث بطوله إلى آخره).

- إسناده ضعيف: - أخرجه أحمد (١/ ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٥ - ٢٩٦)، وعزاه السيوطي في «الخصائص» (٢/ ٢٢٨) إلى أبي يعلى، وكذلك غزاه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٧٢ - ٣٧٣). وقال: فيه علي بن زيد بن جدعان، وقد وُثِّق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح» ا.هـ، وفي التقريب «ضعيف». وانظر التهذيب في ترجمته؛ لترى أقوال مَن ضعَّفه.

ولكن المتن صحيح؛ فقد صحَّ مقطعًا في الصحيحين أو أحدهما والله أعلم.

(٥٥) (إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجلٌ ينظر في مُلْكه ألفيْ سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر أزواجه وخدمه وسرره، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله - تبارك وتعالى - كل يوم مرَّتين).

- ضعيف: - أخرجه أحمد (٢/ ١٣، ٦٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٩ - ٥١٠) عن ابن عمر مرفوعًا.

وفيه ثُوَيْر بن أبي فاختة. قال الحاكم: «وثُوير، لم ينقم عليه غير التشيُّع»، وتعقَّبه الذهبي بقوله: «قلت: بل هو واهي الحديث»، وضعَّفه الألباني «الضعيفة» رقم (١٩٨٥)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٣٨١).

(٥٦) (إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمن ينظر إلى جنانه وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله مَن ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾».

- ضعيف: - أخرجه الترمذي (٣/ ٣٣٤ - تحفة الأحوذي)، وأبو يعلى (٣/ ١٣٧١، ٤/ ١٣٧٦)، وابن الأعرابي في «الرؤية»، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٩) عن ابن عمر.

وقال الترمذي: ورواه عبدالملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفًا، ورواه عبيدالله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله، ولم

يرفعه. فلا يصح الحديث موقوفًا ولا مرفوعًا. وضعَّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (١٩٨٥)، و«ضعيف الجامع» رقم: (١٣٨٢).

(٥٧) (قال الله: يا جبريل، ما جزاء من سلبت كريمتيه؟ قال: سبحانك، لا عِلْم لنا إلَّا ما علَّمْتَنَا. قال: جزاؤه الخلود في داري، والنظر إلى وجهي).

- لا أصل له: ـ انظر: «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» للسبكي (٣٥٩).

(٥٨) (كنَّا عند رسول اللَّه ﷺ ذات يوم إذ أقبل ابن أم مكتوم، فلما نظر النبي ﷺ إليه رحَّب به، وأدناه، وقرَّبه، وأجلسه إلى جنبه، ثم قال: ألا أحدِّثكم حديثًا؟ حدثنا الروح الأمين عن ربه قال: قال اللَّه ﷻ: يا جبريل هل تدري ما جزاء عبدي إذ أخذت كريمته في الدنيا فصبر واحتسب؟ قال: قلت: إلهي لا أعلم إلَّا ما علَّمتني. قال: يا جبريل جزاؤه النظر إلى وجهي، والخلود في داري. قال أنس: فلقد رأيت أصحاب النبي ﷺ بعد هذا الحديث يتمنون أن تذهب أبصارهم).

- انظر: «ذخيرة الحفاظ» (٤٢٩١).

(٥٩) (يوم القيامة: أول يوم نظرتْ عين فيه إلى اللَّه ﷻ)

- ضعيف: ـ أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٧٥) عن ابن عمر مرفوعًا، وابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٧١). انظر: «الجامع المصنَّف مما في الميزان من حديث الراوي المضعَّف».

(٦٠) عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (آتي يوم القيامة باب الجنة، فيُفتَح لي، فأرى ربِّي، وهو على كرسيه، أو سريره، فيتجلَّى لي، فأخرُّ له ساجدًا).

- ضعيف: ـ أخرجه الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي في «الردَّ على المريسي» (ص١٤)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش».

وإسناده ضعيف، رجاله ثقات، غير علي بن زيد ـ وهو ابن جدعان ـ فإنه

ضعيف كما قال الحافظ في «التقريب».

قال الألباني في «الضعيفة» رقم (١٥٧٩): «وقد ذكره الذهبي في «العلو» من رواية البخاري عن أنس مختصرًا جدًّا، إلا أنه قال: «وأخرجه أبو أحمد العسَّال في «كتاب المعرفة» بإسناد قوي عن ثابت عن أنس... فذكره مثل حديث الترجمة قلت: ولم أقف على إسناده؛ ولذلك لم أتكلم عليه في كتابي «مختصر العلو» (ص٨٧ - ٨٨)، فإذا ثبت بإسناده ولفظه وجب نقله إلى الكتاب الآخر. واللَّه أعلم» انظر «الضعيفة» (٣/ ٨٢).

(٦١) (وعن عبدِاللَّه بنِ عُمَر - رضي اللَّه عنهما - قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأسْفَلِ أهْلِ الجنَّةِ دَرجَةً؟»

قالوا: بَلى يا رسولَ الله! قال:

«رَجُلٌ يَدْخُلُ مِنْ بابِ الجَنَّةِ، فيَتَلَقَّاهُ غِلْمانُه، فيقولونَ: مَرْحبًا بسَيِّدنا، قد آنَ لك أنْ تزورَنا. قال: فَتُمَدُّ له الزرابيُّ أرْبعين سنَةً، ثُمَّ يَنْظُرُ عنْ يمينِه وشِمالِه، فيرى الجِنانَ، فيقول: لمَنْ ما ههُنا؟ فيقالُ: لكَ. حتى إذا انتهى رُفِعَتْ له ياقوتَةٌ حمْراءُ، أو زَبَرْجَدَةٌ خَضْراءُ، لها سبْعونَ شِعْبًا، في كلِّ شِعْبٍ سبعونَ غُرْفَةً، في كلِّ غرفَةٍ سبْعون بابًا، فيقالُ: اقْرَأْ وارْقَ. فيَرْقَى حتَّى إذا انْتَهى إلى سريرِ مُلْكِه اتَّكَأَ عليهِ، سعَتُهُ ميلٌ في ميل، له فيه قُصورٌ، فيُسْعَى إليه بسبعينَ صحْفَةً مِنْ ذهَبٍ، ليسَ فيها صحْفَةٌ فيها مِنْ لوْنِ أخْتِها، يَجدُ لذَّةَ آخِرِها كما يجِدُ لذَّةَ أوَّلِها، ثمَّ يُسْعَى إليه بألْوانِ الأَشْرِبةِ، فيَشْرَبُ منْها ما اشْتَهى، ثُمَّ يقولُ الغِلْمانُ: اتْركوهُ وأزْواجَهُ. فينْطلِقُ الغِلْمانُ، ثُمَّ يَنْظُرُ؛ فإذا حَوْراءُ مِنَ الحورِ العينِ جالِسَةٌ على سرير مُلْكها، عليها سبعونَ حُلَّةً، ليسَ مِنْها حُلَّةٌ مِنْ لَوْنِ صاحِبَتِها، فيُرى مُخُّ ساقِها مِنْ وراءِ اللَّحْمِ والدمِ والعَظْمِ، والكسْوَةُ فوقَ ذلك، فينظُرُ إليها فيقولُ: مَنْ أنْتِ؟ فتقولُ: أنا مِنَ الحورِ العينِ، مِنَ اللاتي خُبِّئْنَ لكَ. فينظُر إليها أربعينَ سنةً لا يصْرِفُ بَصَره عنها، ثمَّ يَرْفَعُ بصَرهُ إلى

الغرفة فإذا أُخْرى أجمل منها، فتقولُ: ما آنَ لَك أنْ يكونَ لَنا منكَ نصيبٌ؟ فيرتقي إليْها أربعينَ سنةً لا يَصْرِفُ بَصَرَهُ عنها، ثمَّ إذا بلَغَ النعيمُ مِنْهم كلَّ مَبْلَغٍ، وظَنُّوا أنْ لا نعيمَ أفْضَلَ منهُ تجلَّى لهُمُ الرَّبُ ـ تبارَكَ اسْمُه ـ، فيَنْظُرونَ إلى وجهِ الرَّحْمن، فيقولُ: يا أهْلَ الجنَّة! هَلِّلوني. فيَتجاوَبونَ بِتَهْليلِ الرحمنِ، ثُمَّ يقول: يا داود قُمْ فَمَجِّدْني كما كنْتَ تُمَجِّدُني في الدنيا ـ قال: ـ فيُمَجِّدُ داودُ ربَّه ﷻ».

- ضعيف: ـ رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١/ ٣٣٤). وقال المنذري: في إسناده من لا أعرفه الآن.

قال الألباني بعد أن ضعَّف الحديث في «ضعيف الترغيب والترهيب» (رقم ٢١٨٤): «ليس فيه من لا يُعرف إلا شيخ ابن أبي الدنيا (محمد بن عبدالله بن موسى القرشي)، لكنه قد توبع في «منتخب عبد بن حميد» (٢/ ٥١/ ٨٤٩)، لكن الراوي عن ابن عمر (حمَّاد بن جعفر) وهو العبدي البصري مختلف فيه، وقال الحافظ: «لين الحديث، من السابعة»، فهو إسناد منقطع؛ فكان ينبغي إعلاله به» اهـ.

(٦٢) ـ رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إذا سكن أهلُ الجنةِ الجنةَ أتاهم مَلَك فيقول: إن الله يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون. فيأمر الله ـ تعالى ـ داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخُلد» قالوا: يا رسول الله! وما مائدة الخُلْد؟ قال: «زاويةٌ من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون، ثم يُسْقَوْن، ثم يُكْسَوْن، فيقولون: لم يبق إلا النظر في وجه ربنا ﷻ. فيتجلَّى لهم، فيخرون سُجَّدًا؛ فيُقال: لستم في دار عمل، إنما أنتم في دار جزاء».

- ضعيف جدًّا: ـ رواه أبو نُعيم في «صفة الجنة» (٢٢٩/ ٣٩٧) وإسناده وَاهٍ، وفيه خالد بن يزيد، وهو البجلي القسري الأمير؛ قال ابن عدي: «أحاديثه كلها لا

يُتابع عليها، لا إسنادًا ولا متنًا». وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣/ ٥٠٤) رقم (٢٢٤٠): ضعيف جدًّا.

(٦٣) ورُوي عن محمد بن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يُقال لها: (طوبى) لو يُسَخَّر الراكبُ الجواد يسير في ظلها لسار فيه مئة عام، ورقها بُرُود خُضْر، وزَهْرها رياط صُفْر، وأفنانها سندس وإستبرق، وثمرها حُلَل، وصمغها زنجبيل وعسل، وبطحاؤها ياقوت أحْمَرُ وزُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، وترابُها مِسْكٌ وعَنْبَرُ، وكافورٌ أصْفَرُ، وحَشيشُها زَعفرانٌ مَونِعٌ، والأَلَنْجوج[1]، تتأجَّجانِ مِنْ غير وقودٍ، يتفجر مِنْ أصْلِها السَّلْسبيلُ والمعينُ والرحيقُ، وأصلُها مَجْلِسٌ مِنْ مجالِسِ أهْلِ الجنَّةِ يألفونه ومُتَحدَّثٌ يَجْمَعُهم، فبينا هُم يَوْمًا في ظِلِّها يَتَحدَّثونَ إذْ جاءَتهمُ الملائكةُ يقودون نُجُبًا جُبلَتْ مِنَ الياقوتِ، ثُمَّ نُفِخَ فيها الروحُ، مَزْمومَةٌ بِسَلاسِلَ مِنْ ذَهَب، كأَنَّ وجُوهَها المصابيحُ نَضارَةً وحُسْنًا، وبَرُّها خَزٌّ أحْمَرُ، ومِرْعِزَّي[2] أبيضُ مُخْتَلِطانِ، لَمْ يَنْظُرِ الناظِرونَ إلى مِثْلِها حُسْنًا وبَهاءً ذُلُلٌ من غير مَهانَةٍ، نُخُبٌ مِنْ غَيْرِ رِياضَةٍ، عليها رَحائِلُ أَلْواحُها مِنَ الدُّرِّ والياقُوت، مُفَضَّضَةٌ باللؤلؤِ والمَرْجانِ، صَفائِحُها مِنَ الذَّهَبِ الأَحْمَر، مُلَبَّسَةٌ بالعَبْقَرِيِّ[3] والأُرْجُوانِ، فأناخوا لَهُمْ تلكَ النجائِبَ، ثُمَّ قالوا لَهُم: إنَّ ربَّكُمْ يُقْرِئُكُمُ السلامَ، ويَسْتَزيرُكم لِتَنْظُروا إليْهِ ويَنْظُرَ إلَيْكُمْ، وتكَلِّمونَه ويُكَلِّمكم، وتُحَيُّونَه ويُحَيِّيكُمْ، ويَزيدَكم مِنْ

---

(١) الألنجوج: البخور.

(٢) قال الناجي: «بكسر الميم والعين المهملة وفتح الزاي المشددة، وهو الزغب التي تحت شعر العنز».
قلت: الأصل: (شعر العين)، وهو خطأ.

(٣) قيل: هو الديباج. وقيل: البُسُط الموشِيَّة. وقيل: الطنافس الثخان.
و(الأرجوان): الثوب المصبوغ بالأحمر.

فَضْلِه ومِنْ سَعَتِه، إنَّهُ ذو رحْمَةٍ واسِعَةٍ وفَضْلٍ عَظيم، فيتَحَوَّل كلُّ رجُلٍ منهم على راحِلَتِه، ثُمَّ يَنْطَلِقونَ صفًّا مُعْتَدِلًا لا يفوتُ شيءٌ منه شيئًا، ولا تفوتُ أُذُنُ ناقةٍ أُذُنَ صاحبتِها، ولا يَمُرُّونَ بِشَجرةٍ مِنْ أشْجارِ الجَنَّةِ إلا أَتْحَفَتْهُم بثَمرِها، وزَحَلَتْ لَهُم عَنْ طَريقِهِمْ كراهِيَة أنْ يَنْثَلِمَ صَفُّهم، أوْ يُفَرَّقَ بينَ الرجُلِ ورَفيقِه، فلمَّا دُفِعوا إلى الجَبَّارِ - تبارَك وتعالى -؛ أَسْفَرَ لَهُمْ عَنْ وجْهِهِ الكريمِ، وتَجَلَّى لهُمْ في عَظَمَتِه العظيمَةِ، تحيَّتُهم فيها السلامُ، قالو: ربنا أنْتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، ولكَ حقُّ الجلالِ والإكرام. فقال لهُم ربُّهم: إنِّي أنا السلامُ، ومنِّي السلامُ، ولي حقُّ الجَلال والإكْرامِ، فَمَرْحَبًا بِعبادي الَّذينَ حَفظوا وَصِيَّتي، ورَعَوْا عَهْدِي، وخَافُوني بالغَيْبِ، وكانوا منِّي على كلِّ حالٍ مُشْفِقين. قالوا: أَمَا وعِزَّتِكَ وجَلالِك، وعلُوِّ مكانِك. ما قَدَرْنَاك حقَّ قدْرِكَ، ولا أدَّينا إليكَ كلَّ حَقِّكَ، فَائْذَنْ لنا بالسجود لكَ. فقال لهُمْ ربُّهم - تبارَك وتعالى -: إنِّي قد وضَعْتُ عَنْكُمْ مَؤنَةَ العِبَادَةِ، وأرَحْتُ لَكُمْ أبْدانَكُم، فطالَما أَنْصَبْتُم الأبْدانَ وأَعْنَيْتُمْ [لي] الوُجوهَ، فالآن أفْضَيْتُم إلى روحي ورحمتي وكَرامتي، فَسَلوني ما شِئْتُم، وتَمَنَّوا عليَّ أُعْطِكُم أمانِيَّكُمْ؛ فإنِّي لَنْ أجزيكم اليومَ بقَدْرِ أعْمالِكُم، ولكنْ بقَدْرِ رَحمَتِي، وكرامَتي وطَوْلي، وجَلالي وعُلُوِّ مكاني، وعظَمَةِ شأني. فَما يزالونَ في الأَماني والمواهِبِ والعطَايا، حتى أنَّ المقَصِّرَ منهم لَيتَمنَّى مثلَ جَميع الدنيا، منْذُ يوْم خَلقَها اللَّه ﷻ إلى يوم أفْناها! قـال ربُّهم: لقد قَصَّرْتُم في أمانِيِّكُمْ، ورضيتمْ بدونِ ما يَحِقُّ لَكُمْ، فقدْ أوْجَبْتُ لكم ما سأَلْتُم وتَمَنَّيْتُم، [وألحقت بكم ذرِّيتكم] وزِدْتُكم على ما قَصُرَتْ عنهُ أمانِيكُم، فانظُروا إلى مَواهِبِ ربِّكم الذي وَهَب لَكُم. فإذا بِقبابٍ في الرَّفيع الأعْلى، وغُرَفٍ مَبْنِيَّة مِنَ الدرِّ والمرجان، أبوابها من ذهب، وسُرُرُها مِنْ ياقوتٍ، وفُرُشها من سندس وإسْتَبرق، ومنابرها من نورٍ، يَثورُ مِنْ أبوابِها وأعْراصِها نورٌ كشُعاعِ الشمسِ؛ مثلُ الكَوْكَبِ الدرِّيِّ في النارِ المُضيء، وإذا قصورٌ شامِخَةٌ في أعلى عِلِّيِّـنَ مِنَ

الياقُوتِ، يُزْهِرُ نورُها، فَلولا أَنَّهُ سُخِّر لالتَمع الأبْصار، فما كان مِنْ تلك القصورِ من الياقوتِ الأبْيض فهو مفروشٌ بالحرير الأبيض، وما كانَ منها من الياقوت الأحْمَر فهو مفروشٌ بالعَبْقَريِّ الأحمرِ، وما كانَ من الياقوت الأخضر فهو مفروشٌ بالسُّنْدسِ الأخْضَر، وما كان منها من الياقوتِ الأصْفَر فهو مفروشٌ بالأرْجوان الأصْفَر، مُمَوَّه بالزُّمُرُّدِ الأخْضَرِ، والذَّهَب الأحْمَرِ، والفِضَّةِ البَيْضاءِ، قواعِدُها وأرْكانُها مِنَ الياقوتِ، وشُرفُها قِبابُ اللُّؤْلُؤِ، وبُروجُها غُرَفُ المَرجانِ، فلمَّا انْصرفوا إلى ما أَعْطاهُم ربُّهم قُرِّبَتْ لَهُم بَراذينُ مِنَ الياقُوت الأبيضِ، مَنْفُوخٌ فيها الروحُ، بَجَنْبِها الوِلدانُ المُخَلَّدونَ، وبيدِ كلِّ وليدٍ منهم حَكَمَةُ برذونٍ، وأَلْجِمَتُها وأعِنَّتُها مِنْ فِضَّةٍ بيضاءَ مُتَطَوَّقَةٍ بالدرِّ والياقوتِ، وسُرُجُها سُرُرٌ مَوْضونَةٌ، مَفْروشَةٌ بالسُّنْدُسِ والإسْتَبْرَقِ، فانْطلقَتْ بهم تلك البراذينُ تَزِفُّ بِهِم وتَنْظُر رياضَ الجَنَّةِ، فلمَّا انْتَهوا إلى مَنازِلِهِمْ وجَدوا فيها جميعَ ما تَطَوَّلَ بِه ربُّهُمْ عليْهِم مِمَّا سأَلوه وتَمَنَّوْا، وإذا على بابِ كلِّ قَصْرٍ مِنْ تلكَ القصورِ أرْبَعُ جِنانٍ: جنَّتَانِ ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾، وجَنَّتانِ ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾، و﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ و﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ و﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾، فلمَّا تبوَّؤا منازِلَهُمْ، واسْتَقَرَّ بهم قرارُهُمْ قال لَهُمْ رَبُّهم: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾؟ قالوا: نَعَمْ، رضينا فَارْضَ عنَّا. قال: بِرِضايَ عنْكم حَلَلْتُم داري، ونَظَرْتُم إلى وَجْهي، وصافَحَتْكُم ملائِكَتي، فهَنيئًا هَنيئًا عطاءً غيرَ مَجْذوذٍ، ليسَ فيه تنْغيصٌ ولا تَصْريدٌ، فعندَ ذلك ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

- موضوع: - رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم هكذا معضلًا، ورفعُهُ منكرٌ قاله المنذري. وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» رقم (٢٢٤٢):

موضوع وفي إسنادهما (أبو إلياس إدريس بن سنان) وهو متروك؛ كما قال الدارقطني، وهو عندي موضوع، لوائح الصنع والوضع عليه ظاهرة. وقال ابن القيم (٢/ ٣١): «لا يصح رفعه، وحسبه أن يكون من كلام محمد بن علي، فغلط بعض هؤلاء الضعفاء فجعله من كلامه ﷺ» قلت: بل إني أستبعد أن يكون من كلام محمد بن علي أيضًا. واللَّه أعلم.

(الرِّياطُ) بالياء المثناة تحت: جمع (ريطة)؛ وهي: كل ملاءة تكون نسجًا واحدًا ليس لها لِفْقَيْن. وقيل: كل ثوب لين رقيق. حكاه ابن السكيت. والظاهر أنه المراد في هذا الحديث.

(الألَنْجوج) بفتح الهمزة واللام وإسكان النون وجيمين، الأولى مضمومة: هو عود البخور.

(تتأججان): تلتهبان، وزنه ومعناه.

(زَحَلَتْ): بزاء وحاء مهملة مفتوحتين: معناه تنحَّتْ لهم عن الطريق.

(أنْصَبْتُم) أي: أتعبتم، و(النصب): التعب.

و(أعْنَيْتُمْ): هو من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾؛ أي: خضعت وذلَّت.

و(الحكَمَة) بفتح الحاء والكاف: هي ما تقاد به الدابة كاللجام ونحوه.

(المجْذُوذُ) بجيم وذالين معجمتين: هو المقطوع.

و(التَّصْرِيدُ): التقليل؛ كأنه قال: عطاء ليس بمقطوع، ولا منغص ولا متملل.

(٦٤)، ورُوِيَ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (إن أهل الجنة لا يتغوطون ولا يتمخَّطون ولا يُمْنون؛ إنما نعيمهم الذي هم فيه مسك يتحدَّر من جلودهم كالجُمان[(١)]، وعلى أبوابهم كثبان من مسك، يزورون اللَّه ـ جل وعلا ـ في الجمعة مرتيْن، فيجلسون على كراسي من ذهب، مكلَّلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد،

(١) الجُمان: الدر.

ينظرون إلى اللَّه ﷻ وينظر إليهم، فإذا قاموا انقلب أحدهم إلى الغرفة من غرفة لها سبعون بابًا، مُكَلَّلة بالياقوت والزَّبرجد).

- ضعيف جدًّا موقوف: ـ رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا، أخرجه (٤٥/ ٩٨) من طريق ابن المبارك، وهذا في «الزهد» (٧٠ ـ ٧١/ ٢٤٢/ نعيم) من حديث عبداللَّه بن زحر، عن علي بن زيد عن القاسم عنه. وهذا إسناد ضعيف جدًّا من أجل ابن زحر، وعلي بن زيد وهو الألهاني ـ قريب منه ـ قاله الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) رقم (٢٢٤٣).

(٦٥) ـ ورُوي عن جابر بن عبداللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذْ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب ـ تبارك وتعالى ـ قد أشرف عليهم، فقال: يا أهل الجنة! سلوني. فقالوا: نسألك الرضا عنا. قال: رضائي أحلَّكم داري، وأنالكم كرامتي، وهذا أوانها فسلوني. قالوا: نسألك الزيادة. قال: فيُؤتَوْن بنجائب من ياقوت أحمر أزمَّتُها زُمُرُّد أخضر، وياقوت أحمر، فيُحملون عليها، تضع حوافرها عند منتهى طرفيْها، فيأمر اللَّه ﷻ بأشجار عليها الثمار فتجيء جوارٍ من الحور العين، وَهُنَّ يقُلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام. ويأمر اللَّه ﷻ بكُثبان من مسك أبيض أذْفَر، فَينثر عليهم ريحًا يُقال لها: (المثيرة)، حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن، وهي قصبة[1] الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا! قد جاء القوم. فيقول: مرحبًا بالصادقين، مرحبًا بالطائعين. قال: فيُكْشَف لهم الحجاب، فينظرون إلى اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ، فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا ينظر بعضُهم بعضًا، ثم يقول: أرْجعوهم إلى القصور بالتُّحَف. فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضًا».

فقال رسول اللَّه ﷺ «فذلك قوله: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾

---

(١) قصبة الجنة: أي: وسطها.

- موضوع: رواه أبو نعيم والبيهقي واللفظ له. قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣/ ٥١١) رقم (٢٢٤٤): في إسناده الكديمي، وهو كذاب بسنده عن الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو منكر الحديث، ورواه عن طريق الكديمي أبو نعيم أيضًا في «الحلية» (٦/ ٢٠٨ - ٢٠٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٦١ - ٢٦٢).

(٦٦) ورُوي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أتاني جبريلُ فإذا في كَفِّه مِرْآةٌ كأَصْفَى المرايا وأحْسَنِها، وإذا في وسطِها لُمْعَة سَوْدَاءُ، قال: قلتُ: يا جبريلُ! ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صَفاؤها وحُسْنُها. قال: قلتُ: وما هذه اللُّمْعَةُ السَّوْداءُ في وسطِها؟ قال: هذه الجُمُعَةُ، قال: يومٌ مِنْ أيَّامِ ربِّك عظيمٌ، وسأخْبِرُكَ بشَرَفِهِ وفَضْلِه واسْمِه في الدُّنيا والآخِرَةِ:

أمَّا شَرَفُهُ وفَضْلُه واسْمُه في الدنيا؛ فإنَّ اللَّه ـ تبارَك وتعالى ـ جَمَع فيه أمْرَ الخَلْقِ، وأمَّا ما يُرْجَى فيه؛ فإنَّ فيه ساعةً لا يوافِقُها عبدٌ مسلمٌ أو أَمةٌ مسْلِمَةٌ يسْأَلان اللَّه فيها خَيْرًا؛ إلا أعْطاهُما إيَّاه.

وأمَّا شَرَفُهُ وفَضْلُه واسْمُه في الآخرَة؛ فإنَّ اللَّه ـ تعالى ـ إذا صَيَّرَ أهْلَ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ، وأدْخَلَ أهْلَ النارِ النارَ، وجَرَتْ عليْهِمْ أيَّامُهُما وساعَتُهما، ليْسَ بِها لَيْلٌ ولا نَهارٌ إلا قد عَلِمَ اللَّه مقدارَ ذلك وساعاتِه، فإذا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ في الحينِ الذي يبرُزُ أو يَخْرُج فيه أهْلُ الجُمُعَةِ إلى جُمُعَتِهم، نادى مُنادٍ: يا أهْلَ الجنَّةِ، اخرُجوا إلى دارِ المزيدِ؛ لا يَعْلَمُ سَعَتَها وعَرْضَها وطولَها إلا اللَّه عز وجل؛ فيَخرُجونَ في كُثْبانٍ مِنَ المِسْكِ. قال حذيفة: وإنَّه لَهُوَ أشَدُّ بياضًا مِنْ دقيقِكُمْ هذا قال: فيَخْرُجُ غِلْمانُ الأنْبياءِ بمنابرَ مِنْ نورٍ، ويَخْرجُ غلمانُ المؤمنينَ بِكَراسيَّ مِنْ ياقوتٍ. قال: فإذا وُضِعَتْ لَهُمْ وأَخذَ القَوْمُ مَجالِسَهُم، بعَثَ اللَّه ـ تبارَك وتعالى ـ علَيْهِم ريحًا تُدْعى المُثيرَةَ؛ تُثيرُ عَلَيْهِم أثابيرَ المِسْكِ الأبْيَضِ، فتُدْخِلُه مِنْ تَحْتِ ثِيابِهِمْ، وتُخْرِجُه في وجُوهِهِمْ وأشْعارِهِمْ، فتِلْكَ الريحُ أعْلَمُ

كيفَ تَصْنَعُ بذلك المِسْكِ مِنِ امَرأَةِ أَحَدِكُم لَوْ دفعَ إليْها ذلك الطيبُ بإذْنِ الله. قال: [ثُمَّ يوحي اللَّه - سبحانَه - إلى حَمَلةِ العَرْشِ فيُوضَعُ بَيْنَ ظَهْراني الجَنَّةِ وبينَهُ وبَينَهُمُ الحُجُبُ، فيكونُ أَوَّلَ ما يَسْمَعونَ منه أَنْ] يقولَ: أَيْنَ عِبادي الذينَ أَطاعوني بالغَيْبِ، ولَمْ يَروني، وصدَّقوا رُسُلي واتَّبَعوا أَمْري؟ فَسَلُوني؛ فهذا يومُ المزيدِ. قال: فيَجْتَمِعونَ على كَلِمَةٍ واحِدَةٍ: رَبِّ رَضينا عَنْك فَارْضَ عنَّا قال: فيرجعُ اللَّه - تعالى - في قوْلِهِمْ: أنْ يا أَهْلَ الجَنَّةِ إنِّي لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكم لَمَا أَسْكَنْتُكُمْ جنَّتي، فسَلُوني؛ فهذا يومُ المَزيدِ قال: فيَجْتَمِعونَ على كَلِمَةٍ واحِدَةٍ: ربِّ! وجْهَكَ، [ربِّ وجهك] أرِنَا نَنْظُرْ إليْهِ! فَيَكْشِفُ اللَّه - تبارَك وتعالى - تِلْكَ الحُجُبَ ويتَجَلَّى لَهُمْ؛ فيَغْشاهُمْ من نوره شيءٌ لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره. قال: ثم يُقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم. قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خُفُوا على أزواجهم، وخَفين عليهم مما غشيَهم من نوره - تبارك وتعالى -، فإذا صاروا إلى منازلهم ترادَّ النور وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها. قال: فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة، ورجعتم على غيرها!. قال: فيقولون: ذلك بأن اللَّه - تبارك وتعالى - تجلَّى لنا فنظرْنا منه إلى ما خفينا به عليكم. قال: فلهم في كل سبعة أيام الضِّعْف على ما كانوا. [قال: وذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾].

● ضعيف جدًّا: - رواه البزَّار، وابن بطة، قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣/ ٥١٢ - ٥١٤) رقم (٢٢٤٥): «سياقه في مسنده: «البحر الزخّار» (٧/ ٢٨٩ - ٢٩٠)، و«كشف الأستار» (٤/ ١٩٣ - ١٩٤)، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٢) - وقد عزاه البزار، وقال: «وفيه القاسم بن مطيب وهو متروك» - يختلف عن السياق هنا، ففي هذا من الزيادات ما ليس في ذاك؛ أهمها الزيادات المشار إليها بالمعكوفات، وكذلك ليس في ذاك قوله:

«ذاك الطيب بإذن الله»؛ وإنما فيه: «طيب أهل الدنيا».

(٦٧) ـ (عن أبي طلال القسملي أنه دخل على أنس بن مالك فقال له: يا أبا طلال متى أصيب بصرك؟ قال: لا أعقله. قال: ألا أحدثك حديثًا حدثنا به رسول الله ﷺ عن جبرائيل عليه السلام عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ قال: إن الله قال: «يا جبرائيل ما ثواب عبدي إذا أخذت كريمتيه إلَّا النظر إلى وجهي والجوار في داري. ولقد رأيت أصحاب النبي ﷺ يكون حوله يريدون أن تذهب أبصارهم).

● ضعيف: ـ رواه الطبراني في «الأوسط». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٩): «فيه أشرس بن الربيع، ولم أجد من ذكره، وأبو طلال ضعَّفه أبو داود والنسائي وابن عدي، ووثقه ابن حبان».

(٦٨) ـ عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن «الزيادة» في كتاب الله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾؟

قال: (الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى الله عز وجل).

● سنده ضعيف: ـ رواه اللالكائي (٧٨٠)، وسنده ضعيف؛ لجهالة الراوي عن أبي العالية.

(٦٩) ـ عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

قال: (الزيادة: النظر إلى وجه ربهم عز وجل).

● سنده ضعيف: ـ فيه راويان ضعيفان.

الأول: «إبراهيم بن المختار» قال ابن معين: (ليس بذاك) وقال البخاري: (فيه نظر) وقال أبو داود: (لا بأس به)، وذكره ابن حبان في الثقات، ثم قال: (ويتقى حديثه من رواية ابن حميد عنه). التهذيب (١: ١٦٢).

قلت: وهذه الرواية من رواية ابن حميد عنه.

والثاني: «محمد بن حميد» قال فيه البخاري: فيه نظر، واتهمه بعضهم بالكذب، ووثقه آخرون. التهذيب (٩: ١٢٧ ـ ١٣١).

وعطاء الخراساني لم يسمع من كعب بن عجرة ولا أحد من الصحابة، وروايته عنهم مرسلة. التهذيب (٧: ٢١٢).

وابن جريج مدلس وقد عنعنه هنا.

* والحديث: رواه عبدالله بن أحمد في السنة (٥٣) والطبري في التفسير (١١: ١٠٧) كلاهما من طريق محمد بن حميد، واللالكائي رقم (٧٨١).

(٧٠) ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (يبعث الله عز وجل يوم القيامة مناديًا ينادي أهل الجنة بصوتٍ يُسْمِعُ أولهم وآخرهم: إن الله وعدكم الحسنَى: والحسنى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه عز وجل).

ضعيف: ـ سنده «ضعيف» فيه راويان ضعيفان.

الأول: «قيس بن الربيع»: قيل: إنه لما كبر ساء حفظه، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. التهذيب (٨: ٣٩١).

الثاني: «إبان بن أبي عياش» ـ ومدار الحديث عليه ـ قال أحمد وابن معين والفلاس والنسائي والدارقطني وأبو حاتم: (متروك الحديث)، وقيل غير ذلك. التهذيب (١: ٩٧ ـ ١٠١).

* والحديث رواه الطبري في التفسير عن شبيب عن إبان.. به (١١: ١٠٥) والدارقطني في الرؤية بعدة أسانيد من طريق إبان (٤٨ ـ ب، ٤٩ ـ أ). واللالكائي رقم (٧٨٢) واللفظ له.

(٧١) ـ عن زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ علمه وأمره أن يتعاهد أهله به كل صباح: (لبيك اللهم لبيك لبيك، وسعديك، والخير في يديك ومنك وبك وإليك، اللهم ما قلتُ من قول أو حلفتُ من حلف أو نذرتُ من نذر فمشيئتك

بين يديه.

ما شئتَ كان وما لا تشاء لا يكون لا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير.

اللهم وما صليتُ (من صلاة) فعلى من صليتَ، وما لعنتُ من لعنة فعلى من لعنتَ، أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، اللهم أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر في وجهك، وشوقًا إلى لقائك في غير (ضراء) مضرة، ولا فتنة مضلة.

أعوذ بك اللهم أن أَظلم أو أُظلم أو أعتدي أو يُعتدى علي أو أكتسب خطيئة بخطيئة أو أذنب ذنبًا لا تغفره.

اللهم فاطر السموات (والأرض) عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام إني أعهد إليك في الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدًا أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير. وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور.

وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة (وإني) لا أثق إلا برحمتك فاغفر ذنبي كله إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتب عَلَيَّ إنك أنت التواب الرحيم).

- سنده ضعيف:- رواه أحمد (٥/ ١٩١)، واللالكائي (٨٤٦)، وفيه أبو بكر بن أبي مريم واسمه عبدالله ضعَّفه ابن معين، وأحمد، وابن سعد، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وقال الدارقطني: متروك.

(٧٢) حديث أن العميان أول الناظرين إلى الله.

- ضعيف جدًا.

(٧٣) (كان إذا اشتاق إلى الجنة قبَّل شيبة أبي بكر).

- موضوع: ـ انظر: «الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة» (٤٥٢)، و«المنار المنيف» لابن القيم (٢١٤).

(٧٤) ألا مَن اشتاق إلى الله؛ فَلْيسمَع كلام الله، فإنَّ مَثَلَ القرآن كمثل جرابِ مِسْك؛ أيَّ وقتٍ فتحته فاح ريحه).

- ضعيف: أخرجه الديلمي (١/١٧١/٢) عن أبي هريرة مرفوعًا وفي سنده: محمد بن أنس أبو بكر لا يُعرف. وضعَّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٥٨١).

وبعد: فهذا ما تيسر جمعه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة أختم به جمعي هذا...

اللَّهم؛ انفعني به وارزقني الشوق إلى لقائك
ولذة النظر إلى وجهك الكريم، وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه
الدكتور
سيد بن حسين العفاني

جمهورية مصر العربية
محافظة بني سويف
مركز بني سويف
قرية بني عفان
صندوق بريد ١٢٣

فهرس المراجع

أ ـ تفسير

١ ـ تفسير ابن كثير ـ طبعة أولاد الشيخ.
٢ ـ تفسير أضواء البيان للشنقيطي.
٣ ـ تفسير البغوي.
٤ ـ تفسير الدر المنثور للسيوطي ـ عالم الكتب.
٥ ـ تفسير الطبري لابن جرير الطبري.
٦ ـ تفسير القرطبي للقرطبي ـ كتاب الشعب.
٧ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي.
٨ ـ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ـ طبعة المنار.
٩ ـ تفسير النسائي.
١٠ ـ تفسير النكت والعيون للماوردي.
١١ ـ تفسير فتح البيان لصديق حسن خان.
١٢ ـ رفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية.
١٣ ـ زاد المسير لابن الجوزي ـ المكتب الإسلامي.
١٤ ـ الصحيح المسند من أسباب النزول ـ لمقبل الوادعي ـ مكتبة ابن تيمية.

عقيدة

١٥ ـ الإبانة الكبرى لابن بطة.
١٦ ـ الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ـ تحقيق د. فوقية حسن ـ دار الأنصار.

١٧ - ابن الفارض والحب الإلهي للدكتور محمد مصطفى حلمي - دار المعارف بمصر..

١٨ - اجتماع الجيوش الإسلامية لابن قيم الجوزية.

١٩ - الإرشاد للجويني.

٢٠ - الاستقامة لابن تيمية.

٢١ - الأسماء والصفات للبيهقي.

٢٢ - الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي.

٢٣ - الاعتقاد للبيهقي.

٢٤ - الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي.

٢٥ - آكام المرجان في أخبار الجان للشبلي الحنفي.

٢٦ - الإنصاف لما تضمّنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري المالكي بهامش الكشاف للزمخشري.

٢٧ - الإيمان لابن منده.

٢٨ - التصديق بالنظر إلى الله - تعالى - في الآخرة للآجري.

٢٩ - التوحيد لابن خزيمة.

٣٠ - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية.

٣١ - الحجة في بيان المحجّة لقوّام السُّنَّة.

٣٢ - خلق أفعال العباد للبخاري.

٣٣ - درء التعارض لابن تيمية.

٣٤ - دلالة القرآن والأثر على رؤية الله - تعالى - بالبصر لعبدالعزيز بن زيد الرومي - مكتبة المعارف - الرياض.

٣٥ - الرد على الجهمية للدارمي.

٣٦ ـ الردّ على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل.
٣٧ ـ الرد على بشر المريسي ـ للدارمي ـ دار الفرقان ـ القاهرة.
٣٨ ـ السنة لابن أبي عاصم ـ تحقيق الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٣٩ ـ السنة لعبداللَّه بن أحمد بن حنبل.
٤٠ ـ السُّنة للخلال.
٤١ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي.
٤٢ ـ شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (معتزلي).
٤٣ ـ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفي.
٤٤ ـ شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ دار ابن الجوزي..
٤٥ ـ شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية للهرّاس.
٤٦ ـ شرح القصيدة النونية لابن قيم الجوزية للهرّس ـ مكتبة ابن تيمية ـ الهرم.
٤٧ ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبداللَّه الغنيمان.
٤٨ ـ الشريعة للآجري.
٤٩ ـ الشفا في شرح شمائل صاحب الاصطفا للقاضي عياض.
٥٠ ـ الصواعق المرسلة لابن القيم.
٥١ ـ الصوفية والفقراء لابن تيمية.
٥٢ ـ الغنية في مسألة الرؤية لابن حجر العسقلاني.
٥٣ ـ الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل لابن حزم.
٥٤ ـ كتاب الأربعين في أصول الدين للرازي.
٥٥ ـ كتاب التوحيد لابن منده.

٥٦ ـ اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية للمرداوي.
٥٧ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية.
٥٨ ـ مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم.
٥٩ ـ مختصر العلو للذهبي.
٦٠ ـ مختصر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ـ لابن سلوم.
٦١ ـ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة.
٦٢ ـ المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للدكتور محمد المغراوي ـ دار طيبة ـ الرياض.
٦٣ ـ مقالات الإسلاميِّين لأبي الحسن الأشعري.
٦٤ ـ منهاج السنة النبوية لابن تيمية ـ دار العروبة.
٦٥ ـ منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري لمحمد إسحاق كندو ـ مكتبة الرشد.
٦٦ ـ المواقف للإيجي.
٦٧ ـ نقض التأسيس لابن تيمية.

كتب الحديث

٦٨ ـ الأدب المفرد للبخاري ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة.
٦٩ ـ الأذكار للنووي.
٧٠ ـ الأربعين في الجهاد لابن عساكر.
٧١ ـ إرواء الغليل للألباني ـ المكتب الإسلامي.
٧٢ ـ بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر العسقلاني.
٧٣ ـ التاريخ الكبير للبخاري.

٧٤ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ـ تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ـ دار الكتب الإسلامية بالقاهرة.

٧٥ ـ الترغيب والترهيب للمنذري.

٧٦ ـ تقريب التهذيب لابن حجر.

٧٧ ـ تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني.

٧٨ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة للكناني.

٧٩ ـ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي.

٨٠ ـ الحلية لأبي نعيم الأصبهاني.

٨١ ـ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة للألباني.

٨٢ ـ السلسلة الصحيحة للألباني ـ المكتب الإسلامي.

٨٣ ـ السلسلة الضعيفة للألباني ـ المكتب الإسلامي.

٨٤ ـ سنن ابن حبان.

٨٥ ـ سنن ابن ماجه ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

٨٦ ـ سنن أبي داود.

٨٧ ـ سنن الترمذي.

٨٨ ـ سنن الدارقطني.

٨٩ ـ سنن الدارمي.

٩٠ ـ السنن الكبرى للبيهقي.

٩١ ـ سنن النسائي.

٩٢ ـ شرح السنة للبغوي.

٩٣ ـ شرح مسلم للنووي ـ دار الشعب.

٩٤ ـ شعب الإيمان للبيهقي.

٩٥ ـ صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.

٩٦ ـ صحيح الجامع الصغير للألباني ـ المكتب الإسلامي.

٩٧ ـ صحيح سنن ابن ماجة للألباني.

٩٨ ـ صحيح سنن أبي داود للألباني.

٩٩ ـ صحيح سنن الترمذي للألباني.

١٠٠ ـ صحيح سنن النسائي للألباني.

١٠١ ـ ضعيف سنن ابن ماجة للألباني.

١٠٢ ـ ضعيف سنن أبي داود للألباني.

١٠٣ ـ ضعيف سنن الترمذي للألباني.

١٠٤ ـ ضعيف سنن النسائي للألباني.

١٠٥ ـ العظمة لأبي الشيخ.

١٠٦ ـ العلل لابن الجوزي.

١٠٧ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ـ طبعة السلفية.

١٠٨ ـ الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني على أبواب البخاري ـ للساعاتي..

١٠٩ ـ فضائل الصحابة للنسائي.

١١٠ ـ فيض القدير للمناوي.

١١١ ـ الكامل لابن عدي.

١١٢ ـ المجروحين لابن حبّان.

١١٣ ـ مجمع الزوائد للهيثمي ـ مكتبة القدسي.

١١٤ ـ المستدرك للحاكم.

١١٥ ـ مسند أبو يعلى.

١١٦ ـ مسند أحمد بن حنبل ـ تحقيق: الشيخ أحمد شاكر ـ طبع دار المعارف.
١١٧ ـ مسند البزار ـ كشف الأستار.
١١٨ ـ مسند الطيالسي.
١١٩ ـ المسند لعبد بن حُميد.
١٢٠ ـ مشكاة المصابيح للتبريزي ـ تحقيق الألباني ـ المكتب الإسلامي.
١٢١ ـ مشكل الآثار للطحاوي.
١٢٢ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للبوصيري.
١٢٣ ـ المصنف لعبدالرزاق الصنعاني ـ المكتب الإسلامي.
١٢٤ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني ـ المكتب الإسلامي.
١٢٥ ـ المعجم الأوسط للطبراني.
١٢٦ ـ المعجم الكبير للطبراني.
١٢٧ ـ موارد الظمآن في زوائد ابن حبان.
١٢٨ ـ ميزان الاعتدال للذهبي.
١٢٩ ـ نتائج الأفكار لابن حجر العسقلاني.
١٣٠ ـ نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للزيلعي.

سير وتاريخ

١٣١ ـ أبو مدين الغوث للدكتور عبدالحليم محمود ـ دار المعارف.
١٣٢ ـ أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني.
١٣٣ ـ الاستيعاب لابن عبدالبر.
١٣٤ ـ أسد الغابة لابن الأثير.

١٣٥ ـ الإصابة لابن حجر العسقلاني.
١٣٦ ـ البداية والنهاية لابن كثير.
١٣٧ ـ تاريخ الطبري للإمام ابن جرير الطبري.
١٣٨ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
١٣٩ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر.
١٤٠ ـ التاريخ ليحيى بن معين.
١٤١ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي.
١٤٢ ـ سير أعلام النبلاء ـ للذهبي ـ مؤسسة الرسالة.
١٤٣ ـ الشيخ إبراهيم عزت حياته وشعره.
١٤٤ ـ صفة الصفوة لابن الجوزي.
١٤٥ ـ طبقات ابن الملقِّن.
١٤٦ ـ طبقات الحنابلة لأبي يعلى.
١٤٧ ـ طبقات السلمي.
١٤٨ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد.
١٤٩ ـ فقه السيرة لمحمد الغزالي.
١٥٠ ـ المكنون في مناقب ذي النون للسيوطي.
١٥١ ـ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي.
١٥٢ ـ نهاية البداية والنهاية لابن كثير ـ تحقيق إسماعيل الأنصاري ـ المكتبة القيمة بالقاهرة.
١٥٣ ـ يحيى بن معاذ الرازي لسعيد هارون عاشور.

الفقه وأصوله

١٥٤ ـ الأحكام للآمدي.
١٥٥ ـ بدائع الصنائع للكسائي.
١٥٦ ـ الحاوي في الفتاوي للسيوطي.
١٥٧ ـ المبسوط للسرخسي.
١٥٨ ـ مراقي السعود إلى مراقي السعود.
١٥٩ ـ مسائل الإمام أحمد لابن هانئ.
١٦٠ ـ مسائل الإمام أحمد لأبي داود.

رقائق

١٦١ ـ إحياء علوم الدين للغزالي ـ دار الريّان للتراث.
١٦٢ ـ اختيار الأوْلى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب الحنبلي.
١٦٣ ـ آداب الزفاف للألباني ـ المكتب الإسلامي.
١٦٤ ـ استنشاق نسيم الأنس لابن رجب الحنبلي.
١٦٥ ـ إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية.
١٦٦ ـ بحر الدموع لابن الجوزي.
١٦٧ ـ التبصرة لابن الجوزي.
١٦٨ ـ التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية.
١٦٩ ـ التذكرة للقرطبي.
١٧٠ ـ التعرُّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي.
١٧١ ـ تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروذي.

١٧٢ ـ تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس.

١٧٣ ـ تنبيه المغترين للشعراني.

١٧٤ ـ تهذيب مدارج السالكين.

١٧٥ ـ الثبات عند الممات لابن رجب الحنبلي.

١٧٦ ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي.

١٧٧ ـ جولة في رياض العلماء لعمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس.

١٧٨ ـ حادي الأرواح لابن القيم ـ طبع مكتبة المتنبي بالقاهرة.

١٧٩ ـ الداء والدواء لابن قيم الجوزية ـ دار ابن الجوزي ـ السعودية.

١٨٠ ـ الذخائر شرح منظومة الكبائر للسفاريني ـ لوليد بن محمد العلي ـ دار البشائر.

١٨١ ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ـ دار الوفاء.

١٨٢ ـ ذم اللُّواط للآجري.

١٨٣ ـ ذم الهوى لابن الجوزي.

١٨٤ ـ الرقائق لمحمد أحمد الراشد.

١٨٥ ـ روضة المحبين لابن القيم.

١٨٦ ـ الزهد الكبير للبيهقي.

١٨٧ ـ الزهيد لابن حنبل.

١٨٨ ـ طريق السعادة للدكتور أحمد فريد.

١٨٩ ـ طريق الهجرتين لابن قيم الجوزية ـ المطبعة السلفية.

١٩٠ ـ الطريق إلى اللَّه (الصدق) لأبي سعيد الخرّاز ـ تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود ـ نشر دار الإنسان..

١٩١ ـ العاقبة للأشبيلي.

١٩٢ ـ عقلاء المجانين للنيسابوري..
١٩٣ ـ الفوائد لابن القيم ـ تحقيق عامر بن علي ياسين ـ دار ابن خزيمة.
١٩٤ ـ قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا.
١٩٥ ـ الكبائر للذهبي ـ تحقيق مشهور حسن سليمان ـ مكتبة دار الفرقان.
١٩٦ ـ كتاب التهجّد لابن أبي الدنيا.
١٩٧ ـ كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي ـ طبع دار الفجر.
١٩٨ ـ كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا.
١٩٩ ـ اللطف في الوعظ لابن الجوزي.
٢٠٠ ـ مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي.
٢٠١ ـ مدارج السالكين لابن قيم الجوزية.
٢٠٢ ـ مدخل إلى الطب الإسلامي ـ للدكتور على مطاوع.
٢٠٣ ـ المدهش لابن الجوزي.
٢٠٤ ـ مساوئ الأخلاق للخرائطي.

لغة

٢٠٥ ـ أساس البلاغة للزمخشري.
٢٠٦ ـ ديباجة ديوان ابن الفارض لسبط ابن الفارض ـ دار الكتب المصرية.
٢٠٧ ـ ديوان إشراق لعمر بهاء الدين الأميري.
٢٠٨ ـ ديوان الشافعي ـ تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة مكتبة الكليات الأزهرية.
٢٠٩ ـ ديوان حاتم الطائي ـ دار صادر بيروت.
٢١٠ ـ ديوان في رحاب الأقصى ليوسف العظم.

٢١١ - ديوان قلب ورب للأميري.

٢١٢ - ديوان مع الله للأميري.

٢١٣ - ديوان موكب النور للدكتور عدنان النحوي - دار النحوي.

٢١٤ - شرح الكافية الشافية لابن مالك.

٢١٥ - كتاب سيبويه - تحقيق عبدالسلام محمد هارون - عالم الكتب بيروت.

٢١٦ - لسان العرب لابن منظور.

٢١٧ - مجمع الأمثال للميداني.

٢١٨ - المصباح المنير للفيومي.

٢١٩ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

٢٢٠ - الموشي للوشاء - دار صادر.

٢٢١ - نهج البلاغة المنسوب للإمام علي - دار الشعب.

٢٢٢ - يا إلهي لمحمد التهامي (ديوان شعر) - دار البشير.

* * *

فهرس الموضوعات

الفَصْلُ الرَّابِعُ تُرَاكَ تَحْلُو لكَ العِبَارَاتُ وَتَلَذُّ لَكَ الإِشَارَاتِ؟ ٢٠٥-٢٦٦

الفصل العاشر الشعر وشوق ابن القيم إلى بلاد الأفراح والنظر إلى وجه الله الكريم ......٥٤٧ ، ٥٦٤

الفصل الحادي عشر يَا لَعِظَم مُصيبتِكَ وخُسْرَانكَ أن تكون من المَحْرومين مِن نَظر اللَّهِ رب العالمين ...٥٦٥ - ٦٠٤

تم الجمع والصف بمكتب الرضا للدعاية والإعلان
عمارة الهدى ١٥ ش امتداد رمسيس بجوار نقابة التجاريين
- مدينة نصر - القاهرة
تليفاكس ٠٠٢٠٢/٣٤٢٨٨٢٩
بني سويف
☎ (٠٨٢) ٢٣٢٠٢٥٤